الدكتور رءوف عبيد

وكيل كلية الحقوق
جامعة عين شمس

فى العودة للتجسد

بين الاعتقاد والفلسفة والعلم



أى افلاطون! هل أنت على خطأ أم على صواب؟!
إذاً فلنناقش الوقائع بحذر وحساب!



الدكتور رءوف عبيد
وكيل كلية الحقوق
جامعة عين شمس

فى العودة للتجسد

بين الاعتقاد والفلسفة والعلم

١٩٧٦

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى

مطبعة الاستقلال الكبرى

٨ شارع نجيب الريحاني بالقاهرة ت ٤٧٤٨٦

اهــــداء

عزيزى القــارىء

قال الفيلســوف فرانسيس بيــكون F. Bacon « اقــرأ لا لتعارض أو لترفض ، ولا لتقبل ونسلّم جزافاً ، بل اقرأ كيما تزن ، وتقــدّر » .

وقال العــلامة توماس هكسلى T. Huxley « اننا ينبغى أن نكون كأطفال صغار ، وعلى استعداد لأن نتنازل عن كل فكرة مسبّقة ، وأن نتتبع بتواضع ما تقودنا اليه الطبيعة من اخاديد حيثما وجدت وكيفما كانت ، والا فلن نتعلم شيئاً . ولقد بدأت أتعلم كيف يكون رضى العقــل وسلامه فحسب منذ صممت على أن أفعل ذلك مهما كانت المخاطر » .

وينبغى أن تضع فى الاعتبار أنك هنا تتصفح أوراق قضية عظمى ، غنية بالوثائق والأســانيد الخطــيرة المتنوعة ، مما يقتضى الكثير من الأناة فى المطالعة وفى المراجعة .

فاذا كنت تريد أن تمضى مع بيكون وهكسلى فى سبيلهما الى الكشف عن الحقائق فاننى أهــدى اليك هذا الجهد المتواضع فى محاولة الكشف عنها ، لعلك تجد فيه ضالتك المنشودة كيما تزن وتقدّر ، وتحصل بذلك على رضى العقــل وســلامه ، وليس بعدهما من غاية يصح أن ينشــدها العقل الحكيم .

أما اذا كنت تعرف سبيلاً آخر للكشف عن الحقائق فارجو ـ بكل لهفة ـ أن ترشدنى اليه ، وأن توضح لى أين يوجد ، وكيف يكون ؟ !

المؤلف



في النظرية التجسد

بين الاعتقاد والفلسفة والعلم

تمهيد

عن الوضع العلمي للمشكلة

هل يحيا الانسان فى جسده الترابى مره واحده فحسب ، أم من الجائز أن تتاح له فرصة العيش فيه أكثر من مرة ؟ تساؤل مفرط فى خطورته ، كما هو مفرط فى قدمه ، وتنوعت صيغ الاجابة عليه تنوعا ضخماً منذ أقدم العصور حتى الآن . وثمة صيغة واحدة بالأقل يعنى بها كل العناية « علم الروح الحديث » – ومن ورائه الباراسيكولوجى – وهى مدى احتمال عودة الروح للتجسد فى صورة آدمية قد تشبه على نحو أو آخر صورها السابقة ، وان لحقها بعض التطور فى الشكل أو فى الموضوع طبقاً لناموس التطور الطبيعى .

وقد انتقل العلم الحديث بهذا الموضوع الخطر من اطار النقاش النظرى البحت الى اطار التحقيقات الوضعية كما هو الشأن فى موقف العلم الحديث من دراسة كافة الظواهر الطبيعية . ولما كان الانسان العائد للتجسد يفقد بحسب الأصل ذاكرته الواعية عن تجسده السابق ، لذا فان التحقيقات الوضعية هنا اتخذت لها عدة مسالك متنوعة جديدة – نسبياً – على دوائر العلم : –

– وكان من أولها استخدام أسلوب ارجاع الذاكره الى الوراء فى غيبوبة التنويم المغناطيسى وقد تكشف فى بعض الحالات عن نتائج مذهلة ، وقد ذلل الطريق أمام هذا الأسلوب البحاثة الفرنسى الكونت أوجين ألبير دى روشا Eugène Albert de Rochas . ثم تابعه فيه عدد من الباحثين الجادين فى بلاد متنوعة .

. – ثم ظهر أسلوب تحقيق ظواهر « رؤى من قبل » و « سمع من قبل » وقد جاء بدوره بنتائج ايجابية غزيرة مترابطة ابتدأت تجتذب انتباه كبرى الجامعات والهيئات المعنية بدراسة الانسان .

- ويضاف الى ما تقدم أساوب الاتصالات الروحية ، أو بالأدق التحقيقات المتواصلة التى جرت فى الظواهر الوساطية العقلية والفيزيقية معاً ، وقد جاءت بدورها بنتائج ايجابية عديدة لها وزنها .

- وقد تضافرت هذه الأساليب فى تجميع عدد ضخم من الوقائع الهامة ، التى ينبغى أن تخضع للتحليل العلمى الناقد لاستخلاص نتائجها المنطقية .

وتجميع الوقائع أو تحليلها ينبغى بداهة أن يجرى بمعزل تام عن كل آراء مسبقة الى جانب صحة العودة للتجسد أو الى جانب انكارها ، حتى يتسنى الوصول الى نتائج يعتد بها فى شأن هذه المشكلة العلمية الكبرى . ولذا يقول الدكتور جوستاف جيلى Gustave Geley (١٨٦٥ - ١٩٢٤) مدير « المعهد الدولى لما وراء الروح » Institut Métapsychique International بباريس - وهو مؤسسة معترف بها رسمياً بأنها ذات نفع عام - فى مؤلفه عن « العودة للتجسد » : « ان نظرية العودة للتجسد اذا ما فهمت فهماً جيداً بكل نتائجها الميتافيزيقية ، من الناحيتين المعنوية والاجتماعية سترتكز فى المستقبل على أساس ثابت . وبالتالى لا يقبل الزعزعة .

لكننا ينبغى أن نتجنب بلا تحفظ طغيان التعاليم المزعومة ، المؤسسة على صور من الالهام المزعوم ، والابتكار المزعوم » . وبقدر ما ينبغى تجنب التعاليم الروحية المزعومة ينبغى أيضاً تجنب التعاليم الرافضة مقدماً لأنها مؤسسة على خرافات مادية يطلقون عليها أحياناً وصفاً خاطئاً وهو « العلم المادى » .

وتحقيق المشكلات العديدة المرتبطة بالعودة للتجسد ينتظر منه أن يلعب دورا فعالا فى تراجع خرافات العلم المادى . ولذا فان ثمة نشاطاً علمياً واسعاً يجرى حاليا فى جامعات عديدة نحو تحقيق هذه المشكلات أو بعضها ويرجى لها أن تلقى بعض أضواء على العديد من ألغاز الاضطرابات العقلية والعصبية . وأن تساعد فى الكشف عن مجاهل الشعور واللاشعور ، وتوسع نطاق دراستها الى مدى أو الى آخر .

وفى نفس الوقت قد تساعد هذه التحقيقات فى اثبات الطبيعة الروحية الحقة للانسان ، وللعقل ، وللذاكرة ، وبالتالى لانفصال كل ذلك عن نشاط المخ - وهو جهاز محض مؤقت كسائر أعضاء الجسد المادى - للقول بازدواج الانسان فى الجسد المادى الى روح ومادة ، وبصحة دوام الروح بغير حاجة الى هذا الجسد المادى ، وهذه هى بعينها النظرية الروحية بكل نتائجها المفرطة فى خطورتها واتساع نطاقها ،

وتسعبها فى مسالك الفلسفة ، والاعتقاد ، والنفس ، والاخلاق ، والبيولوجيا ، والفيزياء ....

صلة هذه المشكلة بالخلود

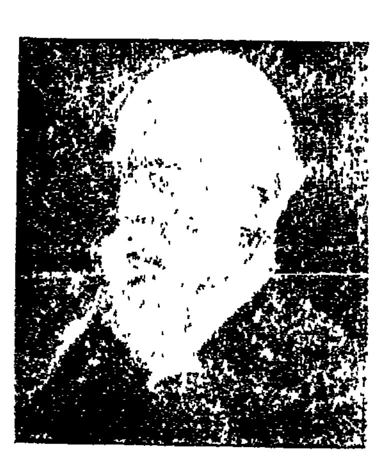
ثم ان هناك حقيقة منطقية فى هذا السياق وهى انه اذا كان خلق الروح لا يكون الا ساعة تكوين الجنين فى بطن امه — نتيجه اتحاد جنسى للأجساد الفانية — فان التكوين الجسمانى يصبح لا غنى عنه للروح ، ويصبح فناء الروح بفناء التكوين الجسمانى هو الامر الاقرب الى المنطق من الناحية النظريه بالأول .

أما اذا قلنا ان خلق الروح سابق على خلق الجسد ، وأن الجسد مجرد موطن عابر ومؤقت للروح الأزلية لاصبح من المفروم الا حدث عن حياة الروح بعد فناء الجسد . أو بعباره أخرى ان الظاهرة الروحية كلها لا يمكن أن تقف على قدميها عند القول بان حياة الجسد مبدأ لحياة الروح . لأن موت الجسد يصبح على هذا النحو مبدأ لموت الروح أيضا .

وقد حاول سير أوليفر لودج Oliver Lodge (١٨٥٢ — ١٩٤٠) عالم الفيزياء ومدير جامعة برمنجهام — وهو من أشهر الأسماء فى العلم الطبيعى الحديث ومن أقدرها فى الحديث عن الخلود وعن الصلة بين العقل والمادة — أن يضع صياغة علمية لهذا الموضوع لما ما قال :

« عندما يثار موضوع الوجود المسمى pre - existence فان بوسعى ان أقول ان الانسان كما نعرفه عبارة عن ظهور طازج fresh apparition أى « تفريد » أو « تشخيص » individualisation لشيء موجود من قبل . ان حياتنا دخلت فى رابطة بالمادة عندما أصبحت المادة صالحة لاستقبالها ...

والآن لابد أن تقولوا أن هذا مجرد افتراض ، وهو كذلك بلا ريب ، لكن هدفى هو أن أحاول أن أوضح معنى الأشياء كما ظهرت لى بدريجيا من دراسة الطبيعيات والروحيات . واذا لم يكن ذلك صحيحاً فان شيئاً أفضل منه هو الصحيح . وعلى أن ألفت نظركم الى أن هذا القول تؤيده الهام الشعراء ، أى تؤيده العبقرية والالهام ، لأن ثمة سبلا عديدة للوصول الى الحقيقة ، وما التحقيق العلمى سوى سبيل من بينها . وهو سبيل بطىء ، وجهد ، وشاق ، لكنه يكون سبيلا آمنا لو أحسنا الانتظار بما يكفى .



أوليفر لودج

ولكن الانسان العبقرى قد يكون صاحب الهام ، وليس لنا أن نحتقر على اى وجه كان الهامات العباقرة ، وقد تكون أقوال الشعراء لها مغزاها . وعندما يقول وردزورث Wordsworth « ان ميلادنا نوم ونسيان » فانه يقول شيئاً يماثل ما بدأت أفكر أنه الحقيقة . ومرة ثانية ترد بخاطرى هذه العبارة وهى « النزول الى الجيل » (١) ، وعبارة « ان الروح تتطلع الى أن تخلط نفسها بالطين » .

ويمكننى أن اتخيل انه من آن الى آخر تسنح للروح فرصة كيما تدخل فى ارتباط بالمادة ، وتصبح تدريجياً فرداً ، وتنمى لها طبعاً ، وشخصية ستبقى . وبحيث يبدو بالأكثر وجود نوع من الاختيار فيما اذا كنا ندخل الى حياة المادة أم لا ، وفى نوع هذه الحياة التى ندخل اليها . وعلى هذا النحو قد يطلب الينا أن نتخير أبوينا ، وهو ما قد يبدو خارقاً للعقل بحسب الظاهر ، حتى وان كان من الجائز أنه يمثل قدرا من الحقيقة . وبالتالى فان بعض حقائق الوراثة ينبغى أن يدخل فى الاعتبار .

والآن اكرر أن الحياة الأرضية هى المغامرة ، وهى الشىء المحير ، والاستثنائى . فنحن تجسدات ، ودخلنا الى المادة ، ونحتفظ مع ذلك ببعض الصلة بعالم الروح ، وهو العالم الحقيقى الذى هو موطننا أكثر مما نحن هنا . ولذا تحدث الرؤى ، والالهامات ، وحتى « الصوت المباشر » ، وكل صور الظواهر التى اضحت مألوفة لدينا تدريجياً ، كما كانت لدى الأقدمين أيضاً .

كما اختبرنا الارشاد والمساعدة اللذين يمنحان لنا أثناء تجسدنا ، سواء أشعرنا بهما أم لم نشعر . وفى الواقع ان هذا النظر الذى حاولت أن أبرزه عن تجسد الروح بالماده لهدف تقدمها ، أو لهدف آخر راق ، سواء أكان تحسن طباعها أم تحقيق خدمة ما ، يلتئم تماماً مع الايمان الدينى ، ومع القول بأن التجسد أكثر من مجرد ارتباطنا المألوف بالمادة » (٢) .

هذه هى ثمرة أو خلاصة بحوث دامت لمدى خمسين عاماً بمعرفة علامة طبيعى عبقرى ذى سمعة ضخمة . ويقال انه وضع حجر الأساس فى أخطر كشفين وصل اليهما عقل الانسان فى القرن

---

(١) Descent into generation.

(٢) Phantom Walls. 1969 p. 98 - 101.

لعنصرين : وهما الارسال اللاسلكي ونظرية النسبية (١) ، فكيف نتجاهل ثمار أمثال هذه البحوث ولحساب من يكون التجاهل ان لم يكن لحساب الاصرار على كل ما القيناه من مفاهيم وآراء ؟ ! وعلى أن آراءنا المسبقة أصوب من آراء كل الباحثين العلميين سواء أبيحت لنا فرصة الاطلاع عليها أم لم تبح ؟ !

نقد « التناسخ »

وهذه الظاهرة أطلق عليها المؤلفون القدامى وصفا خاطئاً هو « تناسخ الأرواح » . ومصدر الخطأ أن النسخ هنا أو الالغاء لا محل له ، انما كان الأولى أن يطلق عليها « تناسخ الأجساد » لأن الروح تبقى دائماً وتواصل حياتها ونشاطها فى النمو وفى تحقيق الذات ، انما ينحصر محل النسخ هو فحسب الجسد الترابى الذى ينفصل عن الروح فى لحظة الوفاة ، وتعيش الروح فى اطار من جسد آخر أرق منه وأرقى هو الجسد الأثيرى . وذلك الى أن تأذن اراده الله بأن تحل الروح فى جسد ابن جديد عندما يصلح — وهو فى بطن الأم — لاستقبال ذلك الضيف القادم من عالم ما وراء المادة ، أو بالأدق من عالم الأثير .

وهذا هو ما تعنيه نظرية العوده للتجسد Re-Incarnation أو العودة الميلاد Rebirth أو نحو ذلك من أوصاف متعددة .

ويمكن بالتالى تعريف هذه العوده للجسد أو للميلاد بانها « عودة المبدأ الروحى فى الانسان الى غلاف لحمى جديد » . وهذا الغلاف يتخذ بالنسبة للانسان دائما شكلا آدميا ، وان انه يمكن أن يفرض مجرد افتراض أن هذه العودة كما هى جائزه الى نفس الكوكب الذى كان موطنا للتجسد القديم فانها جائزة نظريا الى كوكب قد ينتمى الى مجموعة شمسية أخرى ، صالح لصيغة ما من صيغ حياة التجسد الفيزيقى للانسان .

و « العوده للتجسد » بهذا المفهوم المحدد تختلف تماما عن المعتقدات الشائعة عن احتمال تقمص روح الانسان لجسد حيوان ، وهذا ما ترفضه تماما كل البحوث العلمية فى الروح . كما يختلف أيضاً عن دورات الحياه فى عالم المادة أو تحول خلايا جسم الانسان بعد تحلله بالوفاة الى غذاء للنبات ، أو تحول خلايا النبات الى غذاء

---

(١) للمزيد عن أوليفرلودج راجع كتابا حديثا بعرض ودقة جوليان W P Jolly عنوانه « سير أوليفر لودج الباحث الروحى والعالم » (١٩٧٤) .
Sir Oliver Lodge Psychical Researcher and Scientist.

للحيوان ، او تحول خلايا الحيوان الى غذاء للانسان (عن طريق أكل لحمه مثلا) .

وهو ما قد يمثل الأصل التاريخى للخلط الذى شاع بين دورات الحياة فى عالم المادة على هذا النحو وهى تلك التى يطلق عليها « التناسخ » وبين « العودة للتجسد ، أو للميلاد » ، وهذا أمر مختلف عن ذلك تماماً ، رغم أن بعض الباحثين تعود من باب التجاوز الضار استخدام هذا الوصف الأخير وهو « التناسخ » للتعبير عن « العودة للتجسد » Re-incarnation أو « العودة للميلاد » Rebirth فى مفهومها العلمى المحدد المعاصر .

ولذا نفضل فى معالجة هذا الموضوع استخدام هذا التعبير وهو « العودة للتجسد » أو للميلاد باعتباره أصحها وأكثرها شيوعاً فى البيئات العلمية . أما تعبير « التناسخ » فينبغى العدول عنه نهائيا لأنه يقود الى خطأ بيّن ولبس لا مبرر له فى فهم هذا الموضوع .

وهذا لا ينفى اننا سنضطر أحياناً الى استخدام كلمة «التناسخ» عند الحديث عن رأى المؤلفين القدامى فى هذا الموضوع ، وما دام كان هذا هو أسلوبهم المستخدم فى كتاباتهم أو فيما كتب عنهم وبالقدر اللازم لأداء هذا الغرض وحده .

ونراعى أيضاً أن تعبير « تقمص الأرواح » تعبير خاطىء بدوره ، لأنه اما أن يشير الى حالة الهيمنة أو الاستحواذ الروحى ؛ وهذه لا ينبغى أن تختلط بموضوع « العودة للتجسد » ، واما أن يشير الى تقمص أرواح الحيوانات والنباتات ... وهى عقيدة كانت ولا تزال معروفة فى الشرق الأقصى ، ولكن لم يقم على صحتها أى دليل حتى الآن . بل انها تتعارض فى الواقع مع أولى حقائق العلم الوضعى وما يرتبط به من فلسفات عن الروح . وعن الخلود فى مفهومه الحديث .

عن تزايد الاهتمام بالمشكلة

وحتى اذا تركنا جانباً موضوعات الخلود وما تثيره من مباحث عديدة فان حقائق الحياة ، وكشوف العلم الحديث لا تعترض طريق الاعتقاد باحتمال العودة للتجسد فى صورة آدمية وهو نفس المعنى الذى عبر عنه الدكتور ك . ج . دكاس C. J. Ducasse أستاذ الفلسفة بجامعة براون Brown بأمريكا فى مؤلف له عنوانه

« دراسة انتقادية فى الاعتقاد فى دوام الحياه بعد الموت » (١) (١٩٦١) بقوله انه « سواء اكانت الحيـاة بعد الموت حقيقـة أم لم تكن ، فان من المتصور تعـدد الحيوات على الأرض . ومن المتصـور منطقياً أن تكون مترابطة ومتماسكة ، **وليست متعارضة مع الحقائق التى نعـرفها فى** العالم التجريبى أو متضاربة معها » .

وهـذه الحقائق هى نفسها التى استند الى بعضها عـدة بحـاث علميين بكل معنى الكلمة ، وقدموا نتائج خطيرة لأبحاثهم تسبب الحيرة والذهول . منهم الدكتور لويس كريستوفورو بوستليونو Leuis Cristoforo Postiglono فى مؤلف له عنوانه « اسس لفلسـفة علمية عن دوام الحياة بعد الموت ، والعـودة للتجسد » (٢) (١٩٥٦) . وكان ذلك موضوع رسالة طبعت فى بوينس أيرس (عاصمة الأرجنتين) وتقدم بهـا صاحبها الى أحد المؤتمرات الروحية الدولية .

على أن أهم ما ينبغى أن يراعى هو أن جميـع الأسانيد التى تثـار الآن فى شأن هذا الموضوع ليست — بالمرة — نظرية ، أو فلسفية ، أو عقيدية ، بل هى أسانيد وضعية وصـل اليها البحاث المفكرون فى محاولة استكشـاف مجاهل الانسان ، وأسرار تكوينه العقـلى — الروحى والجثمانى أيضاً .

واذا كان للفلسفة من دور هنا فهو تحليل الوقائع التى جمعها فى كد ونصب البحاث الوضعيون فى جميع الأرجاء لمحـاولة تشييد قضايا كلية صحيحة على هذه الوقائع نفسها . واذا كان للاعتقاد من دور هنـا فهو أن يعيد صياغة المفاهيم العقيدية بما يلتئم تماماً مع كشوف العلم الثابتة بدلا من المكابرة فيها ، على غير أساس ، ولغير جدوى .

خصوصاً وأن الأسانيد العقدية فى جانب صحة هذا الاعتقاد وفيرة وفـرة لا يمكن أن يتصورها الانسان الذى يمشى على هامش الاعتقـاد معتقداً أنه قد حاز منه أوفر نصيب ، وأصبحت له — وحـده — الكلمة الأولى والأخيرة فى هذا الموضوع البعيد الأغوار ، المترامى الاطراف .

وهو فى أول المطاف ، وفى نهايته أيضـا ، موضوع محض علمى شأنه شأن كل نواميس الطبيعة التى نجح كد العلمـاء فى الوصول اليها بعـد

---

(١) A Critical Examination of the Belief in a life After Death.

(٢) Fondamental Scientific Philosophy About Survival and Reincarnation.

طول عنـاء ، وبعد تطبيق أسلوب التحليل الناقد على أكبر قدر ممكن من الوقائع الثابتة . وموضوع هـذا شأنه ليس من الحكمـة فى شىء أن يترك لأسلوب التطرف ، أو لأساوب الافتراض والارتجال ، الا اذا صح أن يترك لنفس الأسـلوب استكشاف أسرار الطاقـة ، أو الجاذبية ، أو المغناطيسية ، أو النسبية ، أو الفضاء ، أو الكيمياء ، أو استكشاف أسرار الشعور واللاشعور وهى تنبع فى الصميم من موضوع احتمال العودة للتجسـد .

ومراعاة لهـذه الاعتبارات الواضـحة بذاتها كل الوضـوح نجـد أن الجامعات والمعاهد الأجنبية بوجه عام بدأت تولى دراسة هذا الموضوع الهـام الكثير من العناية للبت برأى حاسم فيه — ايجاباً أو سـلباً — على أسس محض وضعية — وذلك الى حد أن أعدت له فى الولايات المتحـدة وحدها مشروعات بحث جاد بالأقل فى سبع معاهد كبرى وهى : —

— جامعة هوارد Howard بمدينة واشنطون .
— جامعة ادلفى Adelnhi بمدينة نيويورك .
— جامعة سانت لورانس St Laurenc بسانت لورانس .
— جامعة لاسال Lasalle بمدينة فلادلفيا .
— جامعة فرجينيا Virginia بولاية فيرجينيا .
— كلية كاليفورنيا California بمقاطعة كاليفورنيا .
— كليـة تكساس Texas فى مقاطعة ربزليانيا .

* * *

ولا غرابة أن يتزايد على الدوام الاهتمام بدراسـة هـذه النسبة الدقيقة المركبة . خصوصاً وأن المقـام ليس بالمرة مقام راى ثانوى قد أثير اعتباطاً فى شأن مشكلة عادية من مشـكلات الاعتقاد ، أو الفاسفة ، أو العلم . بل ان المقـام جـد خطـير ، لأنه مقـام البحث فى أعمـاق علاقـة الانسان بالكون وبنفسه ومحاولة تحديد أبعـادها الصـحيحة على أسس يقينية يراد لهـا أن تكون بعيدة تماماً عن أسلوب المضاربات الجزافية ، أو الافتراضات النظـرية التى كانت — فى المـاضى — تهيمن هيمنة شـبه تامة على دوائر الفلسفة والاعتقاد .

ويكفى فى هذا الشأن أن تعلم أن « عودة التجسد » متى قيـل بثبوتها علمياً ، وهو ما يقوله الآن العديدون من المطلعين اطـلاعاً كافيـاً على ما جرى بشأنها من تحقيقات وأبحاث عملية مثابرة منذ مطلع هـذا القرن ، فانها تلقى أضواء ساطعة كثيرة على أمور خطيرة متعددة منها : —

اولا : تفسير البعض من النواحى الغامضة فى سلوك الانسان وملكاته والغازه الكثيرة والتى كان علم النفس القديم يقف ازاءها فى حيرة تامة ، وفى عجز مطلق ازاء اصراره على حداثة الذاكرة الانسانية .

ثانيا : انها توضح بالتالى بعض معالم الحدود بين الشعور واللاشعور ، تلك الحدود التى طالما كانت أرضا خصبة لصراع قد طال امده بين المدارس النفسية المختلفة .

ثالثا : انها تثبت بطريقة محسوسة ملموسة وجود نواميس غيبية ـ طبيعية لا مادية ـ تحكم الكون بصرامة واضطراد لا تقل عن صرامة نواميس المادة واضطرادها . وهذه النواميس جزمت الفلسفات العريقة بوجودها ، ولكن انكرتها مدارس كثيرة للشك وللالحاد زعمت لنفسها الاطلاع الكامل على كل أسرار الكون لأن الكون لا يتعدى فى نظرها حدود حواسنا الخمس المعروفة ! .

رابعا : انها تثبت بطريقة وضعية قانون « السبب والنتيجة » ، او « العلة والمعلول » . وانه يعمل فى نطاق الروح فى اضطراد تام ، ومنطق صارم ، كما يعمل فى نطاق المادة أيضا .

خامسا : انها تقيم دعائم لا تدحض للايمان بالله ، بوصفه صانعاً حكيماً للكون على أسس أخلاقية مفرطة فى حكمتها وفى عدالتها .

سادسا : انها تلقى أضواء ساطعة على ماهية تلك الأسس ، الخلقية لا على مبدأ وجودها فقط ، وبعبارة أخرى انها تساعد على تحديد الطريق الصحيح لمسيرة الانسان فى رحبات هذا الأزل الذى لا يعرف له بداءة ولا نهاية .

سابعا : انها تثبت بطريقة عملية واضحة توافر قدر ما من حرية الاختيار لدى الانسان ، وبالتالى تقيم اساساً وطيداً لمسئوليته الاخلاقية عن أفعاله ، وهى تقع فى الأساس من مسئوليته الاجتماعية والتشريعية أيضاً .

ثامنا : انها قد تلقى أضواءها على العديد من الروابط الاجتماعية والوزائية التى لا يزال أمرها مجهولا من المعارف الانسانية ، وبالتالى قد تفسر صلة الانسان بأسرته ، وبوطنه ، وبجنسه تفسيراً أعمق من التفسير الشائع وربما أصح منه أيضاً . ناهيك عن صلة الانسان بنفسه التى قد يثبت انها أعرق بكثير من صلته بجسده العضوى الراهن . وهذا التفسير الجديد من شأنه ان يدخل دور ارادة الانسان وحريته فى الاعتبار

عند تحديد مصدر هذه الصلات كلها ، والرجوع بها كلها الى ماضيه السحيق لا الى حياته الراهنة فحسب .

تاسعاً : انها تثبت بطريقة علمية نهائية صحة دوام حياة الانسان بعد الموت . وبالتالى صحة مبدأ الخلود ناهيك بجميع الأسس الفيزيقية والرياضية التى أصبح يقوم عليها هذا المبدأ الأساسى الذى يكاد يمثل كل شيء لضمير الانسان ومصيره .

عاشراً : واذا ثبت نهائياً دوام الحياة بعد الموت ، وبالتالى استقلال الروح عن الجسد المادى فقد ثبتت نهائياً أقوى دعامة للايمان النقى ، ولعزاء الانسان عن آلام حاضره وماضيه ، وتراجعت بنفس المقدار دعاوى الشك والانكار بكل ما تورثه من يأس ، وقلق ، وتشاؤم من مستقبل الانسان فى الحياة ، والحياة فى الانسان .

حادى عشر : وبالتالى فان كل ذلك يصلح أساساً لفلسفة جديدة باذخة عن الروح ، والخلود ، والوجود ... ذات آثار عميقة فى التكوين الروحى للأفراد وللشعوب ، وذات أسانيد وضعية ثابتة تعطيها من عناصر الرسوخ ، والترابط ، والموضوعية ، والوضوح ، ما لم يتحقق بيقين لأية فلسفة روحية أخرى جاءت عن طريق محض المضاربة والارتجال .

ثانى عشر : انها تلقى أضواء لها قيمتها على جوانب كثيرة من الاعتقاد فى كل صوره وارتباطاته . وتمهد السبيل للتوفيق بين شتى العقائد والنحل ، ناهيك بالتوفيق بين النصوص ، وهى فى الحقيقة قد يكمل بعضها البعض الآخر ، أو قد يتصدى بعضها لمواجهة أوضاع غير تلك التى يتصدى لها البعض الآخر .

ثالث عشر : انها تعطى مفاهيم وتطبيقات حية ومحددة عن حقيقة الصلة بين العقل والمادة . كما تبين أهمية تلك «الهيولى المحايدة» التى يتكون منها الوجود ، والتى هى ليست بعقل ولا بمادة ، أو هى بالأدق عقل من جانب ومادة من جانب آخر ، وهذا هو ما وصل اليه وليام جيمس أبرز فلاسفة هذا القرن فى أمريكا عن طريق الربط بين الفلسفة النظرية والبحث الروحى الوضعى . كما وصل اليه برتراند راسل الفيلسوف البريطانى المعروف عن طريق **معادلاته الرياضية .**

رابع عشر : وبالتالى فهى تلقى أضواء جديدة على نظرية التطور . وتحدد له مصدرا روحيا واضحا بعد مصدره المادى الخاطىء الذى نادى به داروين وهو نقص الطعام فى الطبيعة ، وبالتالى تنازع البقاء بين الأحياء وبقاء الأصلح منهم . أما الآن فقد أصبح التطور الجثمانى خاضعا

التطور الروحى للانسان ومحكوما بتخطيط رياضى حكيم يسبب الحيرة والذهول عند أولى الألباب من المطلعين والمفكرين .

خامس عشر : انها تساعد على حل بعض جوانب مشكلات العدل والشر ، والألم ، والضمير ، والمصير ، وهى مشكلات طالما أعيت الفلاسفة الكبار وحيرت أعمق رجال الاعتقاد تفكيراً ، منذ أول عهد الانسان بأسس الفلسفة الراقية وعناصر الاعتقاد المترابط .

سادس عشر : انها قد تساعد على تفسير الكثير من الغاز الحياه وعصى مشكلاتها ، ومن بينها مثلاً : مصدر الحمل ، أى مصدر الجسد بما له وما عليه ، ومصدر العبقرية ، ومصدر الذاكرة ، ومصدر الغريزة والعاطفة ، ومصدر النمو ، ورسالة الشيخوخة والموت ...

سابع عشر : انها قد تقع فى المستقبل القريب فى الأساس من علم الانسان بكل فروعه . ناهيك بعلوم أخرى كثيرة مرتبطة به منها « المورفولوجى » أى الأشكال الخارجية ، و «الميزولوجى » أى علم تأثير البيئة فى الأعضاء ، وعلم « السلالات البشرية » وغيرها ...

ثامن عشر : وأنها قبل كل اعتبار آخر ستقع فى الأساس من علم النفس « السيكولوجى » بكل فروعه وأخصها « علم النفس التكوينى » وستكون سبباً لثورة جذرية فيه تقتضى اعادة النظر فى كل مفاهيمه . وبالتالى قد تكون أعمق تأثيراً فى تطور علم النفس من اكتشاف دورة الدم ، والميكروبات ، والتخدير ، والمضادات الحيوية ... فى تطور الطب .

ومن الموضوعات التى سيتناولها هذا التغيير الجذرى مثلاً مفاهيم اللاشعور ، والادراك خارج الحواس ، ودور الجهاز العصبى وكيفية قيامه بوظائفه ، وبالتالى تفسير العديد من الأمراض العصبية والنفسية . والأحلام التى لا تزال تفسيراتها لغاية الآن قاصرة تماماً عن شمول جميع الحالات ، بالاضافة الى تفسير بعض جوانب السلوك الغامضة التى تعنى بها علوم النفس ، والاجتماع ، والاجرام ، والتربية ، وكلها تحاول تفسيرها سعياً الى تخفيف بعض ويلات الانسان ومواجهة بعض متاعبه وآلامه ...

* * *

فهل لك أن تتساءل من بعد عن سر الاهتمام المتزايد بدراسة هذه المشكلة العظمى ؟ ! وهل لك أن تتردد فى القول بأنها أم القضايا كلها ، ومن أجدرها بعناية الباحثين والدارسين الى حين البت فيها برأى حاسم ونهائى ؟ وذلك مع مراعاة أنه فحسب عند هذا البت تكون العلوم الانسانية

برمتها قد وقفت على قدميها لاول مرة فى التاريخ شامخة الراس موفورة الكرامة ، لا يشوبها قلق واضطراب حتى فى أسسها الأولى .

* * *

ومنذ قرون عديدة اتجهت الفلسفة بوجه عام الى التمييز بين الجسد والروح والى الاقرار بكيان سبقى للروح على الجسد ، الى أن سادت الفلسفة المادية فى البيئات العلمية فتراجع هذا الأساوب فى النظر الى الامور . ولكن منذ منتصف القرن الماضى ابتدأت « الحكمة القديمة » تسترد اعتبارها ، وابتدأت حقائق العلوم العصرية نفسها ، وبوجه خاص البيولوجيا ، والنفس ، والفيزياء تشير فى وضوح وفى جلاء الى أن الربط بين حياة الروح وحياة الجسد ربط خاطىء ، شأنه شأن الربط بين العقل والمخ ، الذى تبت بعد بحوث متواصلة دامت لمدى ثلاثين عاماً أو اكثر بجامعة ديوك بالولايات المتحدة الأمريكية انه « محض تدليس علمى ليس له ما يبرره » على حد تعبير عالم من أبرز علماء النفس المعاصرين وهو جوزيف راين J. B. Rhine .

وعلى أية حال فانه اذا كانت العلوم المادية قد وصلت الى تعليل جسد الانسان بتلقيح البويضة وانقسام الخلايا ، فان روحه لا تزال — لغاية الآن — بلا تعليل ، وبالتالى مصدر الحياة التى تحل بالجنين بعد فترة طويلة او قصيرة من بدأ الحمل . ولما كان قانون السببية الطبيعية أو العلية يحكم الكون — وهذه بديهية لا نزاع فيها فى اى علم أو اية فلسفة — فلابد لهذه الحياة من علة سابقة ، خصوصاً اذا ما ارتبطت هذه الحياة بعقل له كيانه الخاص ، ومقوماته التى تميزه حتى عن عقول الآباء والأجداد ، والتى تتشابه أو لا تتشابه معها الى مدى أو الى آخر .

ولذا أخذت الدراسات العلمية فى احتمال « الوجود السبقى » ترتدى قيمة متزايدة ، خصوصاً بعد أن عرف المنهج العلمى سبيله الى اتباع أساليب معينة للتحقيق وللاستكشاف كانت مجهولة من دوائر العلم القديمة ، وساعدت هذه الأساليب الحديثة أيما مساعدة فى الكشف عن بعض أسرار الانسان وسبر بعض أغواره ، وتحديد بعض أطواره . فهل ثبت فعلاً هذا الوجود السبقى ؟ وهل تبين فعلاً مدى اتصاله بالوجود الراهن ؟ وهل ثبت فعلاً تبادل التأثير بين العقل والجسم أو بين الروح والجسم والى أى مدى ، وعلى أى أساس ؟! ان الاجابة عن هذه التساؤلات الخطيرة هى — فى الجملة — موضوع تلك الدراسات التى تجرى الآن على قدم وساق فى العودة للتجسد فى العديد من الجامعات والمعاهد المعنية ، والتى يعلقون عليها أعظم الآمال فى الوصول الى استكشاف بعض اغوار الانسان فى شتى جوانبه الشعورية واللاشعورية .

واتباع المنهج العلمى المرتبط ايما ارتباط بالفلسفة الوضعية عن الانسان وعن الكون هو الأمر الذى قاد كل خطى العلوم المعاصرة فى المادة والطاقة ، ووصل بها الى ما وصلت اليه من تقدم نسبى وازدهار ملموس. فهو لم يخيب ابدا رجاء احد من الباحثين العاميين . ولم يخذل احدا فى نضاله المتواصل لسبر بعض أسرار الوجود من خارجه ومن داخله .

وهو ايضاً فى هذا المقام بالذات — مقام محاولة سبر بعض أسرار الانسان — لم يخيب الرجاء المعقود عليه ، بل لعله تجاوز بكثير آمال أكثر الباحثين تفاؤلا ، وذلك رغم وعورة الطريق ، وفداحة تبعاته . وكل ما يتصل بدراسة الانسان تحف به كل عناصر الوعورة فى الطريق ، والفداحة فى التبعات .

ولكن النتائج التى تم التوصل اليها — لغاية الآن — تتجاوز فى أهميتها وتشعب أرجائها كل الجهود المبذولة ، ولذا فانها تستحق منا تماماً جهد العناية بمتابعتها،ودراستها،وتحليلها،والافادة منها،على ما سيدركه القارىء تماماً بعد الفراغ من الاطلاع على ما سجلته بحوث أولئك الرواد المناضلين الشجعان الذين أمضوا حياتهم فى سبيل محاولة استكشاف المجهول من أسرار الانسان فى علاقته بنفسه ، وبالكون . وبا لها من أسرار تتجاوز فى قيمتها كل تقدير اذا ما وضعها فى الاعتبار عند اتخاذ اى قرار ، مهما بدا له ضعيف القيمة هين الآثار .

* * *

وفى اعتقادى ان البحوث الروحية — بوجه عام — وان كانت كلها عظيمة القيمة فى الكشف عن أغوار الذات الانسانية من ناحية صفتها كحقيقة كونية ، ومن ناحية صلاتها بسائر الحقائق الكونية الأخرى ، الا أن بعض هذه البحوث قد يتجاوز فى خطورة دوره بعضها الآخر . ومنها بوجه خاص — بحسب ترتيب ورودها — فى « مفصل الانسان روح لا جسد » فى طبعته الرابعة : —

اولاً : موضوع تجسدات الأرواح التامة والجزئية .

ثانياً : ظواهر الخروج من الجسد أو الطرح الروحى .

— وقد عالجتهما فى الجزء الاول من هذا المفصل .

ثالثاً : الصلة بين العقل والمخ .

رابعاً : الالهام والأدب الروحى .

— وقد عالجتهما فى الجزء الثانى منه .

خامساً : التسيير والتخيير .

سادساً : العودة للتجسد .

— وقد عالجتهما فى الجزء الثالث منه .

وذلك بالاضافة الى الموضـوعات الروحية الأخرى ، ولكننى راعيت دائماً أن تكون وقفتى عند هذه الموضوعات الستة بالذات أطول من غيرها احساسا منى بأن تحقيقات هذه الموضوعات تمثل الركائز الأساسية لأهم المعطيات التى تتضافر فى اثبات الخلود ، والكشف عن أعمق نواميســه ، وبالتالى ألزمها للحديث الآمن عن هــذا الخلود وعما يرتبط به من قضايا علمية ، أو فلسفية ، أو عقيدية .

ولعل أخطرها كلها . وأجلها شأنا فى هذا المقام ، هو موضوع العودة للتجسد بالذات ، ولذا فقد أوليته قدراً من العناية يتجاوز بلا ريب قدر العناية بغيره من الموضوعات . ولعلى تجشمت فى سبيله قدراً من المشقة يتجاوز قدر غيره ، لأنه بمقدار نفعه فى شأن دراسة الخلود ، تقابل نفعه أيضاً فى دراسة الانسان وهو لا يزال بعد معتقلاً فى جسده البالى ، ناهيك بدراســة ماضيه السحيق حسبما ينبغى أن يهدينا اليه المفهوم الصحيح لمبدأ تطوره فى الجسد وفى الروح ، وفى أماطة اللثام عن العديد من ألغــاز القضايا الفلسفية الكبرى مثل العدل الالهى ، والألم ، والثواب والعقاب . . .

* * *

ولا ريب أن الاعتقاد فى « العودة الى التجسـد » — حتى فى المفهــوم المحدود الواضــح الذى أشرت اليه آنفــاً — اعتقاد جديد على أذهاننا . وكل اعتقاد جديد على الذهن خصوصاً اذا كان هاماً يحتاج الى وقت كاف لدراسة أسانيده ، ولهضمه ، ولتمثيله ، حتى يصبح جزءاً من وجــدان الانسان . وهو اعتقاد لقى مقاومة ملحوظة عند السواد الأكبر من الناس فى الشرق الأوسط والغرب ، ولا يزال يلقى ، بسبب عدم فهمه على النحو المطلوب ابتداء ، ثم بسبب تجاهل سعبى غير مفهوم للنصوص التى تؤيده باشارات واضحة الدلالة وتكاد لا تقبل تفسيراً آخر او احسنا التفسير ، وكانت العقلية الموضــوعية المنفتحة هى رائدنا الحقيقى عند محاولة تفهم النصوص وتفسيرها .

وهذا الموقف من مقاومة احتمال العودة للتجسد يضاهى نفس الموقف من مقاومة التحقيقات الروحيــة بوجه عام ، والتى لقيت مقاومة ضــخمة عند السواد الأكبر ، ولا تزال تلقى لنفس هذه الاعتبارات : وهو من جانب أول عدم فهم الموضوع على وضعه الصحيح . ومن جانب ثان تجاهل غير مفهوم للنصوص التى تشير الى صحة نفس المفاهيم العلمية المستفادة من

هذه التحقيقات الروحية التي تقع أو ينبغي أن تقع في الأساس من كل فهم امين للنصوص وبعد اطلاع كاف على كل جوانب الموضوع .

ومراعاة لهـذه الاعتبارات وتلك فانه ينبغي على القارىء الا يتعجل الحكم على الموضوع ، فهـو اجلّ شأناً بكثير من أن يبت فيه برأى مبتسر أو بمحض شعور مستمد من الارتباطات المسبّقة في فهم النصوص ؛ والتي قد تحتاج الى اعادة النظر في بعض المفاهيم اذا أردنا فعلاً اعتقاداً بعيداً عن شوائب الخرافة ، أو الغلو ، أو التناقض ، أو الارتجال ، ... وهذا هو ما يسعى اليه المناضلون لأجل الارتباط بحقائق الحياة الصحيحة بوصفها تمثل اسمى ما ينبغي الارتباط به ذهنيا ووجـدانياً . وهـي ما لا يتأتى تحقيقـه الا عن طريق الدراسـة المتأنية ثم توفير عناصر الترابط المنطقي ؛ وهو أمر ليس باليسير لكنه ليس محالاً لو أحسنا التقدير والتفكير .

تبـويب

وهذه الاعتبارات نفسها دفعتني الى توخي الاناة المطلوبة في دراسة هـذه القضية العظمى التي ينبغي أن تحظى بالكثير من عناية الباحثين في تحديد علاقة الانسان بالكون تحديدا صحيحاً . ومـع مراعاة أن هـذا التحديد هو أساس علم المنطق ، وبالتالي ينبغي أن يقع في الأسـاس من الاعتقاد والفلسفة والعلوم الانسانية ، ناهيك بعناية الانسان المثقف العادي الذي يريد أن يتعرف على مواضـع صحيحة لأقـدامه في طـريق الأبدية الصاعد الطويل ، الذي لا تعرف له بداية ولا نهاية .

وفيما يلي سـأوزع نتيجة الدراسة التي قمت بها على فصول ثلاثة على النحو الآتي :

الفصل الأول : في العودة للتجسد كعقيدة وكفلسفة .

الفصل الثاني : في موقف العلم الحديث من هذه العودة .

الفصل الثالث : في بعض النظريات والحقائق العامة بقدر اتصـالها بنظرية العودة للتجسد .

* * *

— وعندما تفرغ — أيها القارىء العزيز — من استيعاب الفصل الأول ستتحقق تماماً من أن النصـوص لا تعترض بالمرة طريق هـذا الاعتقاد ، ومثل ذلك الحقائق الفلسفية ، منذ أول عهد الانسان بالفلسفة الراقيـة لغاية الآن ، فهي الى جانبه وليست ضده كما قد يتصور البعض خطأ .

— وعندما تفرغ من استيعاب الفصل الثانى ستدرك أن الوقائع المادية ، والتحقيقات العلمية المحايدة التى تعزز هذا الاعتقاد من الوفرة بمكان كبير ، والى حد من حقه أن يشد انتباهنا ويثير شديد عجبنا ، وذلك لأننا لا زلنا نعيش — لغاية الآن — فى عزلة شبه تامة عما يجرى فى الخارج من بحوث وتحقيقات متوالية فى شأن هذه الأمور الهامة الدقيقة .

— أما عندما تفرغ من استيعاب الفصل الثالث فستجد أن خطة تجاهل الحقائق العلمية الكبرى ما عادت تجدى بالمرة ، بل من شأنها تعويق ركب التقدم العلمى على غير أساس من منطق ولا من اعتقاد . ووضع العقبات المفتعلة مغامرة ضارة تسىء الى العلم والينا ، حين يقفزون فى الخارج قفزات سريعة نحو ثراء المعرفة ، ونحو تخفيف الآلام والويلات التى تصيب الانسان وما أفدحها من آلام وويلات سببها قصور الانسان فى استكشاف أسرار ذاته لغاية الآن .

— كما ستدرك أيضاً أن عناصر هذا الموضوع المتشعب الأطراف مترابطة كل الترابط فيما بينها ، بمقدار ترابطها مع القضايا الفلسفية الكبرى التى من واجب العقول المفكرة أن تثيرها ، على ما ستلمحه بنفسك، ولكن بعد الاطلاع المتروى على ما سيعرض عليك من تحقيقات وحقائق وضعية وبعد امعان النظر فيها ومنحها ما هى جديرة به من عناية بالغة ، والله ولى التوفيق .

الفصل الأول

فى « العودة للتجسد » كعقيدة وكفلسفة

لا يتسع المقام الحالى بطبيعة الحال للكلام فى « العودة للتجسد » تفصيلا فى جميع العقائد والفلسفات القديمة والحديثة ، فان هذا موضوع يطول شرحه ، خصوصاً وأن الأساطير والخرافات قد أحاطت بهذه العقيدة من جوانب كثيرة فجعلت الكلام فيها من الناحية التاريخية عبارة عن افاضة — ليس هذا موضعها — فى أساطير الشعوب ومعتقداتها الشائعة ، وكم تحوى من غرائب ومن مفارقات لا ينبغى أن يعنى بها سوى علم الأساطير لا العلم الوضعى .

وانما ساقصر الحديث فى الفصل الحالى على أهم الجوانب العامة المترابطة فيما بينها ، والمتصلة بهذه العقيدة مباشرة ، بترتيب تاريخى وذلك فى مباحث خمسة على النحو الآتى : —

المبحث الأول : عن « العودة للتجسد » عند الفراعنة والافريق .

المبحث الثانى : عن « العودة للتجسد » فى المسيحية .

المبحث الثالث : عن « العودة للتجسد » فى الاسلام .

المبحث الرابع : عن « العودة للتجسد » فى الديانات الافريقية .

المبحث الخامس : موقف لفيف من أعلام الفلسفة والفكر من عقيدة « العودة للتجسد » .

المبحث الأول

عن « العودة للتجسد » عند الفراعنة والافريق

العودة للتجسد عقيدة ذاعت فى العالم منذ اقدم العصور ، فهى ليست عقيدة جديدة . وقد كانت ولا تزال تسود مشاعر القوم فى الشرق الأقصى ، مثل الهند والصين واليابان ، وفى كل بلاد تعرف شيئاً عن البوذية ، أو الهندوسية ، أو البرهمية ، أو الكونفشيوسية ، أو الزرادشتية ، أو المانوية ... وكلها موغلة فى القدم . ومن الباحثين من يرجعها الى حضارة الأتلنتس تلك الجزيرة الضخمة التى ابتلعها المحيط

الاطلسى منذ عشرة آلاف سنة قبل الميلاد أو نحو ذلك ، كما روى بعض مؤرخى الاغريق نقلاً عن الفراعنة .

وقد ارتدى هذا الاعتقاد فى البلاد الأسيوية صوراً عديدة متنوعة ، وداخلته فى كثير من الأحايين الخرافات والمبالغات شأنه فى ذلك شأن كل اعتقاد دينى لا يخضع لرقابة المنطق المترابط ، ناهيك برقابة الحقائق الثابتة التى تكشف عنها أساليب البحث الناقد .

عن موقف قدماء المصريين

وقد وجد هذا الاعتقاد سبيله الى قدماء المصريين ويشير بيكون شيودو Picon-Chiodo نقلا عن كتاب لمؤلف يدعى فونتان Fontane الى نص يرجع الى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد عبارته كالآتى : « قبل الولادة عاش هذا الطفل وليس الموت نهايته . الحياة تجىء وتروح كالشمس عندما يبدأ نهارها من جديد » .

كما تحوى ورقة بردى أنانا Anana التى ترجع الى سنة ١٣٢٠ قبل الميلاد العبارة الآتية : « الانسان يعود ثانية الى الحياة عدة مرات ، لكنه لا يذكر حيواته السابقة ، الا فى الحلم أحياناً ، أو كفكرة مرتبطة بحادثة سابقة . ولا يمكنه أن يحدد زمان هذه الحادثة أو مكانها لكنه يعلم فحسب أنها حادثة مألوفة عنده . وفى النهاية ستتكشف له كل حيواته المختلفة » .

ويعتقد هيرودوت المؤرخ الاغريقى الذى عاش فى مصر فترة طويلة أن المصريين (فى سنة ٤٥٠ قبل الميلاد) كانوا يتقبلون فكرة دورة التجسدات وفى هذا الشأن يقرر الأستاذ مصطفى الكيك فى مؤلف له عنوانه « تناسخ الأرواح » (١٩٧١) :

« وقدماء المصريين — على ما هو معروف — أصحاب أقدم المعتقدات الدينية المتكاملة . فقد كانوا يؤمنون بأن ثمة حياة ثانية للانسان فى عالم آخر ، وأن الروح باقية الى أن تعود الى أجسادها عندما يحين الوقت الذى يستأنف فيه الميت حياته الثانية . وكان تقديرهم الزمنى للمدة الواقعة بين حدوث الموت والعودة الى الحياة الثانية ثلاثة آلاف عام تقريبا . وقد رأى المصرى القديم أن الروح لا تقضى هذه المدة الطويلة فى فراغ ، ومال الى الاعتقاد بأنها تستفيد من هذا الفراغ فى الالمام بطائفة من المعلومات والوان متعددة من المعرفة والخبرة التى تزخر بها مختلف ميادين الحياة فى عالم الحيوان بعد أن ألمت منها بما يختص به عالم الانسان . ومن أجل ذلك تتجسد فى أجنة حيوانات الأرض والبحر والجو .

ولم يكن هـذا التجسد على هـذه الصورة مرتبطا بحياتها الآدميـة السابقة ارتباطاً جزائياً ، فلم يكن تجسدها فى أجنة حيوانات عليـا ثوابا لها او فى أجنة حيوانات دنيا عقابا لها ، لأن جزاء الروح على ما أحسنت أو أساءت فى العقيدة المصرية القديمة انما يكون فى الحياة الثانية عنـدما يعود المتوفى الى الحياة ويواجه الحساب أمام الآلهة لتقضى له أو عليه .

وبعد أن تستنفد الروح أغراضها من رحلة المعـرفة والعلم تعـود الى جسدها الآدمى لتحل فيه ، وتستأنف به حياتها الثانية فى العـالم الآخر ، فاذا لم تجـده كان يكون قد تحلل واندثر ، أو وجـدته محنطاً ومحتفظا بكيانه ، ولكنه على حالتـه من الموات فلم تستطع التلبس به انصرفت عنه الى جنين انسـان فحلت به لتستأنف به حيـاة أرضـية جديدة » (١) .

ثم انتقلت هـذه العقيدة الى الاغـريق عن طـريق فيريكيدس Pherekydes وتلميذه فيثاغورس الذى كان معاصرا لبوذا معلم الهند ومؤسس الديانة البوذية .

عن موقف الاغريق

على أية حال لقد وجد هذا الاعتقاد سبيله الى الفلسفة الاغريقية ، وهى فى أوج ازدهارها ، فلقى قبـولا واسـعاً فيها . فمثلا ممن اعتنق عقيدة العودة للتجسد فيثاغورس (٥٨٢ — ٥٠٧ قبل الميلاد) . وقد عاش هذا الفيلسوف عشرين عاما من حياته فى مصر ، وربما يكون قد أخذ عنها هذه العقيدة ، ولو أنه يقول انه تجسد من قبل خمس مرات على الأرض ، وانه كان يدعى فى تجسده السابق أوفورباس Euphorbus ، وقد سار على نفس الدرب جميع الفيثاغوريين .

وقد اعتنقها أيضاً سقراط ابو الفلاسفة (٤٦٨ — ٣٩٩ ق.م) وقال فيها : « اذا كانت كل الأشياء التى من طبيعتها الحياة ، أو تلك التى لهـا بعض صفات الحياة ينبغى أن تموت ، وبعد أن تموت تظل باقية فى صورة الموت ولا تعود الى الحيـاة مرة أخرى ، فان كل شىء سـوف ينتهى الى فنـاء ، ولن يتبقى شىء على قيد الحياة — فما هى النتيجة الأخـرى التى يمكن أن تكون ؟ ! » .

* * *

---

(١) ص ١٣ ، ١٤ ، وهو يحيل القارىء الى كتاب « على هامش التاريخ المصرى القديم » للمرحوم الأستاذ عبد القادر حمزة (١٩٤١) جـ ٢ ص ١٩ ، و « مصر ومجدها الغابر » تأليف مرجريت مرى ترجمة الأستاذ محرم كمال (١٩٥٧) ص ٢٩٠ عن هيرودوت — الكتاب الثانى فقرة ١٢٣ ، ١٤٢ .

ثم وجد افلاطون Plato (٤٢٧ ــ ٣٤٧ ق.م) فى هذا الاعتقاد ضالته المنشودة لتفسير عدة أمور تلتئم مع فلسفته القائلة بأن النفوس الحالة فى الأبدان وُجدت قبل وجود الأبدان فى عالم أسماه « عالم المثل أو عالم الحقيقة » . وأنها كانت تدرك هناك المعانى الكلية التى لا صلة لها بالمادة ، ثم حلت فى أبدانها كيما تدرك الجزئيات المحسوسة فى عالم المادة عن طريق القوى الحسية التى يملكها البدن .

ولذا راح افلاطون يقول : « ان الصورة معقول ، والعاقل هو النفس، اى أن النفس من جنس الصورة ، والصورة بسيطة ، فالنفس اذن بسيطة ، والنفس مشاركة فى الحياة ، فهى اذن تحيا ، والنفس تتذكر المثل ، فهى اذن قد حيت حياة تأمل فى حياة سابقة ، ثم انها بعد الموت ستحيا هذه الحياة نفسها ، لأن الحياة بعد الموت من جنس الحياة قبل الوجود » .

هذا وان كان افلاطون مثل فيثاغورس من قبله ، ومثل أفلوطين من بعده ، راح يتحدث عن التناسخ بمفهومه الذى كان معروفا فى أيامه ، ويتضمن احتمال تقمص أرواح الآدميين لأجساد حيوانات ، وهو ما يعبر عنه « بالتناسخ » فى مفهومه العام الذى يتقبل جميع الاحتمالات ، كما عرف ولا يزال معروفاً لغاية الآن فى الشرق الأقصى . ولكن هذا الجانب الأخير ثبت الآن أنه يمثل الجانب الاسطورى من هذا الاعتقاد ، وهو الجانب الذى يثير بطبيعة الحال اعتراضات ضخمة من الناحيتين الفلسفية والعلمية معاً ، ولا أعرف أن هناك باحثاً روحياً واحداً أمكنه أن يدافع عنه أو ان يتبناه ، بل أن الحديث عندهم مقصور على احتمال العودة للتجسد فى صورة آدمية على ما بينته آنفاً ، وسأعود الى ذلك تفصيلاً فيما بعد .

ولا يتسع المقام بطبيعته للحديث طويلا فى فلسفة « التناسخ » عند أفلاطون ، خصوصا وانهامرتبطة وثيق ارتباط بفلسفته عن الخلود بوجه ، وباعتقاده بوجود « مبدأ ثابت فى ذاته لا يتأثر بالتغير ، ويحل فى الأجسام ، وحلوله فى الأجسام ليس صفة جوهرية بالنسبة اليه ، بل هو صفة عرضية .

فهو يحل فى الجسم ، وبالعرض يبعث فيه الحياة ، أو يكون له مصدر حياة . فكأن هذا البرهان اذا أريد به اذن أن يؤدى الى البرهنة على المطلوب لابد أن نفترض حينئذ وجود مبدأ ثابت فى ذاته ، احياؤه للأشياء بالعرض ، وهذا الشىء لن يكون شيئاً آخر غيرالصورة... »(١).

---

(١) راجع « أفلاطون » للدكتور عبد الرحمن بدوى طبعة ١٩٤٤ ص ١٩٨ .


افلاطـون

وراح افلاطون يقول أيضاً : « ان الروح اعرق من الجســـد ، وأن الأرواح تعـــود للولادة من جـديد بلا توقف فى هــذه الحياة . وروح الفيلسوف الحق تترفع عن المتـع والرغبات بقدر الامكان ، وبالتـالى تبعد عن الآلام والمخاوف ... لأنها كنتيجة لتكوينها للآراء بنفس طريقة تكوينها للأجساد ... يتعذر عليها الدخـــول الى الجحيم ما دامت اصبحت فى حالة نقية . أما عندما تغادر الجسد ملوثة بشهواته فانهـا سرعان ما تســقط من جديد الى جسد آخر ، وهكذا يمتنع عليها الوصــول الى كل ما هو مقـدس ونقى ومتناســق ... » .

ولذا علّق افلاطون اهمية خاصة على تذكر المـاضى : « فما العلم فى الواقع الا تذكر النفس حالتها السابقـة التى كانت عليها قبـل الوجـود البشرى ، وما قد تشاهده فى تلك الحياة السابقة يجعل حياتها الراهنـة اشـبه الأشـياء بالولادة . والنفس تبرز ما كان فيها كامنا وفى جوهرها باطـــناً ...

واذا كانت النفس قد عاشت حياة سابقة فلا يمكن لتلك الحيـــاة السابقة الا تترك اثراً فى النفس عندما تتصل بالجسم . ومن هنا كانت فكرة التذكر مرتبطة اشد الارتباط بفكرة الوجود السابق . هذا ونظـرية المعرفة عند أفلاطون تضطر اضطرارا الى القول بالتذكر . فكيف تتم المعرفة بمعنى العـلم ان لم يكن هنـاك تذكر لمعـــارف سابقـة أدركها الانسان أو حصـلها فى حياته السابقـة ؟ ... فالانسان لا يبحث عن شىء يجهله كل الجهل ، وانمـا يبحث عن شىء لديه عنه بعض المعرفة السابقـة ، وهذه المعرفة السابقة عبارة عن تذكر للصور التى رأيناها فى عالم سابق نذكرها بمناسبة هذه الأشياء الحسية التى تظهـر أمامنا ، فمن ناحيـة نظرية المعرفة أيضا لابد من القول بالتذكر » (١) .

* * *

(١) المرجع السابق ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

كما كان من رأيه أن تغـير الحياة يجرى بين ضدين وفى اتجاهين : فبالنسبة الى النفس والموت والحياة نرى أن الأحياء يولدون من الأموات . ومعنى هذا أن النفوس التى تدخل فى أجسام جديدة فتأخذ الحياة كانت موجودة بعد الموت فى مكان ما . ومن هـذا المكان اتت فأخـذت اجساما جديدة . أى لابد من القول بفكرة بقـاء الأرواح بعد الموت وسـيرها لمـدة تأتى بعدها فتحل فى الجسم ، ثم تخرج من هذا الجسم عن طريق الموت لكى تحل مرة أخرى فى جسم جديد ، وهكذا باستمرار .

كما كان من رأيه أن الرذيلة أو الخطيئة مصدرها تأثير الجسم الضار فى النفس ، فكأن للجسم تأثيرا على النفس . ونراه يقول كذلك بنظـرية الوراثة بمعنى أن الآباء يورثون أبناءهم ما لهم من صفات ، وهذا لايمـكن أن يتم الا اذا كان هناك تأثير متبادل بين النفس والجسم . فهذه الوراثة لا يمكن أن تفسر الا على أساس القول بتأثير الجسم فى النفس .

ويبدو أن علم الروح الحديث يسلّم تماما بتأثير النفس فى الجسم ، كما يسلم فى نفس الوقت بتأثير الجسم فى النفس ، فبينهما اذا تداخـل لا يتوقف . ويبدو انه على المستوى المـادى للوجود يرجح دور تأثـير الجسم المـادى فى النفس ، حين انه فى المستوى الأثيرى يرجح على العكس من ذلك دور تأثير النفس فى الجسم الأثيرى .

وسار أفلوطـين Plotinus (٢٧٠ — ٢٠٥ ق.م) — وهو بدوره من أعظم فلاسفة الاغريق على نفس درب أفلاطون من ناحية الاعتقاد فى مبدأ العودة للتجسد . وقد ولد هذا الفيلسوف فى أسـيوط وعاش فى الاسكندرية ثم اسـتقر فى روما وكتب فى كتابه عن « هبوط النفس » (١) يقول : « ان النفس رغم مصدرها القـدسى نزلت من المناطـق العليـا واندمجت فى مقابلها الجثمانى المظلم . وبمـا أنه من قـدرها أن تصـبح « الهـا » (أى روحاً علوية) (٢) فانها تهبط مختارة حتى تتقوى وتتخلى عن مطالبها الدنيا ... وتهبط النفوس حاملة معها اختباراتها مما أدركته، ومما تألمت منه . وهكذا تتعلم كيف تكتسب القدرة التامة على ادراك كمال الحالة السامية » .

ولذا قال أفلوطين على سبيل المثـال ان الولد اذا قتل أمه عاد مرة ثانية الى الحياة الأرضية فى صورة امرأة يقتلها ابنهـا ، وبذلك يكفر عن

---

(١) The Descent of The Soul.

(٢) راجع « مفصـل الانســان روح لا جسـد » ، الجزء الأول . ص ٦٢ — ٦٣ ، ٧٢ — ٧٤ .

ذنبه ، وأن الظالم يعود مرة ثانية لكى يظلمه غيره ، وأن الضارب فى عمر من الأعمار يقتص منه ضارب فى عمر جديد (١) .

وقد أصبح القديس أوغسطين St. Augustin (٣٥٤ — ٤٣٠) فيما بعد من أشد الناس اعجاباً بفلسفة افلاطون وافلوطين معاً ، كما اقتنع مثلهما بصحة مبدأ العودة للتجسد ، ولذا راح يقول عنهما فى كتابه « ازاء رجال العلم » (٢) : « لقد كانت رسالة أفلاطون أكثر رسائل الفلسفة نقاء واشراقاً . لقد نجح بالاقل فى تبديد ظلام الخطا . ثم اشرقت فلسفته من جديد فى شخص افلوطين الذى كان نداً لأستاذه ، الى حد أن المرء ليعتقد أنهما عاشا معاً ، أو أن افلاطون قد عاد — بعد الفترة الطويلة التى تفصل بينهما — الى التجسد ثانية فى شخص أفلوطين ! » .

* * *

ومن شعراء الاغريق الذين اعتنقوا العودة للتجسد ينبغى أن نشير أيضاً الى أوفيد Ovid (٤٣ — ١٨ ق.م) الذى كان من رأيه « أن الموت كما يطلق عليه ان هو الا مادة قديمة تتسربل هيئة جديدة . والروح تظل كما هى ، يقذف بها من مسكن الى مسكن وفى ثوب مغاير ، والشكل فقط هو الذى يفقد » .

كما ينبغى أن نشير الى أبيمنيد الفيلسوف الذى كان معاصرا للمشرع سولون Solon ويقول انه هو شخصياً سبق له التجسد على الأرض تحت اسم أوكوس .

كما ينبغى أن نشير أيضاً الى الشاعر فيرجيل Virgil (سنة ٧١ — ١٩ قبل الميلاد) .

عن الموقف فى أوروبا القديمة

وعن طريق الاغريق انتشر الايمان بالعودة للتجسد لدى الرومان ونذكر منهم الخطيب والفقيه شيشيرون Cicero (سنة ٤٣ قبل الميلاد) ، والفيلسوف سينيكا Seneca (سنة ٢ — ٦٦ م) .

وبعد الرومان انتشر الاعتقاد فى العودة التجسد لدى عدة قبائل وشعوب أوروبية أخرى منها قبائل الصلت Celts ، والدرويد Druids والتيوتون Teutons . ولدى بعض شعوب الشمال حيث تبين من ملحمة ادا Edda الشعرية التى تم جمعها فى القرن الحادى عشر أنهم كانوا يعرفون أيضاً هذا الاعتقاد .

---

(١) راجع كتاب « الله » للمرحوم الأستاذ عباس العقاد . ص ١٧٣ .

(٢) Contra Academicos

بل ان الدكتور بابيس Papus (جيرار انكوس Gérard Encausse ، يقول فى مؤلفه عن « العودة للتجسد » (١) انه يمكن القول بأن هذه الفكرة التى كانت بمثابة المشعل المضىء فى جميع الحضارات لم تختف ابدا فى أى اعتقاد . ويبدو أنهـا تستند الآن الى عدة مصادر أساسية : وهى مصر الفرعونية التى تأثر بتعاليمها فيثاغورس ، ثم اتباع الأفلاطونية الجديده ، والتقاليد الشرقية متمثلة فى البوذية ، والكشوف الحديثة فى الروحية .

كما يقول انه من الخطأ أن نتصور أن المسيحية لم تشغل نفسها بهذا الاعتقاد ، بل بالعكس لقد كان هذا الاعتقاد يمثل جزءاً أساسياً فى الاعتقاد الكنسى القديم (١) ، وهذا ما ينتقل بنا الى موضوع المبحث المقبل .

المبحث الثانى

عن « العودة للتجسد » فى المسيحية

بعض الآيات

قد يتصور البعض أن عقيدة العودة للتجسد ليس لها أى صـدى فى الانجيل المقـدس مع أن العهـدين معاً يتضمنان اشارات كثيرة عنها ، وعن « الوجود السبقى للروح » Pre-existence وهو عنصر هام فى بناء عقيدة العودة للتجسد . وقـد تجاهل المفسرون القدامى هـذه النصوص تحت ضغط آراء مغرضة معينة سادت فى الغـرب فى عصور لاحقة على ما سأوضحه فيما بعـد ، أو أساءوا فهمها لانتفاء المعطيات العلمية التى تساعدهم على الفهم الصحيح .

ومن هذه الاشارات التى وردت فى العهد القديم : —

ما ورد بسفر التكوين (فى أصحاح ٢٥ عـدد ٢٣) : « فقال لهـا الرب فى بطنك أمتان ، ومن أحشائك يفترق شعبان : شعب يقـوى على شعب ، وكبير يستعبد لصغير » . وهذه كانت نبـوءة الروح لرفقة عن ميلاد ولديهـا . ويمكن أن يقـال فى تفسيرها أن الروح استطاع معرفة مستقبل ولديها من معرفة ماضيهما فيما سبق لهما من تجسدات .

— ما ورد فى الأمثال (أصحاح ٨ عدد ٢٢ — ٣٣) : « الرب قنانى (أى امتلكنى) ، أول طريقـه من قبـل اعماله منذ القـديم . منذ الأزل مُسحت منذ البدء ، منذ أوائل الأرض . اذ لم يكن غَمر ابدئت ، اذ لم

---

(١) La Réincarnation, L'Evolution Physique, Astrale, et Spirituelle.

تكن ينابيع كثيرة المياه . من قبل أن تقررت الجبال قبل التلال ابدئت . اذ لم يكن قد صنع الأرض بعد ولا البرارى ولا أول أعفار المسكونة . لما ثبتت السموات كنت هناك أنا ... كنت عنده صانعاً ، وكنت كل يوم لذته ، فرحة دائمة قدامه . فرحة في مسكونة ارضه ، ولذاتى مع بنى آدم . فالآن ايها البنون اسمعوا لى ، فطوبى للذين يحفظون طرقى ، اسمعوا التعليم وكونوا حكماء ولا ترفضوه » ...

فاذا اخذنا هذه الاقوال على انها مجرد أبيات من شعر غامض لفقدت معناها ، لكننا اذا اخذناها على أنها تمثل روحا انسانية تتحدث عن مصدرها الخاص عن طريق ذاكرتها اللاشعورية ، فان كل سطر فيها يعطينا معنى منطقيا ، بما فى ذلك تطلعاتها الحارة الى فرحاتها القديمة فى الأبدية فى كنف خالقها قبل أن تتجسد على الأرض ، ولهفتها على أن تستعيد مكانتها القديمة تلك عن طريق حفظ الطرق الالهية ، وسماع التعليم ، واتباع الحكمة .

— ويماثل ذلك ما ورد فى المزمور التسعين (عدد ١ — ٥) : « يارب ملجأ كنت لنا فى دور فدور ، من قبل ان تولد الجبال أو ابدات الأرض والمسكونة منذ الأزل الى الأبد انت الله . ترجع الانسان الى الغبار . وتقول ارجعوا يا بنى آدم ، لأن الف سنة فى عينيك مثل يوم أمس بعد ما عبر ، وكهزيع من الليل . جرفتهم كسنة يكونون ، وبالغداة كعشب يزول » ...

— وما ورد فى سفر ارميا (اصحاح ١ عدد ٥) : « قبلما صورتك فى البطن عرفتك ، وقبلما خرجت من الرحم قدستك نبياً للشعوب » وهنا أيضاً يمكن ان يقال ان معرفة الوحى لارميا قبل أن يصوّر فى البطن ويخرج الى عالم المادة كانت هى العامل الأول فى اختياره نبياً للشعوب ، اى بسبب ماضيه النقى الناصع فى تجسداته السابقة .

— ويماثل ذلك ما ورد فى رسالة بولس الرسول الى أهل رومية (اصحاح ٩ عدد ٨ — ١٥) : « اى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله ، بل أولاد الموعد يحسبون نسلا . كلمة الموعد هى هذه . أنا آتى نحو هذا الوقت ويكون لسارة ابن ، وليس ذلك فقط ، بل رفقة أيضا . وهى حبلى من واحد وهو اسحق أبونا ، لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيراً أو شراً لكى يثبت قصد الله حسب الاختيار ، ليس من الأعمال ، بل من الذى يدعو . قيل لها أن الكبير يستعبد للصغير . كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو فماذا نقول . ألعل عند الله ظلماً . حاشا ، لأنه يقول لموسى انى أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف » ،

وهنا أيضا قد يقال ان الله أحب يعقوبا وأبغض عيسو قبل أن يولدا على الأرض من جديد لأنه يعلم ماضى يعقوب وماضى عيسو ، والا فما معنى الآية : « العـدل عند الله ظلمـاً حاشا » ؟ !

ـ ثم نقرأ هذا الأقوال عن أيوب (فى أصحاح ١ عدد ٢٠ ـ ٢٢) : « فقام أيوب ومزق جبته ، وجزّ شعر رأسه وخر على الأرض وسجد ، وقال عرياناً خرجت من بطن أمى وعرياناً أعود الى هنـاك . الرب أعطى والرب اخذ ، فليكن اسم الرب مباركاً . فى كل هـذا لم يخطىء أيوب ، ولم ينسب لله جهالة » .

ولم يكن أيوب يقصد طبعا المعنى الحرفى ، أى انه سـيعود الى بطن نفس أمه القديمة ، بل كان يقصد انه سيعود الى الحياة عارياً عن طـريق بطن أم جديدة كما جاء عارياً عن طريق بطن أمه القديمة .

ـ ثم ترد هذه الأقوال فى انجيل متى (اصحاح ١٦ عدد ١٣ ـ ١٧) : « ولمـا جاء يسوع الى نواحى قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلا من يقول الناس انى أنا ابن الانسان . فقالوا : قوم يوحنا المعمدان ، وآخرون ايليا ، وآخرون ارميا ، أو واحد من الأنبياء . قال لهم وأنتم من تقولون انى أنا ؟ فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى . فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا ان لحماً ودماً لم يعلن لك ، لكن أبى الذى فى السموات » .

ـ ثم نجد صـدى هـذا الاعتقاد فى انجيل لوقا (اصحاح ٩ عـدد ٧ ـ ٩) : « فسمع هيرودس رئيس الربع بجميـع ما كان منـه وارتاب، لأن قوماً كانوا يقولون ان يوحنا قد قام من الأموات ، وقوما ان ايليـا ظهـر ، وآخرين ان نبيـا من القـدماء قام ، فقـال هيرودس يوحنا أنا قطعت رأسه ، فمن هو الذى أسمع عنه مثل هذا ، وكان يطلب أن يراه (أن يرى يسوع) » .

ـ ثم تجىء هذه الأقوال فى انجيل متى (اصحاح ١٧ عدد ١٠ـ١١) : « وسأله تلاميذه قائلين : فلماذا يقول الكتبة ان ايليا ينبغى أن يأتى أولا ؟ فأجاب يسوع وقال لهم ان ايليا (نبى العهـد القـديم) يأتى أولا ويرد كل شىء » . . .

ـ ثم هناك ما ورد فى انجيل يوحنا (اصحاح ٣ عدد ١ ـ ٨) ونصه : « كان انسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود . هـذا جاء الى يسـوع ليـلا ، وقال له يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلما لأن ليس أحـد يقدر أن يعمـل هـذه الآيات التى أنت تعمل ان لم يكن الله

معه . اجاب يسوع وقال له : الحق الحق اقول لك ان كان احد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله . قال له نيقوديموس كيف يمكن الانسان أن يولد وهو شيخ ؟ العله يقدر أن يدخل بطن امه ثانية ويولد ؟ أجاب يسوع الحق الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر ان يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح . لا تتعجب أني قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق . الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها ، لكنك لا تعلم من أين تأتى ولا الى اين تذهب . هكذا كل من وُلد من الروح » .

وهذه الآيات فُسِّرت فيما بعد على أنها تتحدث عن « المعمودية » وهذا التفسير لا يتعارض مع القول بأنها قد تتحدث أيضا عن العودة للتجسد عن طريق الميلاد من فوق ، خصوصا اذا روعى انها كالمعتاد — تتحدث بأمثال وبأمور رمزية كثيرة . ومن ذلك قولها « المولود من الجسد جسد هو ، والمولود من الروح هو روح » وهو ما يفيد معنى التمييز بين مصدر الجسد وهو يولد من اجتماع جسدين ، ومصدر الروح وهو مستقل عن ذلك تماما لأنه يجيء من الروح ، أو بالأدق من مصدر آخر . وله أيضاً مصير آخر .

— ويكمل ذلك ما جاء فى نفس الانجيل (اصحاح ٨ عدد ٢٣ — ٣٣) على لسان يسوع : « فقال لهم أنتم من أسفل ، أما أنا فمن فوق . انتم من هذا العالم ، أما أنا فلست من هذا العالم .... فقال لهم يسوع أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به ، ان لى أشياء كثيرة أتكلم وأحكم بها من نحوكم ، لكن الذى أرسلنى هو حق ، وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم ... انكم ان ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى وتعرفون الحق والحق يحرركم » .

وأيا كان التفسير الدقيق لهذه الآيات فمما لا ريب فيه تاريخياً هو أن هذا الاعتقاد كان شائعاً وراسخاً عند اليهود ، ولم ينكره فيما بعد السيد المسيح فى اى قول من أقواله ، بل على العكس من ذلك أيده صراحة عندما أعلن أن يوحنا المعمدان الذى كان معاصرا له هو بنفسه ايليا النبى الذى توفى منذ أكثر من أربع وعشرين قرنا سابقة .

ذلك انه ورد فى العهد القديم فى سفر ملاخى (اصحاح ٤ عدد ٥) هذا القول : « هانذا ارسل اليكم ايليا النبى قبل مجيء الرب فى اليوم العظيم والمخوف فيرد قلب الآباء على الأبناء ، وقلب الأبناء على آبائهم ... »

ثم ورد فى العهد الجديد فى انجيل متى (اصحاح ١١ عدد ٢ — ١٥) :

أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه وقال له انت هو الآتى أم ننتظر آخر ، فأجاب يسوع وقال لهما اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران . العمى يبصرون ، والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ، والصم يسمعون ، والموتى يقومون ، والمساكين يبشرون ، وطوبى لمن لا يعثر فىّ .

وبينما ذهب هذان ابتدأ يسوع يقول للجميع عن يوحنا ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا أقصبة تحركها الريح ... لكن ماذا خرجتم لتنظروا أنبياً . نعم أقول لكم وأفضل من نبى ، فان هذا هو الذى كتب عنه هأنا أرسل امام وجهك ملاكى الذى يهىء طريقك قدامك ... ومن أيام يوحنا المعمدان الى الآن ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه ، لأن جميع الأنبياء والناموس الى يوحنا تنبأوا ، وان أردتم فهذا هو ايليا المزمع أن يأتى ، من له أذنان للسمع فليسمع » . ولاحظ هذه الجملة الأخيرة « من له أذنان للسمع فليسمع » وهى تفيد معنى التأكيد والمطالبة بالاصغاء التام لما يقول .

وعاد السيد المسيح فى نفس الانجيل (اصحاح ١٧ عدد ١ — ١٣) ليؤكد نفس الواقعة كالآتى : « وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم الى جبل عال منفردين ، وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالنور ، واذا موسى وايليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه ، فجعل بطرس يقول ليسوع يا رب جيد أن تكون ههنا ، فان شئت نضع هنا ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولايليا واحدة (١) . وفيما هو يتكلم اذ سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت ... وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلا لا تعلموا أحدا بما رأيتم حتى يقوم ابن الانسان من الأموات ، وسأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة ان ايليا ينبغى أن يأتى أولا ، فأجاب يسوع وقال لهم ان ايليا يأتى ويرد كل شىء ، ولكنى أقول لكم ان ايليا قد جاء ولم يعرفوه ، بل عملوا به كل ما أرادوا . كذلك ابن الانسان أيضاً سوف يتألم منهم ، حينئذ فهم التلاميذ انه قال لهم عن يوحنا المعمدان » .

وهذه الآيات واضحة كل الوضوح فى أن يوحنا المعمدان « هو ايليا المزمع أن يأتى » ، (وذلك بحسب سفر ملاخى من العهد القديم) . والسؤال المشروع الوحيد الذى يصح أن يثار هنا هو لماذا آثر يوحنا

---

(١) راجع ما ورد عن هذا الموضوع فى « مفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الأول ص ٥٤٥ ، ٥٤٦ .

ان يظهر متجسدا — على جبل التجلى — فى حضور السيد المسيح وتلاميذه فى صورة ايليا ولم يتجسد مثلا فى صـــورة يوحنا المعمدان الذى كان هيرودس قد أمر بقتله قبـل هذا التجلى ؟

والجواب هو انه قد ظهر من طائفة من التحقيقات الثابتة فى الظواهر الفيزيقية ان بعض الأرواح يفضل فعلا ان يجىء فى صورة تجسد سابق له ، لا فى صورة تجسده الأخير على الأرض . ولنا عودة فيما بعـد الى بعض نماذج من التحقيقات العمليـة فى هذا الشأن ، والتى تبين كيف أن بعض الارواح يؤثر هذا الأسلوب الفريد من التجسد فى صـــورة حياة سابقـة أو أكثر ، وبالذات لاثبات هذه العودة للتجسد أكثر من مرة ، وقد سـجل حدوث مثل هذا النوع من الظـواهر الباحثـة الروحيـة السيدة روفينا نوجـيرات Ruffina Noggerath ، والعـــالم المعـــاصر فى الباراسيكولوجى هانز جيرلوف (١) Hans Gerloff .

ومما هو جـدير بالذكر ايضاً أن انجيـل متى (اصحاح ٣ عدد ٤) يصف يوحنا المعمدان بانه « كان لباسه من وبر الابل وعلى حقويه منطقـة من جلد ، وكان طعامه جرادا وعسلا برياً » .

ويقارب هـــذا الوصف ما ورد عن ايليـا فى ســفر الملوك الثانى (اصحاح ١ عدد ٥ — ٩) « فانطلق ايليا ورجع الرسل اليه فقال لهم لـماذا رجعتم ، فقالوا له صعد رجل للقائنا وقال لنـا اذهبـوا راجعـين الى الملك الذى أرسلكم ... فقال لهم ما هى هيئة الرجل الذى صعد للقائكم وكلمكم بهذا الكلام ، فقالوا انه رجل أشعر متمنطق بمنطقة من جلد على حقويه ، فقال هو ايليـا ... » .

وكان ايليـا ويوحنـا — كلاهما — يحبان العـزلة والاعتكاف فى الصحراء ، وهـذا التشابه الفـريد فى الطبـع وفى اللبس أمر ينبغى أن يستلفت نظر المتعمن فى النصوص ، وفى دلالاتها .

* * *

وثمـة واقعـة اخرى قد تصلح لتاييد هذا النظر — بالأقـل فى مفهوم « الوجود السبقى Pre-existence » الروح على الجسـد ؛ وهو جانب واحد من مفاهيم العودة للميلاد ، ولا يتضمن بالضرورة التجسـد السابق على الأرض ، بل الوجود السبقى فى الأثير أو فى الفضاء على نحو ما قبل التجسد على الأرض ، وهو ما يعتقد باحتماله عدد من أبرز الفلاسفة والعلماء والمفكرين على ما سـيرد فيما بعد .

(١) راجع ما ورد عنه فى المرجع السابق ص ٦٠٨ — ٦٠٩ .

وهـذه الواقعـة وردت فى انجيل يوحنا عـــدد ٤٩ ـ ٥٩ كالآتى :

« اجاب يســوع أنا ليس بى شيطان لكنى أكـرم أبى وأنتم تهينوننى . أنا لست أطلب مجـدى . يوجد من يطلب ويدين . الحـق الحـق أقـــول لكم ان كان أحد يحفظ كلامى فلن يرى الموت الى الأبد . فقال له اليهود الآن علمنا أن بك شيطاناً . قد مات ابراهيم والأنبيــاء ، وأنت تقول ان كان أحد يحفظ كلامى فلن يذوق الموت الى الأبد . ألعــلك أعظم من أبينـا ابراهيم الذى مات ، والأنبياء ماتوا ، من تجعل نفسك ؟ !

اجاب يسوع ان كنت أمجد نفسى فليس مجدى شيئاً . أبى هو الذى يمجدنى الذى تقولون أنتم انه الهكم ، ولستم تعرفونه ، وأما أنا فأعرفه . وان قلت انى لست أعرفه أكون مثلكم كاذباً ، لكنى أعرفه وأحفظ قوله . أبوكم ابراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح . فقال له اليهود ليس لك خمسون سـنة بعد ، أفرأيت ابراهيم ؟ فقال لهم يســوع الحـق الحـق أقول لـكم قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن ، فرفعـوا حجارة ليرجمـوه ، اما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازا فى وسطهم ومضى هكذا(١) » . فأيهما أسبق مجيئاً ابراهيم أم يسوع ؟ !

موقف بعض آباء الكنيسة ومؤسسيها

وهذه الوقائع والآيات مجتمعة دفعت عــددا من أبرز آباء الكنيســة ومؤسسيها الأوائل الى الاقتناع بصحة « الوجود السبقى » قبل الميــلاد الراهن سواء أكان هذا الوجود فى الفضلء المجهول أم فى الجسد المـادى .

ـ ومن أوائلهم سان جوستين الشــهيد St. Justin le Martyr وهو رسول وفيلسوف مسيحى عاش فى روما الوثنية داعيا للمسيحية ، واستشهد فيها بسبب دعوته حوالى سنة ١٦٠ ميلادية . وقد وضــع رسالتين « فى تقريظ المسيحية » (٢) (عيده السنوى فى ٣١ أبريل) .

ـ ومن أوائلهم أيضا سان كلبمان السكندرى St. Clement of Alexandria (١٥٠ ـ ٢٢٠) ، وقد تقبل عقيدة العودة للتجســد ونسب الى القديس بولس انه نادى بهـا فى رسالته الى أهــل روميــة (٨ : ١٥) على ما بينته فيما سبق ، وهذا القديس كان أبرز دعاة المسيحية فى القرن الثالث الميلادى .

وفى كتاب له عنوانه « توبيخ الي الملحدين » (٣) يقول : « لقد كنـا

---

(١) عن انجيل يوحنا ٨ : ٤٩ ـ ٥٩ .

(٢) Apologie de la Religion Chrétienne.

(٣) Exhortation To The Pagans.

موجودين قبل تأسيس هذا العالم بزمن طويل . لقد كنا موجودين فى عين الله ، لأن من قدرنا أن نعيش فى الله . نحن الخلائق العاقلة للكلمة الالهية ، لذا فقد وجدنا منذ البدأ لأن فى البدأ كان الكلمة ... فالله لا يظهر لنا عطفه علينا لأول مرة عندما نكون فى سياحاتنا على الأرض ، بل لقد عطف علينا منذ البداية الأولى » .

— وبعد سان كليمان تقبل نفس العقيدة تلميذه سانت أوريجين St Origéne (١٨٥ — ٢٥٤) ودافع عنها بحرارة وموقفه يحتاج الى وقفة كافية لعرضه ، لأنه كان مصدراً لصراع طال أمده حول هذا الموضوع . . .

عن موقف سانت أوريجين

وقد تعرض سانت أوريجين لهذا الموضوع بافاضة ، وكانت تعاليمه حيوية بالنسبة للحفاظ على الأناجيل فى صيغتها الأصلية ، وكان انتاجه الفكرى متدفقاً ، لكن أهم انتاجه وهو كتاب « ستروماتا » Stromata (فى عشرة أجزاء) اختفى بومته ولم يعثر له على أثر كما تقول « الموسوعة البريطانية » . والظاهر أن لهذا الاختفاء صلة بما حاوله فيه من التوفيق بين التعاليم المسيحية ، وبين فلسفة أفلاطون ، وأرسطو ، ونيمونيوس Numenius ، وكوريتوس Corrutus ، وغيرهم من فلاسفة الاغريق .

ولكن فى أحد كتبه الباقية لغاية الآن وهو « ازاء السماء » Contra Celsum نجده يقول : « أليس مما يكون أكثر التئاماً مع العقل أن نقول كما قال فيثاغورس ، وأفلاطون ، وامبودقليس Empedocles ان كل نفس لم تدخل الى الجسد لأسباب غامضة (أى اعتباطا) بل بحسب ما تستحقه طبقاً لأعمالها السابقة ؟ أليس من المنطق أن تكون النفوس التى استخدمت أجسادها فى تحقيق أعظم قدر من الخير الممكن للآخرين قد أصبحت ذات حق فى الحصول على أجساد مزوّدة بصفات أسمى من أجساد الآخرين ؟

ان النفس وهى غير مادية وغير منظورة بطبيعتها ، توجد فى مكان غير مادى وبغير أن يكون لها جسد مناسب لطبيعة ذلك المكان . وبالتالى فانها فى وقت ما ترتدى جسداً كانت تملك مثله من قبل ، لكنه لم يعد بعد ملائماً لها فى حالتها المتغيرة ، وبالتالى فانها تستبدله بجسد ثان » .

وفى كتابه عن « المبادىء » De Principis يقول سانت أوريجين :

« ان كل نفس تجيء الى هذا العالم ،وقد تقوت بالانتصارات التى حازتها فى حياتها السابقة ، أو وقد ضعفت بالهزائم . ومكانها فى هذا العالم يتوقفه على ما تستحقه من مجد أو من خزى بحسب حسناتها أو سيئاتها السابقة، كما أن عماها فى هذا العالم هو الذى يحدد مكانها فى العالم الذى يلى العالم الحـالى » .

وقد تأثر سانت أوريجين بالفلسـفة الاغريقيـة كما عرفت فى أزهى أيامها .وفى أروع جوانبها ، كما تأثر أيضاً بأساطير المعتقـدات الهنـدية والاغريقية . فلم ينادِ فحسب بامكان العـودة الى التجسد فى صـورة انسان ، بل نادى باحتمال التجسد فى صورة حيوان أو طير ، وهى أساطير لم يقم على صحتها اى دليـل ، على عكس [illegible] انسان يشبه الى حد ما الانسان السابق ، وهو الأمر الذى توافرت الى جانبه أدلة عديدة على سنبينه فيما بعد .

ومن المعروف من الناحية التاريخية أن صراعاً قد نشب بين اتبـاع سانت أوريجين الذى كان ينادى بالعودة للتجسد ، وبين منكرى هـذه العودة . كما نشب أكثر من صراع حول طبيعة جسد المسيح عليه السلام . وكانت الوسيلة لحسم النزاع هى عرضه على المجمع المسكونى الذى عقد فى القسطنطينية فى سنة ٤٥١ ميلادية ، فحـاول أن يضـع حلا وسـطا للمشكلة لكنه كان فى الواقع اكثر ولاء الى تعاليم سانت أوريجين منه الى تعاليم معارضيه .

وهذا القرار هام لتفهم الأحداث التى جـرت فيما بعد فى المجمـع المسكونى الذى عقد بالقسطنطينية . ذلك لأنه أبرز شعبية سانت أوريجين الذى كان يعمل بتعضيد من الامبراطور جستنيان Justinian فى الشرق (٤٨٣ — ٥٦٥ م) . وقد أعلن بطريرك القسطنطينية علناً تأيد الامبراطور لهـذا القـرار بنـاء على طلبـه .

لكن ما لبث أن حدث تحول هام لدى جستنيان عندما وقع تحت تأثير عشـيقته الممثلة تيـودورا Theodora التى أصبحت هى نفسـها الامبراطورة (٥٠٨ — ٥٤٧) . وكانت ذات تأثير قـوى عليه ، كما يروى المؤرخون وتكره عقيدة العـودة للتجسيد فى كل صـورها . فحاولت أن تمحوها من العالم الغربى بسبب جهلها . كما يعتبرها المؤرخون مسئولة عن قتـل اثنين من البابابوات ، الى حد أن أصبحت تختار البابا بنفسها ، وبالتـالى كانت تمسـك بيـديها جانبـاً قـوياً من زمام سلطانه الدينى وكانت تطلب من كبار رجال الدولة أن يقسموا لها يمين الولاء كالامبراطور

سواء بسواء وكان لهـا جواسيس وعيون فى كل مكان كما تروى « الموسوعة البريطانية » .

وفى هذا الشأن يروى المؤرخ جونتر روزنبرج Gunther Rosenberg أنها كانت معارضة بسبب جهلها لآراء سانت أوريجين على طول الخط ، وكذلك لقرارات مجمع كاليدونيا « فصممت تصميماً مطلقاً على أن تمحو كل اشارة الى العودة للتجسد فى تعاليم الكنيسة ، وسيطرت على الامبراطور جستنيان الذى أصبح لا حول له فى مقاومة مخططاتها » . فاصدر قراره الامبراطورى فى سنة ٥٤٣ ميلادية بادانة موقف سانت أوريجين بسبب اعتناقه لصيغة ما من صيغ « الوجود السبقى للانسان » رغم أنه كان قد توفى منذ قرنين سابقين ! ! .. وهكذا كان التمهيد للمجمع المسكونى الثانى بالقسطنطينية بعد هذا التاريخ بعشر سنوات (وهو المجمع الخامس فى تسلسل المجامع الدينية منذ بدء انعقادها) .

يقول روزنبرج ايضاً انه على العكس مما يعتقد الناس لم يكن مصرحا للبابا نفسه بحضور هذا المجمع . ولقد انكر هو صحة قراراته ، لكنهم تجاهلوا رأيه وعقد المجمع فى حضور مجموعة من الأساقفة كانت ترغب فى السيطرة على المسيحية ، وكان البابا فرجيليوس Virgilius عاجزاً تماماً أمام القوة العسكرية المتزايدة للامبراطورية البيزنطية ، خصوصاً وان سلفين من اسلافه ماتا مقتولين بأمر من تيودورا هذه .

كما يقول روزنبرج انه عندما وافق المجمع على قصر حضور اجتماعاته على ستة أساقفة غربيين فحسب تمكن من الفتك بتعاليم سانت أوريجين . وهكذا محوا العودة للتجسد من اللاهوت المسيحى . وأكثر من هذا لقد أدى الهجوم على آراء أوريجين الى الهجوم على كل آباء الكنيسة الأوائل الذين كانت كتاباتهم تعكس تقديرهم له ، ولم تكن نسخ هذه الكتابات عديدة ، فكان من اليسير سحبها وحرقها .

ويقول روزنبرج ايضاً ان ظلاماً كثيفاً لا يزال يخيّم حتى الآن على هذا المجمع ، ولم تبذل جهود جدية لكى تكشف عن حقيقة الدوافع التى كانت وراءه ، ووراء أولئك الذين سُمح لهم بحضوره . بل يوجد بعض الشك حتى فيما اذا كان هذا المجمع الدينى قد أدان بالفعل آراء سانت أوريجين ... وهكذا سقطت عقيدة العودة للتجسد فى عالم الاعتراض ، ووصفت بأنها هرطقة ، وألغيت كل مناقشة بشأنها فى العصور الوسطى ، حيث كان قد بدء عصر محاكم التنقيب والتحرى واضطهاد كل من يعارض « الفقه الدينى المستقر » .

* * *

ويبدو لى انه كان من ضمن دوافع تيودورا على استصدار هـذا القـرار من المجمع المسكونى ليس فحسب جهلها الطبيعى بأمور الاعتقاد والعلم ، بل ايضاً تصورها الاله على صـورة ملك شخصى ينبغى أن يتقى الانسان غضبه بالزلفى له والرياء ، وهو موقف شائع جـداً لغـاية الآن فى تصـور الاله .

ولا ريب انها كانت تتصور أن فى مثل هذا القـرار المزيد من الزلفى والرياء على ما ستلاحظ بنفسك من صياغته العجيبة . كما كانت تتصور حتماً أن انكار العودة للتجسد فيه المزيد من الاقرار لله بسلطانه المطلقـة فى الخلق والانشاء ، وفى الثواب والعقاب ، وفى توزيع المواهب والأرزاق ، وفى حكم الكون بلا نواميس ولا ضوابط ... الم يحدث فى تاريخ لاحق أن قاوم المتزمتون اكتشاف نيوتن لقانون الجاذبيـة « لأنه يخلع العنـاية عن عرشها » كيما يضع بدلها بدعة عجيبة تسمى « قانون الجاذبية » ؟ !

وقد لاحظ عدد من كبار الفلاسفة منهم توماس هوبز T. Hobbes ان « الصفات التى نخلعها على الاله ليست الا اسماء تعبّر عن عجزنا عن معرفته ، وعن رغبتنا فى وصفه بعبارات تمجيدية من شأنها ارضاء قـوة مجهولة ... وكل تقـدم فى المعرفة العلميـة والفلسفية معناه التضييق النسبى لمجال الأسماء اللاهوتية » .

فلم تكن تيودورا تحب الله أو تفهمه أكثر من سانت أوريجين ، بل كانت فى تقديرها تتزلف الى الله غير مدركة انه لا يحقد ، ولا يمالىء أحداً ، وان سلطانه على الكون لا يتوقف على موقفنا منه ، وتزلفنا اليـه . وغير مدركة انه يختلف تماماً عن طغاة الأرض الذين يبحثون عن متعة الملق ، ويحيطون انفسهم بالأذناب والمرائين .

وهذا هو كل الفارق بين الايمـان باله موضوعى — لا حـدود له — يحكم الكون بنواميس موضوعية مطلقة من الحكمـة والترابط والعـدالة — وهذا هو نوع ايمان سانت أوريجين — وبين الايمـان باله شـخصى يحكم الكون بميوله ونزواته وأهوائه — وهذا هو نوع ايمان تيودورا — فأى نوع من الايمان نختار لأنفسنا ؟ ! ان لنا لحديثا مستفيضا فى هـذا الشأن فى اكثر من موضع آخر .

* * *

وفى الواقع لقد دخلت المسيحية الى الامبراطورية الرّومانية الشرقية منـذ ايام الامبراطور قسـطنطين الأول (٢٧٤ — ٣٣٧ م) وانتشرت فى أوروبا تدريجيا ، لكن الحيـاة فى قصـور قسطنطين الأول وخلفـائه الى

قسطنطين الحادى عشر كانت أبعد ما تكون عن روح المسيحية . اذ ظلت الروح الرومانية سائدة بكل فجورها وطغيانها ، واستمرت سائدة أجيالا طوالا ، حتى وان تغير الشعار الخارجي فحسب من الوثنية الى المسيحية .

ثم هناك الاعتبارات الواقعية للسياسة التى كثيرا ما تبعد بالانسان عن التطبيق الصادق للفضيلة حتى اذا كان يؤمن نظريا بضرورة التطبيق . خصوصاً اذا كان هذا الانسان حاكماً قد آلت اليه مسئوليات الهيمنة على امبراطورية مترامية الأطراف محوطة بالأعداء الشرسين المتوثبين للانقضاض عليها ، كما ينبئنا التاريخ عن الامبراطورية الرومانية فى نضالها مع قبائل البربر وغيرهم .

وغالباً ما تضيع النوايا الطيبة فى غمار المسئوليات الضخمة وتنهار تحت جحافل الجيوش من المهاجمين والمدافعين معا وتحت وطأة مناورات السياسة وأساليبها الوصولية .

والأيام لا تدور بغتة ، والتطور لا يتحقق طفرة ، خصوصاً فى كل ما يتصل بتهذيب غرائز الانسان وانفعالاته السفلى ، واردائها اطلاقاً شهوة التسلط على الآخرين ، والتحكم فى آرائهم وحرياتهم باسم الدين .

واين ذلك مما نادى به السيد المسيح — وعاش فيه أيضاً — من وداعة ، ومن محبة ومن انكار للذات ، ومن صفح للمخالفين بل للمعتدين أيضاً ! ولذا يمكن أن يقال بحق أن المسيحية لم تدخل الى أوروبا عن طريق الامبراطور قسطنطين الأول أو خلفائه ، بل دخلت عن طريق المناضلين الأبطال الذين سفك أباطـرة الرومان دماءهم واستباحوا أرواحهم وآدميتهم . كما دخلت عن طريق القديسين الصالحين من أصحاب الرأى والمبدأ من طراز سان كليمنت ، وسانت أوريجين ، وسان جيروم ، وسانت اوغسطين ، وسان فرانسوا الاسيسى ، وكلهم من المؤمنين بصحة مبدأ العودة للتجسد .

ولا ريب أن الكنيسة البيزنطية ، والمجامع الدينية المختلفة ، كانت ألاعيب فى أيدى طغيان أباطرة الرومان يوجهونها بالتتابع حسبما شاءت لهم أهواؤهم ، وشهواتهم ، ومصالحهم السياسية ، فلا ينبغى التعويل على ما جادت به قرائح تلك المجامع ، أو قرائح الأساقفة الخاضعين خضوعاً تاماً للارهاب السياسى الرومانى باسم الدين .

وانما ينبغى أن يعاد النظر فى كل شىء ، وأن يناقش كل رأى فى نزاهة تامة ، وفى ضوء كشوف العلم الثابتة بعيداً عن الآراء المسبقة ، والارتباطات المتوارثة عن تلك العهود ، وهـذا هو الدور الشاق النزيه

الذي يقوم به « علم الروح الحديث » . ولعله بسبب هذه النزاهة نفسها لا يرضى أحداً من المتزمتين والرجعيين ولا من الملحدين أيضاً !

عن قرار « المجمع المسكوني » الخامس

ومع ذلك ماذا يقول بالضبط قرار المجمع المسكوني الخامس (الثاني بين مجامع القسطنطينية) (سنة ٥٥٣) ؟ هذا هو نصه : « اذا قال احد ، او فكر أن نفوس البشر كانت توجد من قبل ، باعتبار انها كانت فيما مضى ارواحاً ، وانها كانت ذات فضائل مقدسة ، وانها قد ارتوت من التأمل الالهي ، ولذا فقد انحرفت ، وبالتالي قد فتر حب الاله فيها ، واصبحت تدعى ارواحاً خاطئة واستحقت ان ترسل في اجساد ارضية كعقاب ... ان من يقول او يفكر في ذلك يعتبر مجدفاً Anathème » .

ولا يعتقد اصحاب عقيدةالعودة التجسد ان عودة الأرواح تكون بسبب القلل من التأمل في عظمة الاله ، او بسبب فتور حب الاله لديها . بل انهم قد لا يرون ان العودة تكون دائماً بمثابة عقوبة . ويقولون ان تكرار الوجود الارضي مفروض علينا لكي نتطور ونصبح سادة على غرائزنا التي استعبدت جد الخليقة آدم وسلالته .

وهذا الوجود الأرضي لا يمتد لاكثر من مائة عام وفي المتوسط اقل من ذلك بكثير ، ولكن هذه الاقامة القصيرة لا تكفي للوصول الى النصر النهائي على الغرائز ، ولذا اعطيت لنا مهلات اطول كثيراً تقطعها فترات نوم أعمق من النوم اليومي ، وكل نومة منها تسمى موتاً .

ومن الصحيح أن الوجود اللاحق يكون مصحوبا بنسيان كل وجود سابق ، ولكن هذا النسيان من صور العناية الالهية لأنه يسهل التطور .. وعندما نبلغ مستوى الطهارة الحقة نموت مرة اخيرة فلا نعود ثانية للحياة على الأرض . وبالتالي فان نظرية العودة للتجسد على هذا المعنى يمكن للانسان المتدين ان يرفضها او يتقبلها بغير ان يسقط في التجديف الذي اشار اليه قرار مجمع القسطنطينية .

ويضاف الى ذلك ان قرار مجمع القسطنطينية قد أدمج قضايا عديدة في قرار واحد مشترك ، مع ما بين بعض هذه القضايا وبعضها الآخر من مميزات وفروق تتنافى مع هذا الادماج ، وهذا هو بعينه اسلوب المغالطة عند من يريد أن يغالطك لينتزع منك قراراً معيناً أو آخر .

ونتيجة هذا الادماج من الناحية المنطقية - أن من يستبعد قضية واحدة من القضايا المدمجة معاً - رغم تنافرها - لا يكون خاضعاً لهذا القرار ، وبالتالي لا يكون مجدفاً ، كمن يقول مثلاً : ان نفوس البشر

كانت توجد من قبل ، ولا يضيف أنها كانت ذات فضائل مقدسة ، او انها قد ارتوت من الحب الالهى ، أو أنها قد انحرفت ...

ثم ان العودة للتجسد قد يصدق عليها وصف « واقعة مادية » تقبل التحقيق بأساليب معملية احياناً على ما سيرد فى الفصل المقبل ، اما تعليل العودة للتجسد فهو قضية أخرى قد تكون ادخل فى باب الفلسفة الروحية منها فى باب « الواقعة التى تقبل التحقيق » . وقبول « القضية العلمية » امر يخضع لاعتبارات مستقلة تماماً عن قبول « القضية الفلسفية » كما يعلم كل مفكر ، وكذلك الشأن أيضا فى كل القضايا الفلسفية الأخرى المتصلة بهذا الموضوع الدقيق والمتفرعة عنه ، وبوجه خاص تطور الانسان ، وأساليب هذا التطور ، وأهدافه الأخيرة ، وهو ما سنعرض له فى الفصل الأخير .

* * *

ومع كل الاعتبارات الواضحة لماذا اذاً وجدت عقيدة العودة للتجسد كل هذه المقاومة الضخمة من السواد الأعظم من رجال الاعتقاد ، أو بالأدق من « ارباب المذاهب » ؟ لا ريب أن هذه المقاومة لا ترجع الى قرار مجمع القسطنطينية ، الذى طالما أهدرت قرارات صريحة له فى أمور كثيرة . بل ترجع بالأكثر الى اعتبارات معينة يمكن أن يسلم بها بسهولة كل عارف لطبائع بنى البشر ، ومقدر لحقيقة نوازعهم ، ومن هذه الاعتبارات ما يلى :

أولا : ان انكار هذه العقيدة يكفل « لأرباب المذاهب » المزيد من الهيمنة على افئدة البشر ، لأن التلويح بالنار الأبدية التى قد تنتظرهم بعد الموت مباشرة مختلف تماماً فى وقعه على النفوس عن التلويح بمجرد التطور نحو ما هو أسمى وافضل عن طريق احتمال العودة المتكررة للتجسد .

ففى الحالة الأولى من السهل التلويح بالغفران الذى بمقدورهم أن يمنحوه للمؤمنين ، اما فى الحالة الثانية فانه ان كان ثمة غفران فهو منحة التطور الطبيعى لصاحبه لا منحة من أحد من البشر .

وما قصة صكوك الغفران التى كانت تباع فى القرون الوسطى عداً ونقداً — ببعيدة عن الأذهان . وقد كانت هذه القصة وراء الثورة العارمة التى اعلنها مارتن لوثر ، وتمثل الصكوك انحرافاً جلياً باسم الاعتقاد . وأخشى أن يكون هذا الانحراف لا يزال قائماً — ولو على وجه ما — وان اختلفت الأشكال وذلك فى انحاء كثيرة من الأرض .

ثانياً : أن التسليم بهذه العقيدة يفتح الباب واسعاً لتدخل مفاهيم

العلم والفلسفة ايضاً . ولا ريب أن آفاق رجل الاعتقاد خصوصاً في العصور الأولى والوسطى ما كانت لتتسع للسماح بمثل هذا التدخل الذى قد يتهدد ايضاً قوة سلطانه الشخصى على النفوس ، هذا السلطان الذى يحرص عليه رجل الاعتقاد كل الحرص بطبيعة الحال بوصفه حقاً له خالصاً ، لا يصح أن ينازعه فيه منازع من فلسفة أو من علم ، ولو كانت الفلسفة صادقة والعلم ثابتاً .

ولا ريب أن الحصار الدينى ، أو بالأدق أن الحصار باسم الدين كان قد بلغ ذروته فى أوروبا فى تلك العصور . وعندما يقوم الانفعال الدينى بفرض حصاره على العقل فانه يكون من المحال على العقل أن يبحث فى روية فى طبيعة الانسان ، أو فى حقيقة قدره ومصيره ، أو حقيقة النواميس الطبيعية التى تهيمن على سير ركب الحياة ...

وتكون كل محاولة فى هذا الشأن مطبوعة بروح الانفعال لا بمنطق العقل ، وشتان بين هذين الأسلوبين اللذين يمثل أولهما أسلوب الغلو والارتجال ، ويمثل ثانيهما أسلوب التأنى والاعتدال .

وبمقدار ما يحاول أولهما الارتباط بالنصوص بمقدار ما يفلح فى تشويه الحقائق ، وذريعته الوحيدة هى أنه اكثر ارتباطاً بالنصوص مع أنه قد يكون فى واقع الأمر على النقيض منها تماماً .

وهذا اعتبار لا اريد أن أقف عنده طويلاً ، لأن العبرة هى بالنتائج اليقينية التى تكشفت عنها التحقيقات الوضعية ، وبرغبة تحليلها وتأصيلها تأصيلاً صحيحاً ، وليست بالمناقشات النظرية الجوفاء التى لم تنته ولا يمكن أن تنتهى أبداً الى نتائج يقينية يصح الاعتداد بها .

ثالثاً : أن عقيدة العودة للتجسد ـ شأنها شأن سائر موضوعات الروح ـ اذا نظرنا اليها من الناحيتين العلمية والفلسفية وجدنا أنها عميقة الغور بعيدة الأطراف تتطلب الالمام بنواح كثيرة من فلسفات ومن علوم شتى . وعقيدة هذا شأنها من المحال أن تتسع آفاق كل انسان لدراستها فى كافة جوانبها ، ثم لهضمها وتمثيلها ، والافادة مما ترتبه من نتائج فلسفية وعلمية مفرطة فى خطورتها .

رابعاً : أن التمسك بصحة جميع المفاهيم المتوارثة هى السمة المميزة لأرباب المذاهب فى كثير من الأمور ، ولرجال العلم ايضاً . فان من خصائصهم مقاومة كل كشف جديد مهما كانت عناصره واضحة وثابتة . وهذا التشبث بالقديم تعلو درجته كلما علت درجة الكشف الجديد فى عمق الغور وخطورة النتائج .

فلم يكن اذاً قرار « مجمع القسطنطينية » بكل ما لا بسه من مقدمات معروفة ، وما شمله من مضمون واهٍ ، هو العقبة الحقيقية فى وجه تقبل الاعتقاد بالعودة للتجسد فى الغرب بمقدار ما كان هو هذه الاعتبارات التى اسلفناها . كما لم تكن العقبة - من باب أولى - هى نصوص الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، بما فيهما من دلالات واضحة - وفى كثير من الأحيان حاسمة - الى جانب صحة هذا الاعتقاد ، لا الى جانب بطلانه كما زعموا خطئاً .

والدليل على صحة ما اقول أنه اذا كان السواد الأعظم من رجال الاعتقاد قد وقف فى الغرب فى وجه انتشار هذا الاعتقاد بلا بحث ولا دراسة - كما هى الحال فى كثير من الحالات - فان هناك عدداً ممن يعدون فى الذروة بين آباء الكنيسة الأولى ، وواضعى اسسها اللاهوتية ، أو الخلقية ، أو الفلسفية ، وممن عرف عنهم التفكير المنطقى المترابط والفهم الصحيح لأمور الاعتقاد ، قد اعتنقوا هذه العقيدة ودافعوا عنها .

ولعل مما شجعهم على ذلك أن هذه العقيدة قد تلقى اضواء أوضح من غيرها عن الخطيئة الأولى التى نزلت ببنى البشر من حياة الروح الى حياة المادة وتوجد عنها اشارات متنوعة فى الكتب السماوية . وكان كل المطلوب هو أن يقال - من الناحية اللاهوتية - ان الجنس الانسانى برمته هو الذى سقط لتعلقه بالشهوات الأرضية ، وأن الحديث عن آدم وحواء هو كناية واضحة عن الجنس البشرى كله ، متضامنا معاً .

ولعل مما شجعهم على ذلك ايضا أنه بحسب بعض تعاليم الاعتقاد حتى الحرفى تمضى حقبة طويلة جداً بين العيش الذى يلى الموت مباشرة ، والحساب الأخير الذى يحدد بحسب هذه التعاليم المصير النهائى للروح بين الجنة ، أو النار ، أو المطهر . والى أن يحل وقت الحساب الأخير من الجائز بحسب هذه التعاليم نفسها أن يحدث تغير فى تطور الروح .

اذاً ماذا تصنع الروح خلال الحقبة الطويلة التى ينبغى أن تمضى ؟ من الجائز أن يقال انها تكون عرضة العودة للتجسد المتكرر من جديد على الأرض حتى تحصل على المزيد من التطور ، وتعطى أكثر من فرصة للتطهر من خطاياها الى أن يحل موعد حسابها الأخير .

وليست هذه العقيدة الأخيرة هى بالضبط عقيدة علم الروح الحديث، لكن يمكن بلا ادنى ريب التوفيق بين العقيدتين فى ضوء الحقائق العلمية الحديثة خصوصاً اذا تركنا جانباً أسلوب التشبث بالفهم القديم لمجرد قدمه ، ولرسوخه فى الأذهان وفى الوجدان وتركنا معه أسلوب التشبث بالصور الحرفية الى قبول الصور الرمزية للعقاب وللثواب .

وعلى اية حال لقد وجدت عقيدة العودة للتجسد الأرضى — بالمفهوم المحدد المستقل تماماً عن مفهوم « التناسخ » أو « تقمص أرواح الحيوانات والنباتات » — من يتبناها بين عدد من صفوة المفكرين الدينيين فى الغرب .

ولم يدر بخلدهم مطلقاً انهم بموقفهم هذا قد خالفوا أصول عقائدهم الدينية ، كما لم يدر ذلك بخلد أحد من شراحهم ، أو أتباعهم ، على ما سيتضح ذلك تماماً فيما يلى :

متابعة لموقف آباء الكنيسة

فبالاضافة الى من أسلفنا ذكرهم نجد أن عدداً من ابرز آباء الكنيسة اللاتينية وفلاسفتها قد اتجه — رغم كل المقاومة الضارية — الى اعتناق مبدأ العودة للتجسد ، ونذكر منهم بوجه خاص (بترتيب تاريخى) : —

— الأسقف سينوسيوس Syenésios الذى كان أسقفا لأبروشية البطالسة Ptolemais ببلاد اليونان ، وكان فيلسوفاً ، وخطيباً ، وشاعراً المعياً (ولد حوالى سنة ٣٧٠ وتوفى حوالى سنة ٤١٣) .

— سان جيروم St. Jerome وهو من ابرز آباء الكنيسة الغربية وهو الذى ترجم الأناجيل الى اللغة اللاتينية ، وله مؤلفات عديدة فىالدين ، والتاريخ الدينى والآداب (ولد حوالى سنة ٣٣١ وتوفى حوالى سنة ٤٢٠، وعيده السنوى فى ٣٠ سبتمبر) .

— سانت اوغسطين St. Augustin وهو ابرز فلاسفة الكنيسة اللاتينية قاطبة (٣٥٤ — ٤٣٠) وكان أسقفاً لأبروشية هيبون Hippone وينسب اليه صياغة العقيدة المسيحية فى صيغة فقه بمؤلفاته العديدة التى منها « مدينة الله » (١) ، و « الاعترافات » (٢) ، و « كتاب النعمة » (٣) . (عيده السنوى يوم ٢٨ أغسطس) .

— الراهب الفيلسوف سان بونافنتورا St. Bonaventura (١٢٢١ — ١٢٧٤) وهو صاحب كتاب « رحلة النفس الى الله » ويعتبره اتين جلسون مؤلف كتاب « روح الفلسفة فى العصر الوسيط » أكبر ممثلى التصوف العقلى الذين ينتمون الى ديوسان فكتور الأوغسطينى بباريس هو وتلميذه ريشار .

— سان فرانسوا الاسيسى St. Francois d'Assisses وهو

---

(١) La Cité de Dieu.

(٢) Les Confessions.

(٣) Le Traité de la grace

مؤســس نظــام الفرنسيسكان (١٣٨٢ ــ ١٤٢٦ . عبــده الســنوى فى ٤ أكتوبر) .

ــ الفيلسوف الدينى الايطالى توماس كامبانيلا Campanella (١٥٦٨ ــ ١٦٣٩) المعروف بنضاله المرير ضد الفلسفة المدرسية (التى كانت تدرس فى المدارس فى القرون الوسطى) . ولعــله من أوائل المنادين فى الغرب باتباع الأسلوب الوضعى فى تحقيق الأمور . وآراؤه مزيج من الفلســفة الوضــعية ومن التصــــوف . وقد قاسى طويلاً من الســجن والاضطهاد ولجــأ الى فرنسا حيث مات فيها . وأهم مؤلفاته « مدينــة الشمس » (١) .

ويلى هؤلاء عدد آخر من آباء الكنيسة اللاتينية واساقفتها منهم سان جريجوار St. Grègoire ، وســانت هيلاريوس St. Hilaire ، وسان مارتان St. Martin ، ونيموسيوس Nymesius ، وآخرون يضيق عنهم هذا المقام .

* * *

وفى هذا الشأن يتحدث الأستاذ عبد العزيز جادو قائلاً :

« اذا تساءل القديس أوغسطين فى « اعترافاته » : « الم أولد فى جسد آخر ، أو فى مكان آخر قبل دخولى فى رحم أمى ؟ » ، واذا تساءل سانت أوريجين « الم يكن طبقاً للسبب أو للمبرر فقط ان كل روح انما تدخل فى جســد لأسباب مؤكدة وغامضة ، ويكون دخولها هــذا طبقــاً لاستحقاقاتها وافعالها السابقة ؟ » . فان القديس جيروم يميط اللثام عن ذلك بقوله ان عقيده تعــدد الحيوات كانت تدرس كسر من أسرار الدين الخفية يعرفه الانسان عن طريق الوحى وحده ، ولا يستطيع مع ذلك أن يفهمه فهماً كاملاً ...

ويقرر سان جريجوار : « انهــا ضرورة حتمية ان النفس يجب أن تعالج لتبرأ وتطهر . واذا لم يتم هذا فى اثناء حياتها على الأرض فلابد أن يتم فى حيوات قادمة » .

وكذلك كانت تعــاليم القــديس فرنسيس الأسيسى ، والقــديس بونافنتورا ، وتوماس كامبانيلا ، رغم انهم كان محظوراً عليهم الخوض فى هذا الموضــوع ــ وكان ذلك فى القرن الخامس تقريباً ــ والا حكم عليهم بالنفى أو بالحرق أحياء ! ! !

---

(١) للمزيد فى هذا الموضوع راجع :

La Cité du Soleil.
Reincarnation : A Study of Forgotten Truth 1904 p 232 - 237.

ولكن مع نمو الاستنارة والتثقيف وعودة العلم والمعرفة للحلول محل المخاوف السياسية — كما يذكرنا بذلك لوتوسلاوسكى فى كتابه « الوجود السبقى والعودة للتجسد » (١) بدا بعض رجال الاكليروس يعلن أن الاعتقاد بمذهب العـــودة للتجســـد لا يخالف المذهب الكاثوليكى . وكان رئيس الاساقفة باسافللى Passvalli — الذى كان يعيش فى القرن الأخير — يقوم بتعليم هذه العقيدة علانية » (٢) .

عن موقف بعض المذاهب والنحل

وبوجه عام فقـــد انتشرت عقيدة العودة للتجسد انتشاراً محدوداً فى الغرب بسبب المقاومة الشـــديدة التى لقيتها عند الســـواد الأكبر من رجال الدين خصوصاً فى العصور الوسطى لكنها مع ذلك لقيت قبولاً عاماً عند طوائف دينية محدودة نذكر منها بوجه خاص : —

— طائفة الغنوطسية Gnostics وهى جماعات دينية فلسفية ظهرت فى القرنين الأول والثانى للميلاد ، ولها ميول صوفية . وكانت توفق بين الاعتقاد والفلسفة ، كما كانت ذات نزعة تحـــاول التوفيق بين العقـــائد المختلفة . وكان موطنها الأصلى بلاد الفرس وآسيا الصغرى .

— طائفة الالبيجيين Albigénses فى فرنسا وهى تنتمى تاريخياً الى الغنوطسية ، وتعرضت بسبب اعتقـــادها هذا للاضطهاد الدينى فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر من الميلاد .

— وثمـــة طوائف اخرى لا تزال تترقب عودة المسيح بالجســـد ، لا بالروح فقط وهو اعتقاد يتعذر تفسيره الا على أساس تقبّل العودة للتجسد كمبدأ عام . وموقفهم يختلف عن موقف اليهود المعاصرين الذين لا يزالوا يترقبون قدومه لأنه لم يحضر بعد ، ويعتقدون أنه سيحضر فى صورة ملك أرضى سيجمع شملهم ويجعل منهم سادة لغيرهم من بنى البشر لمدى الف عام !

— وكان البحاثةوالمتصوف فرنسوا مركيرهيلمونت F.M·Helmont (١٦١٨ — ١٦٩٩ م) ينادى فى روما بوحـــدة الوجود وبالعودة للتجسد كعقيدة صحيحة وسجن بسبب ذلك .

— وكان جون ويزلى John Wesley (١٧٠٣ — ١٧٩١) وهو مؤسس مذهب الميثوديزم Methodism يدافع عن العودة للتجسد بوصفها بديلاً صحيحا للاعتقاد فى المصير المفروض مقدماً على الانسان بلا خيار له فيه . وبعبارة أخرى انه يمكن تفسير الحياة الحاضرة لأى انسان بسلوكه

---

(١) Pre – Existence And Reincarnotion

(٢) من الأستاذ عبد العزيز جادو المرجع السابق ص ٧٢ ، ٧٥ .

فى حياته الماضية ، وليس فحسب بالقدر المفروض عليه جزافاً ومقدماً ، والذى لا يمكن الافلات منه بأى حال .

ــ وهــذا هو نفس النظر الذى تبناه ودافع عنه ميخائيل نعيمة ، وهــو الى جانب كونه مفكراً من أبرز المفكرين المعاصرين ارنوذكسى عميق التدين . وكان ذلك بصــدد تعليق له على قصة الانسان المولود أعمى ، الذى أبرأه السيد المسيح من مرضه . وقد وردت هذه القصة فى انجيل يوحنا على النحو الآتى : « وفيما هو مجتاز رأى انساناً أعمى منذ ولادته فسأله تلاميذه قائلين يا معلم من أخطأ هــذا أم أبواه حتى ولد أعمى ، أجاب يسوع لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر اعمال الله فيه ... قال هذا وتفــل على الأرض وصــنع من التفل طيناً وطلى بالطين عينى الأعمى ، وقال له اذهب اغتسل فى بركة سلوام الذى تفسيره مرســل ، فمضى واغتسل وأتى بصــيراً ... » وتنتهى تفصيلات القصــة بقول يسوع : « لدينونة أتيت أنا الى هــذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون . فسمع هــذا الذين كانوا معــه من الفرنسيين ، وقالوا ألعلنا نحن أيضــاً عميان ، قال لهم يسوع لو كنتم عمياناً لمــا كانت لكم خطية ، ولكن الآن تقولون اننا نبصر فخطيتكم باقية » (أصحاح ٩) .

ماذا يقول م. نعيمة ؟

وفى هذا الشأن يقول الأستاذ نعيمة : « جلى أن تلاميــذ يسوع كانوا يعتقدون أوثق الاعتقاد أن العاهات والمصائب على أنواعها ليست ســوى قصاص عادل للذين تنزل بهم ، والذين يشاركونهم فيها الى حــد كبــير أو صغير ، فهى حصادهم لمــا زرعوه ، انها نياتهم وأفكارهم وأعمالهم وقد ارتدت اليهم .

ولكن التلاميــذ ارتبكوا أشــد الارتبــاك عنــدما حاولوا أن يطبقوا قانون الزرع والحصــاد على رجــل ولد من بطن أمه أعمى . اذ كيف كان لذلك الرجل أن « يزرع » أى البــذور وهــو ما يزال جنيناً فى الرحم ؟ واذا هو لم يزرع أى بذور تستوجب العمى وزرعهــا أبواه ، فأى العدل هــو العدل الذى يقضى بأن يحصــد الولد ما زرعــه أبواه حتى قبل ولادته ؟ انه الظلم الذى ما بعده ظلم أن يأكل الآباء الحصرم فلا يضرسوا ويضرس الأبناء . وأى



م. نعيمة

الناس يطاوعه قلبه أو فكره أن يقول لطفل مولود أعمى : « تستأهل ! » ؟

فكرت فى هذه الأحجية ، وفكرت حتى كان ننفلق راسى ولم أهتـد الى جواب ، وبغتة خطر لى خاطر غريب . وهو ان تلاميذ المسيح لم يكونوا من البلاهة بحيث يعتقدون أن الجنين يمكن أن يخطىء وهو فى بطن أمه . فالخطأ هو تجاوز القاعدة ، أو القانون ، أو النظام سواء أكان التجاوز عن عمد أو عن غير عمد ، والجنين فى بطن امه لا يملك القدرة على مثل ذلك التجاوز فكيف يخطىء ؟

ولكن الرجل ولد اعمى ، والعمى كغيره من العاهات والمصائب لايمكن ان يكون غير نتيجة لتجاوز النظام الذى يقضى على كل انسان أن يحصـد ما زرع . لعل التلاميذ عندما سألوا معلمهم ذلك السؤال كانوا يقصدون ان الرجل « اخطأ » قبل أن كان جنيناً فى بطن أمه . اى أنه عاش ومات ثم عاد فولد ، وأنه تجاوز النظام فى حياته السابقة تجاوزاً استحق من أجله أن يعيش حياته الجديدة مكفوف البصر .

بلى بلى ، ذلك ما عناه تلاميذ يسوع بسؤالهم ، وذلك مافهمه معلمهم منهم ولولا أنه كان يعتقد اعتقادهم أن الناس يولدون ويموتون أكثر من مرة لأنبهم أقذع التأنيب فقال لهم : « يا مجانين ! كيف كان لهذا الرجل أن يخطىء وهـو جنين فى بطن امه ؟ » . الا أنه لم يفعل شيئاً من ذلك واكتفى بجواب ينفى « الخطأ » عن الولد وأبويه ، ولكنه لا ينفى أن العمى هو قصاص تتجلى فيه « أعمال الله » ، أو مشيئته ، أو نظامه . ولا هو ينفى أن مثل ذلك القصاص يمكن أن ينزل بالذى ارتكب الخطأ مباشرة ، والذين لهم به صلات وثيقة ، فكأنهم شركاؤه فى الخطأ ، ولكن بدرجات متفاوتة . فنصيب الولد جاء أكبر من نصيب الوالدين ، وليس من المعقول أن يتساوى نصيب الولد ونصيب الوالد .

وهكذا يبدو أن « أعمـال الله » أو مشيئته ، أو نظامه ، هى التى قضت على الرجل أن يولد أعمى لأنه عمل أعمـالاً ، أو فكر أفكاراً ، أو نوى نيات ، أو اشتهى شهوات مغايرة للنظام . ومن الأكيد أنذلك لم يتأتَّ له وهو جنين فى بطن امه ، اذاً متى واين ، ان لم يكن فى حياته سابقة ؟ » .

ثم يستطرد قائلاً — على لسان احدى شخصيات كتابه عن « اليوم الأخير » وهو أستاذ الفلسفة « موسى العسكرى » — فيقول محللاً هـذا الاعتقاد من ناحية صلته بنواميس الحق والعدل كما تشعر بها البداهة ، قبل شروح الشارحين النظريين فى كل ارتجالهم :

« لو أن ملاكاً هبط من السماء قبـل دقائق ليقول لى ان النـاس يولدون ويموتون ، ثم يولدون ويموتون مراراً وتكراراً لشككت فى سـلامة

عقله ... أما الآن فانى اشك فى سلامة عقل كل انسان يقول غير هذا القول . ومن اعجب العجب أن يتولد عندى هذا الشعور ـ بل هذا اليقين. فى مثل رفة الجفن .

فكأن غشاوة كثيفة كانت على عينى فانتزعتها يد خفية ، رفيقة ، ومزقتها ثم بعثرتها هباء فى الفضاء . اما كيف تولد عندى ذلك اليقين فى مثل هذه السرعة فأمر لا أملك الجواب عليه . ولا أنا أستطيع أن أسوق عنه الأدلة والبراهين القاطعة ، وكل ما يمكننى قوله هو أننى كنت فى فراغ هائل وفجأة نبتت لى هذه الفكرة فملأت الفراغ .

لا . ليست الفكرة بالجديدة علىّ ، فقد قرأت عنها من زمان فى بعض دراساتى الفلسفية . وكأننى اذكر أن فيثاغورس كان من القائلين بها ، وأن فى الهند والصين وغيرهما من ديار الشرق الاقصى مئات الملايين من الذين تقوم تلك الفكرة بمثابة حجر الزاوية فى معتقداتهم الدينية والدنيوية. الا أنها لم تلقَ من جانبى أى استعداد لتقبلها أكثر مما تلقى حبة القمح او قطرة الماء من جانب الصخرة الصلدة .

اما الآن ... فقد انقض علىّ انقضاض الصاعقة ذلك السؤال الوارد فى الانجيل: « من اخطأ ، أهذا أم ابواه ؟ » وبمثل انقضاض الصاعقة جاءنى فى الجواب ، وهو وان اختلف فى الشكل عن الجواب الوارد فى الانجيل ليس يختلف عنه فى المعنى . والجواب هو أن الولد ووالديه تجاوزوا فى حياة سابقة « مشيئة الله » التى هى نظام حياتهم ، فكان الذى اصابهم جميعاً نتيجة حتمية لذلك التجاوز . لقد جلبوا البلية ، أو الوجع ، أو القصاص لأنفسهم بأنفسهم ، فالمسئولية هى مسئوليتهم أولاً وآخراً .

والناس قد يجلبون الأوجاع لأنفسهم بأعمال يعملونها ، أو افكار يفكرونها ، أو شهوات يشتهونها وهم يعرفون حق المعرفة أنها تجاوز على النظام واذ ذاك فأوجاعهم هى جواب النظام على تجاوزهم . وقد يتجاوز الناس النظام عن غير وعى أو عن جهلهم للنظام ، واذ ذاك فأوجاعهم هى المنبه لهم الى وجود النظام الذى عينه أبدا يقظى ، وميزانه لا يطرأ عليه أى خلل ، ولا هو يعرف المحاباة ...

ولعل الذى راقنى من هذه الفكرة فى الدرجة الأولى هو أنها تقضى على رهبة الموت فتجعل منه خادماً أميناً للحياة لا خصماً لدوداً لها . ثم أنها ترد الى « العدل » و « الحق » و « الحياة » معناها . فما يصيبنى من لذة وألم هو حصاد ما ازرعه فى هذه الحياة ، وما زرعته فى حيوات سابقة من بذور صالحة او طالحة . وذلك هو العدل كل العدل : أن يكون ثوابى فى يدى ، وعقابى فى يدى . فلا أعاتب الله ، ولا الدهر ،

ولا الطبيعة ، ولا اى انسان فى ما يصيبنى من وجع . فأنا قضاء نفسى ، وأنا قدرها ، وأنا السبب الأول والأخير فى كل ما بينى وبين الناس من تفاوت فى الحظوظ .

كذلك هو الحق كل الحق أن تتهيأ لى الفرصة الكافية لدرس النظام وتطبيقه عن فهم وعن رضى . وهل من يستطيع القول ان عمرا واحداً مهما طال هو فرصة كافية لدرس النظام وفهمه وتطبيقه ؟ فكيف بذلك العمر اذا هو لم يتجاوز بضع سنوات ، بل بضع ساعات ، بل بضع دقائق ؟

وكذلك هى الحياة التى مداها الزمان كله ، والتى تنتهى بنا الى معرفة النظام الذى منه كل شيء ، وفيه كل شيء ، والى اندماجنا فى ذلك النظام اندماج قطرة الماء فى الجدول ، والجدول فى النهر ، والنهر فى البحر ، والبحر فى المحيط . انها غير الحياة التى يترصدها الموت منذ أن تبصر النور فى المهد ، والى أن تلفها ظلمة اللحد . ومعناها أبعد من أن يعقله اى عقل أو يتخيله أى خيال . انها الأزل والأبد ، انها حياة الله .

وانى لأسأل بعد هذا : لماذا يصعب على الناس أن يتقبلوا فكرة تجدد الشخصية البشرية مرارا وتكرارا بعد الموت كيما تكتمل لها أسباب المعرفة والحرية والخلود ، ويهون عليهم أن يتقبلوا فكرة تجديد تلك الشخصية مرة واحدة يوم القيامة ، أو فكرة امحاقها بالموت امحاقا لاتجديد بعده ؟

أيهما اقرب الى منطق الحياة ، والى العدل والرأفة والمحبة ، أن يقول الله للانسان : « انى خلقتك لتمجدنى . وانى وان يكن الزمان كله فى قبضتى لم اعطك منه غير فسحة أدناها ساعة أو بعض الساعة ، واقصاها قرن أو بعض القرن . ثم اميتك واتركك ميتا حتى يوم القيامة . ويوم القيامة لا يعرف موعده غيرى ، فقد يأتى بعد ألف عام ، وقد يأتى بعد ألف ألف عام . فى ذلك اليوم اعود فأجمع عظامك اينما كانت وكيفما تحولت ، فأكسوها باللحم ، وانفخ فيها الحياة فأردك بشراً سوياً ، ثم أدينك بما فعلته فى خلال عمرك على الأرض فاذا رجحت كفة الصالح منه على الطالح أسكنتك الى الأبد جنات تجرى من تحتها الأنهار ، واذا رجحت كفة الطالح على الصالح زججتك الى الأبد فى نار لا ينطفيء لها أوار ، فلا لهيبها يخبو لحظة ، ولا أنت تحترق فتصبح رمادا ؟

أو أن يخاطب الله الانسان هكذا : « صورة أنت كصورتى ، ومثال كمثالى ، ولكنك لا تعرف نفسك ولا تعرفنى ، اما انا فأعرف نفسى وأعرفك . لذلك خلقت لك الأرض والسموات وكل ما فيها لتكون لك منها

عدة تساعدك فى الوصول الى معرفة نفسك ومعرفتى . ومددت لك بساط الزمان كله لتتمكن من بلوغ تلك المعرفة .

ولأسهّل عملك عليك فقد جعلت حياتك مراحل تتلو مراحل . فعمل وراحة ، وشبع وجوع ، ويقظة ونوم ، وطفولة وصبا ، وشباب وكهولة ، وشيخوخة ثم موت . وانى لأميتك واحييك ثم اميتك واحييك ، ثم اميتك واحييك الى أن تتم لك معرفة نفسك ومعرفتى ، فتغدو خارج نطاق الزمان والمكان ، وأبعد من متناول النمو والانحلال ، وفوق سلطان الخير والشر » ؟

اجل أيهما أقرب الى منطق العدل ، والحق ، والحياة : ان يخاطب الله الانسان بذلك الخطاب أم بهذا ؟

بهذا المنطق استطيع ان اتقبل كل ما جرى لى حتى اليوم مع نفسى ومع الناس . فلا أعجب لأننى كُونت كما كُوِّنت ، وتدرجت فى حياتى ما تدرجت ، واتصلت من الناس بمن اتصلت ، وتزوجت بمن تزوجت ، ورزقت واياها الولد الذى رزقنا ... فجميع ذلك لم يكن غير حصادى لبذور زرعتها ، وغير دروس لى فى معرفة نفسى ، ولكنها دروس فاتنى من معانيها الشيء الكثير قبل أن أدركت اليوم ما أدركت » (١) ...

* * *

وهذا التحليل المنطقى المتماسك الذى ساقه نعيمة يقتضى ضرورة التعرض لدفع شبهة قد يستند اليها أحد أرباب الحرف وهى الاستناد الى نص طالما استند البعض اليه خطأ لتبرير مظالم الدنيا ومفارقاتها التى لا تعليل لها . وهذا النص ورد فى سفر الخروج (٢٠ : ٥) وهو كالآتى : « لانى أنا الرب الهك ، اله غيور افتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى » .

وفى التعليق على هذا النص يلاحظ المؤلف جوفرى هدسون أن : « أولئك الذين يتمسكون بعقيدة العودة للتجسد يتحدثون أحيانا عن شخصيات الحيوات السابقة كآباء لمن جاءوا بعدهم ، فى نفس المعنى القائل ان الولد سر أبيه ، لا بمعنى أن الولد وهو ما يزال طفلا هو أب للرجل البالغ ، بل ان الولد هو الرجل فى الجرثومة . وبالمثل فان كل حياة هى ثمرة سابقتها ولا سيما بالنسبة للقوى الفطرية ، والخلال ، والمواهب الخاصة . فاذا ما فهمنا الأمر على هذا النحو كان المعنى صحيحا تماما .

---

(١) من كتاب « اليوم الأخير » طبعة ١٩٦٦ ص ١٥٢ — ١٥٩ .

ومن الجهة الأخرى فانه اذا لم تكن هناك سوى حياة واحدة ، وكان الأبنـاء الذين ولدوا ليشقوا عن ذنوب آباءهم أرواحاً متباينة بالكليـة فاننا نعزو تشريعاً مضـحكاً وساخـراً الى الأب الـكلى ، ونرجّح كفـة الالحاد واللاأدرية . وقد قال الفيلسوف فرانسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١ — ١٦٢٦) فى هذا الصدد « أفضل لنـا الا نكوّن رأياً عن الله من أن نكوّن رأياً لا يليق به ، لأنه اذا كان الأول كفرا كان الثانى عاراً » .

وكيفما كانت الحال فاننا اذا نظرنا الى عبارة التـوراة فى ضـوء العـودة للتجسد ، وأن الانسان يحصد فى جسمه الحالى ثمرات ونتائج اقترفها هو نفسه فى أجسام ارتداها فى حيوات سابقة فان الكلمات المنسوبة لله تصبح بيـاناً عن العدل الالهى (١) » .

ويؤكد صحة ذلك التفسير الأخير دون الأول ما ورد فى سفر رومية من نص حاسـم صريح (١٤ : ١٢) : « فاذا كل واحـد منا سيعطى عن نفسه حسابا لله » . وما ورد فى سفر تثنية (٢٤ : ١٦) « ولا يُقتـل الآباء عن الأولاد ولا يُقتل الأولاد عن الآباء ، كل انسان بخطيئته يقتل » . وما ورد فى حزقيال (١٨ : ٢٠) « الابن لا يحمل من اثم الأب ، والأب لا يحمل من اثم الابن . بر البـار يكون عليه وشر الشرير عليـه يكون » . وما ورد فى سـفر التكوين (٩ : ٦) « وسافك دم الانسـان بالانسـان يسفك دمه » .

ولهـذه الاعتبارات كلها راح تلاميذ المسيح يسألونه : « هل هـذا اخطأ أم أبواه ؟ » . وسؤالهم عن خطيئة الابن المولود اعمى لا يكون له أى معنى — ما دام هو اعمى منذ مولده ولم يكن قد ارتكب اية خطيئة بعد — لو لم يكونوا يؤمنون بأنه عائد للتجسد من حياة سابقـة يحتمل أن يكون قد اخطأ فيها . فجاءهم الجواب « لا هـذا أخطأ ولا أبواه » أى لم يصدر أى خطأ من أحد فى حياته الراهنة .

أما عن أخطاء الحياة السابقة فقد تحاشى يسوع الاشارة اليها لأنه لم يتعود أن يدين انساناً ، بل كان كثير الرفق حتى بالأثمـة والخطـاة ، حريصاً على غفران خطاياهم وابراء أدوائهم ، وهذا هو جوهر رسالته ، ولذا عطف قلبـه الرحيم على ذلك المولود أعمى ، فأعاد اليه بصره .

---

(١) عن كتاب «العودة الى الحياة ، وهل هى حقيقة أم خيال» الترجمة العربية بمعرفة صديقنا الأستاذ زكى عوض المحامى ١٩٥٧ . ص ٢٥ ، ٦١ ، ٦٢ .

. وهكذا ترى أن عقيدة العودة للتجسد تفسر ما لا يملك أحد له تفسيراً منطقياً ملتئماً مع نواميس العدل والمحبة في وقت واحد ، وبما ينفي شبهة التناقض بين النصوص ، حتى تلك النصوص الواردة في عهد واحد ، أو في سفر واحد .

* * *

وعلى أية حال فان عقيدة العودة للتجسد وجهت ادب نعيمة ؛ كما وجهت أدباء عديدين وفلاسفة وشعراء كبار . وفي هذا الشأن يقول الاستاذ شفيع السيد في دراسته عن ميخائيل نعيمة (١٩٧٢) : « انتهى نعيمة في تفسير الحياة والوجود الى الايمان بفكرة « التناسخ »(١) . فالانسان ينتقل من جسد الى جسد ، ومن حال الى حال عبر أجيال طويلة الى أن يتطهر من أدران المادة وشهوات الحس ، ويتحرر من كل العلائق الأرضية ، ويصل الى الحرية الكاملة ، والمعرفة الشاملة ، بحيث يتحد بالذات الكبرى التي لا وجود الا لها وفيها (مذهب وحدة الوجود أو الوهية الكون Panthéisme) .

وقد اطمأن نعيمة الى هذه العقيدة ، وآمن بها منذ شبابه الباكر ، ورأى فيها حلا لكل المشكلات الروحية والعقيدية التي أرقته حيناً من الزمن ... ونود أن نشير الى أنها كانت نقطة انطلاق في تصوره لماهية الأدب وفهمه لطبيعته . ذلك أنه بحكم هذه العقيدة يرى أن الانسان يحتوي على بذرة الألوهية في نفسه ، وأنه في سعي دائب لاكتشاف ذاته والوقوف على حقيقتها التي هي حقيقة الوجود كله وجوهره الثابت الأصيل .

والانسان في هذا السعي ما فتيء في صراع مستمر مع الطبيعة من حوله بغية الوصول الى هذه المعرفة . وقد أدى هذا الصراع الى وجود الوان المعرفة المختلفة كعلوم الطبيعة ، والفلسفة ، والسياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع ، والتاريخ ، والفنون ، وغيرها . فكل منها يجعل الانسان مناط بحثه ، ويحاول اكتشاف حقيقته . ولا يخرج الأدب عن هذا النطاق أيضاً ، فهو يتعلق بالانسان ويسعى الى معرفة ذاته ...

كذلك يرى أن رحابة الكيان الانساني وحيويته وامتداد أطرافه ، وكثرة حاجاته وشواغله ، وتنوعها من عصر الى عصر ، ومن مكان لآخر

---

(١) تحدث نعيمة عن العودة للتجسد في صورة آدمية ولم يتحدث مطلقاً عن « التناسخ » بمفهومه الأسطوري الذي يتقبل احتمال العودة في صورة حيوان . لذا كنا نحب أن يكون المؤلف عن نعيمة أكثر دقة وتحفظاً في التعبير عن وجهة نظره .

قد أدت الى امتداد مماثل فى ظلال الدوحة الأدبية حتى تغطى سائر أطراف الحياة الانسانية وتصور جميع تجاربها . ومن هنا نفهم السر فى تعدد المذاهب الأدبية ... ، كما نفهم السر فى تنوع الفنون الأدبية ... فكل مذهب من هذه المذاهب خرج الى الحياة نتيجة لظروف معينة ، واستجابة لعوامل متشابكة اجتماعية وسياسية وفكرية » (١) ...

ماذا يقول وذرهيد ؟

ويتحدث فى موضوع العودة للتجسد الدكتور وذرهيد Weatherhead وهو مفكر بريطانى معروف واسع الثقافة قائلا :

« اننى أفكر فيمن تدعى بتى سميث Betty Smith (وهو اسم رمزى) التى ولدت فى منزل ثراء ، تحيط بها جميع الفرص ، والتى تلقت تعليماً مثالياً ، والتى أحبت وتزوجت زواجاً كفل لها العيش فى نفس الترف ، والتى انجبت ستة من البنين السعداء الأصحاء ، والتى أمضت أيام حياتها المتوسطة والأخيرة فى كامل الصحة والرفاهية .

وبعدئذ أفكر فى السيدة جين جونز Jane Jones (اسم رمزى بدوره) التى ولدت عمياء ، أو صماء ، أو عرجاء فى منزل فقير الى حد الجوع ، من أب سكير جعل من الحياة جحيماً للجميع . وجين عاجزة عن أن تفلت من هذه الحياة ، ولا يمكنها أبدا الزواج ، ولا مغادرة منزلها . فهى لا يمكن بالتالى أن تنعم بنفس مباهج بتى ، ثم تموت مبكرا من داء عياء .

قد يتصور البعض أن الأمور يمكن اصلاحها فى السماء . فهل يتعين عندئذ على بتى أن تعانى فى السماء لمجرد أنها كانت سعيدة على الأرض ؟ وماذا يعنى ذلك فى مفهوم العدالة ؟ انه لا يعنى شيئاً ، وقطعاً لن تستفيد جين شيئاً من معاناة بتى ، ولا هى بالحقودة ، ولا تريد أن تكون حقودة .

وهل يتعين مكافأة جين أو تعويضها ، ولكن أى تعويض يمكنه أن يصلح معاناة نصف قرن من التعاسة الأرضية ؟ اننا نسخر عندما نسمع أن شخصا حصل على تعويض نقدى فى مقابل وضعه خطأ فى السجن ، اذ كيف يتأتى للمال أن يعوّض خيبة أمل العقل ، والسنين الضائعة ، وما لحق بأقاربه من تعاسة ومن بؤس ؟ ان هذه الأمور لا يمكن تعويضها فيما بعد .

---

(١) عن كتاب « ميخائيل نعيمة : منهجه فى النقد واتجاهه فى الأدب » ص ٥٨–٦٠ .

(٢) The Christian Agnostic (1965).

وذلك فى فصل عنوانه « العودة للتجسد والفرض المتجدد » .

اذا هل تعاسة الانسان محض حظ ؟ واذا كان الأمر كذلك فكم تكون الحيـاة باغيـة ؟ فهـل هـذه هى ارادة الله ؟ وعندئذ فان الله لا بنسابه أى أب بشرى ، لأن الأب البشرى لا يمارس ارادته على هـذا النحو . . » .

لكن وذرهيد يعتقد مع ذلك ان المسيحية ممثل اساوبا للفكر وللحياة، ونظاماً لاهوتياً ينبغى أن يلتئم تماماً مع الحجج المنطقيـة : « فاذا كنت تحب المسيح ، وتحـاول أن تتبعه ، فلتتخـذ خطـة الانسان المفـكر فى المعضلات العقلية ، بالأقل بالنسبة للوقت الحاضر ... ولابد انالمسيحية تحـوى طاقة عجيبـة بداخلها ، والا لكانت الكنائس تغلبت عليها منذ امد طويل » ! !

ويواجه وذرهيد اعتراض أحـد رجال الدين وهو الدكتـور هويل Whale على عقيدة العودة للتجسد عندما قال الأخير : « ان وجودى السبقى المزعوم لا يمكن أن يكون له اى مغزى راهن بالنسـبة لى لاننى ممنوع من أن اتذكر اى شيء عنه » ، فيرد عليه قائلا : « لو أن مخـدرا أعطى للدكتور هويل لكى يمحو ذاكرة شبابه فان كل ذكريات الشـباب لا يمكن أن يصبح لهـا مغزى أدبى راهن بالنسبة له ! انه يتجاهل ان هذه الذكريات هى التى صاغته صياغة فعلية وشكلته على ما هو كائن الآن ، كما لو كان لا يزال يذكرها فعلا . والقـاضى لا يكون فى المعناد مسـتعدا لاعفاء اى سجين من كل مسئولية ادبية حتى لو تأكد أن هذا السجين لم يعد بمقدوره أن يتذكر الآن شيئاً عن مسئوليته !

وما من واحد منا يمكنه أن يستعيد ذكريات أيامه الأولى على الأرض، ولكن اى عالم نفسانى بمقـدوره أن يؤكد أهميتها ، والأثر الذى أحدثته لدينا . وأحداث الطفولة هذه لم تحدث لانسان آخر غيرنا ، بل لقد حدثت لنـا ، ورغم أننا قد نسيناها الآن الا أنها قد وجهت العـديد من ردود فعلنا الحاضرة نحو الحياة . وطريقة السـلوك الشخصى للحياة فى سن البلوغ عبارة عن صيغة من ذاكرة مخزونة . فنحن لسنا بحاجة لأن نتذكر الانطباعات العقلية حتى نتأثر بها فى سلوكنا .

ان الانسـان المؤمن الذكى يؤمن بأن لله خطـة فى حياة كل رجـل وامرأة ، وأن تحقيق هذه الخطة يعنى أن مشيئة الله هى السائدة كما فى السماء كذلك على الأرض ، ولكن كيف يمكن تحقيق التقدم فى العـالم فى الأمور الداخلية — التى هى أخطر الأمور كلها — اذا كان ميلاد كل جيـل جديد يملأ العالم بنفوس ضعيفة يعيزها الرقى ، والتهذيب ، وتغـذيها الميول الحيوانية ؟ ان العـالم لا يمكن ابداً أن يتطور نحو الكمال ما لم يتمكن أولئـك المولودون فيه من الاستفادة من الدروس التى حصلوها فى حيواتهم السابقة بدلا من البـدأ من « الصفر » .

وفى الواقع ان عدد الموهوبين قليـل ، ومثله عدد القدبسين . ولكن من الجائز انه توجد ثمـة كواكب اخرى أكثر ملائمـة لهم من هذا الكوكب الأرضى كيما تكون لهم فصولا مدرسية . وبالتـالى فانه يتعين أن نتنازل عن الفكرة القائلة بأن عالمنـا هـذا هو الطريق الى المجتمع الكامل .

وهذه الأفكار تجعلنى أتفق مع المرحوم العميد انج Dean Inge — المفكر بلا أدنى ريب — عندما قال عن نظرية العودة للتجسد « اننى أجدها متصورة وجذابة فى وقت واحد » .

وان الانسان ليعجب لمـاذا تقبَّل الناس بسرعة شديدة وعلى نطاق واسع فكرة وجود حياة بعد الموت ، لكنهم قاوموا فى الغرب فكرة وجـود حياة قبل الميلاد ، وذلك مع أن الحجج عن الخلود فى اتجاه واحد تبدو لى ملائمة أيضاً عن الحياة فى اتجاهين خارج الجسد الراهن » (١) .

وازاء هذه الاعتبارات العديدة التى أسلفتها ، والتى لهـا وجاهتها الواضحة ، اخذ يظهر تدريجيا عدد من رجال الدين المعاصرين الذين أعلنوا صراحة اقتناعهم بصحة العودة للتجسد كمبدأ سليم من الناحية الدينية : اذكر منهم الدكتـور بتلر Butler اسقف ديرهام Durham (ببريطانيا) ، والدكتور هنرى مور Henry Moore ، والدكتـور شيين Cheyne وغيرهم ، وعددهم آخـذ فى التزايد التدريجى ، خصوصاً بعد ذيوع نتائج التحقيقات المدققة الكثيرة والكشوف العلمية ، والتى اتت بنتائج ايجابية متدفقة لم تكن متوقعة فى كثير من الأحيان ، على ما سيرد فى الفصلين الثانى والثالث .

المبحث الثالث

عن « العـودة للتجسد » فى الاسـلام

بعض الآيات

فى القرآن الكريم توجد آيات عديدة كريمـة كلها تشـير الى امكان رجعة الروح هذه منها : —

— كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ، ثم اليه ترجعون (٢) . (لاحظ أن الموت هنا ورد قبل الحياة مرتين) .

---

(١) عن كتاب : Noel Langley : Edgar Cayce on Reincarnation 1967 p 275 - 278

(٢) سورة البقرة ٢٨ ، ٢٩ .

— قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون (١) .
— خلقناكم وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة اخرى (٢) .
— وهو الذى أحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ان الانسان لكفور(٣) .
— يبدؤ الخلق ، ثم يعيده ، ثم اليه ترجعون (٤) .
— قالوا ربنــا أمتّنا اثنتين ، وأحييتنا اثنتين ، فاعترفنا بذنوبنا ، فهل الى خروج من سبيل (٥) .
— وستردون الى عالم الغيب والشهادة (٦) .
— نحن قدّرنا بينكم الموت ، وما نحن بمســبوقين (اى بعاجزين) على أن نبدّل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون (٧) .
— يأيها الانسان ما غرّك بربك الكريم الذى خلقــك ، فســوّاك ، فعدلك فى أى صورة ما شاء ركّبك » (٨) .

فلاغرابة لذلك أن تجد أن عددا من شراح النصوص يؤيد نظرية رجعة الروح هذه تحت أوصاف شتى لعــل أكثرها ذيوعاً هذا الوصف الخاطىء وهو « تناســخ الأرواح » الذى يعــادل فى خطئــه وصــف « تحضــير الأرواح » .

لذا ينبغى أن يقال « رجعة الروح » أو « عودتها الى الميلاد » كمقابل للتعبير الأجنبى Rebirth . لأن المقصود به هو مجرد دوام حيــاة الروح مع احتمال عودتها للتجســد كما ســبق أن قلت ، حين أن وصف « التناسخ » قد يثير فى الذهن معنى مغايراً تماماً ، وهو أن الحياة اللاحقة للروح قد تنسخ حياتها السابقة، مع أن النسخ لامحل له فى نواميس الطبيعة التى لا تعرف الا الدوام مع التطور فى اتجاه أو فى آخر طبقا لمدى الاتساق الصحيح مع هذه النواميس البيولوجية والروحية ، التى تتحكم فى تطور الحياة بوجه عام .

ولكن من شراح النصوص من أنــكر احتمال رجعــة الروح وقاومه

---

(١) سورة يونس ٣٤ .
(٢) سورة طــه ٥٥ .
(٣) سورة الحج .
ولاحظ أن الاشارة الى الموت وردت قبل الاشارة الى الحياة فى عدة مواضع .
(٤) سورة الروم ١١ وراجع ايضاً سورة العنكبوت ١٩ .
(٥) سورة غافر ١ ، ١١ .
(٦) سورة التوبة ١٠٥ .
ولاحظ كلمة « ستردون » وهى تشير الى سبق الوجود فى عالم الغيب والشهادة .
(٧) سورة الواقعة ٦٠ ، ٦١ .
(٨) سورة الانفطار ٥ ، ٦ .

تأسيساً على اقتناعه بأن الحياة التالية للموت هى الخلود رأساً فى النعيم أو فى الجحيم ، فلا محل فيها لعودة ثانية الى الأرض . وفاتهم أن تلك الحياة التالية قد تكون حياة برزخية ، أو « انتقالية » على النحو الذى فهمه الكثيرون من شراح هذه النصوص ، وقد تفتح هذه الحياة البرزخية بالتالى الباب واسعاً لجميع الاحتمالات ، بما فى ذلك « احتمال » رجعة الروح من جديد فى صورة آدمية وذلك لسرعة تطورها ولتحقيق أى هدف مما أسلفناه .

والحياة ذاتها ، وفى كل مكان وزمان ، ليست أكثر من تطور بطىء للروح المحدودة داخل الروح غير المحدودة ، وانتقال من حالة سابقة الى حالة لاحقة أتم منها أفضل. وهذه هى بعينها سنة النشوء والارتقاء التدريجى البطىء الذى لا يعرف الطفرة ، كما لا يعرف التطرف ازاء ارتباط النتائج بمقدماتها ارتباطاً محتوماً .

عن موقف الكندى

لذا نجد عددا من أبرز فلاسفة الاسلام والعرب الأوائل — شأنهم شأن فلاسفة المسيحية الأوائل — لم يفتهم الحديث عن موضوع « وجود سبقى » للروح قبل أن تولد على الأرض وهو اعتقاد يمثل عنصراً رئيسياً فى اعتقاد « العودة للتجسد » . ومنهم مثلا يعقوب بن اسحاق بن محمد ابن قيس الكندى (ولد فى أواخر القرن الثانى من الهجرة) ، وكان يحمل فى حياته لقب « فيلسوف العرب » .

« ويذهب الكندى الى أن نفس الانسان جوهر بسيط غير فان ، هبط من عالم العقل الى عالم الحس ، ولكنه مزوّد بذكريات من حياته السابقة . وهو لا يقر له قرار فى هذا العالم ، لأن له حاجات شتى تحول دونها الحوائل الكثيرة فيكون ذلك مثار شعور أليم ... ولا ديمومة الا فى عالم العقل ، فاذا أردنا أن تقر أعيننا بتحقيق ما نصبو اليه ، والا يسلب منا ما هو حبيب الى نفوسنا وجب علينا أن نقبل على نعيم العقل الدائم ، وعلى تقوى الله ، وأن نعكف على طالب العلم وعلى صالح الأعمال » .

والأمر الهام كما ترى أنه يتحدث عن « هبوط الانسان من عالم العقل الى عالم الحس ، وأنه مزوّد بذكريات من حياته السابقة ... » وهذه هى نظرية العودة للميلاد كما فهمها بعض فلاسفة اليونان ثم العرب ،

---

(١) عن كتاب « تاريخ الفلسفة والاسلام » تأليف ج. دى بور ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة ص ١٢٠ .

وراجع ما سبق فى الجزء الأول عن آراء لفيف من فلاسفة المسلمين فى الخلود ص ٨٨ — ٩٥ والمراجع المشار اليها فيها .

قبل أن نداخلها الأساطير التى تسللت تدريجيا عندما اصاب الفلسفة العربية بالفلسفة الهندية ، فعرفت باسم « تناسخ الأرواح » .

واخذ بعض الشراح من شتى المذاهب يرددون فيما بعد هذا الوصف الخاطىء ، بل ويرددون أيضاً بحسن نية بعض الأساطير الهندية بوصفها عناصر ضرورية لا يمكن فصمها عن تلك النظرية ، التى عرفها أيضاً الفلسفة المصرية والاغريقية على ما وضحته فيما سبق ، لكن فى صورة معتدلة جداً اذا ما قورنت ببعض الأساطير التى جاءت من الشرق الأقصى.

عن موقف السهروردى

وفى هذا الشأن يقرر الدكتور محمد على أبو ريان أستاذ الفلسفة بجامعة الاسكندرية « تعرضت الأديان القديمة لمشكلة « التناسخ » (١) ، وآمن الهنود به ايماناً عميقا سيطر على حياتهم الدينية والعقلية ، ورتبوا له طقوساً وأدواراً وتأثر به الفرس والمصريون القدماء ، وأهل بابل ، وعرف عن الفيثاغورية قبول التناسخ .

ويرجع انتشار الاعتقاد بالتناسخ فى العالم اليونانى القديم الى النزعة الأورفية التى كانت تمثل الجانب الخفى فى الحياة العقلية عند اليونانيين ... واختلط هذا الجانب الروحى بالتراث اليونانى وتكونت الثقافة الهللنية من هذا الاختلاط ، وقد عمل العرفانيون على ذيوع الاعتقاد بالتناسخ فى حقل انتشار الثقافة اليونانية فجاءت الأفلاطونية المحدثة وهى تؤمن بعقيدة التناسخ » .

ثم يعرض المؤلف لموقف الفيلسوف شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى (٥٣٩ — ٦٣٢ هـ) من التناسخ قائلاً عنه انه « عرض له فى جميع كتبه الا أنه كان قلقاً متردداً فى تقرير موقف ثابت له . فهو يعرض للتناسخ عند أصحاب المذاهب المختلفة ، ويذكر أن التناسخ على أنواع : من انسان الى حيوان أو من انسان الى نبات أو الى جماد . وقد يكون التناسخ عكسياً من الحيوان الى الانسان أو قد يكون فى دائرة النوع الواحد، فمن بدن انسان الى بدن انسان آخر،أو من بدن فرس الى بدن فرس واحد (وهذا « التناسخ » فى دائرة النوع الواحد يبدو انه أوثق التئاماً من غيره مع بعض المدارس العلمية الحديثة ، وما عداه تنكره جميع المدارس) .

---

(١) راجع ما سبق عن رأينا فى خطأ هذا التعبير .

ثم يذكر أن الترقيين من حكماء الفرس والهند والصين واليونان كانوا على هذا الرأى ، ولكن ارسطو عارض قضية « التناسخ » وهاجمها مهاجمة عنيفة فى نقده لأفلاطون والفيثاغورية . وجاء الاسلاميون فاقرها كثرة منهم ، ودللوا على دعواهم بآيات قرآنية كقوله تعالى : « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها » (١) ، وقوله تعالى « وكلما ارادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها » (٢) وقوله تعالى « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين » (٣) .

ثم يصل السهروردى بعد عرض الآراء المختلفة فى هذا الشأن الى القول بأنهم كلهم متفقون فى ضرورة خلاص النفوس الطاهرة من ظلمات البدن . « وصغى أكثر الحكماء الى هذا ، الا أن الجميع متفقون على ضرورة خلاص الأنوار المدبرة الطاهرة الى عالم النور دون النقل ، لأنه انما كان للتطهير وقد حصل » .

ثم يقول السهروردى أيضاً « وطريق خلاص النفوس وتطهرها من آثار الجسد يتعلق بهذه المراتب تعلقاً أساسياً ، اذ أن هؤلاء الكاملين الذين مارسو الحكمتين العملية والعلمية يصلون الى عالم الأنوار المجردة ، أما هؤلاء المتوسطين فى مرتبة الكمال فانهم يرتقون الى عالم المثل المعلقة . ولا يجب أن نخلط بين هذه المثل والمثل الأفلاطونية . « والمعلقة قسمان : ظلمانية للأشقياء ومستنيرة للسعداء ، وفى المثل المعلقة تبقى نفوس الذين حق عليهم العذاب والذين كتب عليهم نسخ أبدانهم (لاحظ أن الحديث هو عن نسخ الأبدان لا الأرواح) هذا ان صحت قضية التناسخ » (٤) .

* * *

هذا هو كلام شهاب الدين السهروردى الذى كان شيخ الشيوخ فى بغداد . ويقول فيه الدكتور محمد غلاب أستاذ الفلسفة بالجامعة الأزهرية « كان السهروردى من طراز أبى حامد الغزالى فى حملته على الفلسفة الاغريقية ومناصرة الشريعة الاسلامية عليها . ولهذا كان من فصيلة عمه ... (أبو نجيب السهروردى : ٤٩١ — ٥٦٤ هـ وكان من ائمة المتصوفين أيضاً) .

وللقوى الانسانية عند شهاب الدين السهروردى ثلاث درجات :

---

(١) سورة النساء آية ٥٩ .
(٢) سورة السجدة آية ٢٠ .
(٣) سورة التين آية ٤ — ٥ .
(٤) عن كتاب « أصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردى » ١٩٦٩ ص ٣٥٥ — ٣٥٧ .

علياها الروح ، وهى متجهة الى العالم اللامحس . ودنياها الحس وهى متجهة الى العالم المحس ، وبينهما القلب وهو صالح للاتجاهين : الأعلى والأدنى ، فقبل أن يتم نوره يكون اتجاهه موزعاً بين القوتين العليا والدنيا ، لكنه عندما تتم انارته ينجه بكليته الى الروح فيتصل بالعالم الروحانى ، وفى هذه الحالة تنجذب النفس الى القلب . وعلامة اتجاه النفس الى القلب هى احساسها بالهدوء ...

ومما أثر عنه قوله : « ان من فضائل الصوفية أن يكون الانسان رحيماً ، وأن يصفح ويحسن الى من أساء اليه » . وقوله : « لو احب الناس بعضهم بعضاً وقدروا ما فى الاحسان من خير لاستغنوا عن العدالة ، اذ العدالة أدنى مرتبة من الرحمة ، ولا تستعمل الأولى الا عند غيبة الثانية ، وأن من ينفذ أوامر الرحمة أسمى ممن ينفذ أوامر القانون ؛ لأن اطاعة القانون خارجية ، أما اطاعة الرحمة فهى داخلية » (١) .

عن موقف بعض المذاهب والنحل

وممن أيد قضية التناسخ من المسلمين القرامطة فى العراق والشام واليمن . ومنهم أيضاً عبد الكريم بن أبى العوجاء المتوفى عام ٧٧٢ م والذين يدورون فى فلكه ...

« ويعتبر احمد بن خابط المتوفى عام ٢٣٢ هـ ٨٤٦ م زعيم هؤلاء التناسخيين وكان يقول ان الله تعالى خلق الخلق فى أبدان صحيحة وعقول سليمة فى دار نعيم ليست هى الدنيا ، وخلق فيها معرفته والعلم به وأسبغ عليهم فى هذه الدار نعمه . فمن أطاعه فى كل ما أمر به من التكليف أقره ومن عصاه أخرجه منها الى النار وهى دار العذاب الدائم .

أما من أطاعه فى بعض ما أمر به وعصاه فى البعض الآخر فانه يخرجه الى الدنيا ويلبسه فيها بعض هذه الأجسام التى هى قوالب كثيفة للروح ويبتليه بالشدة والألم لبعض عصيانه ، أو الراحة والمتعة لبعض طاعته عن طريق التجسد فى صور مختلفة من صور الناس والحيوانات على اختلاف أنواعها ، وبالقدر الذى كانت عليه معصيته فى دار النعيم الأولى ، فمن كانت معاصيه أقل وطاعاته أكثر كانت صورته فى الدنيا أحسن ؛ ومن كانت طاعته أقل ومعاصيه أكثر صار قالبه فى الدنيا أقبح . ولا تزال الروح فى هذه الدنيا تتنقل فى قوالب وصور مختلفة ما دامت الطاعة مشوبة بالذنوب ... » (٢) .

---

(١) عن كتاب « التصوف المقارن » للدكتور محمد غلاب ١٩٥٨ ص ٦٢ — ٦٤ .

(٢) عن « تناسخ الأرواح » المرجع السابق ص ٢٧ .

« وكان اليهود يقولون برجعة الروح لبعض النـاس بعـد الموت فيعودون بنفس أجسـادهم الى الحياة . وعندهم الكاهن عزرا أو عزير كاتب شريعـة موسى الذى عاد الى الحياة بعد موته بمـائة عام . وكذلك هارون اخو موسى فقد آمنوا برجعته واستئنافه الحياة من جديد . وقد ناسبت هـذه الفكرة بعض فرق الشيعة فقالوا برجعة على بن أبى طالب رحمـه الله .

وكان عبد الله بن سبأ يردد القـول برجعـة النبى محمـد (ص) استناداً منه الى الآية الكريمة ٨٥ من سورة القصص ونصها : « ان الذى فرض عليك القـرآن لرادك الى معاد » . ويقول الدكتور حسن ابراهيم حسن ان مذهب « تناسخ الأرواح » وهو خروج الروح من جسد وحلولها فى جسد آخر نشأ فى الاسلام من فكرة الرجعة هذه (١) .

ولا ريب أن عقيدة رجعة نفس الروح الى التجسد Reincarnation الأرضى عن طريق الولادة فى العالم المـادى من جديد تحت اسم آخـر جديد تختلف من نواح كثيرة عن عقيدة خروج الروح من جسـد وحلولها فورا فى جسد مولود حديث ، كما تختلف تماماً من باب أولى عن تقمص الأرواح الآدمية لأجسـاد حيوانية أو نباتية . فـلا ينبغى الخلط ، أو التعميم المتعجل الخاطىء . كما لا ينبغى التعويل كثيراً على الآراء السائعة ، أو على أقوال الرواة فليس هذا من الأسلوب العلمى فى شىء .

ماذا يقول ابن الخطيب ؟

وقـد تعرض المفسر المعروف محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب لهـذا الموضـوع بمناسبة شرحه للآيتين الكريمتين « نحن قـدرنا بينكم الموت ، وما نحن بمسبوقين على أن نبدّل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون » (٦٠ ، ٩١ من سورة الواقعة) .

يقـول ابن الخطيب : « وما نحن بمسبوقين » أى بعاجزين على أن نبـدل أمثالكم ، أى نخلق غيركم من جنسكم بعد مهلككم . وننشئكم أى نشأة أخرى . « فيما لا تعلمون » أى خَلق شئنا ، وأية نشأة أردنا .

ثم يقول : يؤخذ من هذه الآية أن الانسان قد يُخلق بعد موته فى خلق ادنأ من خلقته ، واحط من طبيعته تأديباً له وتعذيباً ، كما أنه يجـوز أن يخلق فى خلق أعلا من خلقه وأشرف من جنسه تعظيماً له وتكريماً . وهذا

---

(١) عن المرجع السابق ص ٤١ وهو يحيل القارىء الى كتاب « أديان الهند الكبرى » ص ٦٤ ، و « الدولة الفاطميه » للدكتور حسن ابراهيم حسن ص ٨ .

القول يعارضه الأكثرون تحرزاً من القول بتناسخ الأرواح » (١) ...

وواضح أن ابن الخطيب يشير الى معارضة الأكثرين القول بتناسخ الأرواح ، بمفهوم احتمال عودة روح الانسان فى جسد حيوان بين احد عالأنها الأخرى . فاذا نفينا هذا المفهوم . وعلى النفى اجمع بحاث الروحية كلهم . فلا تبقى سوى احتمال عودة الانسان للتجسد فى صورة انسان جديد . وهذا مفهوم مختلف عن ذلك تماما . ويلتئم تماما مع صريح نص هذه الآية ، وغيرها من الآيات العديدة التى أوردناها فيما سبق .

كما يلتئم مع احتمال عودة الانسان — نفسه — فى مستوى اعلى أو أدنى اجتماعيا من مستواه السابق ؛ طبقاً لسلوكه ؛ ولاستحقاقاته . ولدواعى تطوره وارتقائه ، وكل ذلك يدخل فى قدرة الله تعالى الذى لا يحدها قيد ولا حد اذا ما أرادت أن نبدل « امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون » .

ماذا يقول الدكتور نوفل ؟

ويتحدث أيضا الدكتور عبد الرزاق نوفل — وكيل وزارة التجارة الخارجية ، وهو بحاثة معروف وعضو مبرز فى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ومقرر « لجنة التعريف بالاسلام » بهذا المجلس — عن هذه العقيدة من الناحية الدينية فيقول « وتفيد آيات القرآن الكريم وجود خلق أكثر من مره للانسان مما يؤكد ويساند هذا الرأى . وذلك فى مثل النص الشريف « وهو خلقكم أول مرة » (٢) . فذكر القرآن الكريم للخلق أول مرة انما يفيد وجود أكثر من خلق . وهذا الخلق الآخر المقصود غير قيام الناس يوم القيامة ، اذ ان القرآن الكريم لم يطلق على قيام القيامة الخلق وانما أطلق عليه البعث ...

وفى نفس المعنى وتوضيحاً له نجد أن هناك آيات كريمة قد اوردت اعادة الخلق ؛ مما يؤكد وجود أكثر من خلق ، وذلك بمثل النص الشريف « قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون » (٣) . ويشير النص يشير علاوة على زيادة الخلق عن مرة الى أهمية الخلق الأول الذى بدأ به الخلق . كما أن آيات الخلق الأول ثم اعادته أوردت بعد عملات الخلق الرجوع الى الله ، وذلك فى مثل النص الكريم « الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون » (٤) .

---

(١) عن « أوضح التفاسير » لابن الخطيب ص ٦٦٣ .

(٢) آية ٢١ سورة فصلت .

(٣) آية ٣٤ سورة يونس .

(٤) آية ١١ سورة الروم .

خلق في البداية ، ثم اعادة للخلق ، ثم الرجوع الى الله . ورجوع لفظ لا يحتاج الى تفسير أو بيان ، فالرجوع معناه العودة . حيث كان الانسان مرة . فكأن الانسان كان عند الله سابقاً ثم خلق في الحياة ، ثم سيرجع الى ما كان عنده ، وسيكون ذلك بعد الحياة ثم الموت ، وذلك كما تنص الآية الشريفة « هو يحي ويميت واليه تُرجعون » (١) .

كما توجد آيات شريفة كثيرة قررت عودة الانسان الى عالم الغيب مما يؤكد وجود الانسان في هذا العالم الغيبي ، ثم غادره وعليه فسيعود اليه مرة اخرى . ورد الانسان الى جهة انما يفيد وجوده السابق فيها . وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم « وستُردّون الى عالم الغيب والشهادة » (٢) .

فلا شك اذاً في أن الانسان كان في عالم الغيب قبل عالم المشاهدة ، أي كان في حياة سابقة لحياته الأرضية ، ولذلك نجد أن القرآن الكريم قد قرر ان للانسان حياتين وموتتين بالنص الكريم « قالوا ربنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » (٣) . ويكون المعنى الواضح القريب للآية الشريفة وجود حياتين للانسان وموتيين كما يفيد النص . وليست مرتين بالعدد ، وبذلك فالآية أوردت وجود نوعين للحياة ونوعين للممات ولم تقصد مجرد العدد ، لذلك قالت « اثنتين » لتختلف عن « مرتين » التي تشير الى العدد ...

وبعد أن يستشهد المؤلف بآيات كريمة أخرى يقول « فدون أى بحث أو اجتهاد ، وبلا لبس أو غموض ، تقرر الآيات الشريفة أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الخلق جميعاً يوماً ما قبل مولدهم المعروف ، فأخذهم من ظهور آبائهم وأشهدهم على أنفسهم أنهم به يؤمنون ...

وهكذا تأكد الأمر ووضحت الحقيقة ، ولم يعد هناك أى مجال للبحث : فلقد كان للانسان حياة سابقة على حياة الأرض ، فكم يا ترى استمرت هذه الحياة ؟ وعلى أى شكل كانت ؟ وكيف كان يعيش الخلق ؟ وهل كانوا جميعاً في وقت واحد ، أم تعاقبت الخلائق ؟ وكم ظل الانسان في هذه الحياة ؟ لا شك أنها فترة طويلة اذ تعلم وشهد وأقر ثم رجع الى ظهر آبائه حتى يحين موعد مولده في الحياة الدنيا ... » .

ثم يقول المؤلف « ان الآيات المنظورة التى نراها بأعيننا في حياتنا الدنيا موجودة وواضحة في كل ما خلق الله ، ولا شك أنها كذلك كانت

(١) آية ٥٦ سورة يونس .
(٢) آية ١٠٥ سورة التوبة .
(٣) آية ١١ سورة غافر .

الآيات المنظوره التى رأيناها فى حياتنا السابقه . فان فى كل خلق الله آيات وآيات ...

فآيات السماء والأرض كانت الآيات المنظورة للخلق فى حياتهم السابقة ، وهى نفسها الآيات المنظورة لهم فى حياتهم الدنيا . كما أن خلق الانسان نفسه هو آية منظورة جلية وواضحة . وكما هى آية له فى حياته السابقة حيث خلق . فهى آية له فى حياته الدنيا لأنه خلق فيها أيضاً . وكذلك كل كائن حى يدب فى السماء او الأرض انما هو آية منظوره يراها الانسان فى حياتيه السابقة والحالية ... » (١) .

ماذا يقول الأستاذ جادو ؟

ويضع الأستاذ عبد العزيز جادو الأديب السكندرى المعروف — وصاحب ورئيس تحرير مجلة « الشاطىء » الغراء (١٩٤٨ — ١٩٥٦) — كتاباً قيماً فى هذا الموضوع عنوانه « العودة للتجسد فى المفهوم العلمى الحديث » (١٩٧٤) وهو كتاب غنى بالأسانيد العلمية والدينية ، ومما ورد فيه من الناحية الدينية : « هناك فرق وطوائف وجماعات اخرى كثيرة كانت تؤمن بمذهب العودة للتجسد منها : فرق المحمدية ، والعلبانية ، والمغيرية ، والقدرية ... ولقد ذكر ذلك جماعة من مصنفى كتبهم ، ومن حذاق مبرزيهم من فرق المحمدية والعلبانية وغيرهم منهم اسحق بن محمد النخعى المعروف بالأحمر فى كتابه المعروف بكتاب « الصراط » (٢) .



عبد العزيز جادو

ولعل أول من نادى بهذه العقيدة بين المسلمين كما جاء فى مراجع كثيرة أحمد بن خابط (٣) وكان ذلك قبل عام ٢٣٢ هـ (٨٥٩ — ٨٤٧ م) ، فكان يقول بمبدأ الكرور ، أى « تناسخ » الأرواح التى ابتدعتها النفس الكلية فى صور تزداد حسناً أو قبحاً بمقدار الفضائل التى اكتسبتها فى

(١) عن كتاب « أسرار وعجب » ص ١٨ — ٢٥ .

(٢) يحيل المؤلف القارىء الى كتاب « مروج الذهب » للمسعودى ، جزء أول تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

(٣) وهو متكلم يسلك فى زمرة المعتزلة كان تلميذ النظام وشيخاً للفضل الحدثى .

تجسدها الأول . وهذه النظرية تقتضي وجود خمس مراحل : دار عذاب وهي النار ، ودار ابتلاء وامتحان وهي دار الدنيا ، ودارين للجزاء النسبي ، ثم آخيراً دار النعيم التي خلق الخلق فيها ...

ولقد جاء بعد ذلك كثيرون ممن كانوا يؤيدون العودة للتجسد نذكر منهم : ابن باقوس ، وجعفر القاضي ، وأبو مسلم الخرسانى ، ومحمد بن زكريا الرازى الطبيب ، والحسين بن منصور المعروف بالحلاج ، ومحيى الدين بن عربى ، والسهروردي ، وأصحاب ابى يعقوب المزايلى ، وأبى جعفر محمد بن على الشلفانى المعروف بابن ابى الفرائز وغيرهم ممن يستندون الى قوله تعالى : « يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك » . وقوله تعالى : « جعل لكم من انفسكم ازواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرأكم فيه » (١) .

وبعد أن يستشهد المؤلف بالعديد من الآيات الكريمة التي أسلفناها يقول : « تظهر الروح لكى تؤدى — وفقاً لعرف معين — عملية التطور التي هي أصلاً سبب الوجود . ولهذا التطور حاسة غائية فذة هي التطور الأخلاقى . ونظراً الى أنه ليس فى الامكان ادراك هذا التطور خلال حياة واحدة مفردة بمقتضى قانون طبيعى ، فمن الضرورى أن تؤديها على مراحل او اطوار على قدر ما هنالك من ضرورة ، حتى تضيء الحقيقة الالهية بكل فخامتها وأبهتها ، وبكل اشراقاتها السرمدية ...

ثم يقول «وهكذا يتم توزيع العدل الالهى بالتساوى على كل المخلوقات وعلى جميع الكائنات . وثمة تعبيران جميلان يترجمان قلب القانون ولبه : وهما المحبة والحكمة . الأول يهدى الى الصلاح ، والتقوى ، والكمال ، والطيبة ، والثانى يقود الى التعلم ، والمعرفة ، والخبرة ، والتجربة . وهذه الأهداف التى هى القوة المنظمة والوجهة الصحيحة للعدل الالهى بمعنى آخر هى الهدف الموضوعى للوجود ، والسبب الفعلى للحياة كبوتقة فيها اختبار قاس للنفوس فى التطور ، وصورة المطلق أو الحقيقة المطلقة تتطلب العمل والتنسك والفهم . والفهم الروحى انما هو بالانتصار ، وبالأشياء المكتسبة ، وبالتحصيل . ويتم هذا عن طريق مرات عديدة من رجعة الروح للبحث عن قدرها فاذا وصلت الى هذا الوقت ، فان الحاجة أو الرغبة الملحة لعودة التجسد ستختفى من سبيل الروح المتطورة »(٢)...

ثم يضيف قائلاً : « ولقد عملت الجماعات الصوفية جهدها للتمييز بين العودة للتجسد Reincarration والرجعية Transmigration وتعدد

(١) عن كتاب « مروج الذهب » للمسعودى جـ ١ ص ٣٨٤ .

(٢) عن « العودة للتجسد فى المفهوم العلمى الحديث » المرجع السابق ص ٦٤،٦٥ .

الحيوات أو التجسدات المتكررة Métempsychosis اذ أن الشبه كان ملمسا بينها سواء فى الشرق ام فى الغرب .

والمبدأ المقرر بأن الروح التى كانت تعيش من قبل فى صورة بشرية لا يمكن أبدا أن تعاد ولادتها فى جسد مادى لحيوان اذ أن المخلوقات الآدمية التى لم يتم نضجها وارتقاؤها ربما تسلك سلوكا بهيميا أو تتصرف بكيفية وحشية — واضح وصريح » .

كما يقول أيضاً : « وفى العصر العباسى حين التقت الثقافتان الهندية والعربية اعتنق بعض الفرق الاسلامية هذه العقيدة مثل : البيانية ، والخباحية ، والخطابية ، والراوندية ، والقدرية ، والنظامية (١) . ويرى البيرونى أن بعض المتصوفين المسلمين ذهب الى هذه العقيدة فى بعض معتقداتهم .

وفى كتاب « الزهر » أو كتاب « النور » (٢) نقرأ : « أن الأرواح كلها خاضعة لتجربة الرجعة ، اذ أن الروح يجب أن تدخل مرة أخرى فى الجوهر المطلق الذى منه انبثقت . ولكن لكى تتم هذه الغاية وتكمل ، يجب عليها أن تنمى جميع الكمالات وتحسنها ... أى أن الجرثومة أو النطفة التى زرعت فيها ينبغى أن تبلغ أعلى درجات الكمال . واذا هى لم تحقق هذه الحالة فى خلال حياة واحدة ، وجب عليها أن تبدأ من جديد فى حياة ثانية ، وثالثة ، وهكذا الى أن تنال الحالة أو الدرجة التى تناسبها للوصول أو التوصل الى رحاب الله » ...

ويمكن أن يقال نفس الشىء فيما يتعلق بتعاليم « الكارما » أو القانون الأخلاقى الخاص بالسبب والنتيجة ، أو العلة والمعلول . وفى الكتب المقدسة اشارات كثيرة تشير الى هذا المعنى . ففى القرآن الكريم كثيراً جداً من الآيات البينات التى نفهم منها ما يعنيه هذا القانون :

« من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، ثم الى ربكم ترجعون » (٣) .

« من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد » (٤) .

---

(١) يحيل المؤلف القارىء الى كتاب « من الفرق بين الفرق » للبغدادى ص ٢٥٣ .

(٢) وهو كتاب يحتوى على الفلسفة القبلانية .

(٣) سورة الجاثية آية ١٥ .

(٤) سورة فصلت آية ٤٦ .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »(١) .

« وليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط » (٢) .

* * *

ويخلص الأستاذ جادو الى النتيجة الهامة الآتية وهى أننا « ليس لنا أن ننسى أن الاسلام ، دين المسلمين فى بقاع الأرض من المشرق الى المغرب ، اقر هذه العقيدة ، كما أقرتها المسيحية ، واليهودية ، والبوذية ، والهندوكية . ولقد ذكرنا فى بعض فصول هذا الكتاب ، وبالأخص فى الفصل الأول منه كثيراً من الشواهد والآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التى يستدل منها على هذه الحقيقة . وهذا دليل واضح على أن عملية التطور من المادة الى الروح ، ومن النقص الى الكمال ، انما تتم عن طريق العودة للتجسد » ...

كما يخلص الى أن المقصود بالولادة الثانية ليس الرجوع الى هذه الأرض بأنفسنا الحالية ، فلا نتجسد ثانية كما كنا . وهذه الشخصية بمميزاتها الجسمية والنفسية والعقلية ، وبالاسم الذى اطلق عليها والسلالة والعقيدة والجنس والنظرة الى الحياة لا تعود ثانية . وطبقاً للحكمة القديمة يطرح بالموت الجسم الوقتى الترابى ولا يبعث ثانية . ويحدث نفس هذا الأمر مع الجهازين النفسى والعقلى (٣) . وما ينظر اليه المرء هنا على الأرض على انه روحه ليس فى حقيقة الأمر روحه الحقة ، بل ان هذه متميزة تماماً عن الجسم المادى ولو أنها تحتله . وهى لاتموت لأنها خالدة وأزلية بعكس الجسم ، فان مصيره الى الفناء لأنه فان بطبيعته ...

وطبقاً لعقيدة العودة للتجسد فان الذى يعود هو النفس الالهية أو النزيل الالهى بداخل الجسم لا الجسم الفانى أو الانسان الجثمانى بمشاعره وأفكاره العابرة . ولذا فاننا حينما يعترض على الولادة الجديدة بمقولة أننى « لست أرغب فى العودة » يجب أن نضع نصب أعيننا أننا لا يجوز لنا أن نخشى شيئاً ، فنحن كما نفهم أنفسنا عادة لا نرجع ، بل ان الذى يرجع الى التجسد هو الجوهر الكامن أو الروح بخلالها الفردية المكتسبة (٤) ...

---

(١) سورة الزلزلة آية ٧ ، ٨ .

(٢) سورة يونس آية ٤ . وللمزيد راجع الأستاذ جادو المرجع السابق ص ٧١–٧٣ .

(٣) يحيل المؤلف القارىء الى كتاب « الموت وما بعده » Death & After تأليف انى بيزانت Annie Besant .

(٤) يحيل المؤلف القارىء الى كتاب « العودة للتجسد حقيقة أم خيال ؟ » تأليف جوفرى هدسن ترجمة الأستاذ زكى عوض المحامى .

فاذا كان الأمر كذلك ، واستطاعت الروح بعودتها الى هـذا العالم المـادى أن تمر خلال الدرجات المطلوبة . فقد يكون من الأفضل أن يطيل الله حيـاة الروح فى العـالم المـادى الى أن تحصـل على الكمال وتنال بما تبتغى من النعم الالهية ، ولن يكون ضروريا لهـا أن تذوق كأس الموت، أو أن تحرز حياة ثانية على الأرض . ان العوالم الالهية مطلقة ، سرمدية ، لا نهاية لهـا ، والارتقاء لا تحده حدود ، ولا تقيد هـذه الحياة الفانيـة بحدود ، والعوالم الروحية لا تحدها حدود هى الأخرى ولا تقيدها اية قيـــود (١) .

ماذا عن موقف الأستاذ الكيك ؟

وليس من المتوقع أن تمر عقيدة العودة للتجسد بدون اية مناهضـة لهـا ، بل المتوقع هو العكس ، وقد ذكرت فيما سبق أن هـذه العقيدة غريبة على أفئدة الكثيرين سواء فى الشرق الأدنى أم فى الغرب ؛ ومن بين الذين لم يتقبلوها فى بلادنا الأستاذ المحترم مصطفى الكيـك ، الأمر الذى دفعه الى وضع كتاب عنوانه « تناسخ الأرواح » (١٩٧١) وهدفه الأساسى نقـــدها .

ومن حق الأستاذ الكيك أن ينقدها بكامل حريتـه ، وهـذا النقد لا ينقص شيئاً من تقـديرنا لمـا لمسناه من جهـد طيب فى وضـع كتابه هذا ، ولمـا لمسناه من توفيق ملحوظ فى وضع كتابه الآخر الذى عنوانه « بين عالمين : عالم المـادة وعالم الروح » (١٩٦٥) .

ولكن ليسمح لنـا الأسـتاذ المؤلف أن نوجه الى نقـده الملحوظات الآتيـة وهى : —

أولا : أنه من الواضح تماماً أنه ذو اعتقاد مسبق بأن هـذه العقيدة منافية للدين ، مع أن هذه المنافاة محض سراب ، كما بينا فى الصـفحات السابقة ، والدليل القاطع أنه لم يقـدم الينا فى كتـابه اى تفسير مقنع للآيات الكريمة الكثـيرة التى اشرنا اليها آنفـاً ، والتى اسـتشهد بهـا الأستاذان نوفل وجادو وغيرهما ، وهى واضحة وصريحة ، الا اذا تركنـا المعنى الواضح ولجأنا الى أسلوب التكلف أو التعجل فى التفسير .

ثانياً : أن جميع الحجج التى ساقهـا حجج سلبية ، أو محـايدة

---

(١) عن المؤلف « العودة للتجسد فى المفهوم العلمى الحـديث » . المرجع السابق ص ٧٥ ، ٨٠ — ٨٣ .

وللأستاذ عبد العزيز جادو مؤلفات اخرى قيمة متنوعة فى النفس والروح والعقل منها : « الأحـلام والرؤى » ، و « لكى تكون سعيداً » ، و « الطـريق الى النجاح » ، و « نحـو حيـاة مشرقـة » ، و « الروح والخلود » ، و « العقـل منبع الحكمة » (تحت الطبع) .

أو فى أحسن الفروض تعتمد على الاجتهاد النظرى ، فلم نلمس فى مؤلفه هذا حججاً ايجابية كفيلة بدحض الأسانيد الفلسفية والعلمية التى جاءت لكى تعزز هــذا الاعتقاد ، ولنسمّه مؤقتاً هــذا « الافتراض » باحتمال العــودة للتجسد فى صيرورة آدمية من جديد .

ثالثاً : انه اصر على أن يتحــدث عن عقيــدة العــودة للتجســد أو « التناسخ » كما سماها كما لو كانت تتطلب بالضرورة عــودة الانسان للتجسد فى جسم جيوان ، مع أن هذا افتراض ، وذلك افتراض آخر ، ومن الممكن جدا ، بل من الواجب حتماً الآن ، الفصل بين الافتراضين ، وسنبين أسانيد ذلك تفصيلا فيما بعــد .

وسيعرف القارىء كيف أنه فى ضــوء التحقيقات المتواصــلة التى جاءت مؤيدة لهذه العقيدة اصبح يتعين الآن التمييز بين جانبها الصحيح ، وجانبها الأســطورى ، وهو عودة الانسان للتجســد فى جسم حيــوان ، أو « تناسخه » فى جسم حيوان . ولعل اصرار المؤلف على هذه التسمية هو الأمر الذى دفعه الى الاصرار على دمــج الافتراضين معا حتى يهــون عليه عبء الاعتراض والنقــد ، وحتى يرتدى اعتراضه ــ بعــد هــــذا الادماج ــ قالبــاً سليما مقنعا من الناحيتين العلمية والفلسفية .

رابعاً : انه عند الــكلام فى الأسانيد « العمليــة » التى جاءت مؤيدة لهــــذه العقيدة تحاشى المؤلف اقواها وأحدثها ، أو لعــله لم يطلع عليها بعد مع أنه لو اطلع عليها لجاز أن يعيد النظر فى موقفه منها .

وعندما يناقش أى انسان أسانيــد عقيــدة غير راض هو عنها من الواجب أن يتعرض لأقــوى أسانيدها ويدحضــها ، لا أن يتخير أوهاها وأضعفها ، وأكثرها قبولا لأكثر من تأويل وتعليل .

خامساً : انه عند رفض عقيدة العــودة للتجسد فى صــورة انسان لا نجد أنفسنا فحسب فى مواجهة الأسانيد العلمية الكثــيرة التى سنقدمها فيما بعد فاننا سنجد انفسنا فى مواجهة ألغاز كثيرة فى الكون تظل بلا حل منها ألغــاز العــدل الالهى ، والألم ، والشر ، وحــرية الاختيار . . . بالاضافة الى ألغاز العلم الخاصة بتفسير التطور ، والوراثة والحمــــل ، واللاشعور ، والعبقرية ، والذاكرة ، والتــكوين الانسانى بوجه عام . . . فان هذه المعضلات الفلسفية والعلمية ــ وغيرها كثير ــ تقبل الحــل فى ضوء عقيدة العودة للتجسد ، ولا تقبل اى حـــل مقبــول بدونها ، على ما سيلاحظه القــارىء بنفسه فيما بعد .

سادساً : ثم راح الأستاذ المؤلف يتحــدث طويلا فى نظريات كثــيرة

لا صلة لهـا بالعودة للتجسد ـ اثباتا او نفيا ـ مثـل نظـرية الحـاول بحسب فهم البراهمة لهـا فى ضـوء اساطير معينة . ومثل تعليل الحروب والأوبئة والكوارث العـامة ، ومثل مصدر الصفات الحيوانية فى الانسان، والأطفال النوابغ ... لكى يعلل هذه الأمور كلها ببعض مصادرها الظاهرة التى لا ينازع أى انسان فى صحتها ؛ واجهد نفسه فى ذلك مع أن السـاؤل المثـار هو : هل وجود هذه العوامل كلها بنفى احتمال العـودة للتجسد أو يتعارض معه ؟ هذا هو لب القضية ؛ وما عـداه خروج عن الموضـوع وتشتيت لعناصره بلا داع .

فمثلا هو يصر ـ من الناحية البيولوجية ـ على ان الانسان خاضـع للتطور فى المفهوم الداروني الذى يبدو أنه لاينازع فى صحته ، ويصر على أن الشخصية الانسانية « محصـلة التفاعل المستمر بين طبيعـة الانسان الموروثة وبين العوامل الاجتماعية والبيئية المختلفة » . ويتناول بالتالى اثر الورانة ، والغدد الصماء ، والجهاز العصبى ، واثر البيئة والثقافة فى شخصية الانسـان (١) ... فهل نازعه أحد فى كل ذلك سواءً أكان مقتنعاً بنظرية العودة للتجسد أم غير مقتنع بهـا ؟ !

ان هذا كله مسلم به تماما ، وقد عالجتـه فى مؤلفى عن « مبادىء علم الاجرام » الذى هو فرع من « علم الانسان » أو « الانتروبولوجى »(٢). ولكن السؤال الوحيد الذى يصح أن يثار هنا مما له اتصـال بموضوعنا هو : هل يصح أن نضيف الى كل تلك العـوامل مجتمعة ميراث الذات من نفسها أيضاً أم لا ؟ وحين يقـول المـاديون لا ، لأنهم لا يعترفون بحياة سابقة على الميـلاد المـادى ـ ولا لاحقـة له ـ يقـول سواد الروحيين نعم لأنهم لا يجدون مبررا لانكار هذه الحيـاة السابقة التى تفسر لهم أمورا عديدة أولهـا التفاوت الواضح فى المواهب والملكات بين شقيقين ـ او حتى توأمين ـ ولو اتحـدت بينهما عوامل الوراثة ، والبيئـة ، والثقافة ... أو تقاربت على نحو ما . اما الحديث عن الغـدد الصـماء ، وعن الجهاز العصبى فهو بدوره حديث خارج عن الموضوع تماماً خصوصاً متى سلمنا بأن الروح هى الهيمنة الفعلية على الغـدد والجهاز العصـبى ؛ وليست وظيفة لهما كما يقرر المذهب المـادى للوجود .

سابعاً : وعندما يتعرض المؤلف لتجارب « ارجاع الذاكـرة للوراء » فى التنـويم المغناطيسى يتجاهل أخطـرها ، واقواها دلالة مثـل تجارب

---

(١) المرجع السـابق ص ٦٥ ـ ٩٠ .

(٢) راجع منه بوجه خاص ص ١٨٦ ـ ١٩٨ ، ٢٣٩ ـ ٢٥٠ من الطبعة الثالثة١٩٧٢ ، وهى صفحات وثيقة الصلة بهذا النقاش .

دى روشا وآخرين متعددين غـيره لكى يقـدم حالتين اثنتين ، ويحاول تعليلهما كالآتى : « ويحـدث هـــذا الانفصال المؤقت فى حالة التنـويم المغناطيسى كما يحدث فى حالة النوم العادى ، وبذلك يخلو الجسد الأرضى مما كان يشغله أثنـاء اليقظة ويكون فى هذه الحالة معرضاً لأى فضولى من الهـائمين فى عالم الروح فيقتحمه كما تقتحم اللصوص المساكن الخاليـة من أهلهـا .

فاذا استطاع هذا الفضولى اقتحام الحدود التى تفصله عن العـالم الأرضى فانه يحتل أجهـــزة الجســم الفـارغ ويهيمن على النفس التى انفصلت عن هــذا الجسم فيمنعها من أن تستعمل أجهـزة الصوت فيـه ويستأثر بهـا لنفسه فى كل ما يعن له أن يفضى به حينـــذاك من حقائق أو أضاليـل ، وعندما يفاجأ الناس بمثـل هــذه الظاهرة يظنون أنهم قد وقعوا على كشف علمى جليـل كما حدث لمؤلف قصة روث سيمون »(١) .

وهذا التعليل بالهيمنة الروحيـة من كائن غير منظـور على وسيط التنـويم المغناطيسى كان نصب عين المختبرين عن طريق « ارجاع الذاكرة للوراء » ، وليس فيهم واحد كان مقتنعاً بمبدأ العودة للتجسد من قبل ، ولذا عمدوا ــ للتحقق من صحة الظاهرة ــ الى تكرار التنويم مع الوسيط أو الوسيطة الواحد الى حوالى خمسين وأحيانا ثمانين مرة ولمـدى عـدة سنوات فوجدوا أن تسلسل الذكريات المخبوءة فى اللاشعور نحو المـاضى ظل مرتبا على نفس حاله تماما ، وأن تتابع التجســدات السابقة ظـــل محتفظاً بنفس ترتيبه بالضبط .

وهذا أمر من المحال حدوثه لو أن الوسيط ، وهو فى غيبوبة التنويم المغناطيسى ، كان خاضعاً لهيمنة روحية من كائن غير منظور ، أو من عدة كائنات غير منظورة ، لأنه من غير المتصور اطلاقاً عند الدارسين لظـواهر الهيمنة الروحيـة أن تتتابع الهيمنات فى كل مرة بنفس الترتيب ، وعلى نفس النمط ، فى الاستيلاء على وعى الوسيط . ولنـا عودة تفصـــيلية الى مناقشة هذه النقطة بعـد عرض عدد كاف من الاختبارات بما يغنى عن المزيد هنـا .

ثامنا : ولمـا كان عرض أسانيد احتمال العودة للتجسد هو موضوع بحثنا الحالى برمته فاننا لا نجد حاجة للوقوف طويلا عند مناقشة الأستاذ المحترم مصطفى الكيك فى كل اعتراضاته ، بل سـندع لصفحات هـــذا البحث مؤونة هــذه المناقشة التفصيلية بحجج ايجابيـة نرجو أن تلاقى ما هى جديرة به من تقدير .

---

(١) المرجع السابق ص ١١٠ ــ ١١١ .

ولكن هذا لا يمنع من أن نقف هنا وقفة أخرى عند حجة نظرية ساقها في اعترافاته عندما قال ان هذه العقيدة « لا تثير في الانسان بالضرورة التحمس لممارسة الأعمال الصالحة ، وأداء الواجبات ، وتطهير النفس من الفساد والرغبات الشاذة المنحرفة . انها تضع أمام الناس فرصاً عديدة في حيوات تالية لا عدد لها للاصلاح ، وترتيبا على ذلك قد لا يرى الفرد بأساً عليه من أن ينطلق مع رغبات نفسه فيجمعها سواء أكانت هذه الرغبات متفقة أم كانت غير متفقة مع المبادىء والقيم السائدة في المجتمع ، ومن أن يعيش حياته بالطول وبالعرض على أن يطهر نفسه بعد ذلك في أية حياة تالية وأية دورة جديدة »(1) ...

وهذا القول مردود عليه بأن من أصول هذه العقيدة أن الانسان سيدفع الثمن كاملا عن كل غلطة تصدر منه ، أو زلة يقع فيها عن عمد أو اهمال ؛ لأن الجزاء من جنس العمل ؛ ولا يتصور أن يؤجل انسان عاقل توبته الى حياة أخرى اذا كان مهددا بأن يولد فيها بسبب سيىء أفعاله ، أعمى ، أو أبترا ، أو مشلولا ، أو ذليلا ... وهو يرى بنفسه في أية ظروف رهيبة وتعيسة يولد الملايين في هذه الحياة الدنيا ! ! فالانسان الذي يؤجل توبته الى حياة مقبلة له ، كالانسان الذي يؤجل توبته الى يوم لاحق ، كلاهما أحمق وسيدفع حتماً ثمن حماقته ، وسوء تقديره ان أصر على التمادي في غيه ، وتجاهل عين الله التي لا تغفو ولا تنام حتى عن « خائنة الأعين وما تخفى الصدور » .

ثم فلنسائل المؤلف المحترم سؤالا بسيطاً ، وهو هل كان رفض هذا الاعتقاد سبباً حقيقياً في دعم أسباب الفضيلة ودرء دوافع الرذيلة في حياة السواد الأعظم من الناس ؟

وحياة الانسان في كتاب الأبدية لا تساوي أكثر من ميلة يوم واحد في كتاب حياته الأرضية ، سواء أسلمنا باحتمال تعدد فرص الحياة الأرضية ، أم أنكرنا صحة هذا الاحتمال . وبعبارة أخرى أن جميع قضايا الاعتقاد ؛ والثواب والعقاب ... تكون على هذا النحو محايدة تماماً في شأن هذا الاحتمال الذي ينبغي أن يخضع في اثباته أو في نفيه ، لأساليب التحقيق العملي دون غيرها ، مع الركون المستمر الى التحليل المنطقي والرياضي بعد تجميع أكبر عدد ممكن من الوقائع التي من فصيلة واحدة ، أي بعد توسيع رقعة البحث الى أبعد مدى .

وهذا هو الأسلوب الذي تتبعه حالياً الجامعات والهيئات المعنية بالتحقيقات الروحية بوجه عام وبتحقيقات العودة للتجسد بوجه خاص .

---

(1) عن الأستاذ الكيك ، المرجع السابق ص ١٢٠ .

وهي بوجه عام تسير باضطراد فى اتجاه الاثبات لا النفى ، ولو اطلع المؤلف الفاضل على بعضها لوفر على نفسه مشقة الاعتراض ، وعلى قرائه مشقة المتابعة ، وعلى قلمى الضعيف مشقة النقاش الموضوعى الذى أرجو الا يضيق به صدره .

وعلى العموم فان لى عودة الى أهم القضايا المتصلة بهذا الموضوع ، الواحدة بعد الأخرى فأكتفى بهذا القدر الآن منعاً للتكرار ، وحفاظاً على التبويب الذى ارتبطت به فيما سبق .

المبحث الرابع

عن العودة للتجسد فى الديانات الافريقية

مما هو جدير بالذكر أن عقيدة العودة للتجسد شائعة حتى فى أديان افريقيا التقليدية . ومن ذلك شيوعها عند « الكالاباري » الذين يقول جاك مندلسون Jack Mendelson عنهم أنهم يمثلون تمثيلا صحيحاً غالبية سكان افريقيا الذين يقطنون جنوبى الصحراء الكبرى : « ويقسم اللاهوت « الكالاباري » العالم الى قسمين من الكائنات : «أوجو» (المادى أو الجسمانى) ثم «تيم» (الروحانى أو اللامادى) . فكل كائن له «أوجو» يمكن أن يراه الانسان العادى اذا كان فى مركز يسمح له بذلك ، لأن كل أوجو سواء أكان رجلا ، أم سمكة ، أم ثعباناً ، أم شجرة ، أم حشائش ، أم أحجارا يشغل حيزاً محدداً فى الفضاء .

أما « تيم » من الناحية الأخرى فيمكن أن يراه الناس العاديون حينما يكونون صغارا جدا فقط قبل أن يطفىء فساد العالم المادى نور قلوبهم .

ويمكن استرداد هذه القدرة المفقودة ، ولكن لا يستردها الا المستعدون للخضوع لعلاج عنبيى شديد يطلق عليه « تجلية العينين والأذنين » . وهكذا يجند المقدسون الذين لهم القدرة على التخاطر مع « تيم » ومعرفة ارادته .

ورغم أنهم يتكلمون عن « تيم » كأنما قد حضر الى مكان معين واستقر فيه ، فهم أيضاً يصفونه بانه فى كل مكان كالنسيم . ويمكن لتيم أن يكون بغير أى مقابل جسدى فى عالم « أوجو » كما يحدث بالنسبة لآلهة القرية الأبطال أو أمواتها مثلا .

هؤلاء هم الذين لا تراهم . ولكل شىء فى «أوجو» ما يقابله فى «تيم» وحينما يفقدالانسانأوحيوان«تيم» فانه يموت ، وهذا يطبقعلىكلالأشياء فى العالم العادى ، حيوانية أو غير حيوانية ، بل حتى بالنسبة لفئة

معينة من الآلهة المعروفة باسم « شعب المياه » — أن « تيم » يسيطر على أوجو كما يسيطر الربان على قارب الصيد ...

ويختلف « الكالابارى » فى تقدير القوة النسبية لبعض « تيم » ، ولكن هنالك عائلتين من الآلهة تحتم قواها ونفوذها على الكل مراعاة احترامها . وأول طائفة هم الذين يطلق عليهم حكام الكيان والتقدم . ففى المبدأ أسس الاله الأعظم قوتين لتعملا معا ، الأولى الانثى الاصلية وسماها « تامونو » ، والأخرى الذكر الأصلى « سو » . ومن تامونو جاءت الأرض ، وأعطى «سو» سلطة توجيه الأرض . وكل شيء فى العالم به جزء من تامونو ، وسو . كما أن مجرى الحياة لكل قرية ، وكل كوخ، وكل فرد قد خلق ، ومسير : بواسطة «تامونو» و « سو » .

أن مصير الانسان ، كما يقول الكالابارى : هو « ما قاله قبل أن يأتى » . ومرة ثانية يختلط الأمر على الانسان الغربى ، ولكن مغزى هذا المثل يمكن تفهمه بعد الشرح . فقبل مولده يذهب « تيم » (الجسد الأثيرى للشخص) الى تامونو ليقول لها اى طرق الحياة يختار . وتستمع « تامونو » الى هذه الكلمات وتعتز بها . وتتجسد الكلمات « سو » أو مصير الانسان الذى حضر تيم قبله اليها ليتكلم . وترسل تامونو بعد ذلك « تيم » الانسان لبدلف الى الجسد الذى خلقته فى رحم الأم . وبذلك يكون منطقياً جدا القول بأن الشخص هو ما قاله قبل أن يأتى »(١) .

ويشيع فى هذه القبائل أيضاً الاعتقاد بأن الأسلاف الموتى هم عبارة عن « تيم » الأشخاص المتوفين الذى انسلخ عن اجسادهم بالموت ليستمروا فى كينونتهم فى العالم غير المادى والاعتقاد بأن شخصياتهم وقيمهم تماثل تلك التى كانت لهم وهم أحياء . كما أن علاقات بعضهم ببعض هى تماماً كعلاقة الأحياء فى الكالابارى ... وأى خبر أو شر قد يقع على العائلة يفسر عادة بنشاط وتصرفات الموتى .

ومع هذا ليس الموتى أحياء ، بمعنى أنهم لبسوا احياء بمفهومنا نحن عن الحياة . ان الموتى كائنون ، وبالتالى فهم لبسوا أمواتاً . هم كائنون ووجودهم يظهر نفسه للأحياء من نسلهم عن طريق قوى مذبذبة .. »(٢).

هكذا يتضح تماماً أن العديد من أديان افريقيا الوسطى يحوز

---

(١) من كتاب « الأديان فى افريقيا المعاصرة » تأليف جاك مندلسون ترجمة الأستاذ ابراهيم اسعد محمد ص ٤٥ — ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٥١ .

معلومات صحيحة لا يستهان بهـا عن الملكات الوساطبـة . والاجسـاد الأثيرية ، كما يعرف عقيدة دوام الحياة بعد الموت ، والوجود السابق قبل الميـلاد على الأرض ، وهى وثيقة صلة بعقيـدة العـودة للتجسد بحيث يتعذر الفصل بينهما . وشأن الافريقيين فى ذلك شأن غالبية سكان آسيا ، وان كانت فلسفة الوجود السبقى والعودة للتجسد فى الأديان الأسـيوية أكثر وضوحا ، وترابطاً ، وأوثق اتصالا بمفاهيم أخلاقبة نقية ؛ وبفلسفة متفوقة جدا على اديان أواسط افريقيا التى لا تزال تعيش على الفطـرة ؛ فى مفاهيمها وطقوسها أيضاً .

كلمـة لابد منها

واحب أن أوجه نظر القارىء فى هذا المقام الى اعتبار ارجو أن يكون له وزنه ، وهو أننى ما وقفت حتى الآن طويلا عند موقف كافـة العقائد الدينية من نظرية العودة للتجسد ، الا لأبين كيف أن كافة العقائد لاتعترض طريقها على اى وجه كان الاعتراض ، فلم يكن وقـوفى بالمرة لأننى افـر وصاية الاعتقاد على العلم ، على أى وجه كانت الوصاية .

بل لقد كان الوقوف لاعتبار واحد : وهو أن أبين كافة أن الاصول الدينية بوجه عام تقف الى جانب هذا الاعتقاد ، ولا تقف الى جانب من قد يعترضون باسم العقائد بغير اطـلاع كاف عليها وعلى الحقائق الهامة التى تكشف عنها العلم . والتى تلعب — أو ينبغى أن تلعب — دورا أساسيا فى القـاء أضواءها على مفاهيم العقائد ، وتبدبد اخطاء بعض الشروح القديمة المرتجلة وما أكثرها فى كل اعتقاد ، وما أعظم رسوخها فى الأذهان ، ناهيك بأخطاء التزمت والغـلو ، التى من شأنها أن تجنى على المفاهيم الصحيحة فى الاعتقاد والعلم أيضاً .

فالوصاية ينبغى أن تـكون لمعطيات العـلم الوضعى على « مفاهيم العقائد » ، لا « للمفاهيم العقيـدية » أياً كان مصـدرها أو نطاقها على معطيات العلم الثابتة . وهى بداهة لا تصبح « معطيات » ثابتة الا بعد أن تحظى بكل صور التحقيق والاختبار الممكنة ، والا بعد أن تجتازها بنجاح يرضى عنه أسلوب التحليل الناقد .

* * *

ولو اتبع المفكرون من شتى العقائد والمذاهب والنحل منهج البحث العلمى المحايد عن الحقائق لذابت تدريجياً أعتى عناصر سـوء الفهم ، ومصادر الخلاف فى الرأى ، أو بالأقل لتراجعت كثيرا عما كانت عليه من

قبل . ولما وجدت كل عقيدة . وكل نحلة أنها وحدها على صواب مطلق، وأن من حقها أن ترمى غيرها بالهرطقة والالحاد كما حدث على مر العصور بين جميع العقائد بل بين أرباب العقيدة الواحدة ، أو المذهب المشترك .

وتكفير المخالفين فى الراى أمر يسير ، لكن الوصول الى الحقيقة هو الأمر العسير ، لأن الحقيقة هى اسمى شيء فى الوجود ، ولا يمكن ان يصل الانسان اليها لمجرد ارتباطه مقدما برأى ما . وتكفيره لمن يخالفه فيه . ولو صدقنا غلاة المتعصبين فى حكمهم على غيرهم بالكفر والالحاد لكان الكفر هو الصفة المشتركة الوحيدة المميزة لجميع العقائد ومعتنقيها منذ فجر التاريخ حتى الآن ، وحتى يرث الله الارض ومن عليها !!

أما فى اطار البحث الروحى فان كل الارتباطات المسبقة لا تقدم ولا تؤخر فى مصير الانسان . والكفر الحقيقى فيه هو التعالى على كل شيء حتى على محاولة فهم حقائق الحياة . وهو الالحاد بطريقة الانسان بين جنبيه ازاء كل مخالف فى الراى . أو هو تكفير الآخرين لمجرد الخلاف فى الرأى ، مهما كان الخلاف يسيرا أو جسيما . فهذا هو الكفر الحقيقى بالله لانه يتضمن مروقا صريحا على كل نواميس التواضع ، والوداعة . والتسامح . والجد فى البحث عن الحقائق ... التى هى كل شيء فى ارتقاء الانسان أو فى تخلفه ، وفى نجاته أو ضياعه ، وفى نجاح الحياة خلقيا واجتماعيا أو فى فشلها الذريع .

ثم ان النضال الجاد للوصول الى حقائق الحياة هو أنقى صور العبادة ، لأن الله هو أسمى حقائق الوجود ، ولا يمكن ان يخطو خطوة واحدة فى طريق الوصول الى الله الا من عرف أولا كيف يتجرد من الاعتداد المفرط بالرأى وبالذات ، ومن التصور الخاطىء بانه قد ملك وحده الفهم الصحيح لله ولنواميسه التى أعيت ولا تزال تعيى كبار المفكرين والعلماء .

ولذا فانه اذا أثير أى نقاش هام بين رأيين متعارضين ، وكان كل منهما يعتمد على النصوص ، ولا شيء غير النصوص ، كما يحدث عادة بين أرباب المذاهب والنحل المختلفة حتى تلك التى تنتمى الى اعتقاد واحد ، فكيف يكون الترجيح بينهم ؟ ومن يملك سلطة الترجيح . أو سلطة التوفيق ان كان ثمة محل للتوفيق ؟ هل هى المناقشات التى لا تنتهى أبدا ، أو تنتهى دائما من حيث بدأت وربما أشد عنفا وغشامة مما بدأت ؟ أم هى معطيات العلم الثابتة التى لم تعد تحتمل بعد جدلا ولا نقاشا ؟

من البديهى أن تكون معطيات العلم الثابتة هى الحكم وهى الفيصل فى هذا النقاش ، ولا شيء غيرها ، عند من يناقشون للوصول الى الحقائق، لا للمكابرة فيها . وعند من يبحثون عن الصواب بحثا جادا لا عند من

يبحثون عن اثبات وجودهم وقدراتهم « البلاغية » والدفاع عن آرائهم المسبقة بكل الأساليب مهما كان نوعها ، وأية كانت مراميها .

وأولئك الذين يبحثون عن الحقائق بحثاً جادا مخلصا — وهم بحمد الله كثيرون — سيتفهمون فيما أرى موقفى هذا ، وسيتجاوبون بسهولة مع وجهة نظرى من امكان التوفيق — فى أمور عديدة — بين العلم والعقائد من جانب ، وبين العديد من الأمور الخلافية بين شتى النحل والمذاهب من جانب آخر .

وهذا الأسلوب نفسه تبناه ودافع عنه الامام الغزالى عندما قرر فى كتابه « تهافت الفلاسفة » أن الدين لا يحتج به على العلم ، بمعنى أن ما يقرره العلم لم يعد يجوز لأحد أن يكذبه بما يزعم وروده فى الدين يقول: « من ظن أن ابطال شىء مما يقوله العلم هو دفاع عن الدين فقد جنى على الدين ... فان هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسابية لا يبقى معها ريبة ، فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها .. اذا قيل له أن هذا خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وانما يسترب فى الشرع .

وأعظم ما يفرح به الملاحدة — هكذا يقول الغزالى — هو أن يصرح ناصر الشرع بأن ما قد أثبتته البراهين العقلية العلمية هو على خلاف الشرع ، ما دام شرعا تتنافى أحكامه مع نتائج العلم » .

وقد رسم لنا الغزالى — كما يقول الدكتور زكى نجيب محمود — طريقاً للشك المنهجى لا نرى بعده شيئاً ننسبه الى ديكارت Descartes ولا ننسبه اليه ، وذلك حينما نادى الغزالى مثلما نادى ديكارت من بعده « بالشك فى المعلومات التى سبق أن حصلناها عن طريق الحواس أو عن طريق العقل ، ثم البدء من أوليات يقينية تستمد يقينها من ادراكنا لها ادراكاً مباشرا ، ثم الانتهاء من تلك الأوليات اليقينية الى نتائج تلزم عنها فتكون فى مثل يقينها .

يقول الغزالى فى « المنقذ من الضلال » وهو بصدد تحليله لمعلوماته السابقة ، وذلك بعد أن استعرض معلوماته التى جاءته عن طريق الرواية والتقليد « فقلت فى نفسى انما مطلوبى العلم بحقائق الأمور ، فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هى ؟ فظهر لى أن العلم اليقينى هو ذلك الذى تنكشف فيه العلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغى أن

يكون مقارناً لليقين مقارنة » (١) .

وهـــذا هو بعينـه أســلوب المدرســة التخييرية Eclectique للتوفيق بين القديم والجديد ، أو بين الاعتقاد والعلم ، ولها ما يقابلها فى كل فروع المعارف الانسانيــة ، وقد ادت — ولا تزال تؤدى — خدمات جليلة الى فلسفة القانون ، والى سياسات الشرائع المختلفــة ، كما ادت نفس الدور فى الحد من غلو الاعتقاد وفى نفس الوقت من اندفاعات كثيرة طالمــا حملت خطــأ لواء العلم والعــرفان ، وما هى من العلم الصحيح فى شىء .

المبحث الخامس

موقف لفيف من اعلام الفلسفة والفكر من مشكلة « العودة للتجسد »

يعتقد بعض المؤلفين أن ذيوع الاعتقاد فى العودة للتجسد فى الغرب جاء نتيجة لانتشار الفلسفة الهندية هناك بعد الحرب العالميــة الأولى ، وتزايد الاهتمام بتلك الفلسفة . على أن هذا القول غير صحيح بالمرة . لأن هذا الاعتقاد وجد صــدى قويا له — كما ســبق أن بينت — فى مؤلفــات لفيف من أبرز رجال اللاهوت فى الغرب ، وعلى رأسهم ابرزهم اطــلاقاً وهو سانت أوغسطين .

بعض الفلاسفة والمفكرين

كما وجد هذا الاعتقاد صدى أقوى من ذلك بكثــير فى آراء وكتابات لفيف ضخم من ابرز فلاسفة العصرين الوسيط والحــدث ومفــكريهما وشعرائهما ، ممن يضيق المقــام عن ذكرهم كلهم ، وانما اكتفى بذكــر طائفة كافية من أبرزهم ، فمنهم بترتيب تاريخى : —

— روجر باكون Roger Bacon (١٢١٤ — ١٢٩١) .
— دانتى الليجيرى Dante Alighieri (١٢٦٥ — ١٣٢١) .

---

(١) عن مؤلفه « المعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى » ص ٣٢١ — ٣٢٢ .

— جوردانو برينو Giordano Bruno (١٥٤٨ — ١٦٠٠) .
— جاكوب بويهم Jacob Boehme (١٥٧٥ — ١٦٢٤) .
— رينيه ديكارت René Descartes (١٥٩٦ — ١٦٥٠) .
— باروخ سبينوزا Baruch Spinoza (١٦٣٢ — ١٦٧٧) .
— توماس براون Thomas Brown ١٦٠٥ — ١٦٨٢) .
— ادوار يونج Edward Young (١٦٨١ — ١٧٦٥) .
— عمانوئيل سويدنبرج Emmanuel Swedenborg (١٦٨٨ — ١٧٧٢) .
— دافيد هيوم David Hume (١٧١١ — ١٧٧٦) .
— فرانسوا فولتير Francois Voltaire (١٦٩٤ — ١٧٧٨) .
— جوتهولد لسنج Gotthold Lessing (١٧٢٩ — ١٧٨١) .
— بنجامين فرانكلين Benjamin Franklin (١٧٠٦ — ١٧٩٠) .
— سان مارتن Saint Martin (١٧٤٣ — ١٨٠٣) .
— جوهان هردر Johann Harder (١٧٤٤ — ١٨٠٣) .
— عمانوئيل كنط Emmanuel Kant ١٧٢٤ — ١٨٠٤) .
— جوهان شيللر Johan Schiller (١٧٥٩ — ١٨٠٥) .
— جان فشته Jean Fichte (١٧٦٢ — ١٨١٤) .
— بيرسى شيللى Percy Shelley (١٧٩٢ — ١٨٢٢) .
— سان سيمون Saint Simon (١٧٦٠ — ١٨٢٥) .
— وليم بلايك William Blake (١٧٥٧ — ١٨٢٧) .
— همفرى داڤى Humphry Davy ١٧٧٨ — ١٨٢٩) .
— جوهان جوته Johann Goethe (١٧٤٩ — ١٨٣٢) .
— والتر سكوت Walter Scott (١٧٧١ — ١٨٣٢) .
— صمويل كوليردج Samuel Coliredge (١٧٧٢ — ١٨٣٤) .
— فرانسوا فوريه Francois Fourier (١٧٧٢—١٨٣٧) .
— ادجار آلان بو Edgar Allan Poe (١٨٠٩—١٨٤٩) .
— وليام وردزورث William Wordsworth (١٧٧٠—١٨٥٠) .
— أونوريه بلزاك Honoré Balzac (١٧٩٩—١٨٥٠) .
— توماس مور Thomas Moore (١٧٧٩ — ١٨٥٢) .
— آرثر شوبنهور Arthur Schopenhauer (١٧٨٨—١٨٦٠) .
— شارل رينوفييه Charles Renouvier (١٨٠٤ — ١٨٦٠) .

— جان رينو Jean Reynaud (١٨٠٦ — ١٨٦٣) .
— أدولف جارنييه Adolphe Garnier (١٨٠١ — ١٨٦٤) .
— الفونس لامارتين Alphonse de Lamartine (١٧٩٠—١٨٦٩) .
— الكسندر ديماس Alexander Dumas (١٨٠٢—١٨٧٠) .
— بيير ليرو Pierre Leroux (١٧٩٧ — ١٨٧١) .
— بونسون دى تيراى Poncon de Terrail (١٨٢٩—١٨٧١) .
— تيوفيل جوتيه Theophile Gauthier (١٨١١ — ١٨٧٢) .
— بايار تايلور Bayard Taylor (١٨٢٥ — ١٨٧٨) .
— توماس كارليل Thomas Carlyle (١٧٩٥ — ١٨٨١) .
— لويس بلانكى Louis Blanqui (١٨٠٥ — ١٨٨١) .
— رالف امرسون Ralph Emerson (١٨٠٣ — ١٨٨٢) .
— هنرى لونجفلو Henry Longfellow (١٨٠٧ — ١٨٨٢) .
— فيكتور هيجو Victor Hugo (١٨٠٢ — ١٨٨٥) .
— روبرت براوننج Robert Browning (١٨١٢ — ١٨٨٩) .
— جون هويتير John Whittier (١٨٠٧ — ١٨٩٢) .
— ألفريد تنيسون AlFred Tennyson (١٨٠٩—١٨٩٢) .
— والت هويتمان Walt Whitman (١٨١٩—١٨٩٢) .
— فردريك نيتشه Friedrick Nietsehe (١٨٤٤—١٩٠٠) .
— كامى فلاماريون Camille Flammarioh (١٨٤٢—١٩٢٥) .
— رودلف شتينر Rudolf Steiner (١٨٦١ — ١٩٢٥) .
— جون ماك تاجارت أليس John Mc Taggart Ellis (١٨٦٦ — ١٩٢٥) .

ومن فلاسفة ومفكرى العرب :

— جبران خليل جبران (١٨٨٣ — ١٩٣١)
— ميخائيل نعيمة .
— ايليا أبو ماضى .

عن مصدر اقتناعهم

ولم يكن لهؤلاء الاعلام من الفلاسفة والمفكرين والشعراء اطلاع خاص فى الفلسفة الهندية ، أو ولع معروف بها ، فيما خلا آحاد قلائل على رأسهم آرثر شوبنهور فانه قد تعمق فيها ، واعجب بها ، وقال ان

المستقبل سيكون لها ، وانها ستجتاح أوروبا وتؤثر فى الثقافة الأوروبية المستقبلة ، مثلما فعلت الفلسفة الاغريقية فيما مضى .

أما بالنسبة للباقين فقد كانت العودة للتجسد نظرية مقبولة لكى تفسر الكثير من ظواهر الحياة التى يتعذر تفسيرها بغيرها ، وأهمها مفارقات الدهر العجيبة ، والتفاوت الضخم فى الملكات ، وفى فرص السعادة والشقاء . بالاضافة الى تفسير مصدر الحمل ، وبالتالى مصدر الانسان ولذا أشاروا كلهم اليها بأساليب متنوعة ، تتفاوت فى مدى قوتها . ووضوحها لطبيعة الحال ، اما نثرا واما شعرا .

ولذا يتعذر القول بأن أولئك المقتنعين الكبار بعقيدة العودة للتجسد قد اخذوها عن فلسفة الهند أو غيرها من فلسفات الشرق ، خصوصاً عند من يعرفون مدى ما تتميز به الروح الغربية — خصوصاً فى مثل المستويات التى أشرت اليها — من وضوح وترابط ، ونقد ، وحذر ، بالمقارنة بروح الشرق الأقصى بوجه عام ، ناهيك بما يتميز به الغرب من روح واقعية وضعية ، وايجابية أيضاً .

وانما كان ارتباط هؤلاء الأعلام بعقيدة العودة للتجسد بمقدار ارتباط هذه العقيدة نفسها بجانب هام من الحقائق الكونية التى ينبغى دواماً السعى للارتباط بها بدلاً من الجرى وراء الأوهام والترهات .

وفى الواقع أن الفلسفة الهندية تتسم بالكثير من عناصر الغموض ، والتعقيد ، والافتراضات المرتجلة الكثيرة ، الا أنها وصلت فى الروح الى العديد من الحقائق الكونية الصادقة وبالذات فى شأن العودة للتجسد ، والعديد من النواميس الأخلاقية ، ومن الظواهر الروحية ، ودور العقل وتأثيره فى المادة ... وربما كان ذلك عن طريق الهامات صادقة وصلت الى معلمى الهند الكبار فى عصور ازدهار الحضارة الهندية ، كما وصلت نفس الالهامات الى معلمى الفراعنة والاغريق فى عصور ازدهار حضارتهم . وهذا أمر طبيعى اذا ما عرفنا أن الالهام الراقى ظاهرة طبيعية قد أدت دورها الخطير فى تطوير الانسانية منذ فجر التاريخ حتى الآن .

ويتعذر فى نفس الوقت القول بأن هؤلاء الأعلام قد بنوا اقتناعهم على نتائج التحقيقات الوضعية فى الظواهر الروحية ، لأن هذه النتائج لم تكن فى أيامهم قد أعلنت بعد ، أو لم تكن قد بدأت بعد . وبالتالى لم تكن بالنسبة لغالبيتهم العظمى من ضمن عناصر تكوين اقتناعهم .

وهذا هو ما يفرق هذه الطائفة من الفلاسفة والمفكرين والشعراء عن طائفة العلماء والباحثين الوضعيين الذين بدأوا منكرين للعودة للتجسد ، وللظواهر الروحية فى جملتها ، ثم تحولوا تدريجياً الاقتناع بها بعد لأى وطول عناء ، وذلك بناء على مقدمات محددة ، وأسانيد محسوسة

ملموسة يمكن اخضاعها لكل صور النقد والنقاش . وهو ما سيكون موضوع الفصلين المقبلين .

فاذا صح تعليل اعتناق نظرية العودة للتجسد عند اثنين أو ثلاثة من الأعلام الذين أسلفنا ذكرهم بالاطلاع على الفلسفات الشرقية بوجه عام ، فانه بالنسبة للباقين قد يصح القول بأنها قد جاءتهم عن طريق الالهام أو الحدس ، لأن عبقرية الفلسفة ، أو الشعراء ، أو الأدب الراقى عند دارسى التصوف الراقى ، والفكر الرفيع كثيراً ما تكون نابعة من محض الالهام أو الحدس (١) .

هذا وقد بينت فى مناسبة سابقة كيف أن عالماً طبيعياً عظيماً مثل أوليفر لودج راح يحذّرنا من اهدار قيمة الهامات الفلسفة ، او الشعر الرفيع ، أو الأدب الراقى . فقد يكون فيها بعض جوانب الصدق النابعة من الاتصال بالحقائق الكونية للحياة ، وهو المعنى الذى عبّر عنه شوقى الخالد فى احدى قصائده المملاة من عالم الروح وفيها يقول : —

فالشعر الهام ونبع سجية   والشعر منحة خالق لسعيد
والملهمون منالهم لا يُكترى   فالشعر وقف للسراة الصيد (٢)

وهذا هو بعينه ما ذهب اليه برجسون فى دفاعه عن فلسفة الحدس (٣) .

فلا ينبغى اذاً أن نغفل أن هذه أسماء قمم عالية فى شتى مجالات الفلسفة ، والشعر ، والأدب . ورسوخ القدم فى هذا الميدان أو فى ذاك قد يكون مصدره الأول هو تطور الروح وعراقتها ، ومدى ما وصلت اليه من نضج سريع بسبب العودة المتكررة للتجسد ، وربما فى فترات متقاربة ، وفى ظروف مؤاتية .

ولعل الأحاسيس بهذه العودة تكون قد انزلقت عند بعض هؤلاء الى اللاشعور فدفعتهم دفعاً الى الحديث عنها ، والى الاعتقاد بصحتها على نحو أو آخر . ومنهم من تحدث صراحة عن رجوع الذاكرة اليه بسبب وجوده فى أمكنة معينة حركت عنده ذكرياته القديمة على ما سيرد فيما بعد عن الفونس لامارتين ، وتيوفيل جوتييه ، والكسندر ديماس وغيرهم . ومنهم من شيد فلسفة متكاملة فيما وراء الطبيعة تأسيساً على مبدأ العودة للتجسد مثل جون ماك تاجارت اليس .

---

(١) راجع ما ورد فى الجزء الثانى من « المفصل » ص ٤٨٤ وما بعدها الى نهاية الجزء .

(٢) المرجع السابق ص ٥٢٦ — ٥٢٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٢ — ٣٣ .

طائفة اخرى من المفكرين والحكماء

ومما هو جدير بالذكر أن الباحثة ايفا مارتن Eva Martin في كتاب عنوانه « حلقة العودة » (١) جمعت ما يقرب من خمسمائة اسم من أبرز اعلام الفكر والفن والشعر في الشرق والغرب الذين اعلنوا — خلال العصور المختلفة — أنهم يؤمنون بالعودة للتجسد ، وكتبوا فيه نثراً أو شعراً .

كما قرر البروفسير لوتوسلاوسكي Wincenty Lutoslawski « اننا اذا امكننا أن نجمع ما قاله احكم الرجال في جميع الأصقاع والعصور لكي نحدد موقفهم من هذا الموضوع يمكننا بسهولة أن نؤكد أن أغلبية ساحقة منهم لا تؤمن فحسب بأن لها وجوداً سابقاً وعودة للتجسد ، بل لقد قاموا بخطوة متقدمة على ذلك ، وهي توسيع اعتقادهم الشخصي الى دائرة نظرية عامة تصدق على جميع الأشخاص ، حتى منهم أولئك الغافلين عن ماضيهم ، غير الواثقين من مستقبلهم » .

ويعلق البحاثة الارلندى شو دزموند Shaw Desmond مؤسس « المعهد الدولي للبحث الروحى » بلندن بقوله أن الوقائع تثبت صحة ذلك ، وقد اتفق جميع مؤسسى البرهمية والبوذية على العودة للتجسد — ورغم اختلافاتهم الجوهرية في امور كثيرة — كما نجد أن صفحات الفلسفة الهندية غاصة بأسماء الحكماء الذين انضموا الى هذا الاعتقاد بكل جوارحهم خلال ثلاثة آلاف عام . وهو ما ينطبق أيضاً على بلاد الفرس ، والصين ، ومصر القديمة ، والدرويد ، والصلتيين ، والاغريق ، والرومان ، والفلسفة العبرية أيضاً .

ويستشهد دزموند ببعض أقوال شاعر المانيا العظيم جوتة Goethe في رواية فاوست Faust ، وشاعرى بريطانيا الكبيرين تنيسون Tennyson و وردزورث W. Wordsworth حتى يصل الى شاعر الهند العظيم طاغور Tagore ثم فيلسوفها المناضل غاندى .

بين دوام الوجود والعودة للتجسد

وعقيدة العودة للتجسد قد تبدو بحسب المنطق الواضح وثيقة الاتصال بعقيدة دوام الوجود الفردى بعد الموت ، أو بالأدق بعد الانفصال عن الجسد المادى بحيث لا يتصور صحتها ، ما لم تصح أولاً عقيدة دوام

---

(١) The Ring of Return.

(أ) في مؤلف عنوانه « عودة التجسد لكل انسان » .

Reincarnation For Everyman P. 66 - 70.

شخصية الانسان بعد الموت . والعكس غير ضروري بمعنى أنه من الجائز أن تصح عقيدة دوام شخصية الانسان بعد الموت دون التسليم بعقيدة العودة التجسد من جديد على الأرض على أساس أن الحياة في أي مستوى من مستويات ما بعد المادة قد تغني عن الميلاد من جديد على مستوى المادة .

قد يقال هذا ، ولكن الأمر الذي لوحظ لدى بعض من كبار الفلاسفة أو المفكرين أنهم قد رفضوا التسليم بمبدأ العودة للتجسد الأرضي من جديد ، رغم رفضهم قبول مبدأ دوام الشخصية الانسانية بعد الموت بكامل مقوماتها وخصائصها . ومن هذا الفريق الأخير الفيلسوف المتشائم آرثر شوبنهور ، الذي قد ظهر من بعض آرائه عدم اعتراضه على العودة للتجسد من الناحية الفلسفية . وان ظهر تماماً اعتراضه على مبدأ دوام الوجود الفردي بعد الموت . وهذا الدوام هو محور علم الروح الحديث ، بل حجر الأساس فيه . وفي كل ما ارتبط به من تحقيقات . وآراء . وفلسفات .

ومنهم أيضاً الفيلسوف فردريك نيتشه الذي كان مادياً ملحداً وراح يقيم فلسفته برمتها على مبدأ سيادة « الانسان الأسمى » . وفناء الانسان في الطبيعة ، لكنه لم يجد غضاضة من الحديث عن مبدأ « العود الأبدي » الذي استقاه من فلسفة المعلم الديني الفارسي زرادشت .

وهذه الحالات النادرة في الفلسفة الغربية من تقبل مبدأ العودة للتجسد دون تقبل مبدأ دوام فردية الانسان بعد موته قد يعلل « بوضعية » العقلية الغربية بوجه عام ، وبالاتجاه الذي كان سائداً في الفلسفة المادية من أن الانسان بالموت يفقد شخصه بالاندماج في المجرى الكوني للحياة وهو مجرى محض موضوعي .

أما بحسب كشوف العلم الروحي الحديث فانه ينبغي التمييز بين « فردية » الانسان و « شخصية » الانسان . فالفردية باقية أزلية لايمكن أن تتلاشى . أما الشخصية فهي متطورة دواماً نحو الأفضل — وبالتالي نحو الموضوع الأسمى — عن طريق تبادل العيش بين عالمي الروح والمادة .

وعن طريق التطور تتحول الذات تدريجياً — وببطء شديد — من الخصائص الشخصية الى الموضوعية ، وهذا هو الهدف النهائي من تطورها البطيء . أما الذات نفسها فتحافظ على فرديتها على الدوام في وسط التغيرات التي لا تتوقف ولا تنقطع للجسد وللوعي معاً .

ولذا فان الذات حتى عندما تصل الى قمة تطورها ، عن طريق التحقيق المتواصل لخصائصها السامية المطلوبة ، قد تندمج في المجرى

الكونى للحياة ، وتسعد بالنرفانا Nirvana اى السعادة الأزلية التى لا تشوبها أية شائبة بحسب التعبير الهندى ، وذلك بعد ما تتخلص من شهواتها الترابية.وأوجه ضعفها وقصورها فى المواهب والملكات ، لكنها تظل مع ذلك محتفظة بفرديتها ، التى لا تقبل التلاشى ولو أرادته باصرار ، كما ان الانسان وهو فى المادة لا يمكن أن يتلاشى ولو أقدم بنفسه علىالانتحار.

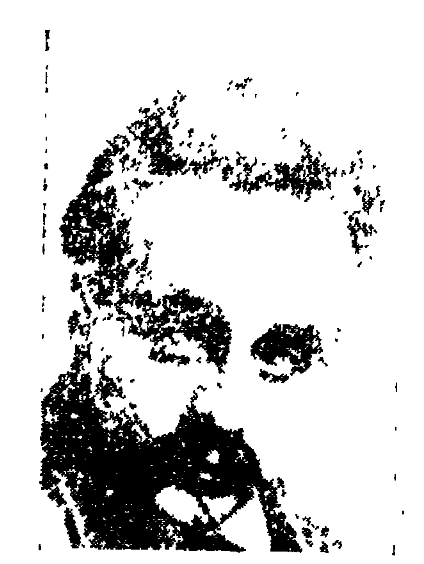
وعلى أية حال فان الآراء التى تتقبل مبدأ العودة للتجسد ، وفى نفس الوقت ترفض ان تتقبل مبدأ دوام الوجود الفردى بعد الموت هى آراء متناقضة مع نفسها تناقضاً واضحاً ، لأن مبدأ العودة للتجسد اذا كان صحيحاً ، فانه لا يتصور صحته بغير مبدأ دوام الحياة بعد موت الجسد المادى ، ولذا فلم أقابل رأياً ينفى الروح والخلود ويسلم بالعودة للتجسد — ولو على وجه ما — الا عند نيتشه الفيلسوف الألمانى المريض بعقله الذى كان يصر على اتباع أسلوب « خالف تعرف » .

انما الأمر المسلم به عند جميع العلماء والمفكرين الروحيين والوضعيين هو أن التسليم بمبدأ العودة للتجسد يجر بطبيعته الى نفى الفناء وافتراض دوام الوجود الفردى بعد الموت ، على نحو ما ، وفى صيغة ما من صيغ الوجود غير الخاضعة لحواسنا .

ماذا يقول جبران

ولا يتسع المقام لأن نعرض مواقف كل المؤمنين بالعودة للتجسد من فلسفة هذه العودة ، خصوصاً وأن اعتمادنا ينبغى أن يكون بصفة أساسية على التحقيقات الوضعية وما تكشفت عنه من نتائج محددة مترابطة . وانما نكتفى هنا بنموذج من موقف أحد أعلام هؤلاء المفكرين وهو جبران خليل جبران .

وعنه يقول الأستاذ عدنان يوسف سكيك فى رسالته عن « النزعة الانسانية عند جبران » (١٩٧٠) : « والانسان فى مد الحياة وجزرها متطور أبداً لا تنتهى حياته بالموت . فما حياته فى رأى جبران سوى سلسلة مستمرة متطورة لا تنقطع . وسيعود الانسان كرة أخرى بعد فترة زمنية محددة ليكمل ما بداه فى الحياة الأولى . يعود بصورة أوضح وادراك أفضل » .



جبران

ثم ينقل عنه قوله في كتاب « النبي » (ص ١٥٩) : « لا تنسوا انني سوف ارجع اليكم . فترة قصيرة ثم يجمع اشتياقي وحنيني التراب والفقاقيع لأجل جسد آخر . فترة قصيرة : لحظة من الراحة فوق الهواء ، ثم تحملني امرأة اخرى » . كما ينقل عنه قوله في كتابه « حديقة النبي » (ص٦٦) قوله « سأمثل امامك مرة أخرى .. ولسوف أحيا بعد الموت ... فالموت لا يغير شيئاً الا النقاب الذي يخفي وجودنا ... » كما يحيل القارىء الى قصة « رمال الأجيال والنار الخالدة » في كتاب « عرائس المروج » (ص ١١) (١) .

ويقول الأستاذ طني زكا في مؤلفه « بين نعيمة وجبران » (١٩٧١) عن هذا الأخير : « عندما كانت الحلقات الصوفية تنمو في أمريكا بسرعة الفطر ، وجد جبران فيها ما استهواه ، وما جعله يؤمن بعقيدة التناسخ ووحدة الوجود ، فأخلص لهما الاخلاص كله ، واصبحا اطارين يلازمانه ملازمة الاطار للصورة .

فهو يستمد من عقيدة التناسخ — بعد أن أضحت في روح أدبه — أجمل التعابير واكثرها شاعرية . اسمع اليه يلجأ الى هذه الصورة الرمزية الرائعة ليجسّد تلك العقيدة تجسيداً شاعرياً جميلاً : « ان مياه البحر تتبخر وتتصاعد ثم تتجمع وتصير غيمة وتسير فوق الطلول والأودية حتى اذا ما لاقت نسيمات لطيفة تساقطت باكية نحو الحقول وانضمت الى الجداول ورجعت الى البحر موطنها الأول .

حياة الغيوم فراق ولقاء ، كذا النفس تنفصل عن الروح العام ، وتسير في عالم المادة وتمر كغيمة فوق جبال الأحزان وسهول الأفراح ، وتلتقي بنسيمات الموت فترجع الى حيث كانت ، الى بحر المجد والجمال ،

---

(١) عن كتاب الأستاذ عدنان سكيك ص ١١٤ ، ١٦٦ .

الى الله » (١) .

ويقول المؤلف أيضا : « وبكلمة واحدة كان جبران يجاح ينابيع الصوفية الشرقية ، ويتلقى رياها ، ويترسم غايتها التى هى النقاء والتطهر من الحس والمادة ، والاتحاد بالله ، ويتغنى بها نغنى المؤمن الذى وجد ضالته ... مما أعطى لكتبه مسحة الأسفار المقدسة ، وشيئاً كثيرا من لغتها ونكهتها » .

ثم يقول ان جبران قد تأثر فى هذا الشأن أيضاً بالشاعر والرائى والفنان الانكليزى وليام بلايك William Blake ، اذ « نجد بلايك يؤمن بالتناسخ ، وبوحدة الوجود ، ونجد أن بلايك كجبران يدعو الى قلب الشرائع ليقيم بديلها نظماً فى الأخلاق جديدة ، ويفتعل الحرمان لأن الحرمان فوارة الأحلام ، والرؤى مكونة من العالم الأسطورى الذى يضج بالأشباح والأرواح والجبابرة والاخيلة » (٢) .

ويراعى دائماً عند الاطلاع على ما كتبه المؤلفون بلغة الضاد عن جبران ونعيمه وبلايك وغيرهم ... أنهم غالباً يتجاوزون فى التعبير فيستخدمون خطأ كلمة « التناسخ » حين كان ينبغى أن يستخدموا وصفه « العودة للتجسد » أو « العودة للميلاد » أو نحوهما .

وذلك لأن التناسخ قد يثير فى ذهن القارىء غير المطلع مفهوماً مغايراً لاينقبله أبدا مبدأ العودة للتجسد وهو من جانب مفهوم النسخ اى الالغاء ، ومن جانب آخر مفهوم احتمال العودة فى شكل غير آدمى ، وهوما لم يرد مطلقاً على ذهن أحد من هؤلاء المفكرين الكبار أو الباحثين العلميين . ويا حبذا لو تعودنا فى لغة الضاد الدقة فى استخدام المصطلحات العلمية أو الفنية دفعاً لأى خلط أو لبس محتمل فى ذهن القارىء .

---

(١) عن كتاب الأستاذ طى زكا ص ٧٢ — ٧٣ ، ٧٧ .

الفصل الثاني

فى موقف العلم الحديث

من « العودة للتجسد »

تمهيـــد

مما لا ريب فيه أن العودة للميلاد أو للتجسد موضوع هام ودقيق ، وقــد كان يستند فى المــاضى الى مجرد الاعتقاد ايماناً أو نفياً ، أو الى محض الفلسفة النظرية كما سبق أن بينت فى الفصل السابق . أما الآن فقــد تكشف اسلوب البحث الوضعى ــ الذى سيطر سيطرة تامة على الأوساط العلمية منذ عصر النهضــة أو التنوير ــ عن فتح ابواب جديدة للبحث قائمة على أسلوب الملاحظة والتحليل . على أوسع نطاق ممكن حتى يتأتى تشييد النظريات المناسبة عليهما ، وهى أبواب كانت مغلقة تماماً فيما مضى .

ومما لا ريب فيه أيضاً أن البحث الحــديث فى الخلود وفى الظواهر الروحية بأساليب وضعية هــو الذى يرجع اليه الفضل الاول فى تجميع الوقائع . وبالتالى فى توسيع رقعة البحث . مع اخضاعها فى النهاية للتحليل المنطقى الموضــوعى . ولذا ازدهرت تحقيقات العودة للتجسد عن طريق البحث فى الظواهر غير المألوفة وذلك بالنظر للصلة الوثيقة بين هذه الظواهر وبين محاولة القاء أضواء لها فيمنها على التكوين الحقيقى للانسان . وبالتالى على قدره ومصــيره ، بمــا فى ذلك احتمال عودته للتجسد . ولو كمجرد افتراض علمى لا ينبغى قبوله ولا رفضــه مسبقاً ما لم تعــززه الوقائع الثابتة وبررّه تحليلها تحليلاً صحيحاً .

بعض الباحثين الوضعيين

وفى نطاق الباحثين الوضعيين فى الظواهر غير المــألوفة ثمة اجماع ــ خصوصاً عند الفرنسيين منهم ــ على أن العودة للتجسد لم تعد مجرد افتراض علمى له ما يبرره ، بل أصبحت حقيقة تؤيدها مشاهدات يقينية لا تحصى ، وتعززها حقائق العلم المتنوعة عن الحياة ، والمــادة . والتطور ،

والعقل ، والشعور ، واللاشعور ، والهيولى المحايدة ، والعاملة الذاتية ... الخ على ما سيرد بيانه فيما بعد .

ومن أهم العلماء الفرنسيين الذين كرسوا حياتهم فى دراسة الظواهر غير المألوفة وفى تحليلها ، والذين قدموا بيانات كثيرة متراكمة تلتئم تماماً مع نظرية العودة الى الجسد ، ولا تلتئم مع غيرها ، نذكر : —

— آلان كاردك Allan Kardec (١٨٠٤ — ١٨٦٩) وهو أبرز اسم فى الحركة الروحية اللاتينية منذ نشأتها لغاية الآن (١) .

— جابريل ديلان Gabriel Delanne (١٨٥٧ — ١٩٢٦) وهو من ابرز الأعلام فى نفس هذه الحركة (٢) .

— ليون دنيز Léon Denis (١٨٤٧ — ١٩٢٧) وهو أيضا بحاثة روحى له مكانته البارزة (٣) .

— جوستاف جيلى Gustave Géley (١٨٦٥ — ١٩٢٤) وهو أول مدير « للمعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس وصاحب سمعة عالمية فى تحقيق الظواهر الوساطية (٤) .

— أوجين أوستى Eugène Osty الذى خلف جيلى فى ادارة هذا المعهد من سنة ١٩٢٥ — ١٩٣٨ (٥) .

— رينيه فاركولييه René Warcollier الذى خلف أوستى فى ادارة هذا المعهد ، وظل يديره من سنة ١٩٣٨ الى حين وفاته فى سنة ١٩٦٢ (٦) .

وذلك بالاضافة الى أسماء كثيرة لأعلام فرنسيين كبار منهم بوجه خاص :

— شارل لانسلان Charles Lancelin (٧) .

— وألبير دى روشا Albert de Rochas (٨) .

---

(١) راجع ما ورد عنه فى « مفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الأول ص ٤٦٨ .

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٧٢ .

(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٦٩ .

(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٦٤ .

(٥) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٦٧ .

(٦) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٦٨ .

(٧) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٧٨ .

(٨) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٥٤ .

— وموريس ماجر Maurice Magre (١) .

— وادوار شوريه Edouard Schuré (٢) .

— وهكتور دورفيل Hector Durville .

— وجيرار انكوس Gérard Encausse (أو البابوس) (٣) .

— وجورج بارباران George Barbarin (٤) .

— وبيير نوفيل Pierre Neuville .

ومنهم فى سويسرا :

— راؤول مونتاندون Raool Montandon .

— وكارل موالر Karl Muller .

— ومنهم فى بلجيكا موريس ماترلنك Maurice Maeterlinck (٥)

ومنهم فى انجلترا وارلندا : —

— سير آرثر كونان Arthur Conan Doyle (٦) .

— سير أوليفر لودج Oliver Lodge (٧) مدير جامعة برمنجهام .

— مارشال الطيران لورد داودنج Dowding (٨) .

— تشارلى بروض Charlie Broad الاستاذ بكامبريدج (٩) .

— موريس باربانيل Maurice Brarbanell عضو « جمعية البحث الروحى » بلندن . ورئيس تحرير مجلة « الأنباء الروحية » (١٠) .

— شو دزموند Shaw Desmond مؤسس « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن (١١) .

ومنهم فى الولايات المتحدة الأمريكية : —

— ادجار كايس Edgar Cayce (١٢) .

— وآرثر فورد Arthur Ford (١٣) .

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٧٩ .

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٧٥ .

(٣) المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٣٢ — ٢٣٥ .

(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٨١ .

(٥) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٨٥ .

(٦) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٠٧ .

(٧) المرجع السابق جـ ١ ص ٤١٢ .

(٨) المرجع السابق جـ ١ ص ٨٠٣ .

(٩) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٤٦ — ٤٤٧ .

(١٠) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٤٣ .

(١١) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٣٨ .

(١٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٤٩ .

(١٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٤٧ .

ـ وايان ستفنسون Ian Stevevson وهو حالياً أستاذ للتحليل النفسى بكلية الطب بجامعة فرجينيا (١) .

عن الحركة الثيوصوفية

وتعتبر رجعة الروح أو العودة للتجسد محوراً اساسياً من محاور الحركة الثيوصوفية Theosophy ، وهى حركة ترجع الى حوالى مائة عام مضت . وقد انشأتها الوسيطة الروسية هيلين بتروفا بلافانسكى Helen B Blavatsky (١٨٣١ ـ ١٨٩١) بالاشتراك مع الكولونيل الأمريكى هنرى استيل أولكوت Henry Steele Olcott .

وكان هدفها الأساسى هو استثارة روح الاهتمام بدراسة مصير الانسان دراسة تجمع بين فلسفة الحكمة القديمة وبوجه خاص الفلسفة الهندية ، وكشوف العلوم الحديثة . وقد انضم اليها منذ انشائها عدد ضخم من صفوة المثقفين فى أنحاء عديدة من العالم وكان من بينهم ادبسون المخترع المعروف الذى انضم للحركة فى سنة ١٨٧٨ .

وممن عالجوا موضوع العودة للتجسد من بين أعضاء هذه الجمعية ـ غير مؤسسنها السيدة هـ.ب. بلافاتسكى (٢) ـ نذكر :

ـ السيدة آنى بيزانت Annie Beasant (٣) .

ـ الأسقف ك.و. ليدبيتر C. W Leadbcatcr (٤) .

ـ ا.د. والكر A. D. Walker .

ـ جوفرى هدسون J Hudson .

ـ كريستماس همفريز Christmas Humphreys وغيرهم ...

وسنحتاج فيما بعد الى عرض وجهات نظر هؤلاء المؤلفين خصوصاً فى موضوعات الكارما أو الجزاء من جنس العمل ونظرية التطور لفرط اتصالها بمشكلة العودة للتجسد ، ولو أن اعتمادنا سيكون بصفة أساسية على أعمال العلماء والمحققين الوضعيين كما كان الشأن فى أغلب موضوعات هذا الكتاب .

وعلى اية حال فليست العبرة بعدد الباحثين ، ولا بمكانتهم العلمية ؛

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .
(٢) راجع ما ورد عنها فى « المفصل » جـ ١ ص ٣١١ .
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٦٦١ .
(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٨٧٤ .

ولا حتى بعدد السنين التى امضـوها فى تجميع البينات والسواهد . بل ينبغى أن تكون فحسب بماهية هـذه البينات والشواهـد وبالنتائج التى يؤدى اليها اخضاعها لأسلوب التحليل العلمى . فان كل كسـوف العلم الحديث تدين بكل الفضل لاتباع هـذا الأسلوب دون غيره وهـذا هـو موضوع الفصل الحالى .

تبــويب

وبالنظر الى الخطورة المفرطة لهذا الموضـوع وسعب نواحى البحث فيه ، فانه ينبغى أن يعالج فى أناة شديدة ؛ ومن أهم زواياه الرئيسية التى ينبغى أن تكون كل زاوية منها موضوع مبحث على حدة على النحو الآتى :—

المبحث الأول : عن اختبارات ارجـاع الذاكرة الى الوراء بالتنويم المغناطيسى .

المبحث الثانى : عن ظاهرتى « رؤى من قبل » و « سمع من قبل » (فى أثناء كامل الوعى وبدون تنويم مغناطيسى) .

المبحث الثالث : عن بعض النتائج العلمية الهامة التى خلص اليهـا الباحثون (فى الظواهر السابقة) .

المبحث الرابع : عن بعض الاختبارات الفـريدة فى الأحـلام أو فى الاتصالات الروحية .

المبحث الخامس : عن آراء بعض الأرواح الراقية فى شأن « العودة للتجسد » .

المبحث الأول

عن اختبارات « ارجاع الذاكرة الى الوراء » بالتنويم المغناطيسى

المطلب الأول

من اختبارات دى روشـا فى ارجاع الذاكرة

من اغرب الاختبارات التى يعتقد الكثيرون انهـا ذات وثيق صـلة بموضـوع احتمـال « العـودة للتجسـد » تلك التى تستخدم التنويم المغناطيسى فى محاولة ارجاع ذاكرة الشخص المنوَّم للوراء régression de mémoire ، لعله يتذكر شيئاً من أحداث حيواته المـاضية .

وقد امكن احياناً عن طريق بعض الحالات النادرة للتنويم المغناطيسى ارجاع ذاكرة الشخص المنوم الى ما قبل الولادة فى حياته الحالية ، فروى بعضهم ذكريات معينة عن حيوات سابقة له مؤيدة بوقائع محددة ، وبأسماء اشخاص ، ومدن ، وطرقات ، ومعالم جغرافية ثبتت صحة البعض منها بطرق التحقيق المادى المألوفة .



دى روشا

ولا ريب انه يرجع الفضل فى افتتاح هذا الأسلوب الجديد فى استكشاف اغوار الذاكرة الانسانية للبحاثة الروحى المعروف الكونت البير دى روشا E A. De Rochas الذى كان مديرا « للمدرسة الفنية العسكرية بباريس » Ecole Polytéchniques وكان رائداً من أعظم رواد البحث الروحى فى العالم ، وتعد مراجعه فيه من أحسن المراجع وأعمقها لغاية الآن (١) .

ولم ينازع اى انسان فى صحة هذه التجارب وفى الثقة التامة فى صاحبها ، وأن كان الجدال كله يدور حول تعليل النتائج التى وصل اليها ، وهل تشير فعلاً الى صحة « العودة للتجسد » ام فحسب الى أن وعى الشخص المنوم كان على صلة بعقول اخرى عديدة متحررة من أجسادها المادية ، يستمد منها قدراً ما من المعلومات الصحيحة . وقد رجح التعليل الأول لاعتبارات كثيرة مررنا ببعضها آنفا . وسنمر بباقيها فيما بعد .

وهذه التجارب أجراها الكونت دى روشا فى الفترة من سنة ١٨٩٣ الى سنة ١٩١٠ ، ودفعته نتائجها الى أن يكتب قائلا : « من المؤكد انه عن طريق السبل المغناطيسية يمكن — لدى اشخاص يملكون حساسية كافية ، احداث سلسلة من أوجه السبات Léthargie . وحالات اليقظة النومية الحركية (٢) états somnambuliques التى تتابع بانتظام

(١) راجع ما ورد عنه وعن أبحاثه فى « مفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الأول . ص ٤٥٤ — ٤٥٥ ، ٩٤٠ — ٩٤٢ .

(٢) وهى من مراحل التنويم المغناطيسى .

كما تتتابع الليالى والأيام . وخلالها تبدو الروح وقد تخلصت شيئاً فشيئاً من أربطة الجسد واندفعت الى مناطق فى المكان وفى الزمان ، لا يمكنها أن ترتادها بوجه عام فى حالة اليقظة العادية .

ومن المؤكد أنه عن طريق عمليات مغناطيسية معينة يمكن للانسان أن يقود تدريجياً غالبية الوسطاء الى عصور سابقة لحياتهم الراهنة ، بكل ما فى هذه العصور من خصائص ذهنية وفسيولوجية مميزة ، وذلك الى لحظة ميلادهم . وليست هى محض ذكريات توقظ ، بل هى حالات متتابعة من الشخصية تستدعى ، وهذه الاستدعاءات تحدث دائماً بنفس النظام ، وخلال تتابعات من السبات ، ومن حالات اليقظة النومية الحركية .

ومن المؤكد أنه بمتابعة هذه العمليات المغناطيسية الى ما بعد الولادة ، وبدون حاجة من اللجوء الى الايحاءات ، يمكن للانسان أن يمر بالمنوّم الى تجسدات سابقة ، والى فترات تفصل بين هذه التجسدات . والموكب هو نفسه يتم عن طريق تتابعات السبات ، وحالات اليقظة النومية الحركية .

وهذه الحالات من « كشف الماضى » عندما امكن تحقيقها لا تعبّر عن الحقيقة دائماً ، لكن من الصعب أن نفهم كيف أن نفس التجارب الفيزيقية التى تحدد ابتداءً تراجع شخصيات حقيقية للوراء الى لحظة الميلاد يمكن بغتة أن تسمح بحدوث هلوسات زائفة تماماً .

ومن المؤكد أنه بمتابعة « التمريرات الموقظة » Les Passes reveillantes الى ما بعد العمر الحالى للشخص المنوَّم يمكن للانسان أن يحدث ظواهر مماثلة لتلك التى أحدثها فى الماضى ، بمعنى حدوث نفس الأوجه المتقابلة من السبات ومن حالات اليقظة النومية الحركية ، وفيها يلعب الشخص أدواراً تقابل أدوار حياته اللاحقة ، اما فى حياته الراهنة ، واما فى حيواته المستقبلة .

ولم يمكن بعد مراقبة حقائق التوقعات المستقبلة التى يمكن أن يعزى بعضها فى الراجح الى مخططات الشخص فحسب . ومع ذلك فقد ثبت فى ظروف عديدة بما يكفى ، وان كانت لم تحدد بعد ، انه أمكن للانسان أن يرى أشياء فى المستقبل » (١) .

---

(١) راجع ما ورد فى « مفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الثانى : عن التنبؤ بالمستقبل خصوصاً ما قد يتم فى أثناء التنويم المغناطيسى ، (ص ٣٥٤ — ٣٦٨) .

وهـذه النتائج الخطيرة تمثل ثمرة بحوث جـرت على تسعة عشر شخصاً ، وأمكن تكرارها مـع لويز Louise ومايو Mayo لمدى مـدة سنوات متتابعة . ويضيق المقام عن ايراد جميع هذه الحالات ، لكن تكفى هنا الحالة رقم ٧ التى جرت أحداثهـا فى سنة ١٩٠٥ والتى هى اهمهـا اطلاقاً ، واكثرها استرعاءً للانتباه ، وقد تكشفت عن أحد عشر تجسداً متتابعاً ، وهى حالة السيدة روجيه Roger ، وقد سردها دى روشـا على النحو الآتى : (بعد أن تختزل بعض الوقائع ونكتفى بتلخيص البعض الآخر لضيق المقام) .

حالة السيدة روجيه (فى تجسدها الراهن)

ورغم أن دى روشا كان منـوماً بارعاً الا انه كان مع ذلك يستعين بمنـوم قـدير يدعى بوفييه Bouvier من ليون وكان فى نفس الوقت رئيساً لتحرير مجلة تدعى « السلام العالمى » La Paix Vniverselle وكان ابن بوفييه يقوم بتدوين مضابط الجلسات . وكانت هذه الجلسات تبدأ بمحاولة ارجاع ذاكرة الشخص المنـوم بتمريرات طولية مصحوبة بالايحاء على النحو الآتى (١) .

س : (الكولونيل دى روشـا للسيدة المنـومة روجيه . وكانت فى التاسعة والثلاثين من عمرها) : انت الآن فى الخامسة والثلاثين فمـاذا تعملين ؟

ج : أعمل فى صناعة الحرير ، ولا احبها .

س : أنت الآن فى الثلاثين فقط ، فماذا تعملين ؟

ج : فى صناعة الحرير .

س : انت الآن فى العشرين فماذا تعملين ؟

ج : أنا مع والدىَّ ، وأعرف رجلاً أعتقـد أننى سأتزوجه لكننى لست متمسكة به كثيراً ، انها أمى هى المتمسكة به ولست انا .

س : وماذا يدعى ؟

ج : اندريه André .

س : هل يعجبك ؟

ج : الى حد ما .

---

(١) من أهم عناصر نجاح مثل هذه التجارب براعة المنوم المغناطيسى فى فنه وطول خبرته . بالاضافة الى ملكة خاصة ينبغى ان تتوافر فى الشخص المنوم . حتى يطفو عقله الباطن الى مستوى الشعور أثناء الغيبوبة المغناطيسية .

س : ماذا يعمل ؟
ج : عامل بالأجرة عند ساعاتى .
س : هل تعرفين السيد بوفيبه (المنـوم) من ليون ؟
ج : كلا .
س : ومع ذلك فهو معروف جداً فى ليون بوصفه منـوماً قديراً .
ج : لا أعرفه .
س : (من السيد بوفيبه) ماذا كنت تعملين عندما كنت فى الثانية عشرة من عمرك ؟
ج : أطهو الحساء .
س : أين تقطنين ؟
ج : شارع بلفدير ، ٤ حديقة بيساردون (4 Clos Bissardon) مع ابى وامى .
س : هل أنت سعيدة ؟
ج : انهم يؤنبوننى كثيراً .
س : هل تذهبين الى المدرسة ؟ واين هى ؟
ج : مدرسـة الآنسات حيث توجد الآنسة روز Rose والآنسة اجات Agathe ...

ثم يقوم بوفيبه بارجاع ذاكرة المنـومة الى مرحلة الحمل ، ثم الى ما قبلهـا .

س : ماذا تعملين فى الفضاء ؟
ج : السياحة .
س : ما شكلك ؟
ج : فتاة شابة .
س : هل ترين اشياء من حولك ؟
ج : لى رفيقات ، واراهنَّ ضاحكات .
س : هل لديهن تكوين جثمانى ؟
ج : تبدو أحياناً لهن أشكال أطول منى ، وأسعد منى .
س : هل لك مدة طويلة وانت على هذه الحال ؟
ج : نعم وقت طويل بما يكفى .
س : وماذا انت ؟
ج : أنا آنسـة .
س : هل عشت على الأرض ؟
ج : نعم وقد قالوا لى اننى غادرت جسدى .
س : وكم كان عمرك (وقت مغادرته) ؟

ج : ١٩ عاماً وبضعة شهور .

س : استردى جثمانك لانك تبلغين التاسعة عشرة فقط من عمرك .

ج : وعندئذ تتذمر المنوّمة ، ويبدو عليها الالم مع صعوبة التنفس.

س : أنت تعامين انك مريضة ، فهل ذلك منذ مدة طويلة ؟

ج : منذ ثلاثة سنوات .

عن التجسد الأول (السابق مباشرة على تجسدها الراهن) :

س : ما اسمك ؟

ج : مادلين Madelèine .

س : ماذا تعملين فى السادسة عشر من عمرك ؟

ج : لست سعيدة ، ويبدو لى أننى لن أعيش طويلا .

س : اسمك مادلين ، وما هو اسمك الثانى ؟

ج : مادلين بوليبه M. Baulier .

س : فى أى عام نحن ؟ (أى فى أى عام انت تشعرين الان ؟)

ج : فى سنة ١٧٢٤ .

س : ماذا تفعل أسرتك ؟

ج : تتجول .

س : هل تتجول للترفيه أم للتجارة ؟

ج : للترفيه .

س : وانت ماذا تعملين ؟

ج : اتجول أحياناً مع أسرتى ، واحياناً اخرى أمكث مع والدىّ الطيبين .

س : وأين يقطن والداك الطيبان ؟

ج : فى مونبلييه Montpellier .

س : فى أى شارع ؟

ج : شارع سانت ايلير Saint Hylaire .

س : هل يوجد رقم على المنزل ، أم ثمة أشجار امامه ؟ ... اعطنا أية علامة حتى نتعرف عليه (١) .

ج : توجد أشجار امامه .

س : ماذا تعملين ؟

ج : أتعلم التطريز والغناء .

س : هل تذكرين أيام شبابك ؟

ج : لا اذكرها جيداً .

---

(١) أى هل كان منزلكم داخل المدينة ، أم خارجها فى الريف مثلا .

وفى هذه اللحظة بدا عليها مظاهر البحث عن شىء ، وقالت انها تريد أن تعمل .

س : فى سن العاشرة ماذا كنت تعملين ؟

ج : ألعب مع رفاقى .

س : ما اسم والديك ؟

ج : بولييه ، وهما متقدمان فى السن ، وجدتى بيضــاء تماماً ، وهم مرضى .

س : ماذا يعمل والداك ؟

ج : يجولان فى المدن الكبرى .

س : هل يعملان فى التجارة ؟

ج : يعملان فى التجارة قليلا ، وتجوالهم بالأكثر للترفيه ...

س : فى سن السادسة ماذا تعملين ؟

ج : ألهو . وبدا عليهــا انهــا تلقى شيئاً ، وتطلب أن يلقى لهـا « البالون » ، كما بدا عليها ضيق الصــدر والغضب عند التأخير . وفى سن الثالثة أخذت تطلب الحلوى بالحاح . وفى سن الواحدة أخذت تحطم كل شىء يعطى لها وبدا عليها سوء الطبع . وفى سن الستة أشهر أخذت فى البكاء ، وفى اتخاذ مظهر العناد . وفى رحم الأم أخذت وضع الجنين ...

عن التجسد الثانى (للوراء)

س : ماذا تفعلين كروح ؟

ج : أنا أتنزه طيــلة الوقت ، وأرى أقاربى وأصــدقائى الذين لا يروننى (لأنهم لا يزالوا فى عالم المــادة) . كمــا أتمنى أن أرى خطيبى لويس الذى سبقنى الى عالم الروح لكننى لا أجده .

س : هل ترين جثمانك ؟

ج : اننى أرى جثمانى كآنسة فى مقبرة فى بريانسون Briancon

س : هل شاهدت نفسك فى لحظة الاحتضار ؟ (١)

ج : لقد رأيت نفسى بنفس الشكل .

س : انت تغادرين جثمانك (عندئذ أخذت المنــوَّمة فى الســعال بكثرة ، ومرت بحالة الموت ، ومال الجسم للوراء ، وأصبح بارداً) .

س : انت تعينسين من الناحية المــادية ، فما هو عمرك ؟

ج : ٢٥ عاماً .

س : فى أى عام انتِ ؟

---

(١) الاشارة الى انسلاخ الجســد الأثيرى من المــادى فى لحظة الاحتضار ، حيث قد يشاهد بعض المحتضرين أجسادهم المــادية .

ج : ١٨٦٠ .

س : ما اسمك ؟

ج : مرجريت ديشين Marguerite Duchesne .

س : فى أية سنة ولدتِ ؟

ج : فى سنة ١٨٣٥ .

س : ما اسم أبيك ؟

ج : لويس ديشين .

س : ماذا يعمل ؟

ج : صاحب تجارة بقالة بشارع الثكنة .

ثم أخذت فى السعال ، وشكت من صدرها وقلبها .

س : ماذا يؤلمك ؟

ج : أنا مريضة تماماً ، ويقولون ان داء الصدر قد يقضى علىَّ ، وأنا فى عذاب .

س : انت اذاً تتعذبين ، فما هى العلة ؟

ج : كنت احب جندياً شاباً لكنه توفى .

س : ما اسمه ؟

ج : لويس — جيل مارتان Louis - Jules Martin آه ايا لويسى العزيز .

س : أين كان جندياً ؟

ج : فى بريانسون .

س : هل كان من بريانسون ؟

ج : كلا بل كان من مرسيليا .

س : انت الآن لا تتجاوزين العشرين من عمرك ، فماذا تعملين ؟

ج : أفكر فى لويس مارتان .

س : وفى الثامنة عشرة ماذا تعملين ؟

ج : أساعد والدىَّ فى تجارة البقالة .

س : وفى الخامسة عشرة ماذا تعملين ؟

ج : تركت مدرسة « راهبات الترينيتيه » التى احبها كثيرا .

س : وأين تقع هذه المدرسة ؟

ج : بشارع جارجوى Gargouille (١) .

س : وفى سن الثامنة ماذا تعملين ؟

---

(١) يقول دى روشا انه اتضح فعلا انه توجد فى بريانسون مدرسة للبنات الصغيرات تديرها راهبات الترينيتيه تقع بشارع جارجوى .

ج : اذهب الى راهبات شارع جارجوى ...
س : وفى سن الثانية ؟
ج : لا أريد أن اذهب الى شقيقتى ...
س : وفى سن الواحدة ماذا تعملين ؟
ج : أجلس على ركبتى والدتى تدللنى .
وبعدئذ عجزت المنـوّمة عن الاجابة ، فجعلها المنـوّم السيد بوفييه تسترد قـدرة الرؤية بدلاً من أن تعيش ماضيها ، وأخـذت فى الاجابة كانسان واعٍ تماماً لمـا يجرى فى طفولته .
س : ماذا تعملين فى سن ستة شهور ؟
ج : اننى مريضة تماماً ، وكان عندى تشنجات .
س : ما نوع هذه التشـنجات ؟
ج : يقولون اننى أتلوى .
وهنـا يجعلهـا السيد بوفييه تتقـدم فى العمر الى سبعة شهور ويسألها : ماذا تعملين ؟
ج : يضعوننى فى المـاء لعلاجى ويقولون اننى عصبية تماماً .
س : وفى سن الشهرين ماذا تعملين ؟
ج : لقد وضعوا علىّ غطاءً ثقيلاً ...
س : لا زلت جنيناً فى بطن أمك ؟
ج : الدنيا ظلام . وهنا اخذت المنـوّمة منظر الجنين الموجود فى بطن الأم ، وانطوت تماماً على نفسها . وبعد الايحاء اليها بتمام خمسة شهور من الحمل فردت نفسها قليلاً ، لكنها ظلت بلا حراك ، وذراعاها ساقطان الى جوارها ، ملقية ظهرها على « الفوتيل » وتبدو بلا حياة .

عن التجسد الثالث .

وهكذا تسير التجارب حتى تنتقل السيدة المنـوّمة الى حياة ثالثة لها فى سنة ١٧٨٠ كانت فيها رجلاً باسم جيل روبير Jules Robert ، ولد فى سـان بيير Saint Pierre بالقـرب من بريانسون وكان والده مزارعاً ، وتوفى فى سن الثانية والأربعين .

واعطى « هذا الرجل » بيانات دقيقة كثيرة منها اسم قس الناحية انطوان Antoine ، وصاحب المزرعة بارنو Barnéoud . وقال انه عمل فى صناعة الأحذية وفشـل فيها ، ثم عمـل بائع جرائد . ولمـا سئل عن اسم الجريدة قال جريدة « الاستمرار » La Durance ، وقد اتضح فعلاً وجود جريدة محلية بهذا الاسم كانت تصدر فى «الألب العليا» فى وقت الاختبار . كما عمل فى بقالة فى بريانسون ، وعمل مساعداً لنحات معروف

فى ميلانو يدعى باولى Paoli كان يصقل له الرخام . ووصف بعض قطعه الفنية . وقال انه كان بائساً ، وتوفى فى ميلانو بمرض السل .

عن التجسد الرابع

وفى وجوده الرابع يقول انه كان انثى من جديد ، واسمها جينى ليدوفيك Jenny Ludovic وانها تزوجت أوجست ليدوفيك Auguste Ludovic الذى كان يعمل حطّاباً فى بلورميل Plouermel وانهـا أنجبت طفلين : أوجست ، وجان . ويبدو أن جينى هذه توفيت فى سنة ١٧٠٢ بسبب ولادة متعسرة وكانت فى الثلاثين من عمرها .

وأعطت جينى تفصيلات كثيرة عن طفولتهـا قائلة انها لم تشـاهد والديها ، وكفلها عمها الذى كان يعمل عطاراً ... كما قالت ان زوجهـا كان ارملاً ، وله ولدان من زوجته الأولى آلان Alain وايفون Yvonne وقالت انها كانت تجمع النباتات والأزهار النادرة اللازمة لعطارة عمها .

عن التجسد الخامس

أما الوجود الخامس لهـذا الشخص فينتمى الى الذكورة باسـم ميشـيل بيرى Michel Berry . ويقـول انه ولد فى مونتمورانسى Montmorency فى سنة ١٤٩٣ . وانه منذ العاشرة من عمره عمل خادماً بالبلاط الملكى وروى عـدة تفاصيل عن عمله ، وقال انه فى العشرين من عمره حلم بأن سويسرياً طعنه طعنة قاتلة بخنجره .

وأنه كان أزرق العينين ، أشقر الشعر ، جميل الملامح ، وموضع تودد النساء . كما روى مغامرات غرامية مع شارلوت دى مونتمورانسى ، وديان دى كوسى Diane de Coucy عندما كان يعمل فى خدمة والدها فى بلوا Blois . ثم انضـم الى حرس الملك ، واشترك فى حرب ضـد السويسريين تحقق فيهـا الحـلم الذى سبق أن رآه ؛ وكان عند ذاك فى الثانية والعشرين من عمره : —

س : وفى أى مكان أصبت بجرحك القاتل ؟
ج : فى مارينيان Marignan سنة ١٥١٥ .
س : وفى اى جانب كنت تحارب ؟
ج : مع الفرنسيين ، وتحت امرة فرانسوا Francois .
س : اى فرانسوا ؟
ج : فرانسوا سيدى ورئيسى ، وبحق الله ملك فرنسا .
س : وما اسمك ؟
ج : ميشيل بيرى .

س : ومن ذا تحارب ؟
ج : أولئك السويسريين الخنازير .

عن التجسد السادس

وبعدئذ يقوم دى روشا باحياء الوجـود السابق ، أى السادس فى هذا التسلق الزمنى المذهل ، فاذا بهذا الوجود متعلق بفتاة شابة تدعى مارييت مارتان Mariette Martin مرت على الأرض مروراً عابراً ، اذ توفيت فى العشرين من عمرها .

وقالت انهـا ولدت فى سنة ١٣٠٢ . وعند سؤالها عن اسم الملك المعاصر أجابت : « لا أعلم ، لكنهم يقولون أن اسمه فيليب الجميل » . واعطت عن طفولتها بيانات قليلة ، منها أن والدها يصنع رسوماً لوضعها فى الغرف ، وأنه يعمل لحساب الملك . وأنها تذهب الى المدرسة ، وتعذر تماماً الحصـول منها على أية بيـانات عن الفترة من ١٢ الى ١٦ سنة ، وان كان يبدو أنها كانت تعانى من مرض خطير .

وفى الثامنة عشر تقول انها شابة وصيفة تقيم عند « الكونتيسة » جيز Guise التى عهدت اليها بتعليم أبناء شقيقها . وفى التاسعة عشر تلتقى بمن يدعى جاستون Gaston وتزمع الزواج منه ، لكن خطيبهـا يروح ضحية حادثة سقوطه من على ظهر فرسه . فتمضى عامها الأخير فى فان Vannes عند والدة جاستون كمعلمة ، وتقضى بعد معاناة آلام ضـخمة .

عن التجسد السابع

أما الوجود السابع لهـذا الشخص فهو أغنى من هذا بالبيانات . وأغرب ما فى الموضوع أنه عندما كان دى روشا يدفعه الى تخطى الحاجز بين هـذا الوجود وسابقه كان يبـدو عليه عدم التنبه الى أنه قد غادر جسده المـادى . ويقول انه يعمـل رئيسة دير ، وأنها توفيت فى سنة ١٠١٠ ، وكانت فى السابع والثمانين من عمرها .

وعندما سئلت عما كانت تفعله فى سن السابع والسبعين قالت ان ذلك يقع فى سنة ١٠٠٠ ، وأن العرافين قد تنبأوا بقرب يوم القيـامة ، وبوفاة جميع البشر لذا كان الذعر عظيماً .

وتقول ان اسمها كان لويز دى ماراى Louise de Mareuil ، وأنه

كفلها عمها الفيكونت دى ماراى . ودخلت الى دير ســان دنيز Saint Denis عندما كانت فى الثامنة عشر ، وترهبت فى العشرين وأصــبح اسمها الأخت مارتا Marthe . وكان رئيس الدير قس كهل يدعى الأب لوتى Lotty فى السبعين من عمره ...

وبعد عشرة أعوام أخرى لا تزال فى الدير ، وتصبح عشيقة للرئيس الجديد للدير الأب شوازيل Choiselles ، وتتحمل تأنيب الضمير بسبب ذلك .

وفى الستين تصبح رئيســة للدير ، وعليهــا الاشراف على فتيات شابات من أسر عريقــة وتحاول أن تضمهن للدير بكل السبل ، وبينهن بلانش من باريس التى تؤكد أنها أودعت فى الدير بأمر الملك نفسه .

س : أى ملك ؟

ج : الملك كابت Capet (١) .

س : ولمــاذا أمر الملك بايداعها ؟

ج : حتى يستولى شقيقها روبير على كل مالها

ويبــدو من تأنيب ضميرها أنهــا كانت سبباً فى آلام هاته الفتيات الشابات ، وأنها كانت حارسة عليهن وتمنعهن من مغادرة الدير . وظلت كذلك الى أن توفيت .

س : هل تستطيعين أن تخبرينى عن اسم الملك ؟

ج : انه روبرت الثانى .

س : وحينما كنت فى السبعين من عمرك من كان الملك ؟

ج : كابت Capet .

س : وفى الستين ؟

ج : لويس الرابع .

س : وفى سن ٣٦ ؟

ج : لويس الرابع ، ويقولون انه رجل ليس جميل المنظر ، فهــو سمين متورم ولم أره قط .

س : وحينما كنت فى سن ٢٤ فماذا كانت السنة ؟

ج : ٩٤٧ ميلادية .

---

(١) لقب الملك هيج Hugues ، وهو اول ملك من السلالة الثالثة ثم اصبح لقباً لكل ملوك هــذه السلالة التى انتهت بحــكم لويس السادس عشر الذى أعدم فى الثورة الفرنسية فى سنة ١٧٨٩ .

س : ومن كان الملك ؟
ج : لويس الرابع .
س : وحينما كنت فى سن الخامسة عشرة ؟
ج : هو نفسه لويس الرابع .

عن التجسد الثامن

وعندما يتابع دى روشا استكشافه لماضى هذا الشخص خلال حيواته المتعاقبة يصل الى وجوده الثامن على الأرض الذى يقع فى سنة ٤٤٩ . وعندئذ يفرك الشخص عينيه بعنف ويبدو متألماً منهما . وبسؤاله يبين أنه محارب متطوع اسمه كارلوميه Carlomée وانه وقع اسيراً فى قبضة اتيلا Attila فى معركة «شالون سير مارن» Chalons Sur Marne حيث احرقوا عينيه .

وعندما سئل عن السبب اقتصر على القول بأن هذا هو ما أعجبهم مشيراً بذلك الى ملوك « الهون » (١) . وقال أيضاً أنه لم يكن محارباً بسيطاً ، بل قائداً ، ولذا نكلوا به . وأن رئيسه ماسويه Massoée كان بدوره مرؤوساً لمن يدعى ميروفيه Mérovée الذى كان قائداً للقواد .

فسأله دى روشا عما اذا كان يعرف الله ، فأجاب : « يوجد واحد فوق الجميع هو ثيوس Théos » .

س : كيف تعبدونه ؟
ج : يقدمون له الرجال الذين يحرقونهم أحياء ، وهذا جميل جداً !

وسئل عن سنى مراهقته وطفولته فكانت الاجابات عادية . وحدد اسم والدته بانه لى كارلوميه Li Carlomée ، وانه ولد فى البينو Albinos على نهر التورن Le Tourn .

عن التجسد التاسع

وعندما تبدأ استثارة الوجود التاسع يبدو على الشخص الألم الشديد ، وتبدو قبضتا يديه ـ اللتين وضعهما الواحدة فوق الأخرى ـ كما لو كانتا مقيدتين ، ويحاول الخروج من قيوده ، وعندما يسأل عن مصدر آلامه يقول انه يحترق ، وقد أصبحنا فى سنة ٢٧٩ .

---

(١) شعب همجى من أصل فنلندى أو تتارى قدم من شواطىء بحر قزوين ، وغزا بلاد الغال La Gaulle (فرنسا القديمة) بقيادة قائده اتيلا فى حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى .

روبرت الثانى : ٩٩٦ — ١٠٣١ .
لويس الرابع : ٩٣٦ — ٩٥٤ .
أتيلا : ٤٣٤ — ٤٥٣ .

وبمقارنة هذه التواريخ بتلك التى ذكرتها السيدة وهى واقعة فى التنويم المغناطيسى اتضح أنها تكاد تكون متطابقة عدا حالة أو اثنتين فى حياتيها السادسة والسابعة ، فان التواريخ تختلف عن الواقع ببضع سنين فقط ، وهذا أمر طبيعى اذا روعى البعد السحيق لهذه التجسدات عن الحياة الحالية .

كما أن تكرار نفس الاختبارات عدة مرات كثيرة مع الشخص الواحد أدى الى اعادة سرد نفس التجسدات بترتيبها الزمنى الذى سبق بيانه ، وهو ما يتعذر تعليله عند القول بأن هذه الوقائع من محض الخيال . كما يتعذر تعليله أيضاً عند القول بأن هذه الشخصية — وهى فى غيبوبتها المغناطيسية — كانت واقعة تحت تأثير كائنات غير متجسدة تروى عن طريقها ذكرياتها الأرضية الخاصة .

ذلك أنه فى هذا الفرض الأخير — يكون تعاقب الأرواح كيفما اتفق ، ولا يتبع تسلسلا زمنياً معيناً . وعند تكرار التجربة بجىء تعاقب جديد بوقائع جديدة تماماً وهو ما لوحظ فى جلسات الغيبوبة الوساطية عندما يقع الوسيط أو الوسيطة تحت تأثير هيمنات مختلفة فى الجلسة الواحدة ، أو فى عدة جلسات متعاقبة حيث تتنوع الوقائع تنوعاً ضخماً ، ولا تتبع تسلسلا ثابتاً ، ولايمكن اعادة الوقائع بنفس تفاصيلها وترتيبها ، ولو كان الوسيط لم يتغير .

وذلك على عكس ما حدث فى الحالات التى قدمها دى روشا والتى بلغت ١٩ حالة روى بعضها لغاية أحد عشر وجوداً على الأرض على النحو الذى بينته ، وثبتت صحة العديد من البيانات عن العناوين ، والأسماء ، بوسائل التحقيق المادى ، وان كان الخطأ هنا محتملا أيضاً ، ولذا لم تثبت صحة البعض الآخر من البيانات المملاة خصوصاً ما تعلق منها بالتواريخ اذ غالباً توجد فيها أخطاء لسبب مفهوم وهو أن الانسان ينسى عادة حتى ما يتصل بتواريخ وجوده الحالى فما بالك بحيواته السابقة ؟ ! ...

واذا أضيفت الى ذلك الثقة المستمدة من سمعة دى روشا كباحث ممتاز ذى نزعة علمية تماماً ، لتبين لماذا لا تزال لاختباراته ، ولنتائجها ،

قيمتها القصوى ، وقد تابع آخرون نفس الأسلوب ، وحصلوا على نتائج مشابهة لتلك (١) .

وقد كانت تجارب دى روشا موضع عناية من « المؤتمر الروحى الدولى » الذى عقد بباريس سنة ١٩٠٠ . وقد أكد بعض المؤتمرين انهم حصلوا على نتائج مشابهة لنتائجه منهم اثنان من المختبرين الأسبان هما فرنانديز كولافيدا Fernandez Colavida ، واستيفا ماراتا Esteva Marata (٢) .

كما تناولها بعض المعلقين بالتحليل العلمى بالعناية التى تستحقها أمثال هذه الظواهر النادرة التى قد يتصورها البعض بالنظر لندرتها « تافهة » مع أن لها أكبر القيمة فى محاولة استكشاف مجاهل اللاشعور ، وما أوعرها من مجاهل . ومن هؤلاء الأخيرين الدكتوران سولييه Sollier وكومار Comar فى « المجلة العلمية والأدبية للروحية » (٣) .

فلا ينبغى أبداً أن تهدر دراسة أية ظاهرة بحجة أنها نادرة أو تافهة متى ثبتت صحتها على وجه اليقين : ولمجرد الذكرى من كان يتصور منذ قرن واحد فقط أن ملاحظة ظاهرة « تافهة جداً » وتنجم عن احتكاك الكهرمان بالصوف يمكن أن تكون مصدراً لاكتشاف أعظم طاقة فى الوجود وهى الكهرباء ؟ ! ومن كان يتصور عندئذ أن هذه الكهرباء يمكن أن تستخدم على النحو الذى نلمسه حالياً ، وانه بدونها تظلم جميع المدن ، وتتوقف جميع الصناعات ، وتنقطع جميع سبل المواصلات والارسال السلكى واللاسلكى ... ، وتزول أخطر معالم الحضارة المعاصرة كلها ؟ !

---

(١) وروى لنا أكثر من منوم مصرى انه حصل فى تجاربه فى التنويم المغناطيسى على نتائج مشابهة لهذه ، لكنه لم يبينها فى أوراقه ، أما فى الخارج فقد تعودوا اثبات أمثال هذه الأمور البارزة بدقة تامة للتحقق منها ، وللرجوع اليها وقت اللزوم .

(٢) راجع اعمال هذا المؤتمر ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(٣) La Revue Scientifique et Morale du Spiritisme juillet et Aout 1904

المطلب الثانى

من اختبارات باحثين متعددين
فى موضوع ارجاع الذاكرة

تنويم مغناطيسى مع استحواذ وعودة للتجسد

روى المنـوئم المغنـاطيسى بوفييه Bouvier الذى ساعد الكونت دى روشا فى تحقيقاته التى تحدثت عن بعضها فى المطلب السابق أنه عثر على وسيطة ممتازة تدعى ايزيدور ل .Isidore L فكانت فى غيبوبتها تحدث ظواهر الطرح الروحى أو الخروج من الجسد بالاضافة الى ظواهر الخضوع لهيمنة كائن آخر لم ينفصل عن جسـده المـادى بعـد .

ويقول بوفييه أن هذه الوسيطة كانت « مسكونة » ــ فى معنى ما ــ بشخصية أخرى كانت تعبّر عن نفسها عن طريقها وكان المنوئم يعتقد فى مبدأ الأمر أن الاستحواذ كان لشخصية « موفاة » ، لكن اتضـح له أنه لامرأة لا تزال على قيد الحياة ، كانت تقرر أنها مريضة جدا ، وأنها تنتهز فرصة غيبوبتها المرضية لكى تغادر جسدها وتأتى الى جلسات التنـويم المغناطيسى التى كان بوفييه يعقدها .

وكانت هذه الشخصية الأجنبية تظهر نفسها يوميا خلال شـهر كامل ، وافصحت عن نفسها قائلة انها روح فتاة تدعى انا سـتازى ن . Anastasie N. ، وأنها تقيم فى دير حددته ، منتظرة خلاصها الأخير من الأغلال القاسية التى تربطها بهذا العـالم وكانت خلال هـذا الشهر تروى ما يحدث لهـا ، قائلة ان نهايتها قد اقتربت مع ذلك . كما قالت له ان شـقيقاً للوسـيطة قد توفى حديثاً ورجتـه الا يخبر شـقيقته الوسيطة ، وهو ما تحقق حيث تلقت الوسيطة بعد بضـعة أيام من تلك الحادثة ما يفيد نبأ وفاة شقيقها .

واخذ بوفييه يتحرى عن السيدة المريضة التى كانت تستحوذ وهى فى غيبوبتها على وسيطة التنويم المغناطيسى وهى فى غيبوبتها فاتضحت له صحتها ، وتوصـل الى عنوان أسرة هـذه السيدة بميدان لافاييت Lafayette بمدينة روان .

وبعد مضى شهر من الاتصالات اليومية أعلنت اناسـتازى ما يلى : « وقع الأمر ، وفى هـذه المرة جئتكم وقد غادرت جسـدى منذ فترة قصيرة ، ولم أجئكم قبل الأوان ، لأن العبء عنـدكم اكثر مما ينبغى ،

ولكننى لست مع ذلك حرة لوقت طويل ، لأننى ارى اننى سأعود قريباً للتجسد مرة أخرى ، وهذا أمر لا يرضينى ، لكنه ضرورى » .

وبعد مداولات طويلة مع الروح حول ظروف عودتها للميلاد وحول البيئة التى ستوجد فيها ، قالت انها ستولد من جديد بمدينة ليون حيث كانت تجرى تلك الاختبارات ، فى أسرة عيّنتها عنوانها ٢٠٤ شارع بوالو Boileau ، وفى نفس جنسها السابق ، وأنها ستحيا فحسب لمدة بضعة شهور ستغادر الأرض بعدها لكيلا تعود اليها ثانية .

وكانت هذه الأقوال سبباً فى زعزعة بوفييه من شكوكه فاخذ يراقب الأسرة التى عيّنتها أناستازى . وفى جلسة معينة حددت أناستازى تاريخ عودتها للتجسد بأنها ستكون فى خلال ثلاثة شهور تقريباً ، وأنها بالتالى ستولد فى حوالى عام مقبل ، وأن الأحداث ستتحقق الى الحد الذى سيتمكن بوفييه معه من التأكد من حدوثها .

وتوقفت الاتصالات مع تلك الروح بعد مضى حوالى ثلاثة شهور . وبعد خمسة أو ستة شهور لاحقة ، لاحظ بوفييه حدوث أعراض حمل لدى سيدة صغيرة فى نفس الأسرة التى عيّنتها أناستازى . وبعد مضى عام من التخلص من الجسد ، وتسعة شهور من الاتصالات الأخيرة مع أناستازى ، ولدت فى نفس الأسرة ، وفى نفس الظروف التى سبق الارشاد عنها طفلة صغيرة أودعها أهلها فى دار حضانة بمونتلى Montluel عاشت فيها لمدة أربعة شهور ثم توفيت ، ومنذ تلك اللحظة اختفى كل أثر لتلك الشخصية ، ولم يسجل عنها شيئاً مطلقاً .

* * *

وليست هذه هى الحالة الوحيدة التى سجلها بوفييه من هذا النوع ، بل يقول انه حضر جلسة روحية مع بعض آنسات من جاراته ، وسجل فى احداها أن روحا اتصلت بهم بوصفها صديقة للوسيطة تدعى بولين ر. Pauline R. كانت تقيم معها فى بنسيون فى سالان Salins ، واعطت تفصيلات لم تدع أى شك فى صحة شخصيتها ، لكنها بطبيعة الحال لا تقنع خصوم الروحية ، اذ من الجائز أن يقال ان الوسيطة قد تخيلت تلك الوقائع بصورة شعورية أو لا شعورية .

والأمر الغريب فى الموضوع أن تلك الروح أعلنت أنها ستعود للتجسد قريباً فى أسرة عيّنتها تعرفها الآنسات الحاضرات ، ولكنهن استغربن جدا ، لأنه بحسب معلوماتهن لم يكن يوجد فى تلك الأسرة سوى

شاب صغير لم يكن يبدو عليه أنه بسبيل الزواج . ومع ذلك أصرت الروح على أقوالها قائلة انها ستولد فى نفس جنسها السابق ، ولكن سيكون عليها أن تتألم كثيرا بسبب اعتبارات خاصة ، لم يجد بوفييه نفسه فى حل من نشرها علانية .

وبعد عدة شهور من ذلك الاتصال تزوج الشاب الآنف الاشارة اليه . وبعد عشرة شهور أو أحد عشر شهراً ولدت له طفلة مصابة بالتهاب فى مفاصل الحوض . وعندما نشر بوفييه موضوع هذا الاتصال كانت المولودة قد أصبحت فتاة صغيرة مضعضعة الصحة ومصابة بداء خطير فى القلب (١) .

وعلى العموم لا ينبغى الخلط بين ظواهر ارجاع الذاكرة للوراء . واستحواذ كائن اجنبى على وعى الوسيط ، فبين الظاهرتين فروق واضحة سنعود الى بيانها فيما بعد ، كما سنعود الى موضوع الاتصالات الروحية وظاهرة العودة للتجسد ، والى موقف تلك الاتصالات من نفس الظاهرة أو بوجه خاص من ناحية آراء الباحثين الروحيين المعروفين والأرواح المراسلة الراقية .

اختبار له مغزاه لأميرين بولنديين

وروى أمير بولندى كان معنيا بالبحوث الروحية هو الأمير ويزنيسكى Wisznienwski انه كان فى سياحة مع الأمير جاليتزين Galitzin وعند مرورهما بأحد شوارع مدينة .... قابلا امرأة تتسول وهى فى أسمال بالية ، ولاحظ جاليتزين — الذى كان يجيد التنويم المغناطيسى — نظرة غريبة فى عينيها اجتذبت انتباهه ، فدعاها لتناول العشاء ، وبعد ذلك دعاها للتوجه معهما الى الفندق .

وبمجرد تنويمها صرخت بانها تملك اعترافاً خطيرا تريد الافضاء به ، وهى أنها كانت فى تجسدها السابق بايطاليا تدعى الكونتيسة .... بمدينة .... وتقطن قصرا ، وانها كانت متغطرسة ، وقاسية ، وسيئة السلوك . وأن زوجها توفى فى نظر الناس جميعاً من « حادثة » ولكن فى الواقع تسلقت معه الى قمة جبل بحجة الرياضة ، ومنها دفعته فسقط فى سفح الجبل قتيلا محطماً . وأفلتت من العقاب ، لكنها عادت فتجسدت فى ظروف أليمة من التعاسة الشديدة بحيث لا تجد الآن قوت يومها الا بأحط السبل ، وباستثارة شفقة الناس نحوها .

---

(١) Pierre Neuville : Ces Autres Vies que Vous Avez Pourtant Vecues (1970) p 170 - 172.

ولما كانت هذه « المتسولة » قد قدمت بيانات محددة جدا ، توجه الأميران ومعهما المرأة المتسولة الى مسرح الواقعة التى روتها ، ولم يزودهما أحد بأية بيانات عنها ، وعندما كانا على وشك ركوب سيارتهما شاهدا مزارعا بلغ من العمر أرذله ، ولما سالاه عن الواقعة قرر لهما أنه عندما كان صبياً سمع الرواة يتناقلون هذه الواقعة ، وأرشدهما الى الصخرة التى سقط منها الكونت .... واضاف أن أشخاصا عديدين ظنوا السوء بالكونتيسة وأخذوا يتقولون عليها ، لكن لم تقم عليها أية دعوى (١) . وهكذا قد يفلت الانسان من عدالة الارض لمهارته فى اخفاء جريمته ، لكن هيهات أن يفلت من عدالة السماء ، ومهما طال به الأمد ....

من اختبارات بيير نوفيل

ومن البحاث المرموقين فى فرنسا حالياً بيير نوفيل PierreNeuville (ولد بباريس فى سنة ١٩١٠) ، وهو عضو « بأكاديمية رابليه » Rab.lais بدأ منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، يجرى بحوثاً مثابرة فى الظواهر الروحية ذات طابع علمى وعملى ، مما جعل مؤلفاته غنية بالوثائق عن النتائج العملية التى حصل عليها بنفسه .

وانتهى نوفيل من بحوثه الى الاقتناع بأن الانسان يتجاوز ولا ريب نطاق الحدود الفيزيقية التى نعرفها عنه : فكل شيء يجرى كما لو أنه — خارج الحدود التحكمية للمكان وللزمان — فان للانسان امتدادات فى كون يتجاوز ما نطلق عليه نحن وصف « الكون » ، ولا يتفق معه فى شيء . والانسان كائن متطور فى أجواء مجهولة من عالمنا ذى الأبعاد الثلاثة ، المستقل عن الآراء « العقلية » عن الماضى ، والحاضر ، والمستقبل .

فهل من الجائز الوصول الى تلك الأجواء ، والاتصال بها ، والدخول فى علاقات مع الكائنات التى تتحرك فيها ؟ هذا هو التساؤل الذى يشغل بال نوفيل منذ شبابه الباكر ، والذى دفعته محاولة الاجابة عليه الى وضع مؤلفات قيمة عديدة فى البحوث الروحية ، منها مؤلفات خاصة بالعلاج الروحى أشرت اليها فى الجزء الأول من « مفصل الانسان روح لا جسد » (٢) ؛

ومنها مؤلفات أخرى : مثل « مستكشفو العالم الآخر : الوسطاء

---

(١) عن بيير نوفيل . المرجع السابق ص ١٦٩ — ١٧٠ .
(٢) فى ص ٨٣١ منه .

وحياتهم » (١) ، ومثل كتاب « مارى ليز غير منظورة وحاضرة » (٢) بالاشتراك مع جيرمين بوجيت Germaine Beauguitte ذلك بالاضافة الى عدد من المؤلفات فى ميادين ذات صلة بالطب وبالصحة العامة منها « قاموس طبى عملى صغير » (٣) .

ومن أحدث كتبه واحد عنوانه « تلك الحيوات الأخرى التى عشتها رغم ذلك » (٤) (١٩٧٠) وفيه لا يجزم بحصول عودة للتجسد ، لكنه يقدم محض النتائج التى وصل اليها عن طريق اختباراته الخاصة فى موضوع ارجاع الذاكرة للوراء .

وبعد أن يلخص نوفيل النتائج التى تكشفت عنها تجارب دى روشا فى فرنسا ، وموري برنشتين فى أمريكا ، يسرد بعض النتائج التى وصل اليها هو فى الفصل الخامس وعنوانه « الاستكشاف الأول فى العالم الآخر المجهول » .

وقد أشرف نوفيل بنفسه على تلك التجارب التى كان يجريها منوّم مغناطيسى قدير يدعى أندريه ديبيل André Dupil وكان ينوّم الفتاة يشير اليها المؤلف باسم مستعار هو جيزلين Ghislaine كانت تروح فى سبات مغناطيسى بسرعة . ثم ظل المؤلف يستجوبها بالاشتراك مع المنوّم خلال حوالى أربعين جلسة تنويم جرت فى المدة من يوليه الى نوفمبر ، أى حوالى خمسة أشهر متتالية .

ماذا قالت جيزلين ؟

واخذت جيزلين تسرد تفصيلات دقيقة كان من المحال عليها أن تعرف شيئاً عنها بالسبل العادية . وهذه التفصيلات متعلقة بأحداث جرت فى بلادها فى المدة من سنة ١٨٧٢ الى سنة ١٨٩٨ ، ويبدو أنها كانت هى نفسها بطلة هذه الأحداث .

ومن بين هذه الأحداث انها قالت انها تدعى ميراندا Miranda وانها وُلدت فى ١٧ يونية سنة ١٨٧٢ ، وتوفيت فى بلدة سواسون Soissons (بالقرب من باريس) عندما كانت فى السادسة والعشرين من عمرها . وانها عندما كانت فى الخامسة من عمرها تركوها فى ملجأ للأطفال ، وانها لا تذكر شيئاً عن أبويها ، لكنها تعرف سيدة تدعى جان ديمزنيل jeanne Dumesnil تبنتها من هذا الملجأ واصطحبتها الى

---

(١) Les Explorateurs De L'Au Délà.
(٢) Marie - Lise Invisible et Presente
(٣) Petit Dictionnaire Médical Pratique.
(٤) Ces Autres Vies que Vous Avez Pourtant Vecues

منزلهـا بالقـرب من سواسون . وأنها كانت مصابة بالشلل منذ هـذا التاريخ . ووصفت بالتفصيل المنزل الذى كانت تقطنه ، وكيف انها كانت محل رعاية من طبيب ذكرت له اسمين وهما ديبوا Dubois ، وكيلبك Quelbec .

وقالت انهـا فى الثامنة عشرة من عمرها كانت لا تستطيع الوقوف وكانت تشكو من داء عياء فى القلب . وكان الطبيب العجوز يعودها يومياً تقريباً . وفى سن الخامسة والعشرين كانت تقيم فى مستشفى فى باريس نقلوها اليه بسبب حالة قلبها . وفى سن السادسة والعشرين عادت الى منزل أمها بالتبنى حيث توفيت من أزمة قلبية .

وأخـذت تروى ذكريات محـددة عن أحداث ذلك العصر ، وعن الأسعار المنخفضة التى كانت تشترى بهـا السلع مثل ثمن الجريدة ، وثمن رغيف الخبز ، وعن سبل الاضاءة ، وسبل المواصلات . وذكرت اسم احدى جاراتها وهى السيدة ديهامل Duhamel . كما ذكرت اسمين لجـارتين لها كانتا ترقـدان الى جوارها بالمستشفى ، كل على فراشها الخـاص ، وهمـا مادلين Madeleine الى اليمين ، والسيدة بواوير Porière الى اليسار .

ووصفت نفسها بأنهـا كانت شـقراء الشعر ، خضراء العينين ، لا ترتدى ملابس ثمينة ، ووصفت زيهـا بمـا يتفق تماماً مع أزياء ذلك العصر . كمـا ذكرت أن عمـدة الناحية كان يدعى بارو Barrault وأن كنيستها كانت تحمل اسم سان برنار Saint Bernard .

ويقول المؤلف انه لاحظ أن هذه الفتاة كانت لا تتعارض مع نفسها أبداً عند تكرار توجيه نفس الأسئلة اليها فى جلسـات متتالية لاحقـة ، وانهم كانوا يكررون توجيه نفس الأسئلة اليها للحصول منها على المزيد من التفصيلات . كما يقول انه حاول تحقيق صحة جميع البيانات التى ادلت بها الفتاة بالانتقـال الى سواسون لكنه تعذر عليه اجراء التحقيق على الوجه المطلوب بالنظر الى قـدم العهد بهذه الأحداث ولأن ملجـأ الأطفال الذى عينته رفض ذكر أية بيانات ، لأن التعليمات المتبعة فيـه تستلزم السرية المطلقـة عن أسماء الأطفال الذين كانوا يقيمون به وعن أسماء والديهم بالتبنى ، مهما تقادم العهد بهم .

مارى ليز غير منظورة وحاضرة

وفى الفصل السادس وعنوانه « مارى ليز Marie Lise غـير منظـورة وحاضرة » ، يروى نوفيل احداثاً اخطـر من هـذه وادق عن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جلسات أخرى للتنويم المغناطيسى جرت تحت رقابته الخاصة ورقابة السيدة اندريه بوجيت André Beauguitte وهى قرينة وزير فرنسى . وكان المنوم هو نفسه اندريه ديبيل ، وكانوا يدونون عنها مضابط دقيقة ، فى حضور عدد من الشهود منهم طائفة من الأطباء الذين كانوا يشتركون أحيانا فى استجواب الوسيطة المنومة . وكان التدليس محالا وروح البحث المحايد عن الحقائق تسيطر على الجميع ، الذين لم يكن لأى واحد منهم أية مصلحة فى أن تجرى نتائج التحقيقات فى اتجاه معين أو فى آخر ، خصوصا وكلهم من المنكرين للعودة للتجسد .

وكانت الوسيطة سيدة ريفية شابة من ناحية مو Meaux يشير اليها المؤلف باسم دنيز ك. Denise C. . وسردت هذه السيدة تفصيلات عديدة مذهلة عن حياة سابقة لها باسم مارى ليز كانت فيها ابنة لماريشال فرنسا فرانسوا جوزيف ليفيفر François - Joseph Lefebvre وهو أحد قواد الامبراطور نابليون الأول . وقالت انه توفى فى سنة ١٨٢٠ عندما كانت هى فى السادسة عشرة من عمرها .

وقد ورد فى قاموس « لاروس العالمى » Larousse Universel عن هذا الماريشال انه « دوق دانتزيج Dantzig وماريشال فرنسا . ولد فى روفاتش Rouffach وتوفى بباريس (١٧٥٥ — ١٨٢٠) . عمل فى الجيش الفرنسى وبرز فى فلبريس Fleurus واستولى على دانتزيج ببراعة فى سنة ١٨٠٧ . وكان محتفظا فى بلاط نابوليون باللهجة العامية لجندى ، لكن بصفات عالية من انكار الذات ومن الميول الانسانية ..

وكانت زوجته كاترين هيبشبه Catherine Hubscher أصلها غسالة ملابس من قريته ، لكنها امرأة شريفة تماما ذات أسلوب نشط وصريح ، وقد ذاعت شهرتها فى الروايات باسم مدام سان جين Madame Sans Gêne » .

وظلت دنيز هذه السيدة الريفية موضع استجواب دقيق متواصل عن حياتها السابقة تلك — باسم مارى ليز — على مدى ستين جلسة متتابعة للتنويم المغناطيسى بين شهرى اغسطس واكتوبر من نفس العام ، فأعطت فيها أدق التفصيلات عن الحياة فى عصر نابليون ، وكان من المحال على هذه الريفية الساذجة أن تعرف شيئا عنها بالسبل العادية للادراك .

وقد تكشف الاستجواب الدقيق لها عن حقيقة رهيبة وهى أنها كانت فى ذلك التجسد السابق ابنة طبيعية لهذا الماريشال — الذى

اشترك فى بعض حروب نابليون — وثمــرة علاقة غير شرعيــة بينه وبين شقيقة جميلة لنابليون تدعى بولين بونابرت Pauline Bonoparte قيل عنها فى بعض كتب التاريخ أنهــا كانت مستهترة . ولهــا مغامرات عديدة مع أكثر من عشيق .

وقد ورد فى قاموس لاروس — الآنف الاشارة اليــه — عنها أنهــا « تدعى مارى بولين ، وأنهــا ولدت فى أجاكسيو ، وتوفيت فى فلورنسا (١٧٨٠ — ١٨٢٥) وكانت ذات جمــال باهر ، وأنهــا تزوجت الجنرال ليكلير Leclerc فى سنة ١٨٠١ ، وبعــد ترملها تزوجت الأمــير كامى بورجيز Camille Borghèse (١٨٠٣) فأصبحت دوقة جاستالا Guastalla ، ثم انفصلت عن زوجها كيما تعيش على هواها بباريس أو روما » .

وعلى أية حال فالظــاهر من الوقائع أن المــاريشال ليفيفر أنشــأ علاقة غير شرعية مع مارى بولين هــذه ، وكانت الثمــرة هى تلك الفتاة مارى ليز ، التى أودعتها والدتها بمجرد ولادتها فى أحــد الأديرة وظلت بالدير فترة ما . وقد وصــفت فيها مارى ليز رئيســة ذلك الدير الأم كلوتيلد Clotilde التى كانت تحــذّرها من الســؤال عن مكان أمهــا فاعتقــدت أنهــا يتيمة الأم . كمــا وصفت صــديقة لهــا فى الدير كانت تدعى اليزابت .

وبعد فترة من اقامتها فى ذلك الدير ابتدأ المــاريشال يزورها هناك بملابســه المدنية . ولم تكن تعرف فى مبدأ الأمر أنه والدها الى أن فهمت ذلك فيما بعد .. لكنــه كان يصر على زيارتها بملابسه المدنيــة الى أن طلبت منه هى أن تكون الزيارة بملابسه العســكرية حتى تفتخر به بين لدّاتها من الطالبات المقيمات فى الدير .

ثم طلبت منه أن يصطحبها الى خارج الدير فى أيام الأعياد والأجازات اســوة بصــديقاتها ، فاســتجاب لهــا واصطحبها الى قصر كومبــو Combault حيث كان يقيم مع زوجتــه « المــاريشالة » التى عرفت قصته وغفرت له علاقته الآثمــة مع بولين بونابرت لأن الماريشالة كانت طيبــة القلب بمقــدار ما كانت ذكيــة وحكيمــة بحسب وصف مارى ليز .

وقالت ان والدها الماريشال كان يروى لها قصص الحروب التى خاضها مع نابليون ، وكان يشيد كثيرا بعبقريته الحربية . كما كانت زوجته الماريشالة تغدق عليها الكثير من النصح الحكيم ، وكانت اقل حماسا لنابليون من زوجها .

وفى اكتوبر من نفس العام عادت مارى ليز الى الدير ، لكن كانت فى جميع الأجازات والأعياد تغادره حيث تذهب لزيارة والدها فى قصر كامبو ، أو فى مقره بباريس فى شارع « كونفنسيون » Convention . ثم يجرى التاريخ فى مجراه وتنهار امبراطورية نابليون ، ويعود آل البوربون les Bourbons الى عرش فرنسا .

وفى يوم معين تخبرها رئيسة الدير أن والدها مريض فى خطر وانه أرسل يستدعيها لرؤيته ، فتوجهت الى مقره بباريس حيث وصلت قبيل الاحتضار لكنه أدرك وجودها الى جواره ، واخذ يزجى اليها نصائحه عن ضرورة التحلى بالطيبة ، وبالأمانة ، وبالبر ، وكانت تستمع اليه فى أسى، وفى انفعال .

* * *

ويلاحظ نوفيل أن فكرة الزمان والمكان كما نتصورها تبدو غريبة تماماً على أذهان الكائنات التى نستجوبها ، فلا ينبغى أن نعلق اهمية أكثر مما ينبغى على التواريخ فى مثل هذا النوع من البحوث ، لأنها تخطىء فيها كثيرا ، وهذا امر متوقع لاننا نخطىء كثيرا حتى فى التواريخ المتصلة بأحداث وثيقة مرت بنا فى حياتنا الراهنة .

ويقول ان المنوم اندريه ديبيل حاول فى احدى الجلسات أن ينصب فخاً للوسيطة فى غيبوبتها لما بدأت تسرد قصة حياتها عندما بلغت الثانية والعشرين من عمرها وانتقلت للاقامة عند الكونتيسة دى شفينيه de Chevigné فى قلعة بورسو Borsault فى مقاطعة المارن Marne وكان هذا الفخ كالآتى : —

— عندما كنت تقيمين مع الكونتيسة هل كانت تستخدم التليفون ومع من ؟

— الكونتيسة لم تكن تتكلم فى تليفون ... بل كانت ترسل تابعا يحمل خطابا الى شخص يركب فرسا هو الذى كان يوصل خطاباتها .

وفى خلال جلسة اخرى اعطت مارى ليز فى دقة مذهلة اوصافا لقلعة بورسو ، وجرى الحديث كالآتى : —

— أنت تتحدثين عن بورسو ، فصفى لنا القلعة ، واذكرى لنا السنة التى نعيش فيها (أى فى ذلك الوقت) .

— انهــا بجوار كنيســة ... وكانت مملوكة لبــارون ... وهى قلعــة قديمة ، ومملوكة الى أسرة الدوقة آن Anne ، ولقد شاهدت قلعة أخرى تشيد فى الحديقة ... وكان ذلك فى سنة ١٨ .... ١٨٤٣ .... وقامت بتشييدها ســيدة ... كنت أراها أحيــانا ... كانت قادمة من ابرناى Epernay وسكنت فى القلعة الجميلة فى سنة... ٤٨ ... وقد وضعونى فى تلك القلعة لأنه لم يكن بمقدورى بعد أن أظــل بباريس .

— لمــاذا ؟

— لا أعلم ... ولكن كان يتعين علىَّ الا أظــل بباريس .

— تحدثى الينا عن السيدة التى حضرت لرؤيتك .

— كانت تسمى كليكو Cliquot .. نعم ولقد أودعونى فى القلعـــة ، وكان الحـــارس بوارل Poirel هو الذى يحضر الىَّ الطعام ، ولم أكن أشاهد انساناً .

وبدأت فى البكاء الشديد فتعين ايقاظها .

* * *

وفى جلسة أخرى واصــل ديببل استجوابها فى نفس هذا الموضوع على النحو الآتى : —

— لمــاذا كنت تعيسة ؟

— لقد كنت تعيسة لأننى كنت أعلم ان لى أما على قيد الحيــاة ، وكنت أريد أن أراها بلهفة ، ولكن لم يكن بمقدورى ذلك .

— عندما عرفت امك ألم تفكرى فى الكتابة اليها ؟

— لم يكن من حقى الكتــابة . نعم لم يكن من حقى الكتــابة ... (وبدا عليها الانفعال) ... وكنت أخشى الدوقة (من المؤكد انها تقصد الكونتيسة) ... وقالت لى اننى اذا حررت اليها فانهــا ستعتقلنى ... انهــا لم تكن ترغب ، وكانت تهــددنى . آه نعــم . آه نعــم لقــد كانت تحبنى بدافــع من مصـــلحتها لأن والدتى كانت ثرية ، وأعطتهــا الكثــير .

ولكن عندما توفيت والدتى اخذت منها الدوقة ذلك المقــر العظيم الذى كان ينبغى أن يؤول الىَّ ، ولهــذا السبب كانت تحتفظ بى ... لقد ســمعت ذلك يقــال . وكان الدوق والدوقة يتحدثان فى هـــذا الشأن فى المكتب ، فانصتُّ اليهما . وفى يوم رفضت الدوقة أن تعطينى مالاً ، فقلت لهــا انها ينبغى عليها أن تعطينى هـــذا المــال فأجابتنى عندئذ بانها ليست مدينة لى بأى شىء . فقلت لهــا انهــا تقطن مقــر

والدتى فغضبت منى ... واتهمتنى بالكذب مع اننى كنت قد سمعتها تقول ذلك .

ــ ولماذا طلبت منها النقود ؟

ــ لاننى كانت تراودنى فكرة الهرب كيما احيا حياة افضل .

ــ هل كنت تعيسة الى هذا الحد ؟

ــ نعم ، لاننى لم أكن أملك حق الخروج ، ولم يكن بمقدورى أن افعل ما أشاء .

* * *

وفى المرحلة الثالثة من تاريخ حياتها يبدو انها انتقلت للاقامة الى مقر آخر مملوك لنفس الأسرة يسمى « أوتيل بورجيز » Borghèse عنوانه رقم ٥ ، ٧ شارع لاشيز La Chaise بباريس وفيه دخلت فى مغامرة غرامية مع الماريشال هوراس سباستيانى Horace Sebastiani الذى كان فى نفس الوقت سفيرا لبلاده فى القسطنطينية، وخطيباً ، وديبلوماسيا من ابرز الدبلوماسيين فى اوروبا بعد سقوط نابليون (١) .

وقد ورد عن سباستيانى هذا فى قاموس « لاروس العالمى » ما يلى : « هو الكونت هوراس فرانسوا باستيان Horace - Francois - Bastien ماريشال فرنسا . ولد فى بورتا دامبينانو Porta - d'Ampugnano بجزيرة كورسيكا فى سنة ١٧٧٢ وتوفى فى باريس فى سنة ١٨٥١ . لمع فى معركة مارنجو Marengo وفيمابعد فى حملة فرنسا .

كان وزيراً للخارجية فى ظل « ملكية يولية » Monarchie de juillet وفجع فى شيخوخته بمصرع ابنته الكونتيسة براسلان Praslin » . كما ورد عنه فى بعض كتب التاريخ انه كان مغامرا و « دون جوان » لا يشق له غبار فى اموره العاطفية .

وقالت مارى ليز (أى الفلاحة دنيز) انها تعرفت عليه بمناسبة رقصة « فالس » وتناولت كاسا من الشمبانيا برفقته ، وقد اثر فيها بشخصيته القوية الى حد انه أصبح حلم حياتها ، واصبحت تتحين الفرص للقائه . وتقول انه فى ذلك الوقت بالذات تقدم الكونته

---

(١) يحيل المؤلف القارىء الى كتاب للوى كامبى Louis Campi . عنوانه La Vie de Maréchal Sébastiani.

دى مورنمـــار de Mortemart لخطبـــة كلمنتـين دى شيفينيه Clementine de Chevigné (ابنة الكونتيسة دى شيفينيه) . وكانت لقاءاتهما العاطفية تضاعف من آلام حرمانها ، عندما كانت تتخيل نفسها فى نفس الأوضاع بين ذراعى سباستيانى ! ...

ولم تكن تعرف عند ذاك حقيقة شـخصيته ولا مكانته . وفى ذات مساء كانت تجلس وحيدة ضجرة فى المنزل عنـدما دخل عليها التـابع جوزيف ليخبرها أن سيدا بالخارج يعمل سـفيرا يريد مقابلة السـيدة الكونتيسة ، وأنه حضر من مكان بعيد . فشعرت مارى ليز بصـدمة ، لأنهـا كانت تعلم أن سباستيانى يمارس عملا سياسيا رفيعا فى الخارج ، حتى لقد خشيت أن تنهار ، لكنها تمالكت نفسها وأشارت بادخاله .

واتضح فعـلا أنه سباستيانى الذى لم يظهر عليه الضيق من تلك المفـاجأة ... وبجمل لبقـة قليلة أمكنه أن يقنـع مارى ليز ــ بعد أن جلسا معـاً على الأريكة ــ أنه لم يكف عن التفكير فيها حتى عنـدما كان يعمل على شاطىء البوسفور المكان الذى قدم منه ، وأن لقـاءهما الأول ظـل محفورا فى ذاكرته لمـا سـبّبه له من سـعادة .

وطلب منها ميعادا للقـاء آخـر فى مكان هادىء ، فكان اللقـاء فى غرفتها الخاصة بارشاد من جوستين Justine الوصـيفة المخلصة لهـا ، وأيضا بعـلم من التـابع جوزيف الذى يبـدو أن سباستيانى الدبلوماسى اللبق عرف كيف يكتسب مودته ، وفى غرفتها استسلمت له .

ثم أخذت مارى ليز تروى كيف كان سباستيانى يزورها متنـكرا ، وكان يخفى عليها أنه كان زوجاً وأباً ، وكان فى ذلك الوقت قد أصـبح سـفيرا لبـلاده فى لندن بعد القسـطنطينية . وكانت ظـروف الاقامة فى ذلك الوقت قد أصبحت تسمح بتكرار الزيارات لغياب الكونتيسة وسفر كريمتها مع زوجهـا الى الخارج بحيث لم يتبق معها فى المنزل بباريس سـوى التابع جوزيف والوصيفة جوستين .

وهكذا أصـبحت مارى ليز عشيقة طيّعـــة للدبلوماسى اللبـق ، والجندى المقـدام سباستيانى . ولم تكن تتصور أنه كان متزوجاً وأباً ، بل كان يدور بخلدها أنه سيتقدم سريعاً الى خطبتها فتنجو من حيـــاة الأسر والحرمان التى كانت تحياها حتى ذلك الوقت .

ثم تغـير مكان اللقـاء من « أوتيـــل بورجيز » الى مكان خاص بهوراس سباستيانى بضاحية أوتى Auteuil . وكانت مارى ليز تزعم أنها تتردد على طبيب للفحص وللعلاج ، الى أن اشتبهت الكونتيسة فى أمرها . ثم تدخلت فى العلاقة بينها وبين سباستيانى شارحة له كيف

أن بولين بونابرت كانت قد عهـدت اليها بابنتها الطبيعية مارى ليز ، لكى تكفلها وتربيها فى حياتها وبعد وفاتها .

وكان ذلك من ضمن الأسباب التى حملت سـباستيانى على المزيد من التعلق بمارى ليز ، لأنه فيما يبدو كان — هو ايضاً — ابنـاً طبيعياً لوالديه ! ثم سافر سباستيانى الى مقر عمله الجديد بلندن فى الوقت الذى كانت مارى ليز تتصور فيه انه لا يزال سـفيرا فى القسطنطينية .

كما روت مارى ليز كيف أن الكونت مورتمار صـهر الكونتيسـة دى شيفينيه — بعد أن رجع من رحلة شهر العسل مع عروسـه — كان يحاول ان يلقى شباكه من حولها الى حد اضطرها أن تصارح عروسـه كلمتين بالموضوع . ولمـا علمت بذلك الكونتيسة الأم غضبت من تصرفها ولامنها على هذا الموقف الأحمق ، بالاضافة الى مواقفها مع سباستيانى . وحفظاً للسلام فى المنزل قررت الكونتيسة أن تتخلص من متاعبها باعادتها للاقامة فى قلعـة بورسـو طيـلة العـام .

* * *

وقد امضت مارى ليز بقية حياتهـا فى تلك القلعة ؛ وكانت حيـاة مملة خالية من الذكريات العنيفة التى كان يصح ان تغـذى اختبـارات « ارجاع الذاكرة للوراء » ، والتى كان يمارسها أندريه ديبيل على هـذه الفلاحة الساذجة دنيز .

وكان من ضمن الأحداث التى روتها أن الكاتب المعـروف أونوريه دى بلزاك Honoré de Balzac كان يزور قلعـة بورسـو وتعرّف الى مارى ليز ، فكان يروى لهـا أخبار متاعبه المـالية رغم أن صـيته كان قد بلغ شأواً كبيراً . وذكـرت كيف أنه كان صـديقاً للكونتيسة ، وكيف أنه وعدها بأن يرسل اليها نسـخة من كتابه الجديد « مذكرات زوجين شابين » (١) .

* * *

وتمضى حياة مارى ليز فى سآمة وبلا احداث تذكر ؛ الا انها فوجئت ذات يوم بقدوم سباستيانى خصيصا للبحث عنها فى قلعة بورسو . وكان قدومه على ظهر فرس ، ولقاؤهما فى حديقة القلعة ، وكانت سـعادتها بهذا اللقاء المفاجىء لا توصف . واخذ يعتذر لهـا ، ويصارحها بالحقيقة وهى أنه لم يتقـدم لخطبتها لأنه كان زوجا وابا لشابة كبـيرة . فذهلت ولم يكن يعنيها اعتـذار عاشـقها لهـا ، بل لقد القت اللـوم كلـه على القـدر .

(١) Mémoires de deux jeunes mariés.

وكان سباستيانى فى ذلك الوقت قد أصبح كهــلا أرملا ، وهى فى الأربعين من عمرها . وروى لهــا مأساة اليمــة مرت به ، اذ أن ابنته الوحيدة تزوجت المــاركيز شوازيل براســلان Choiseul - Praslin ثم فاجأته هذه فى موقف فاضح مع مربيــة الأولاد . ولمــا ثارت مشادة تخلص من الموقف بأن طعنها بخنجر كان عنده فأودت الطعنة بحياتها .
وانتهت علاقة مارى ليز مع سباستيانى بزواجها منه وســفرها للاقامة معه فى جزيرة كورسيكا Corse وهى موطنه الأصــلى ، وأمضت هناك حياة سعيدة هادئة .

لكنها كانت أحياناً تزور قلعة بورسو . ومن ذكرياتها الجديدة فيها أن لويس بونابرت Louis Bonaparte الذى أصــبح رئيســاً للجمهورية الثالثة زار القلعــة فى أثنــاء زيارة له شــبه رســمية الى شرقى فرنسا ، وكان موضع حفاوة أسرة الكونتيسة . وقالت انه كان فى ركب الرئيس الجنرال سانت ارنو Saint Arnaud بملابســه الرسمية ، وفيليان دى برسينى Filian de Persigny ، وآخرون . وأن الكونتيســة صارحتــه بتــاريخ مارى ليز وبقصــتها مع هــوراس سباستيانى فسألها الرئيس عن أخبار هــذا الأخير فأفهمته أن صحته أصبحت مضعضعة جدا تحت تأثير التقدم فى السن ، ومأساة كربمته مع زوجهــا .

وتوفى سباستيانى بتاريخ ٤ سبتمبر سنة ١٨٥١ ، واحتفل لويس بونابرت (نابليون الثالث) بتشييع جنازته احتفالا كبيرا ثم أصيبت مارى ليز بمتاعب فى معدتها ، وبآلام شديدة . وأقامت فى القلعة الجديدة فى بورسو طيــلة أيام شيخوختها وكانت تألف الجــلوس على كرسى طويل وتطل على الحديقة . وكانت كلمنتين دى مورتمار (الكونتيسة الصغيرة) تحنو عليها كثيرا فى شيخوختها ، وتجلس بجوارها لمــدى ساعات طويلة ، بل كانت تقوم بتمريضها ، والتسرية عنها بأن تقرأ لهــا فى بعض الكتب .

وتقــول مارى ليز انها فى ظهيرة سعيدة من أيام الربيع أفلتت من اسار هذا العــالم ، حينما كانت كلمنتين الى جوارها ، وكذلك الخادمة المخلصة ، وتمت مراسيم دفنها فى هدوء .

الانتقال الى مسارح الأحداث

ويقول نوفيل انه اصطحب الوسيطــة دنيز الى نفس الأماكن التى عاشت فيها مارى ليز ، والى نفس المقبرة التى دفنت فيها والتى اندثرت معالمهــا ، ومعالم الكنيســة التى بجــوارها ، ولم يبقَ قائما ســوى قلعــة بورســو .

ويقول ان دينز اغمى عليها تلقائياً هناك ، وانها شعرت بكثير من الانقباض عند وصولها الى البقعة التى أرشدت انها — وهى فى غيبوبتها المغناطيسية — قد دفنت فيها . وانه بداخل القلعة اوقعها ديبيل فى غيبوبة مغناطيسية حتى تروى أحداثها الأخيرة هناك .

وقالت انها فى الثامنة والخمسين من عمرها ، وانها تعيش فى سأم وفى آلام حادة من معدتها ، وانها عاجزة عن تناول الطعام . ثم قالت انها بلغت الواحد والستين من عمرها ، وانها ترقد فى غرفتها عاجزة عن الحركة ، ثم روت واقعة « وفاتها » .

ثم تقول عما تلا ذلك من احداث :

هأنذا بين الأحياء ، مع جميع الأشخاص الذين على الارض . اننى اطفو ... اطفو ... اننى أرى ... اننى اتحدث ولا يفهموننى . نعم اننى أرى كل الناس ... لكن أحدا لا يرانى ... ارى كل شىء ... أرى كل شىء ... وأفهم كل شىء .

— وماذا بعد ؟

— اننى بين السماء والأرض ، اذهب ، واجىء ، وأميز الاشخاص ، وذلك يجرى عن بعد .

— هل تشاهدين أولئك الذين كنت تحبينهم ، وهل بمقدورك ان تفعلى لهم أى شىء ؟

— كلا اننى لا ارى ... لا ارى سباستيانى ، اننى ظل لكنه ظِلٌ يُرَى ، ظلٌ شفاف . ولكننى لا اتألم ، وارى جيدا حياتى الماضية ، أرى كل شىء .

— اذاً من كانت مارى ليز ؟ ومن كان ابوها الحقيقى ؟

— الماريشال ليفيفر ، وانا متاكدة من ذلك .

— وماذا أصبحت فيما بعد ؟

— لقد انتظرت ... انتظرت وقتا يبدو طويلا ثم اصبحت دنيز Denise C. .

— أريد أن اعرف ماذا صنعت عند وفاتك ومغادرة جسدك ؟ كيف تصرفت ؟

— ان هذا أمر يصعب شرحه .

— وماذا فعلت فى التربة ؟

— عند الموت نغادر جسدنا ، والجسد هو الذى يذهب الى التربة ، ولقد شاهدته وهو يوضع فيها ، شاهدت جسدى يوضع فى القبر . انه جسدى فقط .

ـ هل كنت وحدك فى القبر ؟

ـ نعم كنت بمفردى ، وازالوه عندما ارادوا توسيع الكنيسة ... وبه بعض عظام ... توجد به عظمنان فقط ...

ـ عندما تطفين هل تشاهدين ظلالا أخرى ؟

ـ نعم نحن عديدون ، وتوجد ظلال أخرى تطفو مثلى ، وهى تطفو وتتنزه ، ولا تتبادل الحديث ، ولا نعلم شيئاً .

ـ ومن الحاكم ؟

ـ لا يوجد شخص حاكم ، ونحن وحيدون لا نستشعر حــــرا ولا بردا ، بل هو دائما نفس الطقس ... والجو مضىء ، ولا نميز جيدا الضـــوء من الليــل .

ـ وماذا تشبه تلك الظلال ؟

ـ تشبه أجسادا آدمية شفافة يخرج من وسطها شىء متميز تماماً . وأبيض كلــه ...

ـ هل عاقبك احد ؟

ـ كلا ! لأننا كثيرون ... كثيرون ...

ـ وقبل أن تكونى مارى ليز ماذا كنتِ ؟ وأين ؟

ـ لقد كنت أطفو ... نعم لقد كنت شخصاً ... لا ارى جيدا ... آه نعم منذ زمن بعيد كنت ... اننى أرى من كان يقطن هــذا الجسد . انه ظل . واننى اراه ... لقد كنت أقطن جسدا آخر .

ـ ماذا كنتِ ؟ وفى أى عصر ؟

ـ فى سنة : ١٧٩٠ ... توفى هذا الانسان .

ـ ماذا كنتِ ؟

ـ كنت رجلا ... نعم ... نعم ، لكن رجلا كدَّ كثيراً حتى يتمكن من تربية كل أولاده .

ـ ما اســمه ؟

ـ نيسيز Nicaise ... نيسيز .... آه آه .

ثم شعرت دنيز بضيق اقتضى ايقاظها .

* * *

وهكذا يقدم بيير نوفيل النتائج الفريدة التى وصــل اليها ويقــول معلقاً عليها : « بأننى مقتنع بأن الباحثين الروحيين سيجدون فيها سندا كفيــلا بتقدم « علم الانسان » سواء اتجه الى الروحيــة الصرف أم الى المادية البنّاءة ، وفى الحالين ينبغى أن يكون الهدف هو سعادة الانسانية .

وانني أكون راضياً اذا أمكن للمادة التى جمعتها مع السيدة جيرمين بوجيت ، وأندريه ديبيل أن تستخدم فى هذا الشأن .

وقصة مارى ليز ليست أكثر من خطوة فى طريق الاستكشاف المثير الذى قمنا به للبحث عن الحقيقة . وفى هذا الميدان لا ينبغى للباحث أن يكون مسلحاً بأمر آخر سوى الارادة الطيبة ، والنية الحسنة . والايمان كما قال أحدهم هو شجاعة الروح التى تسير نحو الأمام واثقة من العثور على الحقيقة . وهذا الايمان ليس عدوا للعقل ، بل هو شعلته المضيئة . وهو الشعلة التى أضاءت الطريق أمام كريستوفر كولمبس وجاليليو ، والتى تبحث عن الدليل ، والدليل المضاد ، وهذا هو الطريق الوحيد الممكن الآن » (١) .

وهذا القول يبرز الحقيقة التى ذكرتها فى مناسبة سابقة ، وهى أن جل بحاث هذه الأمور ليسوا بالمرة من أرباب عقيدة العودة للتجسد ، أو حتى من المقتنعين بدوام حياة الانسان بعد الموت . بل هم بحاث يشعرون أن مهمتهم الوحيدة هى تجميع المادة الخام لتشييد النتائج الصحيحة عليها بعد توسيع رقعتها واخضاعها لمتطلبات أسلوب التحليل العلمى . فهم ليسوا اذا أصحاب عقيدة مسبقة أية كانت .

وهذا الاعتبار يضفى بذاته قيمة خاصة على نتائج تحقيقاتهم فى أمثال هذه الظواهر التى تصدوا لتحقيقها وتسجيلها فى مثابرة ، ومهما كبدتهم من عناء ومن مشقة الانتقال الى مسارح الأحداث للتحقق من مدى صحتها على النحو الذى فعله دى روشا ، ونوفيل وغيرهما على ما سيرد تباعا فيما بعد سواء فى فرنسا ، أم فى أمريكا ، أم فى انجلترا ، أم فى ألمانيا ، أم فى السويد ، أم فى غيرها ....

تعليق

واذا كان من ملحوظة تستحق التسجيل فى ختام تجارب بيير نوفيل مع هذه القروية الساذجة دنيز فهى عجز هذه القروية عن أن تتذكر شيئاً له قيمته عن حياتها السابقة فى الأثير رغم ايقاعها فى الغيبوبة المغناطيسية ، وقدرتها على أن تتذكر أحداثاً كثيرة محددة لها وزنها عن حياتها السابقة فى عالم المادة .

وحتى حالات « رؤى من قبل » و « سمع من قبل » التى سنعالجها فى المبحث المقبل تدور حول ذكريات محددة عن أحداث وقعت فى عالم المادة ، ولا تتضمن ذكريات لها وزنها عن أحداث محددة وقعت فى عالم الأثير سوى فى حالة واحدة أو اثنتين .

---

(١) عن بيير نوفيل . المرجع السابق طبعة ١٩٧٠ ص ٨٨ - ١٦٦ .

والظاهر أن جميع الذكريات السابقة تنزلق بالميلاد الجديد الى اللاشعور ، فلا تطفو منها الى الشعور سوى نسبة ضئيلة اذا توافرت شروط معينة ، اما فى غيبوبة التنويم المغناطيسى ، واما فى حالة اليقظة الكاملة خصوصاً فى الطفولة المبكرة . ولكن طفو الذكريات من اللاشعور الى الشعور عن حياة عالم المادة أيسر بكثير من طفوها عن الحياة السابقة فى عالم الأثير . وذلك يرجع — فى تصورنا — الى اعتبارات متعددة اهمها ما يلى : —

أولاً : أن المستوى الاهتزازى لعالم الأثير يعلو كثيراً عن المستوى الاهتزازى لعالم المادة . وتقارب ، أو اتحاد المستوى الاهتزازى للحياة الحاضرة مع الحياة السابقة فى المادة يجعل التذكر أيسر منالاً ، والصوره اكثر وضوحاً فى ذهن صاحبها من الفرض الآخر .

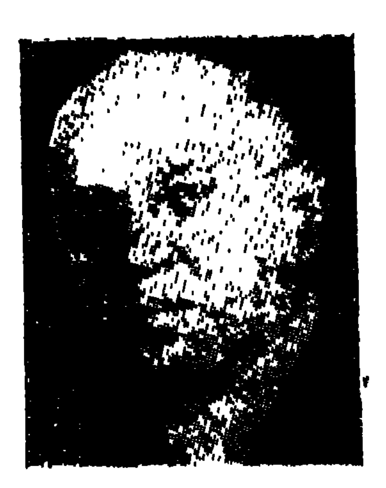
ثانياً : يبدو أن ذكريات حياة المادة تكون فى المعتاد أشد مرارة ؛ ولذا تحدث خدشاً اقوى أثراً فى الذاكرة الشعورية واللاشعورية معاً ؛ من ذكريات حياة الأثير ، التى يضيع فيها حتى الاحساس بالزمان وبالمكان؛ والتى قد تقصر — بحسب مقاييسنا الأرضية — الى أيام قلائل أو تدوم الى قرون عديدة .

ثالثاً : أن اسلوب الذاكرة فى العمل فى الأثير بالعقل رأساً وبدون الاستعانة بجهاز المخ ، مغاير تماماً لأسلوبها فى العمل فى عالم المادة عن طريق المخ . ولذا فان ارتباط الذاكرة الأرضية بالمخ يجعلها اقدر على تذكر الماضى البعيد عندما كانت تعمل أيضاً عن طريق المخ السابق ، وهو واحد فى طبيعته .

رابعاً : أن العيش فى عالم المادة من جديد قد يساعد على تحريك الذكريات الدفينة فى اللاشعور ، والتى تتحرك فى بعض الأحيان لمجرد العودة لارتياد نفس مسارح الأحداث القديمة ، أو لمشاهدة بعض أحداث مماثلة قد تكون سبباً فى تحريك الذاكرة عن الأحداث المماثلة القديمة ؛ ولو بطريق تداعى المعانى ، كما يحدث أحياناً فى الاحلام .

ومن يدرى فلعل صعوبة تذكر الماضى الذى أمضته الروح فى عالم الأثير — بالمقارنة بتذكر الماضى الذى أمضته فى عالم المادة — هو الاعتبار الذى يقع خلف بعض المذاهب الهندوسية التى تتصور أن التجسد فى الأرض يحدث بعد الوفاة مباشرة ، أو حتى فى أثناء الاحتضار ؟ ! وانه بالتالى لا توجد فترات للراحة والاستجمام قد تمضيها الروح فى الأثير وقد تطول الى دهور ودهور ! ! ...

من اختبارات ادجار كايس وآرائه



ادجار كايس

وممن ارتبط اسمهم ارتباطاً وثيقاً بموضوع العودة للتجسد وسيط من أغرب وسطاء هذا العصر وابعدهم صيتاً وهو ادجار كايس Edgar Cayce وقد كان صاحب عدة مؤلفات فى الموضوعات الروحية (١) ، كما كُتبت عنه ولا تزال تكتب عدة مؤلفات أخرى (٢) . بل لقد نوقشت عن حياته وظواهره رسالة حصل بها مقدمها على « الدكتوراه فى الفلسفة » من جامعة شيكاغو فى شهر يونيه سنة ١٩٥٤ .

وقد ولد هذا الوسيط — الذى وصفه بعضهم بانه اعجب شخصية فى امريكا — فى ١٨ مارس سنة ١٨٧٧ وتوفى فى ٣ يناير سنة ١٩٤٥ وكانت أهم مواهبه التنبؤات الصحيحة ، والعلاج ، والتراسل الفكرى Telepathy ، والجلاء البصرى . وكان هذا الوسيط متديناً — الى حد أنه قرأ الانجيل ستة وخمسين مرة كما قال — وبدأ اختباراته منكرا نظرية العودة للتجسد ومعتقداً انها تناقض عقيدته « كبروتستانتى » شديد التدين ، الى أن تبين له تدريجياً انها عقيدة صحيحة ، وانها تفسّر أموراً كثيرة كانت تبدو له غامضة فيما مضى ؛ وأن فى الانجيل اشارات كثيرة عنها بعهديه القديم والجديد ، وأن التناقض الذى تصوره لم يكن سوى سراب من صنع سوء الفهم والاذعان المطلق لما تلقنه فى الصغر .

وابتدأ هذا الوسيط يروح فى غيبوبة تلقائية مغناطيسية منذ سنة ١٩٠٠ فيقوم بانباء الشخص الجالس معه عن الكثير من أسرار حياته الخاصة الحاضرة بطريقة صحيحة دقيقة حيرت الناس . وكتبت عنه

---

(١) راجع ما ورد عنه فى الجزء الاول من « مفصل الانسان روح لا جسد » ص٣٤٩ .

(٢) منها : Thomas Sugrue : The Story of Edgar Cayce.

There is a River 1942.

Glenn. D. Kittler : Edgar Cayce : On the Dead Sea Scrolls 1970.

Harmon H. Bro : The Approach of Edgar Cayce 1971

الصحافة كثيراً منذ هذا التاريخ ، ووصفت طريقته بأنها قراءات الحياة « Life Readings » .

ولما ذاع صيته توافد عليه الآلاف فأخذ يستعين بزوجته بوصفها سكرتيرة اختزال عن طريق الآلة الكاتبة . وعندما توفى فى سنة ١٩٤٥ فى شاطىء فرجينيا ترك ما يتجاوز اربعة عشر الف تقرير دونت بمعرفة زوجته عن الحالات التى نجح فيها جلاؤه البصرى فى الكشف عن الأمور الغامضة . وقد جمعت هذه القراءات العجيبة عن الماضى بمعرفة جمعية اسمها « جمعية البحث والاستنارة » تأسست منذ سنة ١٩٣٢ خصيصاً للبحث فى الأمور الروحية وتحليلها (١) .

ويقول كايس عن نفسه — فى محاضرة له ألقاها فى سنة ١٩٣١ بمستشفى يحمل اسمه — أنه عند الوقوع فى الغيبوبة المغناطيسية التلقائية كان يشاهد نفسه خارج جسده ، ويرى كائنات من عالم آخر الى جواره (٢) وأن « اللاشعور » يكون عند ذاك قد استيقظ فيه على حساب « الشعور » وانه اقترب الى حد ما من « عقله الأسمى » الذى أصبح بمقدوره استخدامه فى قراءة تاريخ حياة من يطلب هذه القراءة ، وذلك عن طريق محاولة ضبط لاشعوره الخاص بلاشعور من يطلب هذه القراءة ، فيجيئه الالهام متدفقاً وهو فى غيبوبته عن الشخص طالب القراءة . وكانت غيبوبة كايس تتفاوت فى عمقها ووصلت فى بعض الحالات الى التوقف الكامل لكل وظائفه الحيوية مثل النبض والتنفس الى حد أنه ظل فى هذه الحالة ذات مرة لمدة يومين فشخّص الأطباء وفاته خطأ ، وكاد كايس المسكين أن يدفن حياً ، كما يحدث فى حالات أكثر ذيوعاً بكثير مما قد نتصور (٣) . وكان عندما يستيقظ من غيبوبته المغناطيسية التلقائية لا يذكر شيئاً مما يكون قد سرده .

وما يعنينا هنا بوجه خاص هو أن كايس كان لا يكتفى بقراءة الحياة الحاضرة للشخص الجالس معه ، بل كان يقرأ له أحياناً حياته الماضية ، بل عدة حيوات ماضية متتابعة وكان يساعده — عن هذا السبيل — فى تفهم متاعبه الحاضرة ، وأمراضه النفسية والجثمانية ، ولاستكشاف ملكاته ومواهبه الدفينة . وكان الكثيرون يؤمنون بصدق هذه القراءة لما يلمسونه بأنفسهم من صدق قراءاته لحياتهم الحاضرة ، وانبائه

---

(١) Association for Research and Enlightenment Inc P. O Box, Virginia Beach, Virginia 23451.

(٢) راجع ما ورد عن هذا الشان فى « مفصل الانسان روح لا جسد » . الجزء الأول ص ٩٣٥ — ٩٥٩ . أو فى كتاب « ظواهر الخروج من الجسد » ١٩٧٥ ص ١١١ — ١٣٥ .

(٣) راجع ما ورد عن هذا الشأن فى المرجع السابق . الجزء الأول ص ١٠٢٢ — ١٠٢٨ حيث تجد وقائع واحصائيات تثير الحيرة والذهول وتستوجب الاحتياط الشديد عند تشخيص الموت . وكذلك فى مؤلفنا «ظواهر الخروج من الجسد» ١٩٧٥ ص١٩٨—٢٠٤ .

الصحيح عن مشكلاتهم الراهنة ، بالاضافة الى ما عرف عنه من نزاهة واستقامة فى الخلق .

وكذلك كانت قراءاته عن الحيوات الماضية تنبىء عن معلومات غزيرة جداً عن أمكنة كثيرة فى العالم لم يزرها ، وعن حضارات ، وتقاليد ، وتواريخ ، واحداث ، ومعتقدات ، وطقوس ، وأزياء ، وظروف جغرافية ، وطبيعية ... لم يعلم عنها شيئاً بالأساليب العادية . بل لقد كانت قراءاته ترجع بصاحبها أحياناً الى حضارات الرومان ، والاغريق ، والفرس ، والعرب ، والبابليين ، والفراعنة ، وقارة الأتلنتس أيضاً التى ترجع حضارتها الى ما قبل عشرة آلاف سنة قبل الميلاد (١) .

ولا يتسع المقام الحالى بطبيعة الحال لسرد بعض اختباراته المدونة فى عدد من المراجع التى كتبت عنه ، ولكنه ينبغى أن يتسع لسرد بعض النتائج التى وصل اليها هو عن مفهوم العودة للتجسد ، بحسب تقديره الخاص ، فانها نتائج لها وزنها لأنها ثمرة اختبارات عشرات من السنين على الآلاف من الأشخاص .

وهو يعتقد أن « الكارما » ناموس طبيعى للسبب والنتيجة من شانه أن يزوّد الروح بفرص كثيرة للنمو الفيزيقى والعقلى . وكل روح أو كل كائن بحسب تعبيره عندما يعود من جديد الى المستوى الأرضى يكون له اتصال لا شعورى بما يكون قد حصل عليه من ملكات ومواهب وخصائص عقلية فى حيواته الماضية . وذلك رغم أنه يتعين على الكائن أن يناضل ضد التأثير السلبى الذى قد يجىء من ناحية الحيوات الماضية بسبب الانفعالات الضارة كالكراهية ، والخوف ، والقسوة ، والجشع ، مما يكون قد عاق تقدمه المطلوب .

وبالتالى فان رسالة الكائن على الأرض هى أن يستفيد من الميلادات المتكررة كيما يحدث توازناً بين عناصره الايجابية والسلبية « الكارمية » بأن يسيطر على دوافعه الانانية ، وبان يشجع تطلعاته الخلاقة . وان هذا يفسر علة التساؤل المنطقى الذى قد يثار عن الألم الذى « لا حاجة به » ، ومن أين جاء ؟ وكيف جاء ؟

ويقول كايس ان الحالات التى اكتشف فيها أن الشخص الجالس أمامه لقراءة حياته يمثل تجسداً لشخصية تاريخية لها وزنها ... قليلة جداً . وهو يعتقد أن التجسد فى حياة متواضعة هادئة يتيح للروح فرصاً للتطور والارتقاء ، تتجاوز الفرص التى تتيحها له حياة تجرى « تحت الأضواء » بكل انفعالاتها الشديدة ، ومتاعبها الصاخبة ، ومصادر القلق والخوف التى تكتنفها .

---

(١) راجع ما ورد عنها فى المرجع السابق . الجزء الأول ص ٤٨٣ — ٤٨٤ .

وهــو يعتقــد أيضاً أن الجـولة الأخيرة لن يخوضها الانسان على الأرض ، بل ستحدث بين النفوس التى تغادر الأرض وتلك التى تحاول العودة اليها . أى بين النفوس التى تعود الى الله الذى هجرته يوماً ما ، وبين النفوس الضـائعة التى تنكر الله ، وتتمسـك بكل قواها بالتردد على هـذا الكوكب الضائع بدوره . أو بحسب الاعتقاد الحرفى سيكون السجال بين « الموتى » لا بين الأحياء .

وهو يجعل الفارق بين أولئك الموتى والأحياء كالفارق بين الدودة والفراشة . وبالتالى فان النفوس التى ستخوض الجولة الأخيرة ستكون هى نفس الأرواح التى كانت منذ البداية ، ولم يتغير فيها شىء الا فى أن مستوى الوعى الذى أصبحت تشغله أصبح أفضل من مستواها القديم ؛ بارتفاعها عن تخوم المـادة الى المستوى الأبدى المعد لها منذ البداية (١) .

من اختبارات مورى برنشتين

ومن الباحثين المعاصرين فى موضوع العودة للتجسد باحث أمريكى يدعى مورى برنشتين Morey Bernstein ذهب الى ولاية فرجينيا بعد وفاة ادجار كايس فى سنة ١٩٤٥ بتصميم أكيد على أن يهاجم تجارب هذا الأخير وأن يتهمه بالتدليس .

وقـد كان برنشتين هـذا طبيباً نفسياً ومعنياً بدراسـة التنويم المغناطيسى . فأخـذ يتردد على مقـر « جمعيـة البحث والاسـتنارة » A. R. E. التى أشرت اليهـا آنفاً لفحص الآلاف من مضابط « قراءات الحياة » التى كان يقوم بها ادجار كايس ، وانتهى برنشتين الى الاقتناع بأن ثمة رقعـاً أعمق من غيرها من العقـل غير الواعى يمكن أن تحتفظ بذكريات عن حيوات سابقة .

ثم قادته الظروف الى بلدة بولدر Boulder بمقاطعـة كولورادو Colorado حيث عثر فى سـنة ١٩٥٢ على سيدة تدعى روث سيمونز Ruth Simmons (ولدت فى ٢٧ ابريل سنة ١٩٢٣) تصلح وسيطة ناجحة لاختبارات التنويم المغناطيسى . فنجح فى ارجاع ذاكرتها الى وجود سابق لها بوصفها فلاحة ايرلندية عاشت فى مدينتى بلفاست Belfast وكاونتى كورك فى النصف الأول من القرن التاسع عشر . ونشر فى سنة ١٩٥٦ عن تجاربه معها كتاباً عنوانه « البحث عن بريدى مورفى » (٢) ، وهو اسم هـذه السيدة فى وجودها السابق فى ايرلندا ، وقد كان لهذا الكتاب دوى شديد فى الصحافة وفى الراى العام الأمريكى .

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٩ — ١٤٠ .

(٢) The Search For Bridey Murphy.

وقــد روت الوسيطة ـــ وهى فى تنويمهــا المغناطيسى ـــ كثيراً من البيانات والتفصيلات عن حياتهــا السابقة ، التى يتعــذر اعتبارها من محض مبتكراتها : من بينهــا أسماء بعض المحــلات التجارية التى كانت موجودة فى ذلك العصر فى بلفاست ، وأسـماء الصحف والمجلات الشائعة ، والعملات المتداولة .

وقالت أنها ولدت فى سنة ١٧٩٨ وتوفيت فى سنة ١٨٦٤ ؛ وذكرت أســماء الأطعمــة الايرلندية التى كانت تتناولهــا ، والأدوات التى كانت تستخدمها باللغة الايرلندية الدارجة . كمــا عبَّرت عن رهبتها من الأب جورمان Gorman وهو كاهن الناحية الذى كان فيما يبدو صــاحب نفوذ كبير فيها .

وقالت بريدى مورفى انها فى وقت ما كانت زوجة لأحد المحامين فى المحاكم العليا اسمه بريان ماك كارثى Bryan Mc Carthy وكان عضواً فى هيئة أساتذة « كلية الملكة » فى بلفاست ورسمت خريطة أوضحت عليها ـــ بدوائر صغيرة ـــ موقع بيتها .

وأضافت أنها توفيت عندما بلغت السادسة والستين ، وأنها خلعت جميع أسنانها . وكانت جميع أحاديثها باللهجة الايرلندية العامية التى كان يستخدمها دهمــاء القوم هناك ، وهى لهجة لم تعبر ابداً المحيط الأطلسى ولم يستخدمها أحد من الممثلين الأمريكيين .

وكل هــذا سجله برنشتين على اشرطة تسجيل الصوت التى كان يستخدمها فى اختباراته معهــا . وبطبيعة الحال لم تكن للوسيطة روث سيمونز أية صلة بهذه اللهجة ، ولا يمكنها تقليدها أو تمثيلهــا وهى فى صحوتها . وذلك الى حد أنه يمكن القول بان اسلوب روث سيمونز فى سلوكها المسجل على الأشرطة يعد اكثر اقناعاً من جميع البيانات والأسماء والتفصيلات التى ذكرتها عن الحيــاة فى بلفــاست فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

وبالاضافة الى ذلك تبين بالتحقيق أن هناك سيدة تحمــل اســم بريدى مورفى مكارثى عاشت بالفعــل فى المكان والزمان اللذين ذكرتهمــا السيدة الأمريكية وانها مرت بالأحداث والظــروف التى وصفتها وهى فى غيبوبتها المغناطيسـية .

هذا وقد عنى ك.ج. ديكاس C. J. Ducasse أستاذ الفلسفة بجامعة براون بأمريكا بهــذه الحالة فى مؤلف له عنوانه « دراسة انتقادية

فى الاعتقاد فى دوام الحياة بعد الموت » (١) (١٩٦١) نخصص لها صفحات كافية من التحليل العلمى المحايد ، ودافع فيها عن برنشتين ، كما أيد فيها الوسيطة روث سيمونز نافياً عنها شبهة التدليس (٢) .

اختبارات لاحقة من نفس النوع

وهذه أيضاً اختبارات حديثة تتلخص وقائعها فى أن قساً امريكياً يدعى كارول جاى Carroll Jay يعمل راعياً من مذهب الميثوديست بقرية تقع بوادى شناندوه Shenandoah Valley بالقرب من مدينة الكتون Elkton بالولايات المتحدة الأمريكية اتخذ التنويم المغناطيسى هواية له منذ سنة ١٩٥٤ ، وكان هدفه الأصلى منه مجرد المساعدة على علاج زوجته من الصداع ، ومن بعض آلام ظهرها .

ولذا أخذ هذا القس ينوّم زوجته دولوريس Dolores التى كانت عندئذ فى الحلقة الثالثة من عمرها والآن فى الثانية والخمسين . ثم دفعه حب الاستطلاع لأن يختبر ظاهرة ارجاع الذاكرة للوراء فاذا بها تسرد وقائع معينة يظهر منها أنها كانت فيما يبدو سيدة أمريكية تعيش فى ولاية انديانا Indiana وتوفيت بها فى سنة ١٩٢٢ .

وعندئذ بدأ يفكر فى التثبت من صحة تلك الوقائع التى وردت على لسانها وهى فى غيبوبتها المغناطيسية ، كما فعل العديد من الباحثين عندما بوغتوا بحدوث ظواهر مماثلة ، وذلك لمحاولة الوصول الى تعليل لها يروى الغليل .

القس « جاى » يوقع زوجته فى الغيبوبة

وانتقل القس الى تلك الولاية حيث يقول انه حصل على بيانات جعلته يعتقد أنها مطابقة لتلك التى وردت على لسان زوجته فى غيبوبتها ! وفى مرة سألها وهى نائمة عن ألم ظهرها فأجابت سلباً باللغة الألمانية . وبعد ذلك رأى ضرورة تسجيل اجاباتها على شريط التسجيل ، وبدأت هذه الظاهرة بعد مضى ستة شهور تتبلور تدريجياً ، وأخذت السيدة تجيب على جميع أسئلته بلغة أعتقد أنها لابد أن تكون اللغة الألمانية .

---

(١) A Critical Examination of the Belief in a Life after Death

(٢) للمزيد راجع نويل لانجلى المرجع السابق ص ٢١٧ — ٢٢٩ .

وعندئذ حرر زوجهـا بياناً الى مجلة مهتمة بالوقائع الروحيـة ، فاتصل رئيس تحريرها بالدكتور أيان ستفنسون Ian Stevenson أستاذ الباراسيكولوجي بجامعة فرجينيا الذى أعطاها العناية المطلوبة ، فأخذ يواظب على حضور هذه الاختبارات منذ سنة ١٩٦٩ مصطحباً معه عدداً ممن يتقنون اللغة الألمـانية وظل مثابراً على ذلك لمدى ثلاث سنوات حضر فيها ١٨ دورة للتحقيق والاختبار .

وفى هذه الجلسات أخذت دولوريس تسرد بيانات عديدة عن حياة سابقة لها كفتاة بروسية تدعى جريتشن جوتليب Gretchen Gottlieb وكان والدها يدعى هيرمان Herman وكان أشيب الشعر وعمدة لمدينة أبرسوالد Eberswalde تقع حالياً بالمـانيا الشرقية . وكانت توجد عنـدهم طباخـة تدعى فراو شيلدر Schilder أو شيللر Schiller وكان لديها طفلان يحملان اسم كارل Karl فى السابعة وكارين Karin فى التاسعة .

وقالت أن والدها وضـع فى السجن بسبب صراع مذهبى عنيف نشب بين البروتستانت والكاثوليك فى تلك الأيام وانها بعد سجن والدها حاولت أن تهرب من المدينة مع عمهـا الذى كان يخفى بعض الخيول فى الغابة ، والظاهر أنها لقيت مصرعها فى الغابة وأثناء محاولة الفرار ، وكانت فى السادسة عشر من عمرها فقط .

واتضح للدكتور ستفنسون أن أبرسوالد كانت مدينة تقع فى الشرق من الدولة البروسية ، وأن وصـف جريتشن للصدام المذهبى العنيف الذى جرى مع ابداء مخاوفها من السناتو (مجلس الشيوخ) البروسى Bundersat يُرجع هذه الأحداث — بحسب الراجح — الى سنة ١٨٧٠ حين نشب تناحر مذهبى فى المنطقة اطلق عليه Kulturkampf (تحت حكم بسمارك) ، وكانت أبرسوالد من مناطق هـذا الصراع المذهبى الذى أثر فى وجه الكاثوليك ، وكانت تقع فى مركز اقليم تغطية الغابات .

وحسبما قـرره الدكتور ستفنسون فى بيـانه عن الوقائـع كانت جريتشن تجيب بطريقة شخص تائه dazed بين الأحـداث ، لكن كان الأسلوب مناسباً . بل كان بعض الكلمات الألمـانية التى تستخدمها تنتمى أحياناً الى لغة القوم فى بروسيا فى القرن التاسع عشر والمـام جريتشن بالنحو الألمـانى ضعيف جداً .

كما قرر أن أسرة « جاى » مكونة من أشخاص امناء جداً . ويبدو

أن الذاكرة تشبه صندوق مغلق به ملابس ، ولكن قد تظهر منه أحياناً بعض أطراف هذه الملابس ، وليس كل شيء يناسب الغرض منه ، ولكن هذه حالة هامة » .

ويقصد ستفنسون بذلك أنه يعتبر اللاشعور بمثابة مخزن لذكرياتنا السحيقة التى تختبىء فيه ، والتى هى ثمرة الاختبارات التى مرت بنا مهما كان مداها من القدم ، ولكن من المحتمل - تحت تأثير ظروف معينة - أن تبرز من ثقب أو آخر فى هذا المخزن بعض أطراف الذكريات التى لم يُحكِم العقل الواعى اغلاقه عليها ، عن طريق تجسده فى المخ ، الذى هو تجسد مؤقت لجانب فحسب من الوعى الانسانى الشامل . وهذه الأطراف قد تظهر فى الغيبوبة عن طريق التنويم المغناطيسى ، وقد تظهر فى اليقظة عن طريق تحقيق ظاهرتى « رؤى من قبل » أو « سمع من قبل » التىسنتناولها فىالمبحث التالى ، وبوجه خاص موقف ستفنسون منها .

وبلغ من حذر ستفنسون - فى تجاربه مع أسرة « جاى » هذه - انه استخدم جهازاً لكشف الكذب detector ، فلم يسجل حدوث أى كذب من الأشخاص الذين اخضعهم للتحقق الدقيق .

ويقول أيضاً انه مما يدعوه الى الاقتناع بالموضوع أن أحداً من أسرة « جاى » لم يتعلم اللغة الألمانية من قبل رغم أن الجدين البعيدين لها قدما من المانيا . وقد وقّع أقاربها وجيرانها اقرارات بأنهم لم يتبادلوا أى حديث بالألمانية . كما قرر القس كارول من جانبه بأنه يعتقد بأن جريتشن كانت فيما يبدو طفلة متخلفة عن عمرها فى الذكاء ، وربما لم تذهب الى المدرسة أبداً ، بل لقد قالت انها أمّية ، وهو يعتقد أنها بطيئة التعلم وجميع أحاديثها بالألمانية محفوظة على أشرطة تسجيل .

وبطبيعة الحال فان السيدة دولوريس لا تعرف شيئاً عن شخصيتها الأخرى الا من خلال هذه الأشرطة ، والمضابط التى تم تدوينها بمعرفة المحققين . ولم تكن أبداً ترحب بأن تقع فى الغيبوبة وأن تفقد نفسها فى شخصية جريتشن ، بل لقد حاولت مراراً أن توقف هذه الاختبارات لولا تمسك ستفنسون بتكرارها وبمواصلتها بالنظر لأهميتها الشديدة للتحقيق العلمى ، ولذا اصطدمت معه أكثر من مرة . وهى لا تؤمن بالعودة للتجسد ولا أفراد أسرتها كذلك .

وقد ناقش زوجها بعض الأشخاص فى هذا الموضوع ، وصرّح لمندوب مجلة « نيوزويك » Newsweek قائلاً « نحن لا نؤمن بالعودة للتجسد ، ولكننى لست خبيراً بالقدر الذى يسمح لى بأن أنفى أن تكون

الحالة حالة عودة للتجسد . وكل ما أعلمه هو أن هـذه الحالة صحيحة أياً كان التعليل » . كما قال أيضاً انه ينبغى الوصول الى هـذا التعليل من النواحى العلمية ، واللاهوتية ، والفلسفية .

وقد حاول بعض مندوبى جريدة الديلى ميل Daily Mail العثور على بيانات رسمية خاصة بمن يدعى هيرمان جوتليب وأسرته فلم يتمكنوا بالنظر الى ضياع جميع سجلات المواليد فى المنطقة فى الحرب العالمية الثانية، وفى الأحداث التى تلتها،والتى منها احتلال الحلفاء للمدينة فى سنة١٩٤٥ .

* * *

وهـذه وقائع حديثة مماثلة اثبتها طبيب ألمـانى للأمراض النفسية يعمل فى معهد « علم النفس غير المـألوف » (١) بمدينة ميونيخ Munich فى تقرير رسمى له ، وهـو يدعى ثوروالد ديتهلفسـون Thorwald Dethelfson .

ويقول فى تقريره انه قـد نوّم طالباً يدعى تيزنجر Teisinger تنويماً مغناطيسياً بقصد العلاج ، وأنه أرجـع ذاكرته للوراء عندما كان عمره عامين فقط ، ثم عام واحد ، ثم الى تاريخ ولادته ، ثم الى ما قبل الولادة . وعندما حدد له عام ١٨٧٠ قال الطالب فجأة « أنا فى زنزانة » فى ويسيمبورج Wissembourg بفرنسا .

وأعطى اسـم الشـارع الذى يقيم فيـه وهـو شـارع كونتابل Connetable ، وقرر انه مسجون بسبب الحـرب مع البروسيين . وفى النهاية يقول الطبيب « وجدت نفسى اتبادل الحديث مع شاب فرنسى يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً ، يتحدث لغتين ، ويعيش خلال الحرب الفرنسية البروسية . وقال ان اسمه جويلافارجو Guilafargo وأنه عاش من سنة ١٨٥٢ الى سنة ١٨٨٠ ، وتوفى بغتة عندما كان فى السابع والعشرين ، أو الثامن والعشرين من عمره بسبب حادثة لم يشرحها » .

ويقول أيضاً أن هذا الطالب ـ وهو فى يقظته لا يذكر اى شىء عن الأقوال التى تصـدر منه وهـو فى غيبوبته المغناطيسية (٢) . وتحـوى اختبارات العديد من العلماء المدققين المئات من الحالات المماثلة .

متابعة لنفس الاختبارات

ومن التجارب التى أجـريت منذ وقت قريب تلك التى قام بهـا الدكتور لاند الأستاذ فى جامعـة ابسالا Upsala وقد اكتسبت هـذه

---

(١) The Institute of Extraordinary Psychology.

(٢) عن جريدة « سايكك نيوز » العدد الألف الاشارة اليه ص ٨ .

التجارب أهميتها من أن ذلك العالم السـويدى جعل هـذا الجانب من موضوع العودة للتجسد فى المتناول ووضعه فى مقدمة الموضوعات الهامة .

وعلى سبيل المثال سجل الدكتور لاند بحضور عـدد من الشهود حالة سيدة فى الأربعين من عمرها بعـد أن نوّمها مغناطيسياً ، وارجعها تحت هذا التأثير الى طفولتها المبكرة فتصرفت السيدة كطفلة صغيرة جداً تسلك سلوكاً حسناً .

بعد ذلك راح الدكتور يستدرج الطفلة الى ما قبل مولدها فتأتأت وفأفأت . ثم أخذت وضعها كجنين . واستمر الدكتور فى تجربته عائدا بها القهقرى حتى سألهـا : « أين كنتِ قبل مولدك بخمس سنوات ؟ » . وهنا تغيّر صوت السيدة فجأة ، وباتت نبراته خشنة وقالت :

الجو شديد الحرارة هنا .

س : ما اسمك ؟

ج : ايج كاريستروم .

س : ما هى مهنتك ؟

ج : فلاح من مجولبى .

س : هل لك أولاد ؟

ج : لى ثلاثة أولاد (وذكرت أسماءهم) .

وقد اتضح من نتيجة التحقيق أن مزارعاً بهذا الاسم كان يعيش فى مجولبى وتوفى قبل مولد هـذه السيدة بأربعة أشهر تاركاً وراءه الأطفال الثلاثة الذين ذكرت أسماءهم فى أثناء الغيبوبة المغناطيسية » (١) .

ويلاحظ هنا أن هـذه السيدة لم تفصح عن ماضيها فى تجسدها السـابق الا عندما أرجـع المنوّم ذاكرتها الى ما قبـل مولدها بخمس سنوات ، فذكرت عندئذ اسمها القديم وبعض ظروف حياتها التى لا تزال عالقة بعقلها الباطن . وهـذا الاعتبار يلتئم تماماً مـع القول بأنها كانت تسرد تجسـداً حقيقيا مر بها من قبل ، فلم تكن الحالة حالة تقمص أو استحواذ خارجى لأن هذا الفرض الأخير يحدث بمجرد الوقوع فى الغيبوبة الوسـاطية أو المغناطيسية ، ولا يحتاج لارجـاع الذاكرة تدريجياً الى الوراء ، كما حدث فى كل الحالات المماثلة التى من نفس الفصيلة (فصيلة العودة للتجسد ، لا فصيلة الهيمنة أو الاستحواذ) .

---

(١) عن مجلة « الحوادث » اللبنانية عدد ٢٥ أبريل سنة ١٩٧٥ (رقم ٩٦٣ سنة ١٩) ص ٤٩ .

حالة هيلين سميث

ومن أكثر الحالات غرابة تلك التى لوحظت على فتاة تدعى هيلين سميث . وقد تولى دراستها ت. فلورنوى Γ Fleurnoy أستاذ علم النفس بجامعة جنيف ، والمشهور بعدائه لمبدأ واقعية الظواهر غير المألوفة ؛ لأنه كان ينسب كل شىء الى أحلام اليقظة ، وتناقل الأفكار (التلباثى) ومع ذلك اضطر البروفسور الى أن يعترف بأن بعض هذه الظواهر يجعله يشد شعره من الحيرة والعجز عن التفسير .

وهيلين سميث كانت تدعى فى الحقيقة كاترين اليز موللر وهى من مواليد مارتينى بمنطقة فاليه بسويسرا فى ٩ ديسمبر سنة ١٨٦١ ، وتوفيت فى جنيف فى ١٠ يونيه سنة ١٩٢٩ وكتب فلورنوى عنها قائلاً : —

« هذه الوسيطة التى أدعوها هيلين سميث كانت طويلة القامة ، جميلة ، فى حوالى الثلاثين من عمرها ، شعرها أسود تقريباً ، وكذلك عيناها . وجهها صبوح وذكى ، ونظراتها عميقة توحى بالثقة ، وصحتها كانت جيدة وتفكيرها سليما .

وكانت فى أثناء طفولتها تشاهد فى أحلامها مناطق ذات طابع شرقى جميل وفخم . وحدث فى سنة ١٨٩٢ أثناء جلسة روحية أن اكتشفت موهبتها الوساطية ، فطورتها بسرعة .

وفى التجربة الأولى اقتصرت على تحريك مائدة ، وعلى رؤى قصيرة ... وفى حوالى سنة ١٨٩٥ تمكنت هيلين من وساطتها وتوصلت الى مشاهدة رؤى واضحة وضوحاً مدهشا . وأحيانا كانت ترى « سيمانوينى » الأميرة العربية التى كانت زوجة مفضلة للأمير الهندى « سيفرو كاناياكا » التى حكمت منطقة « كانارا » وشيدت فى سنة ١٤٠١ قلعة « تشاندرا جيرى » .

والمدهش فى موضوعها هو اتجاه الدراسة التى قام بها فلورنوى الى أنها كانت متقمصة روح الأميرة سيمانوينى ، فكثيراً ما كانت وهى فى حالة حلم اليقظة تتناقش مع الفقير « كانجا » ومع خدمها « موجيا » و « ميوزيا » و « كانجيا » أو « كانا » . وقد استعادت ذات مرة سورة موتها محترقة .

وفى احدى الجلسات عاملت البروفسور فلورنوى كما لو كان متقمصا روح « سيفروكا » (أحد معاصريها السابقين) فحيته باللغة السنسكريتية بعبارة كانت شائعة عندهم وقتذاك وهى « أحييك باسم جانا باتى » . وجانا باتى هو بحسب الأساطير اله هندى له رأس فيل !

وفى مرة أخرى غنّت هيلين بالسنسكريتية، وأمكن تسجيل نوتةللحن الأغنية ، الأمر الذى أوقع البروفسور فى حيرة ، فقال لعلها قرات يوما ما قواعد اللغة السنسكريتية دون أن يعلق شىء منها فى عقلها الواعى ! » .

وقد ازدادت حيرة فلورنوى عندما اتصل بالاخصائيين فى الدراسات الهندية حتى اكتشف كتابا نشر فى سنة ١٨٣٨ وعثر فيه على المقطع التالى « كانارا هى المقاطعات المجاورة لمدينة دلهى ، ويمكن اعتبارها مثل جورجيا الهندستانية ، وكانت هذه المقاطعات مشهورة بنسائها الجميلات المحجبات عن الأجانب » . أما « تشاندراجيرى » التى تعنى « جبل القمر » فهى قلعة بناها الراجا سيفروكا ناياكا فى سنة ١٤٠١ .

ونظرا لأن فلورنوى ظل متمسكا بآرائه فقد اكتفى بالقول بأن الوسيطة ربما تكون قد عرفت بأمر هذا الكتاب ثم نسيته ، الا انه ما لبث أن أقر بأن هذا الافتراض فى غير محله لانه لم يكن فى جنيف سوى نسختين فقط منه احداهما فى « جمعية القراء » وهى جمعية خاصة ، والثانية فى « المكتبة العامة » التى لم تطأها قدما هيلين .

ومن جهة أخرى أقر فلورنوى بدافع من ضميره انه حتى لو كانت الوسيطة قد قرات تلك الفقرة من الكتاب لتذكرتها حرفيا ، وهو ما لم يحدث ، ومع ذلك أضاف قائلا : « رغم كل شىء أفضل الأخذ بنظرية الامكانات الطبيعية على الملكات الروحية » (١) .

وفى الواقع يبدو أن جميع هذه الوقائع لا تمت بصلة واضحة الى طائفة ظواهر « رؤى من قبل » أو « سمع من قبل » ، كما لا تمت أيضا الى طائفة ظواهر ارجاع الذاكرة الى الوراء فى غيبوبة التنويم المغناطيسى لأنه — فيما يبدو — لم تحدث أية محاولة هنا لارجاع ذاكرة هيلين سميث الى ما قبل حياتها الراهنة ، كما حدث فى الحالات المماثلة التى سبق سردها . بل هى أقرب فى رأينا الى أن تكون من ظواهر « الجلاء البصرى » و « الجلاء السمعى » مجتمعة معا ، وهى كثيرا ما تتلازم معا عند وسطاء عديدين ، وقد تكون مصحوبة بغيبوبة روحية وقد لا تكون .

وبالتالى فان هذه الحالة بالذات ، وبالوضع الذى وردت به فى المصدر الذى أطلعنا عليه ، لا تشير الى موضوع العودة للتجسد ، ولاهى مرتبطة به اثباتا ولانفيا ، ومع ذلك فقدأوردناها هنا لمجرد تنبيهالقارىء الى ضرورة التمييز بين كل طائفة من الظواهر الروحية والأخرى وعدم الخلط بينها ، وذلك لامكان الخروج منها بدلالاتها المنطقية السليمة .

---

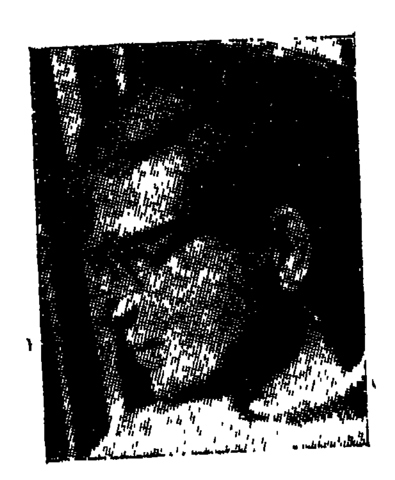
(١) عن المرجع السابق ص ٥٠ .

وشأن ظاهرتى الجلاء البصرى والسمعى فى هذا النطاق هو شأن ظاهرة الهيمنة الروحية المصحوبة بالغيبوبة ، فانها بذاتها ظاهرة محايدة لا يؤدى ثبوت صحتها الى ثبوت العودة للتجسد ولا الى نفيها .

ماذا يقول كولن ويلسون ؟

وفى شأن نتائج أمثال هذه الاختبارات يقول البحاثة الروحى كولن ويلسون Colin Wilson فى كتابه القيم عن « الغيب » (١٩٧٢) (١)

« من المؤكد أن هذه الأرواح تحل فى أجساد أشخاص عديدين ، أو تعود الى الحياة فى اجساد أخرى ... ولكن من النادر أن تحتفظ هذه الأرواح بقوة ذاكرتها ... ومن الملاحظ أن الأرواح التى تحتفظ بذاكرتها تكون فى المعتاد قد ماتت فى ظروف عنيفة .



كولن ويلسون

والذين يعملون فى التنويم المغناطيسى يقابلون أحيانا البعض من هذه الأحداث . فقد يحدث أن يطلب القائم بالتنويم الى الشخص المنوم أن يعود الى طفولته ، وأن يروى بعض ذكرياته ، فاذا بهذا المنوم يروى أحداثا ترجع الى قرون مضت ، تبدو مستقلة عن ماضيه كل الاستقلال » .

ويؤكد المؤلف أن بداخل الانسان قوى خفية لا يدركها واضحة الآن ... وانها تؤدى الى حدوث ظواهر روحية متنوعة ، وانها على اتصال بقوى أخرى ، وبأرواح غير منظورة . وكثيراً ما تكون هذه فى حالة تشبه الحمى ، أو الهلوسة ، أو فى حالة من العجز عن التمييز بين الواقع والخيال .

ولكن حدث فى حالات اخرى أن كشفت هذه الأرواح عن وضوح ملحوظ فى الذاكرة ، وأمكنها اعطاء بيانات دقيقة محددة ، وارشدت عن معالم ، وأحداث ، وذكريات معينة أمكن تحقيقها بوسائل التحقيق العادية كما سبق أن قلت .

وهكذا يبدو أن التفاوت بين الأرواح فى قوة الذاكرة ضخم ، كما هو ضخم الى أبعد مدى فى المواهب والملكات العقلية والخلقية . كما

---

(١) The Occult p. 523

يتضح بجلاء صحة ما ثبت تماماً من انتفاء الارتباط المحتوم بين العقل والمخ ، وبالتالى امكان استقلال الذاكرة الانسانية عن جهاز التـذكر فى حالات نادرة ، ولكن لها دلائلها البالغة فى التعرف على الطبيعة الروحية للانسان (١) .

وفى سنة ١٩٧٤ أصـــدر ويلســون كتاباً جديداً عن « الطاقات الغريبة » (٢) عالج فيه بعض الظواهر الوساطية التى صادفها منـــذ بدأت اهتماماته الروحية فى ســنة ١٩٥١ وكان لا يزال فى العشرين من عمــره . ويقول انه اتبع فى دراستها المبدأ الهـام الذى نادى به توماس هكسلى T. Huxley والذى يتطلب منا أن نجلس أمام الحقائق كأطفال صــغار حتى نتعلم منها ، ثم ندع هذه الحقائق تقود تفكيرنا حيثما تشـــاء .

وهو يرى أن اتباع هذا الأسلوب قد يقود الانسان الى انفعال من التصوف المتفتح المسالك ، والى عالم ملىء بالوقائع الغريبة التى تنتظر من يستوعبها ، ويتمثلها فى مملكة المعرفة الانسانية . كما يرى أن العلم يقوم بصفة أساسية على ملاحظة الوقائع التى تتكرر ، ســواء أكانت هذه الوقائع عبارة عن شروق الشمس فى فجر كل يوم ، أم دورة مجرة من المجرات كل مائة وخمسين عاماً .

كما يرى أن الطاقات الروحية تمثل مستوى جديداً من الطاقات الغريبة المتحررة التى تطلق العنان للحاســة السادسة ، أو « للرادار الروحى » بحسب وصفه . وبمقدار ما يعنى الانسان بتنميتها فانه تنمو أيضا لديه حاسة الجـلاء البصرى أو « النظر الثانى » Second sight ، كما تنمو لديه ملكة التلباثى (أى التخاطر) ، والتخمين الصحيح ، والطرح الكوكبى (أى الخروج من الجسد) . وهذه الملكات تمثل عنده نتائج طبيعية لتمتع أصحابها بالصحة النفسية . وقد تعرض هذا الكتاب أيضا لاختبارات الدكتور آرثر جيردهام Arthur Guirdham وهو من المقتنعين بالعودة للتجسد .

---

(١) راجع ما ورد فى الجزء الثانى من « المفصل » ص ٩١ — ١٠٧ .

(٢) Strange Powers.

المطلب الثالث

عن التعليل العلمى لظواهر ارجاع الذاكرة

من الطبيعى أن يثار التساؤل حول تعليل هذه الحالات . وثمة اجماع على أن هذه الظواهر التى تحدث أحياناً فى غيبوبة التنويم المغناطيسى صحيحة لا شك فيها ، بالنظر الى تكرار حدوثها فى بيئات كثيرة ، والى الروابط التى بينها ، والى السمعة النقية التى لاغبار عليها لمن قاموا باثباتها ، ولانتفاء كل مصلحة لهم فى الاثبات أو فى النفى ، لأنهم جميعهم ليسوا من أرباب عقيدة العودة للتجسد ، ولا يعنيهم فى كثير أو فى قليل أن تكون هذه العقيدة صحيحة أو زائفة .

فمحور النقاش هو فى الواقع الوصول الى تعليل صحيح حاسم لهذه الظواهر . ولو حدثت هذه الظواهر فى بيئات تؤمن بالعودة للتجسد كعقيدة شائعة راسخة فى الأذهان كما فى الهند أو اليابان مثلا ، لكان التعليل بالعودة للتجسد أوضح من أن يحتاج الى المزيد من البرهان ، أو لأن يثير اى قدر من النقاش .

ولكن فى بيئات لا تزال تنكر فى جملتها صحة هذه العقيدة من الناحية العلمية ، بل كانت تنكر حتى احتمال دوام الحياة بعد الموت ، كما كانت الحال فى البيئات العلمية فى الغرب كان من الطبيعى أن يثير تعليل هذه الظواهر نقاشاً طويلا ، وأن يحتمل فى نظر الباحثين العلميين أكثر من افتراض .

وأول افتراض أثير للتعليل كان القول بأن الشخص المنوّم يتلقى جميع المعلومات التى يدلى بها عن طريق الايحاء Suggestion من المنوّم شخصيا . ولكن هذا الافتراض سرعان ما ينهار اذا ما أدركنا أن هذه المعلومات نفسها غالبا ما تكون غريبة حتى عن عقل المنوّم الذى لا يعرف عنها شيئا بالمرة . والتى قد يفاجأ بها كما قد يفاجأ بها أى شخص من الحاضرين . وقد يبذل المنوّم جهدا طويلا بعد الحصول عليها للتثبت من صحتها كما سبق أن رأينا ... فكيف يقال أن عقل المنوّم كان هو المستودع الوحيد لهذه المعلومات التى قد تكون بعيدة كل البعد عن ثقافته مهما كان نوعها ، وعن نواحى اطلاعه ؟ ! ومن الغريب أن هذا الافتراض غير العلمى وغير المطابق للوقائع الثابتة لا يزال يثار بمعرفة بعض المعترضين لدحض هذه التجارب ولنفى دلالتها الواضحة .

وبعد أن أخذ يتزايد الاقتناع بدوام الحياة بعد الموت وبامكان حصول استحواذ أو هيمنة روحية على عقل وسيط التنويم المغناطيسى أخذ يبرز تدريجياً افتراض آخر جديد لنفى احتمال العودة للتجسد : وهو أن وسيط التنويم المغناطيسى قد يستمد المعلومات الصحيحة الغزيرة التى قد يقدمها من عقول كائنات سابحة فى الأثير تتابع الواحد بعد الآخر فى الاستحواذ على وعيه ، لامداده بهذه المعلومات الغريبة من ذكريات محددة عن تجسدات سابقة فى هذا العالم الأرضى .

وهذا الافتراض الثانى سرعان ما ينهار بدوره اذا ما لاحظنا ان تتابع عقول الكائنات السابحة فى الأثير فى الاستحواذ على وعى الوسيط من المحال أن يتكرر الواحد بعد الآخر دائماً بنفس الترتيب الزمنى ، كلما أعيدت التجارب ولو لعشرات من المرات وعلى مدى سنين عديدة كما حدث فى بحوث دى روشا ، وديرفيل ، واندريه ديبيل ، وبيير نوفيل ، وموري برنشتين ، والكساندر كانون ، ... وغيرهم فى انحاء كثيرة من العالم . فان الواحد منهم كان أحيانا يوقع نفس الوسيط أو الوسيطة خمسين مرة أو أكثر فتتتابع المعلومات والوقائع بنفس الترتيب السابق سرده تماماً . ولا يتلقى وسيط التنويم من المنوِّم أكثر من الايحاء بارجاع الذاكرة للوراء ، أما نفس المعلومات والوقائع موضوع هذه الذاكرة فهو لا يعلم عنها شيئاً بالطبع بما فى ذلك التواريخ العامة والخاصة ، وأسماء الشعوب والأشخاص ، والأمكنة ، والمدن ، والشوارع والأنهار ، والجبال ، والتقاليد ، والعادات ، والمعتقدات ، والأجهزة المستخدمة ، والمعالم الحضارية ...

ثم ان أى افتراض — حتى يكون مقبولا علمياً — ينبغى أن يلتئم مع سائر الظواهر الأخرى المشابهة ، والا ينبغى رفضه كافتراض صحيح . والمطلوب هنا هو الوصول الى تعليل شامل يلتئم مع ظواهر ارجاع الذاكرة فى غيبوبة التنويم المغناطيسى بقدر التئامه مع الظواهر الأخرى المشابهة التى منها ظواهر « رؤى من قبل » و « سمع من قبل » عندما تحدث وصاحبها فى تمام يقظته ، ولنا اليها عودة فيما بعد ، ناهيك بظواهر أخرى حققها باحثون ثقات حدثت فى غرف الجلسات الروحية ، ناهيك بحقائق العلم وكشوفه الأخرى عن التطور ، وعن العقل ، وعن الشعور واللاشعور ... على ما سيرد بيانه تباعاً فيما بعد . ولا يوجد حتى الآن تعليل يصلح لمواجهة كل هذه الأمور مجتمعة يضاهى فى قوته التعليل البسيط الواضح بالعودة المحتملة للتجسد .

ثم يتبقى بعدئذ الافتراض الأخير الذى قد يثار ، وهو أن التنويم المغناطيسى يجعل المنوِّم على صلة بالعقل الباطن للوسيط وبالتالى يتمكن

من اكتشاف محتوياته ، فكل المعلومات التى قد يدلى بها هذا الوسيط مستمدة من عقله الباطن الذى لا يزال لغزا مغلقا على علم النفس .

واذا سلمنا بذلك كان من حقنا أن نقول ان هذا الافتراض الأخير لا ينفى نظـرية احتمال العودة للتجسـد ، ولا يتعارض معها ، ولذا استبقيناه حتى الآن ، لأنه يمثـل فى الواقع التحليـل الصـحيح بعد الوصول الى التعليل الذى أسلفناه ، فان العقـل الباطن أو اللاشـعور هو المستودع الوحيد لاختبارات المـاضى السحيق برمتها ، سواء أكانت هذه الاختبارات لا تزال تقبع فى هذا العقل كذكريات محددة واضـحة يمكن اسـترجاعها بتنويم أو بغـير تنويم ، أم كانت قد انمحت بمرور الأيام فلم يبق منها غير درجة التطور التى وصلت اليها الذات .

وكل هذا سنعالجه فيما بعد تفصيلا فى الفصـل الثالث ، وانمـا يكفى أن نبادر من الآن الى القول بأن من البديهات التى يقـوم عليها علم النفس التقليدى أن كل ما ينزلق الى العقل الباطن من معلومات ينزلق اليه عن طريق المرور بالعقل الواعى أولا . فاذا كانت الحيـاة الراهنـة للمنوَّم مغناطيسيا تعجز — منذ الولادة حتى لحظة التنويم — عن اعطاء تعليل مقبول عن انزلاق هـذه المعـلومات الى عقله الباطن فلا بد اذاً من البحث عن مصدر آخر لتعليل وصول هذه المعلومات اليه .

وهـذا المصدر يكون اذاً هو التجسدات السابقة التى كان عقـل الوسيط فيها — غير الواعى الآن — واعياً لمـا يدور حوله من اختبارات وأحـداث حلوة ومرة . وفى الأثير يحدث اندماج بين العقلين كمـا قلت أكثر من مرة . وعند العودة للتجسـد يتجسد جانب أو شطر محـدود فحسب من وعى الانسان فيصبح هـذا الجانب وحده واعياً وما عداه غير واع ، وهكذا الى أن تتكامل الشخصية عن طريق التجسدات المتكررة، ببطء شديد وبعد أحقاب بعيدة (١) .

المبحث الثانى

عن ظاهرتى « رؤى من قبل » و « سُمع من قبل »

ثمة حالات نادرة من عودة الذاكرة الواعية تلقائياً الى صاحبها عن أحـداث لا تمت بأية صلة الى حياته الحاضرة ، فيروى أمورا لا يعرف

(١) للمزيد راجع ما ورد فى الجزء الثانى من « مفصل الانسـان روح لا جسـد » ص ٢٩٤ — ٢٩٦ على لسـان الدكتور جوستاف جيلى مدير « المعهـد الدولى لمـا وراء الروح » بباريس .

أحـد مصـدرها فى تسلسل عمليـات عقله الواعى ويطلق عليها ظاهرة « رؤى من قبـل » (Seen before بالانكليزية أو déjà vù بالفرنسية) .

أو قـد يروى أموراً لم يسمع عنها من قبل فى حياته الحاضرة ، ولا تمت بأية صلة الى هـذه الحياة ولكن قد يثبت فيمـا بعد صحتها بسـبل التحقيق المـادية ، ويطلق عليهـا ظاهرة « سُمع من قبـل » heard before بالانكليزية أو déjà entendu بالفرنسية) .

وثمة حالات أخـرى قد يثبت بسبل التحقيق المـادية أنها غـير صحيحة وبالتالى تنتمى الى تخيل موهوم للرؤى أو للسماع من قبـل ويطلق عليها عندئذ ظاهرة « ما وراء النسيان » Paramnesie ، بمعنى أن هـذه الأحداث لابد أن تكون قد مرت بصاحبها من قبـل فى حياته الحاضرة ، ثم ظلت قابعـة فى العقـل الباطن الى أن طفت من جديد الى العقل الواعى ، وذلك بتأثير الوجود فى مكان أو فى ظروف معينة .

وهـذه الظواهر النادرة أصبحت موضـع اهتمام بالغ من الأبحاث الحـديثة فى الباراسيكولوجى التى تحـاول استكشـاف أغـوار الذات الانسانية بمـا فى ذلك أغوار العقلين الواعى والباطن ، سواء أفى غيبوبة التنويم المغناطيسى على النحـو الذى تعرضنا له فى المبحث السابق ، أم خارج الغيبوبة ، وهذا هو موضوع المبحث الحالى . والأمر الهـام ليس فحسب هو تسجيل هـذه الظواهر بدقة ، وعناية ، ومثابرة ، بل أيضاً تحليل هـذه الظواهر تحليلاً علمياً صحيحاً ، للخـروج منها بدلالاتهـا المحتومة .

* * *

وهذه الظواهر ليست حديثة ، بل هى قديمة قدم الانسان ، ولكن كان علم النفس القديم لا يعطيها ما تستحقه من عناية ، أو ينكر حدوثها بتاتاً . واذا سلم بحدوثها فذريعة العقل الباطن أمامه يستند اليها بالحق أو الباطل . واذا لم تسعفه الملكات المسلّم بها للعقل الباطن ، اذاً فليسبغ على هذا العقل الباطن ملكات متجددة شاذة لا حدود لها ، ولا يسلم بها نفس مفهوم العقل الباطن كما وصلوا اليه ، كما لا يسلم بهـا أى بحث موضوعى محايد عن موضع الانسان الحقيقى فى الأرض ، وعن تحـديد صلته بنواميس الكون المـادية أو الروحية .

ولكن كيف تتوقع بحثاً موضوعياً محايداً من علم كان قـد ارتبط ارتباطاً تاماً منـذ قرنين كاملين بالفلسفة المـادية عن الوجـود ، فجعل الفترة القصيرة الأليمة التى يقضيها الانسان على الأرض هى مبدأ حياته

ونهايتهـا ولا شيء غير ذلك ؟ وباصرار عجيب وعنـاد لا يقبل جدلاً ولا نقاشاً ؟

ولذا فاذا فرضنا أن طفلاً من الأطفال اخذ فى الحديث عن أحداث محددة يرويها على أنها حدثت له فعلاً ، وقد يختلط عليه الحاضر بالماضى ، فيأخذ مثلا فى البحث عن أم غير أمه ، وعن أب غير أبيه ، وينادى على أسماء ذويه ، ويعيّن معالم محددة لمدن ، وطرقات ، وازياء ، واطعمة ، وعادات ، وطقـوس ، وآراء ، وأهوال غريبـة كل الغرابة عن حيـاته الحاضرة ، فان التعليل الواضـح عند علم النفس القديم هـو أن العقل الباطن عند هذا الطفل يدور فى دوامة نشاط غير عادية ، فلا ينبغى ان نقلق له أو أن نتصور فى الأمر شيئاً هاماً ، أو انه قد يخفى دلالات لها مغزاها عند من يبغون الوصول الى الحقائق .

ولكن من أين يستمد العقل الباطن هذه المعلومات ؟ وما هو المنبع الغريب المتدفق الذى ينبع منه مثل هذا العقل الباطن الذى يغلى وهو فى يقظة صاحبه بنشاط غير مألوف ؟ هذه هى المشكلة ، أو فى الواقع هذه هى عقدة العقد اذا ما سلمنا بصحة امثال هذه الظواهر وبصحة وقوعها فى أماكن عديدة ، ومناسبات لا حصر لها . وفيمـا يلى نعالج فى مطلب أول طائفة من الوقائع والتحقيقات الموثوق فى قيمتهـا ، وفى مطلب ثان نعالج موضوع التعليل العلمى لهذه الظواهر .

المطلب الأول

طائفـة من الوقائع والتحقيقات

ماذا يقول لامارتين ؟

الوقائع التى من هـذا القبيل كثيرة واكثر مما نتصـور ، وبعض رواتها كانوا من كبار العلماء أو الشعراء ، أو رجال الفكر الذين لا يهزلون ولا يتسرعون . ومن هؤلاء مثـلاً الشـاعر الفرنسى الكبير الفونس دى لامارتين A. de Lamartine الذى يقول فى كتاب له عنوانه « رحلة الى الشرق » (١) عن سياحة قام بها الى فلسطين : « لم يكن عندى انجيل ، ولا دليل سياحى ، ولا مرشد ، ومع ذلك لقد تعرفت تلقائياً على مواقع كثيرة ، منها الأرض التى حارب فيها شاؤول .

وعندما كنا فى الدير ، أيّد لى الآباء صحة احاسيسى ، ولم يصدّق

(1) Voyage en Orient.

ذلك مرافقىّ . وفى مكان ما اشرت الى تل من التلال وعينت اسمه ، وكان عليه انقاض مبنى قلت انه من المحتمل أن يكون محل ميلاد السيدة العذراء . وفى اليوم التالى تعرفت على قبور المكابيين ، واشرت اليها بغير أن يرشدنى احد .

وفيما عدا لبنان فاننى تقريباً لم أقابل فى أرض اليهودية مكاناً او شبأ لم يحرك فىّ تذكاراً ما . فهل نحن عشنا اذاً مرتين أم ألف مرة ؟ وهل ذاكرتنا ليست سوى صورة باهتة تحييها نسمة الاله ؟ » .

ويتعذر تعليل ذلك باطلاع لامارتين على الانجيل ، لأن الانجيل لا يعطى أية بيانات محددة عن هذه المعالم ، أو المناظر ، أو البقاع ، التى كانت مسرحاً للأحداث التاريخية . كما يتعذر تعليلها بنوع من الجلاء البصرى الذى يحدث فى الغيبوبة ، أو فى اليقظة النومية الحركية ، لأن لامارتين لم يكن فى حالة من هذه الحالات . كما يتعذر تعليلها بارشاد روحى لأن للارشاد الروحى دلائل وعلامات معينة . ثم لماذا تعرف لامارتين على معالم موجودة فى بقاع معينة ولم يتعرف على معالم غيرها كتلك الموجودة فى لبنان كما قال ... فهل عاش لامارتين هناك فى فلسطين فى حياة سابقة ؟ !

طائفة اخرى من « ذكريات » بعض الأعلام

وفى جريدة اسمها « الصحافة » La Presse نشر احد الكتاب الفرنسيين ـ بتاريخ ٢٠ سبتمبر ١٨٦٨ ويدعى بونصون دى تيراى Ponson de Terrail ـ وكان مناهضاً للروحية ـ أنه يذكر أنه عاش فى انجلترا تحت حكم هنرى الثالث وهنرى الرابع ، وأن الملك العظيم بحسب ذاكرته لم يكن يشبه فى شىء ذلك الذى كان يتحدث عنه والده .

ويقول ان تيوفيل جوتييه Théophile Gautier والكسندر ديماس Aléxander Dumas أكدا فى مناسبات عديدة اعتقادهما بأنهما قد مرا بحيوات سابقة استناداً الى ذكريات شخصية باقية لديهما منها .

* * *

كما يقول كاتب آخر فى « الجريدة الأدبية » journal Littéraire الصادرة بتاريخ ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٦٤ فى مقالة عن تاريخ حياة الكاتب ميرى Méry أنه كان يعتقد اعتقاداً جازماً أنه سبق له أن عاش عدة مرات . وأنه يذكر بعض الظروف الصغيرة المتعلقة بتلك الحيوات ، ومنها أنه اشترك فى حرب أهل الغال وحارب فى ألمانيا تحت امرة جرمانيكوس

Germanicus . وانه تعرف على عدة مواقع سبق أن عسكر فيها ، وعلى بعض وديان حارب فيها وكان اسمه عند ذاك يدعى مينيوس « Minius » .

وهنا واقعة هامة قد تبين أن هذه الذكريات ليست مجرد انعكاسات قادمة من الخيال : وهذه الواقعة هى أنه فى يوم من أيام حياته الراهنة كان فى روما يزور مكتبة الفاتيكان وهناك قابله بعض السيدات والرهبان الذين تحدثوا معه بلغة لاتينية فصحى ...

وعندئذ بدا له أن غشاوة ما قد انقشعت من على عينيه ، فانه — رغم أنه كان يعرف اللاتينية لكنه لم يتحدث بها مطلقاً — وتذكر عندئذ أنه سبق له فيما مضى أن تحدث باللغة اللاتينية مع أصدقائه القدامى الذين كانوا يتحدثون بها ، فأخذت الجمل تتدفق من بين شفتيه باللاتينية وبمقدرة غريبة ، وعثر فجأة على أناقة العبارة وصحتها ، وتحدث بها بطلاقة كما لو كان يتحدث بالفرنسية . وكل ذلك كان من المحال أن يحدث الا نتيجة تعليم ومران ، وأنه ما لم يكن قد مر بهذه اللغة فيما مضى فانه كان من المحال عليه أن يحصل بغتة على قدرة كهذه .

ويقول صاحب المقال ان الحديث هنا لم يكن عبارة عن نطق بضع كلمات بلغة أجنبية كما يحدث أحياناً فى بعض حالات اليقظة النومية الحركية ، أو فى حالات الحمى الشديدة ، حيث يتفوه أحياناً الانسان ببضع كلمات ، أو يروى بعض مشاهد تكون قد مرت فعلاً فى حياته الراهنة ثم نسيها . كلا بل لقد كان الأمر متعلقاً بحوار اجراه شخص متيقظ فى طلاقة بلغة لم يستخدمها من قبل فى الحديث ، وبلا تردد ، أو تعثر ، وباستخدام كامل لمواهبه الدفينة .

وهذا يعنى بحسب الظاهر ، بالنسبة للنطق ، وللتعبير عن الآراء استخدام قدرة ظلت خامدة لأمد طويل ، لكنها استيقظت فى الوقت المناسب ، وبتأثير دفعة من جهوده الخاصة . ولا يمكن لانسان أن يستحوذ بغتة على قدرة الحديث فى طلاقة بلغة ما حتى ولو كان يعرفه كلماتها ، وقواعدها النحوية .

ثم يتبقى الجانب الاخطر وهو التعبير عن الآراء فان ذلك يتوقف على حسن استخدام عضلات الحنجرة ، وعلى الجهاز العصبى ، ولايمكن تحقيقه الا بالمران . فاذا أضيف الى البعث المباغت الذى حدث فى اللغة ،

الذكريات المحددة التى تحركت لديه عن الأماكن التى كان فيما مضى يسكنها ويرتادها . فانه تتوافر قرائن قوية جداً لتقبل الحيوات المتعددة بوصفها تمثل أكثر التفسيرات قبولاً من الناحية المنطقية .

* * *

ويروى الجنرال الأمريكى جورج باتون George Button (١٨٨٥ — ١٩٤٥) عن نفسه انه كان وسيطاً للجلاء البصرى . ويقول انه واجه موقفاً حرجاً فى الحرب العالمية الأولى عندما كان يقود جيشه فى فرنسا ثم شاهد أرواح بعض أقاربه المنتقلين ، فكان أن جاءه الالهام بالمبادرة الى الهجوم الفورى ، فنهض وقام بهجمة مباغتة حققت النصر لجيشه ، واصيب فيها بجراح بليغة شفى منها فيما بعد .

كما يقول انه شاهد روح والده مراراً عديدة ، وانه ظهر له بعد وفاته فى سنة ١٩٢٦ بسنة واحدة ، وانبئه بانه سيشترك فى أكبر حرب فى التاريخ ، وقد تحققت النبوءة باشتراكه فى الحرب العالمية الثانية .

وكان الجنرال باتون يعتقد أيضاً فى صحة العودة للتجسد ، ويقول انه فى تجسد سابق له اشترك فى حروب طروادة ، ثم فى فرقة قيصر العاشرة ، ثم فى الحروب الصليبية .

وهو فى ذلك يشبه نابليون بونابرت الذى كان يعتقد أنه هو نفسه الاسكندر الأكبر ، وقد عاد للتجسد من جديد . وكان نابليون يؤكد ذلك لبعض خلصائه الذين كانوا يحملون أقواله على محمل الدعابة لا الجد .

وبطبيعة الحال يتعذر اقامة الأدلة على صحة هذه الأقوال ، التى لا قيمة لها البتة فى مقام الدراسات العلمية ، وانما أوردناها هنا لبيان كيف أن عدداً من الشخصيات البارزة لم تجد غضاضة فى الحديث عن تجسدات سابقة لها ، تقول ان آثارها لا تزال عالقة بذاكرتها .

ولعل هذه الظاهرة تفسر أيضاً لماذا أن العدد الأكبر من كبار الوسطاء الروحيين يميل الى القول بصحة هذا الاعتقاد نقلاً عن بعض الارواح المراسلة أو المرشدة ، ولنا فى مكان لاحق وقفة كافية عند هذا الموضوع ، وانما ينبغى الآن ان نسرد أولاً بعض الوقائع التى تأيدت بتحقيقات متعددة فى بيئات وظروف متنوعة ، عن ظاهرتى « رؤى من قبل » و « سمع من قبل » .

بعض الوقائع التى تأيدت بتحقيقات

وفيما يلى نقدم بعض نماذج من هذه الوقائع الفريدة التى تأيدت بتحقيقات مأخـوذة من كتاب قيم لمؤلف يدعى جوفرى هدسون عنوانه « العودة الى الحياة وهل هى حقيقة أم خرافة » (١) ، وذلك عن الترجمة العربية (١٩٥٧) لصديقنا الأستاذ زكى عوض المحامى بالنقض . وفيـه يقدم المؤلف عدة حالات محوطة بضمانات كافية ، ويقول فى تقديمها :

حالة صبية هندية

ولقـد سجلت حالات عديدة عن تذكر الحوادث السابقة وكانت دلهى عاصـمة الهند مسرحاً لاحـداها ، حيث أفلحت صبية هنـدية فى الثامنة والنصف من عمـرها فى اقتفاء اثر منزلها الغـابر والتعرف على أقارب حياتها المنصرمة . وهـذه القصة كما حققها بنفسه عضو بارز فى الجمعية الثيوصوفية قد نشرت بمجلة « الثيوصوفية فى الهند » (٢) بعدد يناير — فبراير سنة ١٩٣٦ ، فى وقت كانت فيه القصة ماثلة للأذهان .

وكانت الفتاة فى السنوات الثلاثة الأولى لطفولتها خرساء لاتنطق ، يشـيع الاكتئاب فى محياها وتعكف على التأمل ، ولكنهـا منـذ سنتها الرابعة شرعت تتحدث عن منزل لها فى بلدة مانورا التى تبعد عن دلهى نحو ١٠٠ ميل . ولم يعرها أبواها ولا أقاربها آذاناً صاغية مع أن مربياتها وصفنها بالذكاء . وبعد نحو ثلاث سنوات أو أربع صمم جار للعائلة وهو محام على أن يبحث ويستقصى .

وقـد اعتادت الفتاة أن تقول أن الحلوى والفاكهة والنقود كانت متوفرة فى منزلها القديم . ثم وصفت بالتفصيل أعمال زوجها ، وحددت موقع منزلها وتصميمه وطلاء جدرانه ، والمحت الى أقاربهـا . وحينما كان يرد ذكر زوجها كانت تحنى رأسها بايماءة الاحترام التقليدية . ولو أنها فاهت باسم صهرها ، الا أنها طبقاً لعادة متأصلة لدى الهنود لم تنطق باسم زوجها ، بل قنعت بالقول بانها كانت أماً لطفلين مات أولهما أثنـاء مقامها على الأرض ، ثم قضت هى بعد مولد طفلها الثانى بعشرة أيام .

وحتى يتسنى للمحامى صديق الأسرة مواصلة تحرياته فانه استدرج الفتاة الى أن تذكر اسم زوجها ، وطلب من الفتيات أترابها اللواتى كن يلهون معها أن يسألنها عن ذلك ، فخطت الفتاة لاحداهن على قطعة ورق

---

(١) Reincarnation Fact or Fallacy ?

(٢) Theosophy In India.

باسم ك.ش. من ماثورا . وكان التأييد نصيب هذه المعلومات ، واثناء ذلك كانت الفتاة دائمة الالحاح على والديهـا بأن يصحباها الى منزلهـا القديم بماثورا . وحدث أثناء تلقى احد الدروس انها اخذت تبكى وتتوسل الى مربيتها أن تأخذها الى ماثورا ، وقـد أجابتها المربية باستحالة ذلك ما لم تصرح باسم زوجها وعنوانه ، فخطت الفتـاة مرة أخرى اسـمه ك.ش. على قطعة من الورق وناولته لمربيتها . وهكذا اقتنع والداها بأن معلوماتها صادقة . وقد بعث المحامى الصديق بخطاب الى السيد ك.ش. يخبره بجلية الأمر دون أن يدرى أن التأييد كان فى طريقه اليه .

فبعد أيام قليلة أجاب السيد ك.ش. بأن حوادث حياته كما سردتها الفتاة تنطبق عليه ، واقترح عقد اجتماع بأخيه الذى كان يؤدى اذ ذاك عملا بدلهى . وقد تعرفت عليه الفتاة كأخ لزوجها . وتبين من الاستجواب الذى تلا ذلك أن أوصاف المنزل وظروف وفاة زوجـة السيد ك.ش. كانت صحيحة جملة وتفصيلا ، وتشبثت الفتاة باصطحاب صـهرها فى الحياة السابقة فى الذهاب الى ماثورا ، الا أنه نظراً لعدم وجود صداقة بين الأسرتين ، فقد تعذر تحقيق ذلك .

وبالطبع اهتم السيد ك.ش. بهذا الأمر وانتقل بعد قليل من ماثورا الى دلهى مع ابنه الذى ولد له من تلك الطفلة فى حياتها السابقة ، ليرى بعينيه الأم الصغيرة والتى انفجرت باكية حينما رأته ، وأحنت له راسها احتراماً . وحينما سئلت عن هوية ذينك الشخصين ، فانها لم تتردد فى القول بأن أحدهما كان زوجها والآخر ابنها . ثم سردت تفصيلات عمـا يهواه زوجها وعما يعافه . ووصفت بدقة الشـامات والسمات الأخـرى التى تميز جسم زوجها .

ولفرط اندهاش الأصدقاء والأقارب الذين كانوا مجتمعين بالمنزل فقد أيد السيد ك.ش. جميع ما قالته الفتاة . وعلى الفور توثقت عرى الصداقة بين الصبية والطفل وأصبحا مسرورين . وبهذا تقـوى الدليل على أن الفتاة لابد انها كانت الزوجة السابقة للسيد ك.ش. وأنها عادت للحياة بعد سنتين وثلاثة شهور من وفاتها .

ولتخفيف أثر الصدمة التى يحدثها الفراق المباغت فى ذهن الفتاة الصغيرة فقد اخـذ المحامى فريق المجتمعين فى جـولة فى أرجـاء دلهى الجديدة ، حيث كانت الفتاة فى أثنائها تمرح مع الصبى اذ كانا سعيدين بعشرة أحدهما للآخر . وفى الواقع قـرر المحامى الصـديق الذى كان يعرف الفتاة منذ طفولتها ، بأنه لم يرها أشـد مرحاً مما رآها فى تلك المناسبة .

وهنــاك بيّنة اخرى ترقى الى مصاف الدليل على أن الفتاة كانت تجسداً ثانياً للزوجة السابقة . فقبل أن يقوم المجتمعون بالجولة اشترت الفتاة الى أمها بأن تعدّ للضيوف الواناً معينة من الطعام ، وأن تقدمهـا اليهم قبل رحيلهم . وحين عودة السيد ك.ش. من تجواله دهش ، بل انه صـدم فعـلا ، حينما رأى أمامه على المـائدة الوان الطعـام المحببة اليه ، والتى كانت زوجته المتوفاة تعدها له. وسلّم السيد ك.ش. بانه مع زوجته السابقة كانا ، كما زعمت الفتاة الصغيرة ، زوجين هانئين ، وان تلك الزوجة كانت تكن له كل اخلاص .

دليل قضائى عن حياة سابقة

وهناك حالة أخرى تثبت جلياً حياة سابقة ، وقد نشرت فى كتاب « مغامرات عند العرب » (١) بقلم و.ب. سيبروك ، جاء به ما يلى :

« أن كل نفس قد مرت قبلا بتجسدات بشرية عديدة ... واكثر هذه الحالات تشويقاً هى قصة سمعنها عن شخص يدعى منصور اطرش ، ويجزم بصـدقها عشرات الناس فى جبل الدروز . وكان منصور اطرش هذا قد تزوج من صبية فى الثانية عشرة تدعى أم رمان ، وحدث أن قتل الزوج فى غارة منذ ثلاثين عاماً . وفى ذات الآونة التى لفظ فيها منصور اطرش أنفاســه الأخيرة ــ وهـو وقت تحققت صحته ، ولد لأسرة من الدروز فى أحد جبال لبنان يبعد مئات الأميال ، طفـل أطلق عليه اسم نجيب أبو فاراى . وقد شبّ الطفل حتى بلغ العشرين دون أن يغادر موطنه الجبلى ، ولكنه ما أن انتقـل بطريق الصـدفة الى جبل الدروز الموطن السابق لمنصور أطرش حتى هتف قائلا : « لابد أن أكون فى حلم ؛ فهـذه الأماكن شاهدتها قبلا ، وهى مألوفة لدىّ أكثر من جبالنـا » .

وحينما بلغ الصبى القرية التى كان منصور اطرش يعيش فيها قال : « ان هذه قريتى ويقع منزلى فى نهاية الشارع وفى ناحية معينة منه » . ثم سار رأسا فى الشوارع المتعرجة صوب منزل منصور اطرش . واتجه الى مخبأ مسور وهدم جداراً وكشف عن كيس صغير به نقود تذكر أنه وضعه هناك فى حياته السابقة . وبعد ذلك ذهب الى كروم عائلة اطرش حيث كانت بها حدود متنازع عليها . واشار الى الحدود وقرر أنه هو الذى وضعها حينما كان منصور أطرش فيما سبق . وبهذا القول المدعم بالدليل أخـذت محكمة للدروز . كما أنه بسبب الأدلة العـديدة التى ساقها على شخصيته ، فقد تعرف عليه منصور أطرش وسلموا بأن اباهم

Adventures In Arabia (1)

عاد الى الحياة . وقد تلقى من عائلة اطرش شحنة حبوب على قافلة من الجمال هدية له .

قوة الذاكرة تتعزز بأدلة مادية

فى عـدد مايو سنة ١٩٤٤ نشرت مجلة Life Digest مقالا بعنوان : « هذا الصبى عاش قبلا » (١) الحالة التالية لتذكر حياة سابقة :

« فى النصف الثانى من سنة ١٩٢٢ وفى مدينة باريللى بالهند أثار طفل هندى فى الثالثة يدعى « فشوانات » دهشـة والديه بأن سرد لهم تفاصيل دقيقة لما زعم انه حياة سابقة له . وقد أرهق الطفل والديه بمعلومات عن مكان يدعى بيلبهيت وألح فى معرفة بعده عن باريللى . كما التمس من أبيه أن يصحبه اليه . ولما كان والداه يعتقدان خطأ أن الأطفال الذين تكون لهم مثل هذه الذاكرة يموتون صغاراً ، فانهما عملا ما فى طوقهما ليقلع الطفل عن أوهامه الغريبة . الا أن الطفل حينما شب زاد انشغاله بحياته السابقة مما اضطر الوالدين الى النزول على رغبته . فصحباه الى المدرسة الحكومية العليا فى بيلبهيت . ولكنه صرح بأنه لا يعرف شيئاً عن تلك المدرسة . وفعلا اتضح أن المدرسة كانت حديثة البناء .

وقد أدهش فشوانات سامعيه بفيض من المعلومات عن حياته السابقة فى بيلبهيت ، فقال ان جارا له يدعى « لافاسندرلال » كان يفخر ببوابة خضراء وسيف وبندقية ، وكان يحيى حفلات راقصة تقوم بها فتيات فى فناء منزله . وقال أن أباه كان حينذاك مالكاً لعقارات ، ومدمناً على الخمر ، ومولعاً بتناول سمك « روهو » وبالحفلات الراقصة . ثم انه تلقى علومه فى المدرسة الحكومية ، ونجح فى اللغة الاردية والهندية والانجليزية ، وانه بلغ الفصل السادس بها . وقد ثبت بعد ذلك صدق هذه الأقوال . ووصف الصبى محتويات المنزل الذى كان يعيش فيه . وحينما أخذ الى المبنى فقد وجد كل شيء مطابقاً لوصفه بما فى ذلك موقع درج السلم . وقد أشار الصبى بأصبعه الى شخص فى صورة فوتوغرافية وقال انه هار نارين . وفى النهاية توج ذكرياته الغريبة لحياته السابقة بأن أشار الى نفسه فى الصورة كصبى يجلس فى مقعد . وهذا الصبى الذى أشار اليه كان « لركسمى نارين » ، ابن « بابوناى نارين » ، الذى توفى بذات الرئة فى الثانية والثلاثين بمدينة شاجهنبور فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٨ . ومن بين التفصيلات الأخرى التى سردها فشوانات بدقة ، الموقع الصحيح للفصل السادس بالمدرسة المحلية والمظهر الخارجى لأستاذه ، وأسماء

(١) نشرت القصة أصلا فى مجلة Answers بلندن .

الأماكن التى عمل بهـا ، واسم خادمه الخـاص . وقد أيّد خال الصبى العديد من هذه التفصيلات ، ومن بينها حقائق سها عنها الجميع » .

استرداد الذكرة والموهبة

أقسم هـ. فيلدنج هـول مؤلف كتاب عنوانه « روح شعب » (١) على صحة قصة فتاة صغيرة فى السابعة عن تجسدها السابق ، وجاء بهـا انها كانت رجلا أدار معرضاً للعرائس المتحركة . وانه للتأكد من مطابقة القصة للواقع ابتاع لها والدها عروسـة أو دمية ، فما كان منها الا أن أمسكت على الفور خيوطها بيديها بكيفية صحيحة ، مع انها لم تكن قد رأت عروسة متحركة من قبل وقالت : « لقد تزوجت بأربع نسوة ماتت منهن اثنتان وطلقت الثالثة ، وظلت الرابعـة على قيد الحياة حتى وفاتى ، ولا تزال حية ترزق . واننى كنت أحبها حباً جماً وأما التى طلقتها فانها كانت امرأة سليطة . واذ أشارت الى ندبة على كتفها أضافت : « تطلع الى هذا ! انها أمسكت بساطور وهوت به على كتفى » .

وقد أجرى فيلدنج هول بعض التحريات فتبين له أن علامة مميزة ولدت بهـا الطفلة تطابق تماماً علامة أحدثتهـا بالمـالك السابق لمعرض العرائس زوجته المطلقة والتى أمكنه العثور عليها . أما الزوجة المطلقـة والزوجة المحبوبة فقـد كانتا لا تزالان على قيد الحياة . وحينما سئلت الفتاة ، لـماذا لا تذهب للاقامة مع الزوجة التى احبتها كثيراً ، اجابت ببساطة الأطفال : « كيف ! لقد تم كل هذا فى حياة سابقة ! » . وفوق ذلك فانها وصفت بدقة أماكن وأناساً لم ترهم يعيشون فى بقاع نائية ، ولكنها عرفتهم فى حياتهم السابقة .

جندى يولد من جديد

نشرت الحالة التالية بمجلة American Magazine بنيويورك عدد يوليو سنة ١٩١٥ بقلم احدى الرسامات فى مينا بوليس . وتلك الرسامة كانت الأخت الكبرى للصـغيرة آن ، وحتى وقـوع الحادث لم تكن هى ولا أى فرد من أفراد أسرتها يعتقد ، أو يعلم شيئاً عن عقيدة العودة الى الحياة . قالت :

« كانت آن ، وهى أخت غير شقيقة تصغرنى بخمسة عشر عاماً - فتاة غريبة الأطوار منذ نعومة أظفارها ، وهى لم تكن تشبه أحدا من أفراد الأسرة لأن لونها كان قاتماً فى حين كان الآخرون شقراً ، ينبئون بغير خطأ عن أسلافنا الارلنديين . وما أن شرعت الفتاة تنطق بعبارات مترابطة حتى

---

(١) The Soul of a People

أخـذت تسرد قصصـاً خياليـة ، وللتسلية كنت اخط بقلمى فى يومیتی العتيقة ، ما كانت تثرثر به . ولسبب مشغولية أمى فقد كان امر الفتاة موكلا الىّ . وكنت فخورة بأختى ، ولم يكن نسيجها الفكرى من خيالات الأطفال المعتاد ، بل كان يتضمن شذرات من المعرفة يقصر الطفل عن الاحاطة بها ، أو ارتشافها بأية وسيلة .

وثمـة أمر آخـر عجيب ذلك أن كل ما كانت تأتيه آن كان يبدو أنه بطريق عادة متأصلة فى نفسها . وفعلا كان الحاحها قوياً ، ولو أنهـا لم تستطع أبداً أن تفسر ما تقصده به . ولو كان قد اتيح للقارىء أن يرى الكيفية الصاخبة التى كانت ترفع بها الى فمها كوز اللبن ، حينما لم تكن قـد جـاوزت الثالثة فقط من عمـرها ، وكيف كانت تجرعه فى جرعة واحـدة ، لا غرق فى الضحك . وقد أزعج أمى هـذا الأمر فوبخت آن مراراً . وكانت الطفلة روحا طيبة ومطيعة ، فاذا ما اقدمت فى لحظة من شرود الذهن على عمل يسبب كمداً ، فانها تشرع فوراً فى الاعتذارات مرة بعد أخرى ، وتقول بنبرات الطفولة والدموع تترقرق فى مآقيها : « لست أستطيع غير ذلك يا أماه . لقد كنت أفعل ذلك بتلك الطريقة ! » .

وقـد بلغت تلك الحـركات الطفيفـة كعادتها فى الكلام والتفكير والتذكر من الكثرة حداً قررنا معه أن لا نعيرها اهتماماً . كما انها هى ذاتها كانت غير واعية بأنها تختلف كثيراً عن أترابهـا . وحدث ذات يوم حينما كانت فى الرابعة أن غضبت مع أبى لأمر ما . وحينمـا جلست القرفصاء على أرض الغرفـة أمامنا كشفت عن نيتها فى الانطـلاق ومفارقتنا الى الأبد ...

وأجابت الفتـاة بطريقة عرضية : « كلا . كلا . لقد كنت هنا على الأرض مرات عديدة . وأحياناً كنت رجلا ، وأحياناً أخرى امرأة ! » .

وكانت الفتاة رصينة فى حديثهـا حتى أن أبى ضحك ملء قلبه ، مما اثار غضب الفتاة لأنها كانت تمقت أن يسخر منها احد » .

واكّدت الفتاة فى حنق : « نعم لقد كنت كذلك ! وحدث ذات مرة أن ذهبت الى كندا حيث كنت رجلا . اننى أتذكر اسمى جيداً حينذاك » .

وهـزأ بهـا الأب مستخفاً وقال : « ان بنـات الولايات المتحـدة لا يصبحن رجالا فى كندا ! لعمرى ماذا كان اسمك الذى تذكرينه جيداً؟ » .

وصمتت الفتاة هنيهة ثم هتفت قائلة : «كان اسمى ليشس فابر» . ثم رددت الاسـم بقـوة أوفر « نعم كان اسمى ليشس فابر » . وقـد ربطت النبرات معاً بحيث لم استجمع من اللفظ أكثر من ذلك . ولا يظل هذا الاسم فى يوميتى حتى الآن : ليشس فابر .

وابتدرها الأب بتلك الرزانة الساخرة التى تتلاءم مع تأكيداتها حتى يهدىء ثورة غضبها : « وماذا كانت مهمتك يا ليشس فابر فى تلك الأيام الخوالى ؟ » .

وأردفت الفتاة بلهجة الظفر قائلة : « لقد كنت جنديا واستوليت على الأبواب ! » .

وكان هذا ما سجلته بمفكرتى . وأذكر أننا حاولنا مرة بعد اخرى أن نستدرج الفتاة لكى تفسر لنا ما اغلق علينا فهمه من عباراتها الغريبة ؛ ولكنها لم تفعل اكثر من تكرار كلماتها . ثم حنقت منا لعدم فهمها اذ وقف خيالها عند هذا الحد . وكنا اذ ذاك نعيش فى أحضان بيئة مهذبة . ورغم أننى رويت القصة لأستعلم عن مغزاها ، كما يفعل المرء أحياناً فى سرد قصص الأطفال المحببين ، فان أحداً لم يجد لها تفسيراً .

على أن البعض استحثنى ان أسبر غور الأمر . ولمدى عام عكفت على دراسة كتب التاريخ التى وقعت تحت يدى عن كندا ، بحثاً عن معركة « استولى فيها شخص ما على الأبواب » ولكن دون جدوى . واخيرا وبعد مرور عام فقدت فيه كل أمل فى الوقوف على دليل ، وجهنى بائع كتب الى مخطوط عتيق ومضحك تتشابه فيه رسوم الحروف وتتشابك . ولئن كان الكتاب عتيقاً وغريباً الا انه كان بهياً وشيقاً فى سرده لكثير من القصص وقد استرعت انتباهى قطعة حجبت من ذهنى سائر ما عداها ، اذ كانت سردا موجزاً لاستيلاء فرقة من الجنود قليلة العدد على مدينة صغيرة مسورة ؛ وهى مأثرة ممتازة من نوع معين ، ولكنها ليست بذات بال . ثم قفزت امام عينى العبارة التالية : « وقد استولى على الأبواب ملازم ثان شاب مع فرقته القليلة العدد ، وكان اسم هذا الشاب ليشس فابر ! » ...

من تحقيقات ستفنسون

والحالات الحديثة التى تم تحقيقها جديا فى هذه الظاهرة الفريدة تعد الآن بالمئات وربما بالآلاف ، وأعنى بها تلك التحقيقات الدقيقة التى قام بها بحاث يعرفون كيف يميزون تماماً بين الروايات أو الأساطير من جانب ، وبين الوقائع الصادقة التى لا تمت بأية صلة الى الروايات أو الأساطير من جانب آخر ، كما لا تمت بأية صلة الى الاقتناع السهل المبتسر .

وهذه التحقيقات آخذة فى التزايد المستمر بالنظر الى اتجاه اهتمام علماء الباراسيكولوجى فى بعض جامعات الغرب الى تجميع اكبر عدد منها لتوسيع رقعة البحث من جانب ، ولاستخلاص العنصر الثابت فيها طبقاً للأسلوب الرياضى ، لاستخدامه فى الكشف المثمر عن اغوار الذات الانسانية ، ويا لها من اغوار لا تنتهى أبداً ! !

ومن أبرز هذه الأخيرة تلك التحقيقات التى قام بهـا حديثـاً الدكتور ايان ستيفنسون Ian Stevenson استاذ التحليل النفسى حاليـاً بكليـة الطب بجامعـة شارلوتسفيل بفرجينيـا Virginia بالولايات المتحدة الأمريكية والذى بعد أن جمع حوالى ثلاثمائة حـالة منهـا استبقى عشرين فقط بوصـفها جـادة تمـاماً وجـديره بالاستبقاء، وبالتحليل العلمى التفصيلى وسردها فى كتـاب قيم له عنـوانه : « عشرون حـالة ترشـح لعـودة التجسـد » (١) (١٩٦٦) .



ايان ستفنسون

وهذه الحالات التى حققها ستيفنسون منها حالة وقعت فى لبنان . وسبع فى الهنـد ، وثلاث فى سيلان ، وحالتين فى البرازيل ، وسبع فى جنوب آلاسكا بين هنود التلينجيت Tlingit Indians . وتحقيق كل حالة منها استغرق العشرات من الصفحات ، وجرى على نمط التحقيقات الجنائية الحذرة من ناحية ضرورة تقصى الحقائق كلها ، واستجواب أكبر عدد ممكن من الأشخاص المحيطين بالحالة ، واجراء أكبر عدد من المقارنات والمعاينات ووضع جميع الاختبارات الدقيقة اللازمة للاثبات أو للنفى قبل الحكم للحالة أو عليها .

حالة عماد الأعور

وكمثال أولى نقـدم فى ايجاز حالة منها وقعت فى لبنان والنتائج التى وصل اليها ايان ستيفنسون عندما زار لبنان فى سنة ١٩٦٤ خصيصاً لتحقيقها برافقه ترجمانه الامريكى وهو من أصل لبنانى . وهذه الحالة جرت أحداثها الأخيرة المذهلة فى قرية « قرنايل » ؛ وهى خاصـة بصبى لبنانى يدعى عماد الاعور كان عمره عندئذ ١٢ سنة .

ومنذ بلغ الثانية من عمره أخذ عماد هذا يروى لوالديه وقائع منوعة عن اسرة معينة كان يعيش بينها من قبل فى قرية بعيدة عن « قرنايل » تدعى « الخريبة » . وبين أشـقاء وشقيقات ذكر أسمائهم . ثم أخـذ

(١) Twenty Cases Suggestive of Reincarnation.

يسرد ذكريات محددة عن سيارة نقل بضائع ، وعن « أوتوبيس » ، وعن كلب ، وعن فتاة كان يحبها ذكر اسمها وهو « جميلة » .

وعندما تمكن من السير على قدميه اظهر سروراً بالغاً ودهشة فريدة لقدرته على المشى ، واخذ يسرد قصة عن سيارة دهمت رجلاً كان يسير على قدميه ، الى حد أن والد عماد ظن أن ابنه عبارة عن تجسد روح انسان مات بسبب صدمة سيارة فى حياة سابقة !

فلما تولى ستفنسون تحقيق الموضوع اصطحب الغلام الى قرية « الخريبة » التى كان يشير اليها فى أحاديثة ، حيث تعرّف هناك على بيته السابق ، وعلى شقيقته هدى التى بادرها بأن أخرج لها لسانه كما كان يفعل معها من قبل عندما كانا صغيرين فأجهشت بالبكاء ثم ميز باقى اشقاءه ، وناداهم بأسمائهم . ثم تعرف على بندقية كان يحوزها ، واخرجها من مخبئها !

واستطاع عماد أن يحدد الفراش الذى مات عليه . وقرر انهم قد غيّروا موضعه وأبعدوه عن النافذة ، لانه يذكر انه فى اثناء مرضه الأخير قد عزلوه عن اشقائه مخافة العدوى فكان يحادثهم خلال النافذة . بل لقد تذكر الغلام أن أصبع أمه كانت قد « دهست » فى الباب فاتضح أن اصبعها كان لا يزال يحمل آثار هذا الحادث نفسه .

واتضح أن هذه الأسرة كان عندها شاب يدعى ابراهيم بشير ابو حمزة ، وانه توفى فى ١٨ يولية سنة ١٩٤٩ ، بعد أن أصيب بسل النخاع الشوكى ، وكان فى الخامسة والعشرين من عمره عند وفاته ، وقعيد الفراش عاجزاً عن المشى . وهو ما قد يفسر سلوك الطفل عماد الأعور عندما أبدى دهشته من قدرته على المشى فيما بعد .

وتبين أيضاً صحة حادثة السيارة التى دهمت شخصاً كان يسير على قدميه ، واتضح أن المصاب فيها هو ابن عم للغلام ابراهيم بشير أبو حمزة ، وأن الغلام قد شاهد الحادث فحسب ، فلم يكن هو نفسه المجنى عليه فيه كما تصور والده الجديد . كما تبين صحة ما رواه هذا الغلام ذو الذاكرة العجيبة عن سيارة نقل البضائع ، وعن الأوتوبيس ، وعن جميلة الفتاة التى كان يحبها ، والتى اتضح انها تزوجت وكانت لا تزال على قيد الحياة الأرضية ، وعما رواه عن الكلب أيضاً .

كما تعرّف الغلام عماد الأعور على أحد جيرانه عندما كان يعيش فى حياته السابقة فى قرية الخريبة وكان فى الثالثة من عمره حينئذ . وقد شاهده فى قرية قرنايل وكان مرافقاً لجدته ، فركض نحوه رضمه اليه

بحرارة قائلاً له أنت جارى فى الخريبة وهو ما اتضح صحته فيما بعد وقد شهد الأقارب والأصدقاء والجيران بصحة هذه الوقائع فى تحقيق استغرق تلخيصه حوالى خمسين صفحة .

كما تأكد ستفنسون من أنه لم تكن هناك أية رابطة ، او اية صلة بين أسرة عماد الأعور التى تقيم فى قرية « قرنايل » ، وبين أسرة بشير أبى حمزة التى تقيم فى قرية « خريبة » وذلك مع أن الغلام الأعور كان يعيش بكل جوارحه وعواطفه مع أسرته السابقة الى حد أنه أصر على تسمية احدى شقيقاته فى أسرته الجديدة باسم هدى، وهو اسم شقيقته فى حياته السابقة .

ومما هو جدير بالذكر أن محررين فى مجلة « الحوادث » اللبنانية هما الأستاذة غادة السمان ، والأستاذ غسان مكارم ، بعد أن اطلعا على كتاب العالم الأمريكى — الذى أرشدهما اليه الدكتور سامى مكارم، الأستاذ بالجامعة الأمريكية ببيروت — قاما فى شهر فبراير سنة ١٩٧٣ بتحقيق جديد فى نفس هذه الوقائع الواردة به فتحققا من صحتها كلها . بعد أن اتصلا بعماد الأعور الذى أصبح شاباً ، وقد جاوز العشرين من عمره ، وبأفراد أسرتيه الحالية والسابقة .

وقد ورد فى هذا التحقيق الصحفى القائم بذاته : « ها هو عماد الأعور لطيف ، وذكى ، وعيناه شفافتان . أكد الحكاية التى رواها الدكتوران سامى مكارم وستفنسون . تقول أمه انها سمعته فى طفولته مرات عديدة يتحدث مع نفسه ويقول : « أنا ابراهيم » . وانه كان يركب على « الدبوان » (الكنبة) ويصف اخوته خلفه ليلعبوا لعبة «الاتوبيس»، فقد كان فى حياته السابقة يملك واحداً منها ويحسن قيادته .

سألته : هل تعرف الآن قيادة السيارة ؟

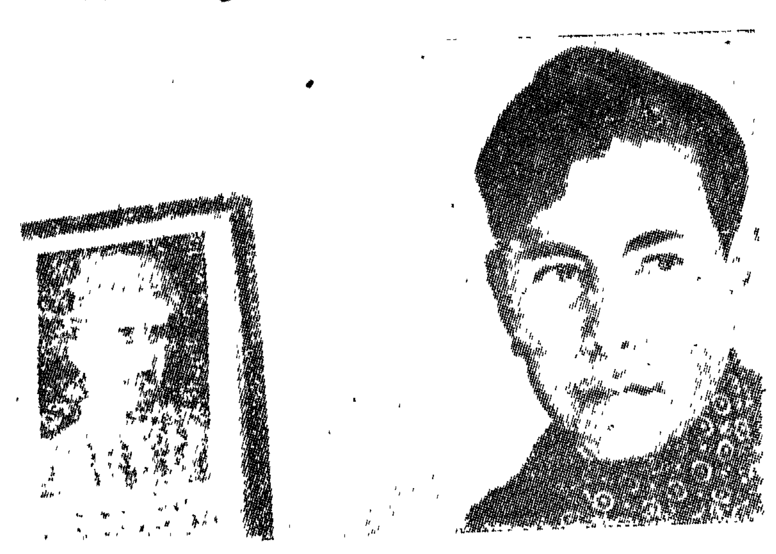
قال : اجل اننى اقود أحياناً سيارة « فولكس فاجن » يملكها ابن عمى عفيفى .

— هل علمك قيادة السيارة ؟

— لا ، لا احد علمنى ، ما زلت أذكر كيف أقود السيارة .

وحدثنى عماد بانه حزين لان أمه السابقة (أم ابراهيم بشير أبو حمزة) توفيت ، ولم يعلم بذلك الا مؤخراً (أى قبيل هذا التحقيق الصحفى الأخير) ... ودار بيننا حوار طويل ... المهم أن اللقاء بعماد يؤكد أن كل حرف قرأته عنه كان صادقاً . خصوصاً وأن الدكتور ستفنسون سبق واجرى له تحقيقاً أين منه التحقيقات الجنائية ؟ وتأكد من انه لم تكن هنالك اية علاقة او اية معرفة بين أسرة عماد الأعور واسرة ابى حمزة قبل زيارة عماد معه للخريبة .

ومما لا يخلو من دلالة في هذا الشأن أن الغلام عماد الأعور الذى كان فى الثانية عشرة من عمره عندما جرى معه تحقيق العلامة ستفنسون ، والذى صار فى الواحد والعشرين عندما جرى معه هذا التحقيق الصحفى الأخير قد أصبح يشبه فى الملامح شبهاً واضحاً صورة الشاب المتوفى « المرحوم » ابراهيم بشير أبو حمزة ، وهى لا تزال معلقة فى منزل أسرته . وعندما التقطت صورة فوتوغرافية لعماد الأعور بجوار صورة « المرحوم » ابراهيم أبو حمزة ظهر هذا التشابه كما يتضح من الصورة (عن مجلة « الحوادث » عدد رقم ٨٥٢ فى ٩ مارس سنة ١٩٧٣) (١) .



(١) وبنفس العدد تفصيلات اخرى تؤكد صحة ما ورد فى تحقيق العالم الامريكى وذلك بالاضافة الى سرد لحالات متعددة مماثلة جرت فى لبنان وفى خارجه عن ظاهرة « ذكرى من قبل » من ناحية صلتها بموضوع العودة للجسد .

ولعل هذه الصورة الفريدة تعد من اندر الصور التى تكشفت عنها التحقيقات الروحية فى اى بلد اذ انها تمثل صورة فوتوغرافية لشخص معين بجوار صورة له هو نفسه فى تجسد مباشر سابق ، وفى نفس المنزل وفى نفس الجيل ايضاً ؛ وكم فى الكون من عجائب تفوق فى غرابتها كل قدرات التصور الانسانى !

من حالات هنود التلنجيت

وهذه حالات وقعت بين هنود التلنجيت Tlingit الذين يقطنون شمال شرقى امريكا ، وهم من سلالات الهنود الحمر واصحاب ديانة تقوم على مبدأ العودة للتجسد شأنهم شأن الاسكيمو الذين يقطنون شمال غربى آلاسكا ، والاليوتس Aleuts الذين يقطنون غربى أمريكا .

ويعتقد هنود التلنجيت اكثر من ذلك أن الأرواح تعود الى نفس اسرها القديمة مباشرة . وبين عامى ١٩٦١ ، ١٩٦٥ زار الدكتور ستفنسون هنود التلنجيت أربع مرات فحص فيها ست وثلاثين حالة ادعاء بالعودة للتجسد ، ولم تكن مهمته شاقة بينهم لأنهم يتحدثون الانكليزية ، ولان عددا من اولئك « العائدين للتجسد » كان يحمل علامات تشير الى الأسلوب الذى انتهت به حياتهم السابقة .

فمثلاً من بينها حالة ظروفها انه فى سنة ١٩٤٩ توفى صائد سمك من بينهم يدعى وليام جورج ، وقال لابنه ولزوجة ابنه قبيل وفاته فى السنين من عمره انه سيعود اليهم بوصفه ابناً لهم . كما وعدهم بأنهم سيتعرفون عليه بعلامات معينة كانت موجودة فى جسمه ولد بها . كما سلمهم ساعته الذهبية للاحتفاظ بها له (الى حين عودته طبعاً) .

وبعد مضى بضعة أسابيع خرج للصيد فى قاربه كالمعتاد لكنه لم يعد ، واختفت كل آثاره . وبالكاد بعد تسعة أشهر اخرى وضعت زوجة ابنه مولودا ذكراً يحمل بالضبط نفس العلامات الجثمانية التى كان يحملها جده المختفى وهى عبارة عن عدة « شامات » moles (مفردها شامة او خال) سوداء على السطح الأعلى لكتفه اليسرى ، وكذلك على السطح الداخلى للعضد الأيسر بالضبط فى نفس المواضع التى حددها لهم قبل وفاته .

وبقدر نموه اخذ سلوك الابن سبلاً تشبه نفس سبل سلوك جده ؛ بما فى ذلك العرج فى السير بسبب اصابة كان الأخير قد أصيب بها أثناء ممارسته لعبة كرة السلة ! وقبل أن يبلغ الخامسة من عمره كان الولد قد تعرف على ساعته ، واخرجها من تلقاء نفسه من صندوق

للمصـــوغات مملوك لأمه ، وتمسك بعناد بحقه فى تملكها ، وكان يتحدث عن اعمامه بوصفهم أولاده ، وعن عمته بوصفها شقيقته (كما كان الحال فى حياته السابقة) .

ويكتب ستفنسون عن هــذه الحالة قائلاً : « الولد يقــدم معرفة سابقة لأوانها عن الصيد وقوارب الصيد ، كما يظهر منه خوف من المــاء أكثر من المــالوف بالنسبة للأولاد الذين فى مثل سنه » (اذ الظاهر انه عندما اختفت آثاره كان قد مات غرقاً) .

* * *

وحالة اخــرى بين هنود التلنجيت وقعت لمن يدعى فكتور فنسنت Victor Vincent الذى كان معروفاً فى القبيلة باسم كاهكودى Kahkody وتوفى فى سنة ١٩٤٦ . ولكنه فى سنة ١٩٤٥ اخبر ابنة شقيقه التى كان يعزها وتدعى كورليس شوتكين Corliss Chotkin وزوجها انه سيعود بوصفه ابناً لهما . ووعدهما بانهما سيتعرفان عليه بعلامتين كان يحمل احداهما فى جانب انفه ، والأخرى على ظهره ، وهما من بقايا التئام عملية جراحية كانت لا تزال ظاهرة به .

وبعد ثمانية عشر شهراً لاحقاً وضعت السيدة شوتكين مولوداً ذكراً يحمل علامتين طبق الأصــل من العلامتين اللتين كانتا بجسم فنسنت . وعندما بلغ عمــره ١٣ شهراً كانت أمه تحــاول أن تعلمه كيفية النطق باسمه فقاطعها قائلاً لها : « الا تعرفينني اننى انا كاهكودى ! » .

وعندما بلغ العامين تعرف تعرفاً صحيحاً على كريمة زوجته السابقة سوزى Susie ، وعلى ابنه وليام ، وعلى ارملته . وظل يقــدم ذكريات تفصيلية عن حياته السابقة الى سن التاسعة ، ثم ابتدات ذاكرته تخونه عن حياته السابقــة ، وتلاشت تماماً فى سن الخامسة عشرة . ومع كل ذلك فان ستفنسون لا يزعم انه وصــل الى اثبات العودة للتجسد ، بل انه فحسب يقدم نتائج تحقيقاته الدقيقة المفصلة بوصف انها « ترشح » مجرد ترشيح لاحتمال العودة للتجســد .

حالة نيرمال براكاش

وهــذه حالة من الهند حقق وقائعهــا ايان ستفنســون فى مؤلفــه الآنف الاشارة اليه ، وهى حالة صبى هندى يدعى « نيرمال » Nirmal من قرية « كوزى كالان » Kosi Kalan بالقرب من ماثيورا Mathura توفى بالجــدرى فى شهر ابريل من عام ١٩٥٠ . وعندما كان يحتضر قال لأمه : « انت لست أمى . انت اجنبية عنى وساذهب الى امى » . ثم أشار

بيده فى اتجاه ماتيورا ومدينة أخـرى اصغر منها فى نفس الاتجاه تدعى شاهاتا Chahatta .

وفى شـهر اغسطس من عام ١٩٥١ ولد فى قرية « شاهاتا » مولود ذكر أطلقوا عليه اسم « براكاش » Prakash ولما بلغ الرابعة من عمره ظهرت عليه ظاهرة المشى أثناء النوم . وكان ينهض من فراشه ، وينزل الى الطريق العـام ويسير فى اتجاه قرية « كوزى كالان » . فاذا أدركه أحد وأوقظه وعاد به الى البيت بكى قائلاً انه كان يريد العودة الى بيته السابق فى « كوزى كالان » . ولما بلغ « براكاش » الرابعة والنصف من عمـره أخـذ يسرد على والديه قصة حياته السابقة فى قرية « نيرمال » وحدد أسماء والديه ، وأشقائه ، وأصدقائه هناك .

وازاء الحاحه على الذهاب الى هناك اصـطحبه عمه — للتخلص من هذا الالحاح — الى قرية أخرى ، لكن الصبى فطن الى الخدعة ونفى نفياً باتاً أن تكون هذه هى قريته السابقة . وعندئذ اضـطر عمـه الى اصطحابه بالسيارة الى قرية « كوزى كالان » الحقيقية حيث أرشـده الى محل تجارى قائلا انه محل والده السابق . ولما كان هذا المحـل مغلقا فى ذلك الوقت عاد به عمه من حيث أتيا .

ولـما تحرت أسرته عن الوقائع التى كان يسردها الصبى ثبتت لهـا صحتها ، وتوصلت التحريات الى أسرته السابقة التى اتضح أنها تقيم فعـلا فى قـرية « كوزى كالان » ، وأنه كان لهـا ابن يدعى « نيرمال » توفى فى العاشرة من عمره فى التاريخ الذى ببنته آنفـاً . ولما اصطحبته أسرته الى هناك تعرف فورا على والده السابق ، وعلى والدته وذكّرها بما سبق أن قاله لهـا فى ساعة احتضاره من أنه سيذهب الى أم أخرى.

كما تعرف « براكاش » على شقيقته الكبرى ، وجىء اليه بشقيقة فى زحمة من الأشخاص فتعرف عليه بسهولة وناداه باسمه . وتعـرف ايضاً على جار لهم واقتادهم الى محله التجـارى وأرشـد أسرته الى فراشه الذى مات عليه ، والذى نقل اليه عندما اشتدت عليه وطـأة المرض . وشاهد سلسلة معلقة على الجدار فأشار اليها وقال انها خاصة بجده . ودخل احـد الضيوف فأشـار اليه وقال انه طبيب الأسره . وشاهد ضيفاً آخر فقال انه هو محصل العوائد ... وهـذا كله تبين صحته برمته الى حد أن اسرته السابقة اقتنعت بأن هذا هو بالفعـل ابنهم السابق نيرمال وارادوا الاحتفاظ به بحجـة تبنبه ، ولكن أسرته الجديدة تمسكت به بطبيعة الحال .

وهكذا نشب بين الأسرتين نزاع شديد ، تطور الى نزاع بين سائر أهل القريتين . ولما كان الدكتور ستفنسون موجوداً كادوا أن يفتكوا

به ، لأن الجميع تصوروا خطأ أنه هو الذى أقنع أسرة الصبى العديمة بأن تتبنى ولدها القديم وتتمسك به من جديد ...

ويقول المؤلف تعليقاً على المعلومات التى وصل اليها الطفل براكاش انتا اذا تركنا جانباً وبصفة مؤقتة العناصر الانفعالية فى سلوكه ، فاننا قد نسائل أنفسنا عن التماثل المتصور أن يكون بين المعلومات التى قد يحصل عليها بالطرق المألوفة فتى فى العاشرة من عمره ، وتلك التى قدمها عندما زارته أسرته السابقة لما قدمت الى شاهاتا ، وعندما قام هو بزيارة كوزى كالان .

فقد يفترض احد الأشخاص أن ترترة الجمهور الذى تجمع على طول الطريق من محطة الأوتوبيس الى كوزى كالان قادت الفتى الى المنزل . ولكن ليس لدينا دليل على ذلك ، بل بالعكس لدينا أدلة عن محاولات قامت بها شقيقته (فى حياته السابقة) لتضليله . ومن الصعب تعليل الاستعرافات الصحيحة التى توصل اليها الفتى على العديدين من افراد اسرته القديمة (أسرة جين Jain) وجيرانهم مع ذكر أسمائهم ، وروابطهم الصحيحة . أو بعض الأمارات الأخرى عنهم .

ومن هؤلاء الجيران اثنتان من النســاء المحجبات تماماً التى تقضى تقاليدهن بألا يرفعن النقاب الا للأزواج والأولاد ، وأوثق الأقرباء . فلا يمكن للفتى أن يكون قد رآهما من قبل (فى حياته الراهنة) .

وبالاضافة الى ذلك فقد كان لدى براكاش بيانات صادقة عن غرف منزل آل جين ، وعن محتوياتها وعن استخداماتها . كما قدم ايضا بعض معلومات عن المنزل وعن بعض « الدكاكين » صادقة بالنسبة للعصر الذى عاش فيه نيرمال ، وأصبحت بالية بالنسبة للوقت الذى قام فيه براكاش بزيارة كوزى كالان ... كل ذلك يرجح الحصــول القديم على هــذه المعلومات على احتمال الحصول الحديث عليها .

وهذا موجز يسير للتحقيقات التى تمت فى شــان براكاش . وقد روى المؤلف عنها تفصيلات اخرى كثيرة ، ووضــع قائمــة دقيقــة عن الوقائع التى سردها والتى صمدت للتحقيق ، مع ذكر أسماء الاشخاص الذين استعان بهم فى هــذا التحقيق ومع تحديد جميع المعالم الجغرافية التى ورد ذكرها على لسان الصبى لمضاهاتها بالمعالم الصحيحة (١) .

حالة ويجيراتن

ومن تلك الحـــالات التى حققها ستفنســـون حالة ويجـــيراتن

---

(١) للمزيد راجع ايان ستفنسون . المرجع السابق ص ٢٠ — ٣٨ .

Wijeratne وهو طفل ولد بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٤٧ بقرية اوجالكالتبتا Uggalkalteta بجزيرة سيلان وكان بالجانب الأيمن من صدره تشويه . وكان ذراعه الأيمن أقصر من ذراعه الايسر ببضع بوصات ويعادل فى نحافته نصف نحافة الذراع الأيسر ، والأصابع عاجزة وغير نامية .

وبعد أن جاوز عمره العامين بقليل ابتدأ يقول ان ذراعه الأيمن كان قصيرا لأنه طعن زوجته ، ومات مشنوقا من اجل جريمته ، ووصف كل ذلك تفصيلا . كما قال ان والده الراهن كان حينذاك هو شقيقه الأكبر . وعندما سمعت أمه هذه الوقائع سالت زوجها الذى يدعى تيلاراث هامى Tilarathe Hami عن هذا الموضوع فاجاب بأنه كان له شقيق متزوج يدعى راتران هامى Ratran Hami ولد فى سنة ١٩٠٤ ثم ترك زوجته مع والديه لفترة ما ، وعندما عاد لاصطحابها رفضت الذهاب معه ، فعاد الى منزله ثائرا وشحذ سكينا وطعنها بها بتاريخ ١٤ أكتوبر سنة ١٩٢٧ . وجرت محاكمته فى يونيه سنة ١٩٢٨ وحكم باعدامه شنقاً ، ونفذ الحكم فيه بعد شهر واحد من هذا التاريخ .

وعندما بلغ هذا الطفل الرابعة والنصف من عمره اخذ أناندا متريا Ananda Maitreya الذى هو أستاذ الفلسفة بجامعة كولومبو فى استجوابه ، فروى له كل التفصيلات حتى تلك الزكاة الدينية التى تبرع بها قبل تنفيذ حكم الاعدام فيه . وعندما بلغ الخامسة والنصف من عمره توقف عن الحديث عن تجسده السابق الا اذا سأله أحد الأشخاص عن هذا الموضوع ...

وعندما سأله عن ذراعه أجابه بأن هذه نتيجة « عقابية » (لجريمته السابقة) . كما درس نفس هذه الحالة السيد ف . ستورى F. Story فى يونيه سنة ١٩٦١ كتمهيد لزيارة ستفنسون التى جرت فى اغسطس من نفس العام .

كما تعرّف الطفل على حزام كان يملكه فيما مضى عندما شاهد أحد أبناء عمه مرتدياً اياه . وعندما كان أصغر سنا من ذلك تذكر أيضاً حياته فى « العالم الآخر » . وحرر ستفنسون كشفاً يحوى ٢٦ بياناً تفصيليا عن الأمور التى تذكّرها . ولما سأله ستفنسون — وكان الصبى قد بلغ من العمر عندئذ أربعة عشر عاماً ونصف — « كيف ستتصرف لو تكرر نفس الخلاف القديم ؟ » ، أجاب قائلا « انى سأقتلها ثانية » . وقبيل تنفيذ الاعدام فيه بفترة قصيرة قال راتران

لشقيقه أنه يتمنى أن يولد من جديد ابناً له ، وحدثت هذه الواقعة منذ ثماني عشر عاما ونصف .

والعيوب الجثمانية فى هذه الحالة تمثل نوعا من صنف خاص لأنه لا صلة لها بجروح حدثت فى جسم الشخص السابق ، بل بالعكس ان تشويه الصدر يقابل موضع الجروح التى أحدثها هو بزوجته عندما طعنها بالسكين . وعدم النمو الكافى للذراع الأيمن هو الذى يمكن النظر اليه بوصفه عقاباً رمزياً له عن جريمته ، كما يمكن أن يعتقد الانسان .

ومن حسن الحظ أن هذه الحالة قد حدثت تماماً ، والا لكان ينبغى النظر اليها كما لو كانت قصة من قصص « الجنيات » . فان واثران تنبأ بانه سيولد من جديد ابناً لشقيقه ، وربما كانت هذه مجرد رغبة .... وأحياناً يعترض أعداء قانون الكارما بانه لا يصح لانسان أن يعاقب بناء على وقائع قد نسيها ، لكن هنا حدث العقاب مع تذكر تلك الوقائع . فهذا المثال ذو قيمة تعليمية قصوى لأنه واضح فيه أن الشخص لم يغتفر لزوجته ، ولم يندم على قتله اياها . كما يلاحظ كارل موللر على نفس هذه الحالة أن تفسير صور التشويه المتعددة التى لازمت هذا الشخص بالوراثة تفسير محال ، حتى مع التسليم بالقرابة العائلية (١) .

حالة وارناسيرى اديكارى

وهذه حالة اشترك فى تحقيقها البحالة ف. ستورى والعلامة ستفنسون ، ونشرا عنها مقالا بعنوان « حالة نموذجية للعودة للتجسد فى سيلان » بعدد ابريل سنة ١٩٦٧ من جريدة « الجمعية الامريكية للبحث الروحى » (٢) . وقد حقق صحة هذه الحالة ستورى فى عامى ١٩٦٢ ، ١٩٦٥ ، ثم اشترك مع ستفنسون فى اعادة تحقيقها فى سنة ١٩٦٦ ، وظروفها كما يلى :

وُلد طفل يدعى وارناسيرى Warnasiri بتاريخ ٩ نوفمبر سنة ١٩٥٧ بقرية كيريكيتا Kirikitta التى تقع على بعد حوالى عشرين ميلا من كولومبو Colombo (عاصمة جزيرة سيلان) . وكانت أمه تدعى ب. أ. روزلين اديكارى B. A. Roslin Adikari وكانت فى سنة ١٩٦٢ (أى عند اجراء أول تحقيق فى الحالة) فى الثلاثين

---

(١) عن كارل موللر المرجع السابق ص ٥٦ - ٥٧ .

(٢) Journal OF American Society For Psychical Research

وراجع ما ورد عنها فى « المفصل » الجزء الأول ص ٣١١ - ٣١٢ .

من عمرها ، والهـا ابن آخر أصـغر من سابقه فى الثانيـة والنصف من عمـــره .

وعندما بلغ وارناسيرى الرابعة من عمره اخذ يحدث والده جوليس اديكارى Julis Adikari عن حياة سابقـة له فى قـرية كيمبولجودا Kimbulgoda على بعـــد ســتة أميـال من قـريته الحاليــة حيث كان يعيش فى منزل أفضل من منزله الحالى ، وكان سقفه منقوشا، ونوافذه وأبوابه زرقاء اللون . وكانت أمه (السابقة) تعمل فى التدريس وهى أجمل واسمن من أمه الحالية ثم توفى زوجها . وحدد موقع منزله السابق أنه كان قريبا من المدرسة ، ومن قناة مغطاة للميـاه .

وعندما اقتادوه الى كيمبولجودا تعرّف على طريقه تلقائيا الى مكان وقف فيه وقال : « ان المنزل لم يعد هنا » ، وتبين انه فعلا قد هـُـدم حديثاً . كما أضاف أن شجرة « جوافة » ضخمة كانت موجـودة أمام المنزل وهو أمر صحيح . كما تعرّف على أمه واخرجها من بين مجموعة من الناس رغم وجود عدد من النساء اللائى حاولن اجتذابه للتضليل . وقد اعترفت تلك السيدة أنها فعلا فقدت ابناً يدعى أناندا Ananda عندما كان فى الثلاثين من عمره بتاريخ ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٦ عقب أزمة قلبية . وأن زوجها توفى فى ســنة ١٩٥٣ عنـدما كانت فى العشرين من عمرها . ومن رأيها أن شـخصية وارناسـيرى تطابق شخصية أناندا تطابقاً وثيقاً ، وقد اقتنعت بأنه هو ابنها نفسه وقد وُلد من جديد .

وقد سالهـا الطفــل عن دراجته وعن لعبته (التى كانت تضرب الطبلة) . ولاحظ أن والدته فقدت أسنانها ، وتذكر شقيقاته وتعـرف عليهن ، وذكر اســمين من أســماء التدليـل التى كانوا ينادونه بهـا فى المنزل . وتذكر انه كان يتناول فاكهة مع طعام الافطار ثم توفى بغتــة . وكان حبه لأمه القديمة يتجاوز حبــه لأمه الحاليــة واعتزم أن يصبح راهباً حتى لا يعود للتجسد من جديد ! .

كما قال انه ولد بعدئذ بوصفه ابناً لأمه الحالية . وقال أيضاً انه فى حياة ثالثة سابقة كان يعيش فى قرية كيلانيا Kelaniya بالقــرب من كولومبو وانقلب به قارب فى نهر كيلانى جانجا Kelani Ganga فغرق فيه ، وأنه كان يرتاد معبد القرية يومياً ويضع فيه زهوراً . وهذه التفصيلات الأخيرة لم يكن بعد قد تم تحقيقها .

وهذا النموذج هام من ناحية ان صاحبه يقول انه قد تذكـر ثلاثة تجسـدات سابقة ، منها تجسد توفى فيه بعد ساعة واحدة من ولادته ، وذلك فى نفس الشهر الذى توفى فيه بالغـاً بقرية كيمبولجودا . وهـذا

الأمر يفترض عودة مباشرة للميلاد ، أو حمل سبعة شهور كان خلالهـا الشخص السابق أاناندا لا يزال حياً (١) . ولكن التجسد اللاحق الثانى فى كيمبولجودا هو أكثرها وضوحاً لأن الغلام لم يذهب الى هناك اطلاقاً، ولم يسمع عن اسم المكان ، ولم تكن هناك أية رابطة بين الأسرتين ، ولم تعرف الفترة التى مضت بين هذه الحياة ، وحياته السابقة فى قـرية كيلانيا . واذا كان هذا الشخص قد تذكر ثلاث حيوات فذلك ربما لأن حياته السابقة دامت لمدة ساعة واحدة ، وأن تلك التى سبقتها انتهت بمأساة غرقه وهو كل ما يذكره عنها مع تعوده اليومى على تقديم الزهور الى المعبد (٢) .

حالة جناناتيليكا

وهذه حالة جرت أحداثها فى وسط جزيرة سيلان بجنوب الهنـد حيث ولدت فى ١٤ فبراير سـنة ١٩٥٦ طفـلة أطلقوا عليها اسـم « جناناتيليكا » Gnanatilleka وكالمعتاد اخذت — منذ تعلمت الكلام — تسرد أحداثاً سابقة عاشتها من قبل فى قرية « تالاوواكيـل » Talawakele عنـدما كانت صبياً يعيش فى أسرة ضـخمة مكونة من أبوين وشقيقين من الذكور ، وبضع شقيقات من الاناث .

واهتم بأقوالهـا أحـد رجال الدين فى قريتهـا ويدعى « بياداسى ثيرا » Piyadassi Thera الذى انتقل الى القـرية التى عينتها الطفلة فعثر على أسرة تحمل نفس الأسماء التى كانت ترددها فى أقوالهـا ، وعلم منهم أن قد فقدوا صبياً فى عام ١٩٥٤ .

وسرعان ما جمعوا الطفلة بأفراد هـذه الأسرة الأخيرة حيث ذهبت لزيارتهم فى قريتهم ، ولم تكن هناك أية معـرفة سابقة . فتعرفت الى جميع أفرادها بمجرد رؤيتهم ، ونادتهم بأسمائهم ، وروت تفاصـيل متنوعة عن حياتها معهم ، أكدوا صحتها . منها أن أمها تعودت ان تشترى الحطب بالمـال على خلاف الحال فى قريتها الجديدة حيث يتوافر هـذا الحطب مجانا . ومنها أنها كانت تذهب الى المدرسة فى قطار يمر بنفق .

ومن هذه الذكريات أنها لم تكن على وئام مع شقيقيها السابقين . وأنها عندما كانت صبياً (فى حياتها السابقة) كانت تفضل اللعب مـع

(١) يبدو أن حلول الروح فى الجنين لا يشترط ان يكون دائماً منذ مبدأ الحمل ، بل بعده بفترة تتراوح فى مداها ، وربما يحـدث قبل الولادة بفترة قصـيرة ، وهناك آراء متنوعة بهذا المعنى .

(٢) من كارل موللر . المرجع السابق ص ٥٧ ٥٨ .

الفتيات ، وكانت مولعة بالملابس الحريرية ، وبطلاء الأظافر ، وباللون الأزرق .

ومنها أنها كانت تتردد على مدارس معينة ، وتفضل أستاذا معينا ، ولما شاهدته تعرفت عليه وركضت باكية نحوه . وتذكرت قصة خرافية للأطفال كان نفس هذا الأستاذ قد رواها على مسمعها . وهذه القصة أكد أفراد أسرتها الجديدة أنهم لم يسمعوا بها من قبل ، ولايعلمون من أين قد جاءت بها الصبية ! وكانت الصبية تستخدم أيضاً بعض ألفاظ غريبة ، وتراكيب صعبة يبدو أنها ترجع الى حياتها السابقة .

ومن هذه الذكريات التى تبين صحتها ما روته الطفلة من أنها فى حياتها السابقة شاهدت ملكة الجزيرة فى القطار اثناء مروره على قريتها السابقة « تالاواكيلى » . وأنها ذهبت مع رحلة مدرسية الى جبل من الجبال وتسلقت قمة معينة فى هذا الجبل تدعى قمة آدم .

وكانت الفتاة تفضل حياتها الجديدة فى الأنوثة على حياتها السابقة فى الذكورة . ويبدو انها فى الجملة لم تكن سعيدة مع أسرتها السابقة ، ولذا لم تبدر منها رغبة ملحة فى تكرار العودة الى زيارة هذه الأسرة السابقة ، مكتفية بهذا اللقاء الوحيد بهم ، وبأستاذها المفضل .

والفتاة فى حياتها الجديدة لا تخشى الوحدة فى الظلام ، ولا تخاف من الحشرات ، ولكنها تخشى السقوط . وقد تبين أن الصبى السابق المتجسد فيها قد توفى اثر سقوطه على أم رأسه من مرتفع عالٍ .

ويعتقد الدكتور ستفنسون أن تغيير جنس هذا الصبى الى فتاة فى التجسد الجديد له صلة بحالته السابقة عندما كان يشعر بعدم السعادة لكونه صبياً ، ولأنه تربى فى جو نسائى ، ومال الى التخنث على ما شهدت به الأم السابقة . والظاهر أنه كان شديد الغيرة من شقيقاته البنات ، ويشعر بالنفور من شقيقيه الذكرين .

وعن تحقيقات هذه الحالة يسرد ستفنسون الكثير من التفصيلات الأخرى عن أسماء الأشخاص الذين عاونوه فى التحقيق ، وعن المعلومات التى سردتها الفتاة عن الوقائع ، وعن المعالم الجغرافية . ويضع جدولا للتوضيح من ست صفحات غير باقى صفحات هذا التحقيق المثابر الدقيق كما هو الشأن فى باقى الحالات الأخرى التى عرضها بأسلوب مدقق يجتذب الانتباه حقا بدقته ورصانته (١) .

---

(١) للمزيد راجع ايان ستفنسون . المرجع السابق ص ١١٨ — ١٣٢ .

المطلب الثانى

عن التعليل العلمى
لظاهرتى ((رؤى أو سمع من قبـــل))

ليست تحقيقات ستفنسون هى الأولى أو الأخيرة فى ظاهرة رؤى أو سـمع من قبل بل ان ثمة تحقيقات مماثلة قام بها بحاث لهم مكانتهم فى عدة بلاد ، وانتهوا الى نتائج ايجابية منذ أوائل القرن الحالى لغـاية الآن .

ولكن تحقيقات ستفنسون ـ فيما نعلم ـ هى أدق التحقيقات التى جرت فى هذا المحيط ، واغناها بالتفصيلات ، وأشدها تحفظاً ، واكثرها ارتباطاً بمنهج التحليل الناقد . وقد اقتضت منه مشقة ضخمة فى التنقل المستمر ـ لحساب جامعة فيرجينا ـ بين أرجاء العالم المختلفة ، ناهيك بمشقة تجميع التفصيلات ، وعمل الجداول الكثيرة للتمكن من تأصل هذه الأحداث وتحليلها .

وهو يقرر أن هذه الظواهر تحدث فى كل مكان ، لكنها تتكرر بوجه خاص فى البيئات التى تؤمن بعقيدة العودة للتجسد حيث تكون الأذهان متنبهة اليها ، وبالتالى مدفوعة الى ملاحظتها ، والى تتبع حدوثها على نحو أو آخر .

وهذه الأحداث هامة فى الكشف عن طبيعة الانسان ، وعن طبيعة صلته بالكون العجيب الذى يعيش فيه . وهى لم تكن تحظى بأية عناية من علم النفس القديم ، لكنها فى علم الروح الحديث تحظى بأجـل عناية من زاوية تحليلها العلمى الصحيح ؛ ومن شأن المثابرة فى تتبعها أن تلقى الكثير من الأضواء على بعض الغاز النفس ، أو ان شئت الروح الانسانية، التى لا تزال تحير الألبـاب فى كل مكان ، وتتكشف كل يوم عن أبعـاد جديدة من العمق والتركيب لم تكن تخطر على بال أى عالم .

ملحوظات مبدئية

١ ـ وهنا ملحوظة مبدئية عن نتائج الحـالات التى عرضـها أبان ستفنسون وغيره وهى أن العودة للتجسد لم تكن فورية ، أى بمجـرد الوفاة . وذلك يدحض بعض الاعتقادات التى تذهب هذا المذهب والتى لهـا أتباعها فى الشرق الأقصى . ففى جميع الحالات اتضح مضى فترة

تراوحت فى مداها قضتها الروح فى عالم الغيب محتفظة بشخصيتها وبذاكرتها ـ ولو على وجه من الوجوه ـ وهذه الفترة قد تمتد الى سنين وربما الى قرون وعلى ذلك أجمعت رسائل الأرواح الراقية ، وبحوث الباحثين الجادين ، ومع مراعاة أن الزمن ، فى الطبيعة الأزلية للروح كلمة جوفاء لا معنى لها ولا سبيل لقياسها .

وبطبيعة الحال كلما كانت العودة للحياة الأرضية قريبة العهد بالتجسد السابق كلما كانت الذكريات عن ذلك التجسد أغزر وأوضح وكلما كان التحقق من صحتها أيسر منالا ، لأن معالم المكان والزمان تكون لا تزال موجودة بما فى ذلك بقاء بعض الأشخاص الذين يكونون قد عاصروا التجسدين السابق واللاحق .

وكلما كانت هذه العودة الى الحياة الأرضية بعيدة العهد بالتجسد السابق كلما كان التحقق من صحة التجسد السابق صعب المنال ، بل ربما صار متعذراً تماماً بالنظر الى تراجع الذكريات أو اختفائها وبالنظر الى زوال جميع معالم المكان والزمان . ولذا نجد أن جميع الحالات التى نجح العلامة ابان ستفنسون فى متابعتها وتحقيقها قريبة العهد جداً اذ لم يمض على غياب صاحب الحالة فى عالم الغيب سوى فترة تتراوح بين سنة واحدة وعشر سنوات فقط . ومجرد احتمال صحة التجسد القريب تحمل على الاعتقاد بامكان صحة المبدأ من الناحية العلمية ـ الفلسفية ، ولو تعذر التحقق القاطع لطول العهد بالماضى السحيق للانسان .

٢ ـ وثمة ملحوظة ثانية : وهى أن العودة للتجسد كانت دائماً فى صورة آدمية ، وربما قريبة ـ ولو على وجه ما ـ من صورتها السابقة مباشرة . فلم يثبت فى أية حالة من الحالات أن العودة يمكن أن تكون فى صورة حيوان ، أو طائر ، أو شجرة ... أو غير ذلك على نحو ما تذهب اليه بعض الأساطير خصوصاً فى الشرق الأقصى .

ولذا ـ كما سبق أن بينت ـ فان مبدأ « العوده للتجسد » أو « الميلاد من جديد » ينبغى أن يعتبر مبدأ متميزاً تماماً عن مذاهب « التناسخ » أو « التقمص » أو نحوهما ـ كما سبق أن قلت ـ وبالتالى عما داخل هذه المذاهب الأخيرة من خرافات كثيرة مستمدة ـ ولا ريب ـ من الغلو العقيدى ، هذا الغلو الذى أساء الى كل العقائد والمذاهب وفى كل مكان ، فنأى بهذه الاعتقادات فى كثير من الحالات عن النصوص الصريحة وعن المفاهيم الصحيحة للنصوص ، وما يرتبط بها من مدارس منوعة .

ووصف الغلو العقيدى يصدق على من انكروا عالم الروح بسبب ايمانهم « بالتقمص الفورى » ، كما يصدق بنفس المقدار على من انكروا « العوده للتجسد » رغم ايمانهم بعالم الروح ، ورغم النصوص الصريحة الحاسمة فى معنى هذه « العودة للتجسد أو للميلاد » . وذلك ربما بسبب اصرارهم على الخلود الفورى فى عالم الروح ، وربما أيضا على الاستئثار بمعاملة خاصة لا يصح أن يشاركهم فيها غيرهم من أرباب العقائد الأخرى .

وهكذا يجنى الغلو العقيدى دائماً على كل فهم نقى للايمان ولعلاقة الانسان بالكون وبأخيه الانسان ، بل على كل محاولة تبذل للوصول الى هذا الفهم الصحيح ، مهما كان أقرب الى الحق والى الاعتدال . وأوسع افقاً من كل ما عداه من مفاهيم الاغلاق والتزمت ، بل خصوصاً اذا توافر له ما ذكرنا من خصائص ...

فالاعتدال هو الوزر الذى لا يعادله وزر آخر فى مفاهيم الاغلاق والتزمت ، وما أخطرها على العقل ، وعلى العلم ، وعلى تطور الروح فى طريق الصفاء والنقاء ، والفهم النقى لحقائق الوجود .

ولا تقف الآن قوة فى الوجود فى وجه هذا الغلو العقيدى وما يرتبط به من ضيق فى الأفق ، وتزمت فى الحرف ، قدر قوة هذا البحث المحايد فى مصير الروح الانسانية . وهذا سبب واحد من أسباب كثيرة تعلل الحرب العوان التى يلاقيها هذا البحث المحايد من جهات متعددة تناضل بكل جوارحها دفاعاً عن الجهالة والجمود والاغلاق .

٣ - وثمة ملحوظة ثالثة عن جميع هذه الحالات وهى ان النفس العائدة للتجسد - مهما كانت عودتها قريبة - لا يمكن أن تتذكر ابدا كل ماضيها ، انها تتذكر فقط لمحات أو ومضات سريعة من هذا الماضى تكون قد ربضت قابعة فى عقلها الباطن فلا تطفو الا متى أتيحت لها فرصة الطفو على السطح من جديد .

ولذا فان امتحان هذه الروح العائدة للتجسد فى هذا الماضى امر لا يجدى شيئاً فى اثبات شخصيتها . بل يكفى فى هذا الشأن قدرتها على تذكر بعض الأحداث أو بعض الأسماء التى سبقت لها رؤيتها ، أو سماعها ، والتحقق من صحة هذه وتلك للتعرف على مدى صحة الحالة .

وهذا أمر بديهى اذا روعى الاختبار الحيوى الهام الذى تعرضت له الروح مرتين : مرة عند انفصالها عن جسدها المادى . واخرى عند اتصالها بجسد مادى جديد فى رحم الأم ، وأثر ذلك كله فى ذاكرتها وفى وعيها .

وهذا هو نفس الوضع الذى يقابله كثيرا الباحثون الروحيون عند محاولة الاتصال بأى روح وهى خارج الجسد ، ثم عند رغبة تحقيق شخصيتها عن طريق اختبارها فى ذكرياتها الأرضية . فهذا الاختبار غير منتج فى المعتاد ، اذ ينبغى أن نترك للروح أن تعبر عن نفسها وأن تروى ذكرياتها على النحو الذى يتفق مع سليقتها والذى يتراءى لها ، والذى تقدر عليه هى بحسب حالتها الجديدة خصوصا بعد تغير كلى لظروفها ، وحدوث اندماج جزئى أو كلى بين الجانبين الواعى وغير الواعى للعقل أو بين الشعور واللاشعور ، وأثر ذلك فى الذاكرة أثر عميق ، وخطير ، ومتعدد الجوانب(١) .

ومن الملاحظ بوجه عام أن تذكر الروح العائدة للتجسد احداث حياتها الماضية يكون باهتاً ضعيفاً ، وأضعف بكثير من تذكر الروح العائدة للتجسد عن طريق التنويم المغناطيسى الفنى لنفس هذه الأحداث . لأنه فى هذه الحالة الأخيرة يطفو العقل الباطن للروح الى مستوى الذاكرة الواعية لدرجة أن الروح قد تتذكر عدة حيوات لا حياة واحدة فحسب ، وهو ما لا يحدث الاعند التنويم المغناطيسى فيما بعد اذا توافرت اعتبارات معينة .

من تعليقات ستفنسون على نتائج تحقيقاته

ويقول ستفنسون انه يهمه أن يوجه نظر القارىء الى أن بعض الحالات التى حققها تنتمى الى بيئات لا تعرف شيئا عن العودة للتجسد ، وحدثت منها حالات عديدة فى الغرب فى أسر اما لم تسمع اطلاقا عن هذه العودة ، واما لا تعطى هذا الاعتقاد أى اعتبار ، بما فى ذلك بعض حالات فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وكندا ، وانجلترا .

ففى هذه البلاد تجرى الثقافة فى مجرى الكراهية لعقيدة العودة للتجسد ، وكثير من الأشخاص لم يسمع حتى مجرد سماع عن هذه العقيدة ، أو سمع عنها ولكنه اعتبرها خرافة حمقاء يؤمن بها القوم هناك فى آسيا ... ويقول انه واثق من أن كل أسرة من تلك الأسر التى تحدث فيها أطفالها عن ذكريات معينة عن حياة سابقة تلقت تلك الأقوال بدهشة ، بل بعدم تصديق .

كما حدثت حالات مماثلة فى الهند فى أسر اسلامية لا تؤمن بالعودة للتجسد ، بل وتنكر صحتها . وقد يعترض بعض الأشخاص قائلا انه

(١) راجع ما ورد فى الجزء الأول من « مفصل الانسان روح لا جسد » من ٢٨٤ — ٢٨٥ .

توجد جيوب معزولة من الناس تميل الى الايمان بالعودة للتجسد حتى فى الغــرب ، وهو أمر صــحيح بلا ريب . أو قائلا ان ثمــة أسرة ما قد لا تؤمن بالعودة للتجسد ولكن قد يكون أفرادها مسئولين عن حديث أحد أطفالها عن حياة سابقــة له ، بغير أن يتعمدوا ذلك .

ومثل هذه التأويلات تدفعنى الى توسيع مفهوم التأثيرات الثقافية الى ما وراء ، بل الى ما يناقض الوقائع التى وصلت اليها والتى حدثت خارج اطار الثقافات الموالية للعــودة للتجسد ، ولا أعتقد أنه يتعين علينا أن نصوغ نظرياتنا لكى تلائم الاستثناءات ، بل أن نصوغها بحيث ندخل فيها تلك الحالات الاستثنائية أيضا .

واذا كان أحد الأشخاص بمقدوره أن يحوز بياناً يمكن تحقيقه عن حياة سابقة ، وهذا البيان ليس بمقدوره الحصول عليه عن طريق عادى ، بمقدار ما يمكننا القول ، واذا كان هذا الشخص يقــدم بيانه بوصف أنه اتصل به كذكرى من حياة سابقة ، فانه فى الواقع من الجائز فعلا أن يكون الأمر كذلك . فاذا كانت العودة للميلاد تحدث فعلا فان علينا أن نتوقع ذكر بيانات عن حياة سابقة على الحاضر كتذكارات عن المــاضى ، وعلينــا أن نستغرب اذا لم يكن الأمر كذلك .

وعلينا فى الواقع أن نتساءل ـــ اذا كان ثمــة طفل يزعم وجود هذا البيــان عن شخصية سابقة له ـــ عما اذا كان هــذا البيــان ينتمى الى شخص آخــر غير متجسد (أى الى روح) ؟ ولكن اذا كان هناك دليــل آخر يدعونا الى الاعتقاد بأنه يصف لنا شخصيته الخاصــة التى لا تزال مستمرة معه فلا مندوحة من الاعتقاد بصحة ذلك .

وهذا الافتراض يتحقق بشكل نموذجى عندما يحمل المولود حديثا علامات معينة ذات خصائص محددة عالية مشتركة بين شخصين ، احدهما سابق وثانيهما لاحق) كما حدث فى حالة كورليس شوتكين Corlis Chotkin . ولدىَّ حالات عديدة تحمل علامات حقيقية ، وقواعــد صحيحة للاقتناع بأن الطفل ما كان بمقدوره أن يحصل بالسبل العادية على البيانات التى قدمها عن شخصيته السابقة » ...

ثم يضيف ستفنسون بعد تحليــل وافٍ لهــذه الحــالات قائلا : ولقد عثرت على بيّنة قليلة على ان بعض أولئك يحوز قدرة خاصــة على الادراك خارج الحــواس بصرف النظــر عن دائرة الالمــام بشــخصيته السابقــة . وكانت البينــة عبارة عن معلومات قدمتها اسرهم مفادها أن أولئك الأطفال قد تنبأوا عن أحداث وقعت لأقارب أو لاصدقاء للأسرة ، قبل وقوعها ، أو كانوا بعيــدين عنهم . وكان ذلك فى اسر جنانانيليكا

Gnantilleka ، وسوكلا Sukla ، ومارتا Marta
ولكن هناك أسر أخرى نفت حدوث أمور من هذا القبيل (١) .

* * *

وقوة تحديد شخصية الأشخاص الذين يدعون تذكر حيـاة سابقة لهم بالمقـارنة بشخصيتهم الحاضرة تتفاوت . فبعض أولئـك الأطفـال يستخدم صيغة الماضى لوصف الحياة السابقة فيقولون مثلا : « كنت أحمل اسم كذا وكذا » . لكنهم يتقبلون أيضاً أسماءهم الحاضرة . أما البعض الآخر فهو يناضل ضد الشخصية الحاضرة ويقـول مثلا « لا تنـادونى يا فريد Fred لأن اسمى جون . وأنتم لسـتم أقاربى ، فان أبى وأمى يعيشان بعيدا عن هنا » .

بل ان ثمـة أطفالا يحوزون تحديدا قوياً عن شخصية سابقة يمكنهم أن يميزوا أحداث الحياة السابقة بوصفها أحداثا ماضية . فيقول أحدهم مثلا : « لقد حدث لى حادث كهذا عندما كنت كبيراً » . وهم فى المعتـاد لا يعيشون المـاضى من جديد كما لو كان يحدث الآن . وهذا يحدث أيضاً فى أحلام كثيرة اذا حدثت ايحاءات بوجود حياة سابقة .

وفى تلك الأحلام بالذات يشعر الانسان بأن له فى الحلم شخصية مغايرة كانت تعيش فى عصر ماض ، وفى مكان مختلف . وطيلة الحلم ، وربمـا لمدة أطول من الحلم قليلا ، يشعر بنفسه كما لو كان شـخصية أخرى . وبعضهم ينظر عند اليقظـة فى مرآه حتى يتأكد أنه مثـلا يملك لحيـة أو لا يملكها .

وتحدث أمور مماثلة لهذه فى حالات التنويم المغناطيسى عندما تؤدى الى ارجاع الذاكرة الى حياة سابقـة . كما تحدث أيضا كثـيرا فى بعض الحالات التى فيها يتذكر انسان وهو فى يقظته حادثة قديمة لكنه يشعر كما لو كان لا يزال يحيا فى مجرى الحادثة كما حدثت فى أصلها ، ويتصرف كما لو كانت هذه الحادثة لا تزال تجرى فى الحاضر (٢) .

* * *

ثم يتعرض ستفنسون لموضوع آخر دقيق ، وهو الى أى مدى يمكن للوالدين أن يفرضا على طفلهما سلوكا معينا ، خصوصا فيما يتعلق بتذكر حياة سابقة له ؟ وبعبارة اخرى الى أى مدى يمكن للوالدين ان يؤثرا فى

---

(١) عن ستفنسون : المرجع السابق ص ٣١٢ — ٣١٦ .
(٢) عن المرجع السابق ٣٢٠ — ٣٢١ .

شخصية طفلهما بما يدفعه مثلا الى القول بأنه كان فى حياة سابقة هـذا الشخص أو ذاك ؟ !

ويقول ان هذا النوع من الأحداث مرّ به الطفل الهندى رانجيث Ranjith الذى كان يعتقد اعتقادا جازماً أنه كان فى حياته السابقة شخصا يعيش فى انجلترا . والموضوع ليس موضوع تشابه فى الملامح بل موضوع احساس منه بأنه يمثل دوام حياة شخص آخر . وكان رانجيث يحس بذلك احساسا متدفقا الى حد انه كان أحياناً يستخدم صيغة الحاضر للحديث عن الحياة السابقة فيقول : « ان لى أباً وأماً فى انجلترا » أو أن أمى تدعونى قائلة « يا عزيزى darling أو يا حبيب قلبى sweetheart » .

وللاجابة على التساؤل السابق فان بمقدورى أن أقول اننى فيما خلا حالات العودة للتجسد التى من هذا القبيل ، فاننى لم اسمع أبداً عن طفل يضع نفسه فى شخصية أخرى يزعم طويلا انها تمثل شخصيته الخاصة كما يفعل أولئك الأطفال الذين يزعمون انهم قد عاشوا من قبل .

وقد يحدث هذا عندالبالغين المرضى بمرض نفسى معين psychotic ، لكن هذا المرض نادر جدا عند الأطفال . وتشخيص الطفل نفسه تشخيصاً زائفاً بأنه شخص آخر أكثر ندرة . وقد ناقشت هـذا الافتراض مع الاخصائيين فى علم التحليل النفسى للأطفال ، ولم يذكر لى أى واحد انه سمع أبداً عن حالة يزعم فيها طفل ما انه يمثل شخصاً آخر . ولم اكتشف فى كل اطلاعى فى « علم نفس الأطفال » حالة واحدة من هذا القبيل فيما عدا حالة لعب الأطفال مع الآخرين او مع الحيوانات .

ثم يقول ان بعض أولئك الأطفال مثل براكاش ، وسكلا ، وبارمود ، وعماد كان يريد مغادرة والديه وقريتـه والذهاب الى أسرته الحقيقية فى قرية أخرى ، وأن هذا السلوك هو آخر ما يفكر فيه الآباء ، أو آخر ما يمكن أن يعزى الى ايحاءاتهم أو الى تأثيراتهم فى أطفالهم (١) .

وينبغى أن نلاحظ عند تقدير هذه الآراء الخطيرة التى وصل اليها ستفنسون أنه قبل كل شيء آخر عالم نفسى ، وانه يعمل حاليا استاذا للتحليل النفسى بجامعة فيرجينيا ، فهو يتكلم فى ميدان من صميم اختصاصه العلمى ، الذى يؤهله للحديث فيه عن دراية وخبرة كافيتين (٢) .

---

(١) ص المرجع السابق ص ٣٣٣ — ٣٣٤ ، ٣٣٦ .

(٢) راجع ما ورد فى الجزء الأول من « مفصل الانسان روح لا جسد » ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

من حديثين له مع جريدة بريطانية

ويجمل بى أن اشير فى هذا المقـام الى حديث صحفى جرى بين أيان ستفنسـون وبين محـرر جريدة الأنباء الروحيـة Psychic News البريطانية عند زيارة ستفنسون لبريطانيا فى سـنة ١٩٧٠ ، وكان ممـا ورد فيـه : ـ

س (من المحرر) : ان معظم ما قرأته عنك أو ما قرأته لك ببحث فى العودة للتجسد ، فهل هذا الموضوع هو الذى اخترته لدراساتك والذى استغرق أكثر وقتك فى الباراسيكولوجى ؟

ج : قد يكون ذلك . وقد يكون على وجه التحديد شاغلا ٧٥٪ من وقتى . اننى أهتم أيضاً بالوساطة ، ولذلك بدأنا فى اعداد منهاج لدراسة الوسطاء فى جامعة فرجينيا . ان اهتمامى شـديد بسلسلة الحـالات التلقائية كلها : الأرواح ، والأحلام الكاشفة وغير ذلك ، وانى أشارك أيضا من وقت الى آخر فى القيام بتجارب أخرى أرى أنها لا تبعدنى عن تركيز اهتمامى حول الموضوع الاساسى .

س : ألا يصلح التلباثى (انتقال الأفكار) لتحليل هذه الظواهر ؟

ج : اننى لا أوافق على هذا التفسير القاصر وغير المناسب لجميع الاتصـالات الوساطية . ولكنـه يعتبر دفعـة الى الأمام يقـوم بهـا المتشككون . ويمكن أن يحصل الانسان على حالات من العودة للتجسـد فيها بالأقل سـمات معينة لا يمكن تفسـيرها على أسـاس التلباثى بين الأحيـاء .

وهناك نموذجان من الحالات . افرض أن رجلا قد أصيب بطعنـة سكين قاتلة تركت علامة واضحة على جسمه ، فان طفلا قد يولد فيما بعد بعيـدا عن مكان الحادث بخمسين ميلا أو مائة ميـلا أو أكثر من ذلك ، وفى جسـمه علامات مختلفة تشبه « الوحمـة » متطابقة ومماثلة فى المظهر ونفس الوضع الذى أصيب فيه الرجل المتوفى ولم يسمع أهله شيئا عنها !

وأكثر من ذلك فان هذا الطفل قد يظهر معرفة خارقة يتعذر تعليلها عن الرجل المتوفى . أعتقد أن هذه بينة قوية على أن جسم الرجل المصاب قام بطريقة ما كنموذج (موديل) على جسم الطفل ، ولا يمكن أن يحـدث هذا عن طريق التلباثى ...

س : انك بنيت قـدرا كبـيرا من الأهمية على المظـاهر الخارجية الفيزيقية كعلامات الوحم .

ج : نعم أعتقد أن هـــذه السمات مؤثرة جـدا فى حالات الولادة الجديدة . لقد درست نحو مائة حالة من هذه الحالات وعندى كثير منها مزود بالصور ، وبعضها لا يتضـــمن علامات على الجـلد فحسب ، ولكن تظهر عليه تشوهات وعاهات جسدية فعلية . وهناك حالات عديدة أعدها من الحالات القوية على طول الخط وسأضمّها الى كتابى القادم ...

* * *

(ومن هذا القبيل روى ستفنسون لمحررة صحيفة « الحــوادث » اللبنانية واقعــة الصبى طليع سويد « فقد شاهدت بعينى اثر الرصاصة فى الخد الأيسر لهذا الصبى الذى لم يصب برصاصة فى حياته ـ كما علمت أن الشخص الذى تجسدته روحه وهو المرحوم سعيد أبو الحسن كان قد مات مقتولا برصاصة فى خـده الأيسر وفى الموضـع ذاته . وقد ازدادت دهشتى حين علمت من الدكتور سامى مكارم بصعوبات النطق التى يعانى منها طليع سويد ، والتى ترجع أسبابها الى الاصابة التى صرعت الجسد السابق لروحه) . ثم نستأنف تلخيص حديثه مع هذه الصحيفة اللبنانية فيما يلى :ـ

س : هل تسلم بالعودة للتجسد ؟ وهــل تساعدك فى فهم أكثر من غيره للحيــاة .

ج : ان موقفى من هذه القضية هو انى أعتقد انها أحسن تفسـير لعدد معين من الحــالات التى لدينــا فى الوقت الحاضر . وعلى كل حال ربما اغير رأيى فى هذا غدا ، اذا قدّم لنــا شـــخص ما تفسيرات أفضل .

وانى لا أظن أن اية حالة فردية ، أو كل الحــالات جميعــاً تعطى البرهان الحاسم والنهائى ، ولكنها تبدو لى فرضيات مساعدة على العمل ومعقولة جداً ، ويمكن أن يعتمد عليها الانسان فى مباشرة تحقيقات أخرى . وان العودة للتجســد اذا حدثت فهى كما يبدو لى تجعل للحيـــاة معنى وطعماً ، ويجد فيهــا المضطهدون املهم .. اننى اميل الى الاعتقاد بأن العودة للتجسد قائمة بعملها فعلا ...

نعم ان العودة للتجسد تحدث فى كل مكان؛ وانا الآن احضر كتاباً آخر عن العودة للتجسد فى أوروبا والولايات المتحدة ، وقد درست فيه ٣٠ حالة عودة تجسد أوروبية ، كما درست بعض حالات العودة للتجسد فى المانيا ، والولايات المتحدة ، واستراليا .

س : حينما نقول كلمة « عودة للتجسد » هل تفهمها انت بمفهومها التقليدى ؟ وهل يمكن أن يكون التجسد هو اللاوعى المتوارث جيلاً بعد جيــل ؟

ج : لا يوجد شيء اسمه المفهوم التقليدى . فالمفهــوم يختلف بين قوم وقوم ، ولكن روح الفكرة تظل واحدة . وثمة علاقة بين شكل الايمان وشكل العودة للتجسد.مثلاً فى لبنان،وهو أكثر بلدان العالم كثافة من حيث حالات العــودة للتجسد ، لا توجــد حالات تغيّر جنس (أى أن الروح تتجسد أنثى بعد أن كانت فى جســد سابق ذكراً ، أو بالعكس) أما عند الهندوس فاننا نجد كثيراً من حالات تغير الجنس فى العودة للتجسد .

أما عن « اللاوعى المتوارث » فانه يفسر بعض حالات العودة للتجسد لا كلهــا (تذكرت هنا حكاية عن صبى انجليزى وُلد يتحــدث اليابانية ، ويحمل عادات يابانية منها أكل السمك نيئاً،وهو أمر يشمئز منه الانجليزى العادى . وهذه الحادثة لا يمكن تفسيرها باللاوعى المتوارث ، والعــودة للتجسد وحدها تفسرها) .

س : هل أنت وحــدك فى أمريكا مهتم بهذا الحقــل ، أم أن هنالك أساتذة جامعيون سواك ؟

ج : فى أمريكا أعرف حوالى اثنى عشر أستاذاً فى الجامعات متفرغين لحقل الباراسيكولوجى ... بينهم ثلاثة مهتمون بقضايا الروح ، ولى زميل يدرس رؤى المحتضرين ، أى لحظة انفصال الروح عن الجسد المشحونة بطاقات عجيبة من الرؤيا ويقظة ما بعد الحواس ، والطرح الروحى (١) ، وهناك زملاء لى استطاعوا تصــوير أفكار شخص بواسطة أجهزة فى غاية الحساسية ... (٢) .

عن التمييز بين « العودة للتجسد » والاستحواذ

وينبغى عدم الخلط بين العودة للتجسد ، وهى تبدو ناموساً طبيعياً للميلاد من جديد على هــذا المستوى المــادى من الكوكب الأرضى ، وبين الاستحواذ Possession الذى قــد يحدث أحياناً من روح انسان منتقل على جسد انسان لا يزال يواصل حياته الأرضية ، والذى لا يعتبر ناموساً طبيعياً بمقدار ما قد يعتبر — فى غير حالات الهيمنة للارشاد ، أو للعلاج ، أو للاقناع ، أو للالهام ... — ظاهرة مرضية قد تدوم طويلاً أو قصيراً .

والأصل انه بمجرد زوال حالة الاستحواذ المرضى يعود المريض الى

---

(١) راجع الجزء الأول من « مفصل الانسان روح لا جســد » ص ٨٩٠ — ٩٣٤ . أو من كتاب « ظواهر الخروج من الجسد » ص ٦٦ — ١١٠ .

(٢) عن كتاب الأستاذ عبد العزيز جادو . المرجع السابع السابق ص ١٨٥—١٩٤ .

شخصيته السابقة تماماً . وقد عرضنا حالة من هـذا القبيل خضعت لتحقيق دقيق هى حالة « معجزة واتيسكا » Watseka (١) . كما قابل بعض خبراء التنويم المغناطيسى حالات من استحواذ كائن اثيرى أو شبحى على جسـد الوسيط أو الوسيطة فى الغيبوبة . وقـد سلم الفيلسـوف الأمريكى وليام جيمس W James بامكانية حدوث هذا الاستحواذ (٢) وأيضاً عدد لا يستهان به من أبرز العلماء .

على أن ثمة صورة أخرى للاستحواذ صادفها بعض البحاث . وهى استحواذ كائن وهو خارج جسده المـادى على جسـد انسان فى لحظـة الوفاة ، اى فى نفس لحظة خروج صاحبه منه ، أو محاولته الخروج منه عند الاحتضار . ومن هـذه الحالات الأخيرة حالة صادفها الدكتور ايان ستفنسون ، وكان ذلك بمناسبة اجراء بعض تحقيقاته الدقيقة فى حالات العودة للتجسد التى ذهب الى الهند خصيصاً لتحقيقها .

وهى حالة نقـدمها فيمـا يلى لضرورة التمييز بين الاستحواذ من جانب والعودة للتجسد من جانب آخر . وهى تبرز فى نفس الوقت كيف أن تحقيقات ستفنسون فى الهند لم تكن أمراً سهلاً ، بل كلفته مشقات باللغـة غير الانتقال والتفاهم بالترجمة ، وهى مشـقة اقناع الناس بأنه لا يريد بهم شراً ، وانه لا يريد التدخل فى عقائدهم وعلاقاتهم . وراحـة أرواح الأحياء أو « الأموات » منهم .

ومن تلك الحالات الغريبة التى صادفها حالة جاسبير Jasbir وهو طفل هندوسى فى الثالثة والنصف من عمره قيل انه كان ضحية استحواذ كامل من روح شاب برهمى يدعى سوبهارام Sobharram توفى — أو ان شئت فقد جسده الأرضى — عندما كان فى الثانية والعشرين من عمره .

وهـذا الطفـل المدعـو جاسبير كان من سـكان قرية راسولبور Rasulpur واصيب فى ربيع سنة ١٩٥٤ بمرض الجدرى اصابة شديدة الى حد أن « توفى » أو بالأدق ظهرت عليه جميع الأعراض اللازمة « لنجزم بالوفاة » . ولكن بعد بضعة أيام من « وفاته » استرد صـحته بالكامل ، ثم احتاج الى بضعة أسابيع لكى يسترد قدرته الكاملة على النطق .

وعندئذ ظهر سلوكه شاذاً غريباً عمـا كان عليه قبل « وفاته » .

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الأول ، ٨٢٠ — ٨٢٧ .

(٢) راجع ما ورد فى المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

ومن ذلك انه اصبح يصر على انه برهمى لا هندوسى (كما كان من قبل) . وانه يدعى سوبهارام ، وانه ابن المدعو شانكار لال تياجى Shankar Lal Tyagi من سكان قرية فيهيدى Vehedi التى تبعد نحو ثلاثين ميلاً من قريته راسولبور Rasulpur .

وذات يوم زار هذه القرية الأخيرة مدرس من قرية فيهيدى (التى كان يعيش فيها سوبهارام) فتعرف عليه جاسبير على الفور ، كما اخذ فى الحديث عن قريته فيهيدى ومنزل « والده » هناك . فاستغرب جميع الموجودين واخذوه الى فيهيدى — وكان عندئذ قد بلغ السابعة من عمره — حيث تعرف طريقه تلقائياً الى منزل اسرة شانكار ، وسرد تسعة وثلاثين بياناً محدداً عن حياة سوبهارام . كما تبين أن سوبهارام هذا وهو ابن شانكار كان قد تزوج وانجب اولادا وتوفى بغتة بتاريخ ٢٢ مايو سنة ١٩٥٤ ، أى بتاريخ معاصر لتاريخ هذا التحول العجيب الذى لحق شخصية الطفل « المتوفى » جاسبير .

وظل هذا الطفل يصر على انه يدعى سوبهارام وانه من البراهمة لا من الهندوس وكان بالتالى يرفض تناول اى طعام ما لم يكن معداً بالطريقة البرهمية التى لم تكن تعرف عنها شيئاً أسرته الهندوسية ، فتطوع جار برهمى للأسرة باعداد هذا الطعام . وكل من يعرف شيئاً عن صرامة تقاليد طائفة البراهما يفهم كيف ان البرهمى يفضل أن يموت جوعاً على الا يتناول طعاماً برهمياً ، مهما كانت الأمور . وظل الحال على هذا المنوال لمدة ثمانية عشر شهراً كاملاً .

ومن الصعوبة بمكان ايضاً أن نتصور كيف أن الطفل جاسبير وهو فى الثالثة والنصف من عمره تحول من سلوكه كطفل وديع الى سلوك انسان بالغ العمر يزيد عنه بحوالى ثمانية عشر عاماً . وفى هذا الشأن يكتب ستفنسون : « لقد لاحظت خلال اقامتى بسهولة كيف أن هذا الطفل أصبح يرفض اللعب مع باقى الأطفال ، بل ظل منعزلاً عنهم ووحيداً بينما كان يقبل راضياً على الحديث مع ترجمانى ، رغم انه كان يحمل تعبيرا حزينا على وجهه الهادىء الذى يحمل علامات اصابته بالجدرى لكنه يبدو جميلا » .

وكانت أسرة الشاب البرهمى المتوفى سوبهارام تعامل الطفل جاسبير بروح العداء ، (لأنه من اسرة هندوسية ، وقد عز ذلك على الأسرة البرهمية التى تعتقد انها اسمى طبقة من الهندوس) ولذا أبت على هذا الطفل أن تزوره « أرملة » سوبهارام البرهمية التى تركها فى حياته السابقة على الأرض .

ويقول ستفنسون : « ان القراء يريدون طبعاً أن يعرفوا بيـــاناً عن نوع الأحداث التى مرت بالطفل جاسبير منذ وفاة شخصية سوبهارام ، وظهور شخصيته فى جاسبير ، وعن ذكرياته منذ كان يدعى ســـوبهارام . وعلى هذه الأسئلة أجاب جاســبير فى سنة ١٩٦١ قائلا انه عنــدما توفى (بوصفه سوبهارام) قابل « هناك » شخصاً يعتقد أنه شـــيخ أو رئيس دينى Sadhu نصحه بأن يستحوذ على جسد الطفل جاسبير الذى كان فى حالة احتضار .

ورغم أن انتهاء شخصية جاسبير الظاهرة (باتخـــاذه شـــخصية سوبهارام) حدث فى الفترة من أبريل الى مايو ســـنة ١٩٥٤ وهو تاريخ معاصر لتاريخ وفاة سوبهارام ، الا أن التحول فى شخصية جاســـبير لم يحدث مباشرة بعد تلك الليـــلة التى ظهـــر فيها كمـــا لو كان قد توفى من الجدرى ، ثم عاد الى الحياة فجأة . بل لقد ظـــل جاســـبير فى الأسابيع التالية مريضاً فى خطر الموت بالجـــدرى وكان يتناول طعـــامه بصـــعوبة ، وعاجزا عن ابراز أية معالم لشخصيته . ولذا فان تغيير الشخصية ربما حدث سراعاً أو تدريجيا خـــلال الأسابيع التى بدأت مباشرة بعـــد وفاة جاسبير (حين توقفت جميع وظائفه الحيـــوية كالنبض والتنفس بسبب مرضه بالجدرى فاعتقد الجميع انه قد توفى) .

وعلى هذه الحالة الفريدة يعلق نويل لانجلى Noel Langley فى مؤلفه عن « العودة للتجسد بحسب ادجار كايس » (١) قائلا انهـــا حالة فريدة ، لأنه فى معظم الحالات التى من هذا القبيل يُعطى الروح وقتـــاً ما بعد مغادرة جســـده الأرضى قبل أن يعـــود الى حمل جـــديد حتى فى حالات الموت المباغت .

والاشـــارة التى حدثت الى « الرئيس الدينى » الذى اشـــار على سوبهارام أن يتخذ له مسكنا من الجسد الميت أو المحتضر للطفل جاسبير تمثل حالة مروق أو خروج على النواميس العامة للخليقة . ولقد أقـــر ادجار كايس أنه تحدث فى بعض الأحيان اخطاء فى هذا الشأن ، ولو انهـــا نادرة . كما أقر بأن المستوى الأول من عالم الروح مســـتوى بدائى ، الى حد يجعله يشبه الى حد ما المستوى الأرضى ، ويمكن أن تقطنه « اشكال عقلية » لأرواح متخلفة أو غير متطورة بمقدورها أن تتخـــذ كل صـــور الفخاخ أو الشراك التى تصادفنا فى « الكابوس » .

---

(١) Edgar Cayce On Reincarnation.

وبالتالى فلا يستبعد أن يكون قد ظهر للشاب سوبهارام كائن حقود يكرهه لروابط « كارمية » متوارثة من حيوات قديمة ، وأنه أراد الانتقام منه ، وظل متحينا فرصة احتضاره لتصفية حسابه القديم معه . وذلك بأن ظهر له فى اللحظة التى كانت الأمور لا تزال مختلطة فى ذهن سوبهارام بسبب احتضاره ، ذلك الاختلاط الذى منعه من أن يدافع عن نفســه ، فظهر له عنــدئذ روح لطيف ، أو مراقب للأحــداث ، فى صــورة رئيس دينى Sadhu ، وأرشده الى المــأوى الوحيد الذى قد يحميه من عدوه ، وهو القوقعة التى تركها الطفل الصغير .

ومن الجائز أن يكون ذلك بمثابة اجــراء وقتى حتى يزول الخطــر المباشر القادم من ناحية المستوى الكوكبى المنخفض ، ويتمكن سوبهارام من أن يتجــه فى أمان الى مستوى أكثر ثقافــة ، وأوفر حمــاية من ذلك المستوى المنخفض . ومن الجائز أيضا انه بمجرد ما دلف سوبهارام الى جسد الطفل تعذر عليه أن ينسحب منه ثانية ، وبالتالى تعين عليه أن يظل ملازماً للأرض فى صورة جاسبير حتى يســدد ديونه الكارمية ، ولحسن الحظ ان ذاكرته عن حيواته السابقة ستتلاشى تدريجيا ، كما يحــدث عادة .

وفيما بعد لنــا حديث فى « الهيولى المحايدة » أو الجسد الأثيرى الذى لا هو عقل ولا هو مادة كافتراض علمى له وجاهته فى تعليل ظاهرة حدوث الحمل عند العودة للتجسد ، وأيضاً فى تعليل ظاهرة الاســتحواذ الروحى بوجه عام ، وهى لها الآن أسانيد لا تحصى وضعت بمعرفة علمــاء كبار مدققين الى آخر مدى .

المبحث الثالث

عن بعض النتائج العلمية الهــامة التى خلص اليها الباحثون

بعد ان بينت فى المبحثين السابقين جانباً من الشواهد التى جمعها الباحثون عن طــريق دراســة اختبارات ارجاع الذاكــرة الى الوراء ، وظاهرتى « رؤى من قبل » و « سمع من قبل » مع اخضاعها للتحليــل العلمى يتعين أن أعالج فى المبحث الحالى بعض النتائج العلمية العامة التى خلص اليها الباحثون فى شأن احتمالات العودة للتجسد ، خصوصاً ما كان منها نافعاً لخدمة طب التحليــل النفسى الذى يلاقى الآن ثورة جذرية فى العديد من مفاهيمه القديمة .

وســيكون اعتمادى ـــ بالاضافة الى مراجع أخــرى ـــ على مؤلف

حديث لعالم معروف يدعى كارل موللر Karl Muller بذل جهداً ضخماً فى تجميع المئات من وقائع هذا الموضوع ، وفى تحليلها للخروج منها بدلالاتها المنطقية ، بالاضافة الى عدد آخر من النتائج الهامة التى خلص اليها غيره من الباحثين .

وكارل موللر هذا (١٨٩٣ — ١٩٦٨) بحاثة روحى سويسرى له وزنه بدأ تحقيقاته الروحية مبكراً مع القاضى جورج سولزر George Sulzer الذى كان رئيساً لاكبر هيئة قضائية فى زيوريخ Zurich . أما موللر فقد كان مهندساً كهربائياً ناجحاً . وقد أفادته خبرته هذه فى مواصلة تحقيقاته المثابرة فى دائرته الخاصة بمنزله فى زيوريخ حتى وصل الى تسجيل ظواهر التجسدات بكاميرا تعمل بالأشعة دون الحمراء ، وقد واصل هذه التحقيقات منذ بدأ نشاطه فى دائرته الروحية فى سنة ١٩٣٦ الى حين انتقاله الى عالم الروح فى سنة ١٩٦٨ .

كارل موللر

واسس موللر جمعية للبحث الروحى فى زيوريخ وكان رئيساً لها ، كما أصبح فيما بعد رئيساً «للاتحاد الدولى للروحيين(١) » (I. S. F) وكان موللر مقتنعاً بصحة العودة للتجسد .

ماذا يقول موللر

ويقول موللر انه خلال تحقيقات متواصلة لمدى ثمانى سنوات جمع اكثر من سبعمائة حالة ، وقال فى شأنها « اننى مقتنع تماماً بأن دعوى العودة للتجسد قد ثبتت نهائياً ، كما ثبتت دعوى دوام الحياة بعد الموت . واذا تقبلت احداهما ستتقبل الأخرى » . كما يرى انه كان يكون من المفارقات أن يتقبل العلم العودة للتجسد قبل أن يتقبل دوام الحياة بعد الموت .

International Spiritual st Federation. (١)

والحالات التى عنى موللر بتجميعها عن العودة للتجسد كلهـا من فصيلة حالات التذكر الواعى أى حالات « رؤى من قبل » ، و « سمع من قبل » التى عنى بتحقيق أمثالها أيان ستفنسون ، وغيره من أساتذة التحليل النفسى خصوصاً فى الولايات المتحـدة الأمريكية وقد نشرها فى مؤلف حـديث قيم عنوانه « العودة للتجسـد مؤسسة على وقائع » (١) (١٩٧٠) .

ويتناول موللر هذه الحالات بالتحليل العلمى الذى يساعده فيـه المـام كاف بدراسة الظـواهر الروحيـة المتنوعة بما فيها « التلباثى » أو التخاطر التى اقتنع بصـحتها ، كما اقتنع بصـحة سائر الظـواهر العقلية ، ويقول فى شأنها : أنه يبدو أن عدد الأشـخاص ذوى المواهب الروحية يتجاوز كثيراً عدد أولئـك الذين يمكنهم أن يتذكروا بصـورة واعية حياة سابقة لهم . ويمكن تقدير عدد أصحاب المواهب الروحيـة بواحد من كل عشرين واحـد (أى بنسبة ٥٪) ويعتقد الدروز بجبـل لبنان أنه فى كل عشرة آلاف شخص يوجد شخص واحد يمكنه أن يحوز ذكرى واضحة عن حياة سابقة له .

وحتى اذا قلنا ان هذه الأرقام تمثل مجرد رجم بالغيب فانهـا تبين أن الموهبة الروحية — وهى تنمو بالمران — أكثر شيوعاً من حالات التذكر الواعى ... بالاضافة الى ذلك فان حدوث انفعال ما ، أو ارتباط معين بحادثة خاصة قد يفتح الطريق الى تذكر القديم .

وقد يرى هذا الشخص رؤى معينة تشير الى ذكريات تنتمى الى وجود سابق ، بغير أن تحوز هذه الرؤى وضوحاً كافياً ، وبعض هـذه الرؤى قد يكون رمزياً ، مما يؤدى الى زيادة الصعوبة فى تكملة الصورة عن المـاضى ...

وعندما تصل ذاكرة معينة الى وضوح معين ، فلا يتبقى من بعـد شك فى العقل أن هذه المناظر التى تم تذكرها تمثل تجارب شخصية . ويطلق أيان ستفنسـون على هـذه الظـاهرة وصف التشـخيص Personation . وبالاضافة الى ذلك فان انفعـالا قوياً يصاحب عادة التذكر ، وقد يدفع بعض الأطفال الى المطالبة بالعودة الى آبائهم الأقدمين ، أو قد يدفع زوجة ما الى المطالبة بالعودة الى زوجها فى الحياة السابقة (٢) .

---

(١) Reincarnation Based On Facts 1970.

(٢) عن المرجع السابق ص ١٥٥ — ١٥٦ .

ويقــول ديون فورتيون Dion Fortune في مؤلفــه « الروح تدافع عن نفسها » (١) ان دخول المفاهيم الغيبية الى العقل الواعى قد يميل الى ايقاظ الذاكرة اللاشعورية عن اختبارات مماثلة في حيوات سابقة . وان الانفعال الذى يحيط بتذكر معين قد يتحرك قبل أن تحدث الصورة الراهنة للحادثة القديمة . وهذه واحدة من أحسن الاختبارات عن صحة الذكريات المتعلقة بحيوات سابقة .

وهذا الانفعال الذى قد يجيء مبكرا قد يظـل معلقاً لفترة طويلة على عتبة الوعى قبل أن تتضح صور المـاضى بشكل كاف ومجسوس . وهكذا يبين أن الموضوع ليس فحسب موضوع العـلم بحوادث سابقة ، بل هو موضوع انفعال قد يكون هو الجزء الأمامى من الصورة برمتها قبل أن تخرج الى حيز الوجود .

وبعض الأحـداث الروحيــة مرتبط بذاكرة عن مكان معين ، قد تتحرك بلا سبب ظاهر عند زائر ما لهذا المكان . وسواء أكان « الظرف الكهربى للطقس » له صلة ما بتحـرك « الذكرى » أم ليست له صلة ما بذلك ، فان بمقدورنا أن نتفهم هذه المسألة بوصفها نوعاً من السيكومترى (أى قياس الأثر الروحى فى المكان أو فى الزمان) (٢) .

ويمكن أن نفترض أن هناك حالات تثـير الشـك فيما اذا كانت « الذكرى » ترجـع الى نفس المكان ، أم الى نفس الواقعة الخبيئة فى ذاكرة صاحبها . وينبغى أن يواجه الموضوع بدرجات الانفعال ، وبمدى وضوح الصورة ، وتركيزها فى ذهن صاحبها (٣) .

و « نضيف » الى ذلك أيضاً أن ثمـة حالات لاسترجاع ذاكـرة التجسد السابق حدثت بسبب ارتفـاع درجـة حرارة المريض فى أثناء الحمى ، أو بسبب التخدير الجراحى ، أو بسبب الغيبوبة عقب حادثة تصـادم . وهى حالات على حـدة اذ تتنبه فيها الذاكرة بغتــة ، ولكن بصورة مَرَضية .

وعلة هذا التنبه المباغت هى فيما يبـدو حدوث خروج جزئى من الجسد يسـهّل لصاحبه الاتصـال بعقله البـاطن وبالذكريات المخبوءة

---

(١) Psychic Self Defense p. 106.

(٢) راجع « المفصل » . الجزء الأول ص ١٦٨ — ١٦٩ .

(٣) عن كارل موللر . المرجع السابق ص ١٥٦ — ١٥٧ .

فيه (١) . ولا توجد حالات كثيرة من هذا النوع ، لكنها لا تغاير كثيراً حالات استرجاع الذاكرة فى الظروف الأخرى . ومنها حالات النطق بكلمات من لغة أجنبية عن الشخص متى ثبت انه لم يكن واقعاً تحت هيمنة روحية تتميز عادة بغيبوبة لها أوضاع وشروط معينة .

وبعض حالات المس الروحى والاستحواذ قد يكون ذا صلة أيضا باسترجاع الذاكرة عن تجسد سابق ، لأن الروح الماسة أو المستحوذة قد تكون ذات صلات عريقة بالانسان ضحية المس والاستحواذ ، بمعنى أن هذه الصلات قد يرجع العهد بها الى تجسد سابق ، لكنها لا تزال محفوظة فى ذاكرة صاحبها .

ويلاحظ موللر أيضاً أن تذكر حياة سابقة يحتمل أن يفترض نوعا من الحساسية أو من الموهبة الروحية . ان قنطرة ما ينبغى أن توجد لتربط بين الذاكرة وبين العقل الواعي سواء أكان هذا الأخير يقع فى جانب من البنيان الروحى للانسان ، أم فى موقع آخر مثل «الذاكرة الكونية» .

والتعريف الشائع للوسيط يكون عن طريق قدرته على احضار معلومات مسلم بها الى عقله الواعى بطريقة مغايرة للمألوف ، أوالحصول عليها عن طريق بعض الأجهزة (مثل جهاز الكوميونجراف) (٢) . أو لوحة الحروف الهجائية (٣) .

عن موطن الذاكرة

والذاكرة موطنها بطبيعة الحال الجسد الأثيرى لا المخ (٤) . والجسد الأثيرى لايفنى بالموت كالمخ ، بل يظل حاملا وعى الانسان الشامل الذى كان يعمل جانب منه فقط عن طريق المخ وهو الجانب الشعورى والآخر كان يعمل عن غير طريق المخ وهو الجانب اللاشعورى ، وهو يمثل الجانب الأخطر ، والأعمق ، والأوسع من الوعى (٥) .

وبعد الوفاة بوقت يتراوح فى مداه يحدث اندماج تدريجى للجانبين الشعورى واللاشعورى من الوعى ، وباندماجها معاً يبدو الوعى السليم العادى أكثر اشراقاً ، وانطلاقاً وصفاء ، وذكاء . وهذا هو الاتجاه السائد عند كبار الباحثين الروحيين وأوثقهم اتصالا بالبحث فى صلة

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » . الجزء الأول ص ٨٩٠ — ٩٥٩ ، ١٠١٠ — ١٠١٥ أو كتاب « ظواهر الخروج من الجسد » ص ٦٦ — ١١٠ ، ١٨٦ — ١٩١ .

(٢) راجع ما ورد عنها فى « المفصل » الجزء الأول ص ٢٨٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٨١ .

(٤) راجع ما ورد عن الجسد الأثيرى فى « المفصل » الجزء الأول ص ٨٤١ — ٨٨٢ .

(٥) راجع ما ورد عن العقل الباطن فى « المفصل » الجزء الثانى ص ١٠٨ — ١٢٢ .

العقل بالمخ ومنهم مايرز ، وبروض فى انجلترا ، وجيلى وأوستى فى فرنسا . ولنا عودة تفصيلية الى ذلك فيما بعد عندما نتحدث فى مصدر هذا الجانب غير الواعى وهو اللاشعور لنبين كيف أن نظرية العودة للتجسد تلقى على تعليل هذا المصدر أضواء لا تظفر بها محاولة التعليل عن اى طريق آخر .

والانسان العادى لا يتذكر أحداث حياته الماضية ، لكنه يمكن أن يكون خاضعاً لتأثيرها بدرجات مختلفة وبأساليب متنوعة ، بما فى ذلك الأمور التى قد يحبها أو يكرهها ، وربما لسبب غير ظاهر . ويقول كارل موللر انه يبدو أن قوة هذه التأثيرات تتوقف على الطاقة الانفعالية التى لا تزال مرتبطة بجانب معين من التذكر . وسواءً كانت الانفعالات المكبوتة تعتبر مسئولة ، أم غيرها من صور الطاقة الروحية ، فان هذه الذكريات لها تأثيرها حتى فى احداث بعض الاضطرابات العقلية . ومن الصعوبة بمكان أن نعين اى التذكارات المتنوعة ينبغى بالتالى أن يعتبر مسئولا فى حالة أو فى أخرى ، ولماذا يتلقى هذا التذكار طاقة روحية تحركة دون غيره بدلا من أن يظل خاملا فى اللاشعور .

ومما يثير الحيرة العلامات التى فى أجسام بعض العائدين للتجسد ، والتى تتفق مع بعض الجروح أو التشوهات التى صادفتهم فى تجسد سابق لهم ، وتوجد عدة أمثلة لذلك (١) . لذا تجدنا مضطرين لأن نفترض أن نمو الجنين فى رحم أمه لا يكون محكوماً بعوامل الوراثة وحدها ، لكنه قد يكون خاضعاً أيضاً لتأثير الروح التى على وشك أن تتجسد .

فمثلاً وجد أن الموت العنيف فى ظروف قاسية قد يحدث علامات مماثلة،وربما لأن ذاكرة التجسد الأثيرى تكون قد انفعلت بالطاقة العاطفية التى من شأنها أن تؤثر فى نمو الجنين . وعلم النفس المعاصر يتقبل التأثيرات الروحية ـ العضوية psychosomatic التى تسببها الانفعالات ومن بينها العلامات التى تظهر على البشرة تحت تأثير الايحاء فى اثناء التنويم المغناطيسى . وايضاً قدرة بعض اتباع المذهب اليوجى على الدخول فى حالة تشبه حالة الموت (بما فى ذلك توقف النبض ودورة الدم والتنفس) (٢) .

واذ كنا نتقبل امكانية تأثير الذاكرة فى نمو الجنين ، فان العلامات الجثمانية لا تعكس فحسب ظروف التجسدات السابقة ، بل قد تظهر أشكالاً رمزية Symbolic Features .

---

(١) راجع ما سبق عنها مأخوذاً عن تحقيقات ستفنسون .

(٢) راجع ما ورد بهذا الشأن فى « المفصل » الجزء الأول ص ١٠٢٢ — ١٠٢٤ .

والجسد الأثيرى هو الذى يعطى الهالة لونها ، وهى الهالة التى يمكن لذوى الحساسية الخاصة مشاهدتها ، والتى أطلق عليها العالم الألمانى ريخنباخ Reichenback « الطاقة الشاذة » (١) . وهذه الهالة يفترض أنها نصف مادية ، وأن لها بعض الوزن ، بالأقل قبلما تصبح فى مرحلة انعدام الوزن عند انفصالها عن الجسد المادى شأنها شأن سفينة الفضاء عندما تصبح فى حالة انعدام الوزن عند انطلاقها من جاذبية الأرض أو القمر . وأنها ذات اتصال وثيق بالوظائف الحيوية للجسد المادى ، ويتوقف عليها انتاج الاكتوبلازم والطاقة الروحية المسئولة عن ظواهر الوساطة الفيزيقية. ومنذ نشر العلامة ريخنباخ والبحاث الفرنسيون ومنهم بوجه خاص ديرفيل Durville كشوفهم فى هذا الشأن فانه يمكن العثور بعناء على تحقيقات لها قيمتها فى هذا الموضوع ...

ويلاحظ ستفنسون أن نطق الطفل بكلمات أجنبية عنه (كما حدث فى بعض حالات العودة للتجسد التى حققها بنفسه) يفترض الالمام السابق بهذه الكلمات ، كما يفترض قدرة خاصة على السيطرة أيضاً على أعصاب الحنجرة واللسان ، والشفاه ، والوجنتين ... فاذا ظهرت قدرة كهذه بدون تدريب سابق ، فيكون علينا أن نفترض أن هذه القدرة الخاصة أتى بها صاحبها من حياة سابقة ، وأنها تؤثر فى العضلات بطريقة مباشرة . وبعبارة أخرى أن هذه القدرة انتقلت عبر الجسد الأثيرى ...

ويقول موللر ان تأثير الذكريات القديمة يشاهد بدرجات كثيرة من الكثافة ، من مجرد الميول البسيطة الى النفور الذى قد يستوجب الاضطراب ، وهو تأثير غير مرتبط بأى فهم لمصدره ، خصوصاً عند الأطفال . وقد يقدم اللاشعور عندهم بعض تفسير لذلك ... وقد تكون الذكرى عن حياة ماضية ذكرى سربعة الهرب كما يظهر فى اختبارات ارجاع الذاكرة الى الوراء فى التنويم المغناطيسى عندما يصل المنوم مغناطيسياً الى حالة من الخروج من الجسد أو من النوم العميق فيفقد ذاكرته . ولذا كان الدكتور بجورخيم Bjorkhem يستخدم التنويم الخفيف ، وعندئذ كان الشخص المنوم يتمكن من تذكر الاختبار . وكثيراً ما كان هذا الأخير ينسى كل شىء بعد بضع دقائق (٢) .

عن تغيير الجنس

ويتحدث كارل موللر Karl Muller عن موضوع تغيير الجنس

---

(١) راجع عن الهالة ما ورد فى المرجع السابق ص ٨٧٤ — ٨٨٢ .

(٢) عن كارل موللر : المرجع السابق ص ٢٧٨ — ٢٨١ .

بسبب العودة للتجسد فيقول ان عدداً من الناس لا يستسيغ فكرة العودة للتجسد بسبب احتمال تغيير الجنس من الذكورة الى الأنوثة أو بالعكس.

ويرد على ذلك بأن الوقائع تثبت قيام هذا الاحتمال : فقد تبين بالنسبة للأطفال أن ١٦٪ من البنات اللائى أمكنهن أن يتذكرن شيئاً عن حياتهن السابقة تذكرن تغيراً فى الجنس . وأن ٢٣٪ من النساء البالغات اللائى أمكنهن أن يتذكرن شيئاً عن تلك الحياة السابقة تحدثن عنها بوصف أنهن كن فيها رجالاً لا نساءً . وهو يرى أن الرقم الأول ربما يكون أقرب الى الاحتمال من الثانى ، وأنه بالتالى فى كل حالة من ست حالات للعودة الى التجسد تكون تلك العودة مصحوبة بتغير فى الجنس .

كما يقول ان الرجال الذين يتذكرون حياة سابقة لهم فى الجسد فى ظل الأنوثة أقل بكثير من النساء اللائى يتذكرن حياة سابقة لهن فى ظل الذكورة . وهو يعتقد أنه ربما تكون « سيكولوجية » الرجل من خصائصها أن تجعل تذكر الأنوثة السابقة أمراً صعب المنال .

وهو يقول انه من المؤسف أن تفصيلات قليلة عن تغيير الجنس وردت فى الحالات الستمائة من عودة التجسد التى فحصها الدكتور جون بجورخم John Pjorkhem وفى الحالات الخمسمائة التى فحصها الدكتور الكساندر كانون A. Canon ، (١) وفى الحالات الخمسين التى فحصها آرنال بلوكسهام Arnall Bloxham .

والدكتور جون بجورخم الذى يتحدث عنه موللر عالم سويدى ذائع الصيت فى الطب النفسى Psychotherapist وأستاذ بجامعة أوبسالا Upsala ، وكان يجرى تجاربه فى التنويم المغناطيسى على المئات من طلبة الجامعة وطالباتها ، وعرض نتائج هذه التجارب فى كتاب له عنوانه « تفوهات التنويم المغناطيسى » (استوكهلم ١٩٤٣) .

اما الدكتور آرنول بلوكسهام فهو طبيب نفسانى بريطانى له تجارب عديدة فى التنويم المغناطيسى ومحاولات ارجاع الذاكرة ، ولنا اليه عودة فيما بعد .

فكل هؤلاء الباحثين اشاروا الى حالات من تغير الجنس . ويعتقد بجورخم الذى كان يستخدم التنويم المغناطيسى لارجاع الذاكرة — مثل دى روشا — ان التنويم المغناطيسى قد تكون له مزية تحقيق هذا الهدف . وأنه عند حدوث تغير فى الجنس ، فان الشخص المنوَّم كان يحاول مقاومة الكشف عن جنسه السابق لكن ظاهرة تذكر القديم تكون ذات طابع

---

(١) راجع ما ورد عنه فى المرجع السابق الجزء الأول ص ٤٢٩ .

تشنجي ، فكانت طبيعــة الجنس السابق تظهر رغم المقــاومة ، ويبدو الوعى الراهن عاجزاً عن التدخل لمنع كشف سر هذا الجنس السابق .

وأن ذلك يثبت أن هناك « سيكولوجية آلية » تحمى طبيعة الجنس الراهن من تأثيرات الجنس العكسى عند حــدوث تغير فى الجنس بسبب العودة للتجسد . ويبدو أن هذا « العــازل السيكولوجى » عند الرجال أقوى منه عند النساء . ولذا فان الرجل قلما يتحدث عن أنوثته السابقة مثلما تتحدث المرأة عن رجولتها السابقة .

ويخلص كارل موللر الى أننا اذا أدخلنا فى الاعتبار جميع الحــالات التى خضعت للبحث من حالات العودة للتجسد نجد أن النسب العــامة كالآتى : ٤٪ من الرجال غيّروا جنسهم السابق ، ٢٤٪ من النساء غيرن جنسهن السابق ، وأن المتوسط ١٣٪ للجميع .

وأنه رغم صعوبة تفسير هــذه الأرقام تفسيراً صحيحاً فانه لم يعد اى شك فى أن تغيير الجنس أمر جائز الحدوث . وهــو يعتقد أن تغيير الجنس يبدو أقرب الى الاحتمال بعد أربعة تجسدات متتابعــة فى نفس الجنس . وأن تغيير الجنس ليس معضــلة ، كما أن تخنث الرجل ، أو استرجال المرأة فى الحيــاة الراهنة ليس هــو القــاعدة ، بل هــو أمر استثنائى (١) .

آفاق جديدة فى التحليل النفسى

ولا ريب أن هذه الكشوف التى أخذت تظهر فى تدفق شديد ، وفى ترابط يسترعى الانتباه ، وفى وضــوح وخطــورة تمثل ثورة ضخمة فى الكشف عن مجاهل النفس الانسانية وما أوعرها من مجاهل : وهى تلقى مسئوليات جديدة على علم التحليل النفسى فى طوره الراهن . وفى نفس الوقت تفتح أبواباً جــديدة للأمل فى العثور على مصــدر بعض الأمراض النفسية والعصبية ، كما أن الاقرار بامكان المس الروحى أو الاستحواذ يفتح أبواباً أخــرى جديدة لتشخيص بعض الأعراض العضوية والعقلية ولعلاجها أيضاً (٢) .

ومهمة المحلل النفسانى هنا ستصبح مهمة دقيقة للغاية لأنها تتطلب ايقاع المريض فى غيبوبة مغناطيسية ثم محاولة ارجاع ذاكرته الى الوراء

---

(١) عن كارل موللر : المرجع السابق ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٢) راجع ما ورد فى « مفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الثانى ص ٨٢١ — ٨٢٧ .

الى ما هو أبعد من حياته الحالية ، وذلك على النحو الذى وصل اليه الرائد العظيم دى روشا de Rochas والذى وضحته ببعض أمثلة فيما سبق .

وعلى المحلل النفسانى أن يستعين بجهاز لتسجيل كل ما يسرده مريضه فى هذا الشأن حتى اذا ما نجحت التجربة — يعيد على مسامعه — بعد يقظته — كل ما تفوه به فى غيبوبته ، فقد تساعد الاعادة المحلل النفسانى على صحة التشخيص كما تساعد المريض على سرعة الشفاء عن طريق التعرف الواعى على مصدر ما قد يعانيه من آلام نفسية بسبب الكبت فى اللاشعور .

وقد يبدو هذا كله غريباً للمحلل النفسانى التقليدى ، لكن غرابته لا تنفى صحته ، لأن علم النفس الحديث أخذ يتحرر تدريجياً من الفلسفة المادية عن الوجود كما أشرت الى ذلك مراراً ، وأيدته بأسانيده (١) ، وأخذ يتجه اتجاهاً صريحاً نحو تقبل أخطر القضايا ، أو ان شئت النظريات الروحية الواحدة بعد الأخرى .

واما عن اثر التنويم المغناطيسى فى استكشاف مجاهل اللاشعور فهذا الآن أمر مسلّم به علمياً وفيه يقرر الدكتور احمد عكاشه الأستاذ بكلية الطب بجامعة عين شمس « يؤكد علماء النفس أنْ حالة التنويم المغناطيسى هى أفضل الحالات التى يمكن أثناءها استكشاف محتويات العقل الباطن ... واذا عرفنا أنه بين كل جلسة تنويم وأخرى لا يتذكر الشخص الأحداث التى مرت أثناء جلسة التنويم ، بينما اثناء جلسة التنويم ذاتها يستطيع أن يتذكر ماجرى فى جلسة التنويم السابقة ، وذلك دليل على أن حالة التنويم تتيح فرصة الاتصال بالعقل الباطن . وكثير من ظواهر حالة التنويم يمكن تفسيرها بالقدرة على الاتصال بالعقل الباطن ... » (٢) .

فاذا صح أن كان للنفس حياة سابقة على حياتها الحاضرة وأن ذكريات العقل عن تلك الحياة السابقة قد انزلقت الى اللاشعور ، فان التنويم المغناطيسى قد يكون اذاً من افضل السبل المؤدية الى استعادة بعض هذه الذكريات ، على النحو الذى بداه دى روشا ثم تابعه فيه علماء آخرون بدرجات متفاوتة من النجاح مما ساعدهم على تقبّل نظرية العودة

---

(١) راجع ما ورد فى المرجع السابق . الجزء الأول فى ص ٨٥٠ — ٨٥٣ ، وفى الجزء الثانى ص ٧٨ — ٩٠ ، ٩٩ — ١٠٦ ، ١٠٨ — ١٢٠ .

(٢) عن مؤلفه فى « التشريح الوظيفى للنفس . علم النفس الفسيولوجى » طبعة ١٩٧٢ . ص ٢٦٨ .

للتجسد كأمر صحيح تؤيده الآن أدلة كثيرة معملية وفلسفية ، وتحقيقات متتابعة جاءت — كلها الى جانب صحة هذا الاحتمال .

ومما ساعد على تقبل نظرية العودة للتجسد بالذات أن كثيراً من الأمراض النفسية قد يستعصى تعليله بأحداث معينة يكون قد مر بها المريض فى حياته الراهنة منذ الولادة حتى اصابته بالمرض ، أو بالأدق حتى ظهور أعراض المرض النفسانى أو العصبى عليه . وكذلك أن بعض تفسيرات فرويد بالاصابة أثناء عملية الولادة بالذات أخذ يظهر ساذجاً وقاصراً عن مواجهة غالبية هذه الحالات ، ناهيك بمحاولة انقاذ المريض من آلامه .

ومن ذلك مثلاً مرض الخوف الذى لا مبرر له Phobia ، كالخوف من المبانى الشاهقة ، أو من النار ، أو من حيوان أليف ، أو من لون معين ، أو من وسيلة مواصلات معينة ، أو من مادة معينة ، أو من موضوع مألوف ... وهو مرض عصبى شائع فانه قد يكون ذا صلة باختبارات مريرة مر بها المريض فى حياة سابقة له ، وقد انزلقت بطبيعة الحال فى اللاشعور : مثل وفاته فى حياته السابقة من سقوطه من مبنى شاهق ، أو من احتراقه بالنار ، أو وفاته فى حادثة ما بوسيلة مواصلات معينة ... وغير ذلك مما يدعو بعض المحللين النفسيين المعروفين الى ألا يستبعد تماماً أن يكون ثمة جانباً من سلوك الفرد العصبى أو النفسى قد بدأ فى حياة ماضية له .

ومن هؤلاء مثلاً الدكتور دنيز كلزى Denys Kelsey وهو عضو فى « الكلية الملكية للأطباء » (١) وقد ناقش هذا الموضوع فى مؤلف له عنوانه « حيوات متعددة » (٢) فى فصل عن « العودة للتجسد والعلاج النفسى » وفيه يقرر أن اسهام العودة للتجسد فى العلاج يجىء عن طريق الاعتراف بأن بعض العناصر النفسية كثيراً ما يبرز من الشخصية المبكرة للانسان . وانه عندما وسّع من نطاق مفهومه ابتدأ يدرك النقطة الأساسية وهى أن الانسان يتجسد بالطبع الذى يكون قد حصل عليه خلال تاريخه الطويل .

كما يقول ان هذا الطبع لم يرثه الانسان كله ، ولم يتشكل كله تحت ضغط البيئة لكنه قد تشكل عن طريق استخدام الانسان لحريته فى الاختيار . وأن الضغوط الخارجية لا تتسبب فى أن يغيّر الانسان من سلوكه ، بل ان التغير يحدث عندما يمكنه هو أن يغير من نواياه . وان هذا المبدأ يقع الآن فى الأساس من مواجهته للأمراض العصبية التى تعزى الى

---

(١) Royal College of Physicians.

(٢) Many Lifetimes.

طبع معيب فى الشخص . كما يعتقد أن كل شخص يمكنه أن يغيّر من نواياه عندما يصّمم على ذلك .

وكل شخص يتجه فى تقدير الدكتور كلزى اما الى العزلة واما بعيداً عنهـا ، لأن الحب الذى لا يجد اشباعاً نقياً يتحول الى عـدم اكتراث ، واحتمالا الى كراهية . وأثر العودة للتجسد هـو تحديد هـذا الاحتمال الأخير ، لأن انتهاء الحياة الارضية لا يعنى بالضرورة وضع حد لنموذج معين من نماذج الانفعال . ومن ثم فان الاقتراب الى العزلة بسبب الجفاء الذى قد يلاقيه الانسان قـد يعبّر عن نفسه فى صورة قلق قـد يعطى أنواعاً متباينة من الأعراض العصابية .

ولكن اذا أمكن تبصير المريض عن أوجـه طباعه التى تقوده نحـو العزلة ، وأمكن اقناعه اقناعاً كاملاً برغبة تغييرها فان التغيير سيبدأ ، وستبدأ الأعراض فى التراجع .

* * *

ويراعى — فى تقدير كل ذلك — أن النسيان وظيفة بيولوجية تختلف تماماً عما نعرفه عنها . فالنسيان بمعنى المحـو التام لا وجود له ، لأنه لا يمكن محـو أى شىء من الطبيعـة ، أو من الذاكرة التى تسجل دواماً الاختبارات الطبيعية التى تمر بهـا ، سواء أكانت سـارة أم اليمة ، أم محايدة اذا صح مرور أحداث محايدة بعقل الانسان .

أما النسيان بمعناه الصحيح فهو مجرد انزلاق الحادثة من الشعور الى اللاشعور . وهى قد تنزلق حتى فى اثناء وجود أرضى واحد بعد مضى فترة معينة عليها ، كما تنزلق جميع أحداث المـاضى القريب والبعيد الى اللاشعور — بحسب الأصل الذى يحتمل بعض الشذوذ — عند العـودة للتجسد ، وذلك من باب رحمة الطبيعة لنا ، وحماية لذاكرتنا من الأهوال الجسام التى تكون قد مرت بها .

أما درجـة التطور التى تكون الذات قد بلغتهـا عن طريق معاناة هـذه الأهوال نفسها فهى حـق مكتسب لها . وأما الدرس الذى تكون الذات قد وعته عن طريق هذه الأهوال فهو مخبوء فى اللاشعور ، يؤدى دوره فى تنبيه الضمير الى عـدم الوقوع فى نفس أخطاء المـاضى ، بدرجة تتفاوت فى مداها بمقدار تطور الذات وبمقدار يقظة هذا الشعور الداخلى الدفين الذى نعبر عنه بوصف الضمير . والذى هو حصيلة دروس الماضى منذ أبعد أبعاده لكى يساعد الذات على شق طريقها فى المستقبل الى أبعد مداه ، مع القابلية الدائمة للنمو وللتطور ، لأن التطور لا تعرف له نهاية ، كما لم تعرف له بداءة بعد .

ولذا فلا محل مطلقاً للاعتراض على مبدأ العودة للتجسد بنسيان أحداث الماضي ، لأن النسيان لم يحدث انما تحققت مجرد وظيفة بيولوجية محددة وهي انزلاق اختبارات الماضي من الشعور الى اللاشعور ، لكي نجني من الماضي أزهاره ، ولا نضار بأشواكه ، وأهواله ، وذلك بالنسبة للانسان العادي ، وفيما عدا بعض الحالات غير المألوفة أو فوق المألوفة ، ومنها بعض الحالات المرضية أيضاً .

وقد نجح علم النفس الحديث في اكتشاف وجود العقل الباطن أو اللاشعور ، ولكنه لم ينجح لغاية الآن في اكتشاف مجاهل هذا اللاشعور ، أو في رسم حدود واضحة بين الشعور واللاشعور .

واذا صحّ اعتبار هذا اللاشعور مخزناً لاختبارات الماضي السحيق للانسان خلال صراعه المرير المستمر مع تجسداته وكان يحمل خلاصة أو ثمرة ما مر به من اختبارات سعيدة وأليمة ، فانه يكون على العلم أن يسلم بأن نظرية الوجود السبقي للانسان تصبح على هذا الوضع أجدر النظريات بأن تفسر هذا اللاشعور على نحو منطقي وبسيط ، يتحدى في وضوحه وفي ترابطه كل التفسيرات الأخرى التي تريد أن تبدأ الوجود الانساني منذ ولادة الانسان في حياته الراهنة فحسب ، أو منذ صيرورته جنيناً في بطن أمه .

خصوصاً وان وجود هذا اللاشعور قد ثبت تماماً لدى الانسان العاقل الناطق ، ولم يثبت وجوده لدى الكائنات الحية الأخرى سواء اكانت من الفقريات أم غير الفقريات . ولا أعلم عالماً واحداً يسلم مثلاً بأن الحصان أو الكلب — وهما من أرقى الحيوانات الفقرية — يملك عقلاً باطناً أو لا شعوراً . وأنه بالتالي عرضة لأن يصاب — مثل الانسان — بجنون العظمة ، أو الاضطهاد ، أو بمركبات النقص المختلفة أو بالمخاوف التي لا مبرر لها ، أو بانفصام الشخصية ... بالمفهوم العلمي لهذه الأوصاف .

كما ينبغي أن نضع في الاعتبار ما ثبت من أن القدر الأكبر من حوافز الانسان ودوافعه الحقيقية مختبىء في هذا اللاشعور ، بحيث يمكن القول بأن عقل الانسان ينظر اليه كأنه جبل من الثلج يطفو عشره فقط في الشعور ويختبىء تسعة أعشاره تحت الماء في اللاشعور . فمن أين جاء هذا اللاشعور الحافل بأكداس متراكمة من الحوافز والدوافع المرتبطة بداهة بالتجارب والاختبارات الحلوة والمرة الماضية وما أكثرها ، وما أعمق أثرها ؟ !

من آراء دوك اندرسون

وكان دوك اندرسون Doc Anderson — وهو وسيط أمريكى للادراك خارج الحواس وللغيبوبة وللعلاج ينادى بصحة العودة للتجسد ، وبامكان اعاده الذاكرة عن طريق التنويم المغناطيسى للتعرف على أسرار الحياة السابقة لبعض المرضى النفسيين كوسيلة فعالة لعلاجهم من أمراضهم .

وقد قام بسرد بعض تجاربه وتلخيص بعض آرائه زميل له فى بعض تجاربه يدعى روبرت سميث Robert E. Smith وجمعها فى مؤلف له عنوانه « نحن نحيا حيوات متعددة » (١) (مايو ١٩٧١) .

وقد وصل فيه الى أن هذا الموضوع يحتاج الى مواصلة البحث فيه ، وأنه عندما « اختلس » المحللون النفسيون الشيطان من رجال الدين اعتقلوا « رهينتهم » داخل العقل الباطن للانسان . ومنذ هذا التاريخ حصروا اختباراتنا وفحوصنا ، وتنقيبنا فى المكونات الفيزيقية والعقلية للانسان ، ودفعونا الى اهمال البحث فى التكوين الروحى واستكشاف جوهر ذواتنا ...

ان العودة للتجسد شأنها شأن كل نظرية أخرى : اما أن تكون صادقة واما أن تكون كاذبة ، لكن الشواهد الى جانبها ، حتى وان كانت غير حاسمة . ومع ذلك فان التعرف على الحيوات السابقة ذو طاقة حيوية فى التخفيف من حدة التوتر الانفعالى .

ويقول البحاثة روبرت سميث فى مؤلفه الآنف الاشارة اليه ان دوك أندرسون تعرف مثلا على التجسد السابق لرجل أمريكى ، واتضح له أنه كان متجسداً فى انجلترا فى صدر القرن التاسع عشر باسم هنرى هاركنز Henry Harkins وأنه كان يعمل مديراً لأحد المصانع فى ولاية لانكاستر Lancaster بالريف البريطانى . وكان يستغل سلطته على بعض العاملات الجميلات الفقيرات لكى يفرض عليهن الرضوخ لرغباته وشهواته .

ويقول ان هذا الشخص مات قتيلا فى نفس المصنع بطعنة سكين فى ظهره من فتاة ذات شعر أحمر ، وقد سرقت بعد مقتله ساعته الذهبية ونقوده . وقد سرد الوسيط على هذا الشخص ذلك الجانب الخفى من حياته السابقة كوسيلة لانقاذه من متاعبه ومخاوفه المجهولة المصدر التى كانت

---

(١) We Live Many Lives

تطارده فى حياته الراهنة (١) .

وبعد أن تحسنت حالته عن ذى قبل أرسل هـذا الشخص خطاباً الى دوك أندرسون يقول له فيه : « لقد ابتدأت أتفهم تدريجياً مصدر حبى للأدب الانجليزى فى صدر القرن التاسع عشر ، اذ أن حبى يرجع الى رابطة تربطنى بذلك العصر . كما تبين لى وجود أشياء أخرى كثيرة يتعذر تفسيرها « بالمصادفة » . لقد كنت أكره السكاكين بصفة منتظمة ، كما كنت أشعر بالضيق من أى مصنع قديم ، أو من أى مبنى معد لمصنع ما . وابتدأت تضاف الى ذلك كمية من أمور أخرى صغيرة .

كما حدث تحسن اعجازى فى حياتى الجنسية ، واننى مدين ومقر بذلك . كما انا مدين لتغير شخصيتى وبدأت أرى كيف أن قدرة الله قدرة صديقة لنا لأنها تسمح لأولاد الله أن يتعلموا عن طريق استخدام حريتهم فى الاختيار ، وهكذا تقوى اعتقادى الدينى . وانا الآن بكل بساطة أكثر دعة واطمئناناً من ذى قبل ، ولا أفقد هدوئى فى المنزل أو فى المكتب . ان ثمة وقتاً ومكاناً لأجل كل شىء ، وتبدو لى الحياة الآن أكثر من مجرد لحظات عابرة سريعة تضيع هباءً .

لقد قرأت فى مكان ما أن اختبار المعجزة الحقيقية يكون عندما يتمكن أى اختبار من تغيير حياتك نحو الأفضل ، وهذا ما قد تم انجازه بالنسبة لى . وبعد بضع سنوات سأخبركم ما اذا كان هـذا التغير نهائيا أم لا » (٢) .

* * *

ويتساءل روبرت سميث فى مكان لاحق قائلا : هل ستصبح نظرية « العودة للتجسد » حقيقة ثابتة فى يوم من الأيام ؟ ثم يجيب قائلا : ربما سيتمكن الانسان فى يوم مستقبل من رفع النقاب الكثيف الذى يغطى الموت ، وسيتعلم الكثير من الحقائق الخطيرة الأزلية عن الحياة الروحية . والعودة للتجسد هى العنصر الخالد لوجودنا وقد تصبح حقيقة مطلقة ومثلها دورة الموت والميلاد الثانى ، وهذا التحول التاريخى الخطير يمكن أن يتحقق خلال اختبارات ثابتة عن الاتصال بين الانسان المتجسد والانسان غير المتجسد . كما يمكن أن يتحقق خلال بعض

---

(١) قد يعترض أحد المعترضين قائلا : وهل هذا هو كل جزاء هـذا الشخص عن أفعاله السيئة فى حياته الماضية ؟ والجواب هو : وهل نعلم كيف أمضى هذا الشخص أيامه فى الأثير فى الفترة بين التجسدين السابق والحالى ؟ وأليس من الجائز أنه أمضاها أشد قلقا واضطرابا مما هو الآن ؟

(٢) عن المرجع السابق ص ٧٠ — ٨٠ .

اختبارات ارجاع الذاكرة عن طريق التنويم المغناطيسى الى الحيوات السابقة عندما تقدم أدلة لا تقبل الجدل .

وأدلة كهذه « ينبغى أن تخضع للمتطلبات الصارمة التى يتطلبها أسلوب التحقيق العلمى — بحسب رأى روك أندرسون — وأن تكون من النوع الذى يصمد لأقسى صور الفحص . ان العقل الباطن لهو من طراز فريد ، ويمكنه ان يقوم بأدوار من تزيين لأمور تضلل المنوِّم والمنوَّم معاً .

ثم ما هو الأمر الذى يمكنه أن يقيم بينة قوية لمصلحة العودة للتجسد ؟ لقد حاول دوك أندرسون وأنا أن نحصل على معلومات عن موضع سلعة يكون المريض قد اخفاها فى مكان ما (فى حياته السابقة) ولا يعلم عنها أحد شيئاً (١) . ولذا ففى كل تجاربنا المغناطيسية توجد أسئلة حول موضع سلعة ما لا يعرفه الا الشخص المنوَّم .. ان العلوم الخفية اهملت أو ألغيت خلال قرون ، وجيلنا الحاضر يحاول أن يشيد قلعة من الوقائع عن هذه الموضوعات ..

لقد اخبرنا عدد وفير من المنوَّمين مغناطيسياً عن تجسدات فى العصور الغابرة ، ولا توجد لدينا سجلات قديمة لتحقيق صحة هذه الحيوات ، وحتى الحيوات التى قيل أن أصحابها أمضوها فى الولايات المتحدة خلال القرن الماضى وجدنا أن بحثها وتحقيقها من أصعب الأمور . ولم تبدأ حكومتنا فى العناية بحفظ سجلات صحيحة عن المواطنين الا منذ عهد قريب . وفى بلاد أخرى لا توجد — حتى فى العصر الحاضر — سوى الأقوال الشفهية . وهكذ يمضى كل جيل ومعه تاريخ الانسان العادى » (٢) .

ماذا يقول ارنول بلوكسهام ؟

وفى هذا الشأن أيضاً يقول أرنول بلوكسهام Arnall Bloxham وهو دكتور فى العلوم النفسية اتخذ العلاج بالتنويم مهنة له — انه استطاع أن يشفى خلال ربع قرن حالات كثيرة ، وأنه منذ سنة ١٩٥٦ ابتدأ يكون اقتناعه بالعودة للتجسد ، وأنه سجل العديد من حالات تذكر الحيوات السابقة على أشرطة التسجيل بمساعدة زوجته دولشى التى توفيت فى سنة ١٩٧٠ .

---

(١) عنى العالم الأمريكى المعاصر ايان ستفنسون بتسجيل بعض الوقائع من نفس هذا النوع ونجح فى بعضها على ما سبق . ولم يكن ذلك عن طريق التنويم المغناطيسى ، بل عن طريق ذكريات « العائدين الى التجسد » وهم فى كامل يقظتهم .

(٢) عن المرجع السابق ص ٨٧ ، ٨٨ .

وقد استطاع بلوكسهام أن يكون مكتبة صوتية غريبة يحار أمامها العقل فى صورة حوار مع الماضى مدته مائتا ساعة !! بل لقد سجل مع زوجته حقائق عديدة تاريخية وجغرافية كما كانت عليه أصلا . ولكل شريط ملف خاص يتضمن دراسة دقيقة للأدلة العلمية التى تؤكده . ومعظم الأشرطة تتعدى بالطبع الوقائع التاريخية الشائعة وتزودها باضافات فريدة . وهو يرى أن تشخيص مرض عصبى ما يمكن أن يكون أدق كثيراً عند تفهم خصائص المريض الشخصية فى ضوء تجسداته السابقة .

كما يرى أن خصائص المرء التى اكتسبها فى أعماره السابقة تظل معا فى حيواته التالية ، وإن كان بعض المواهب يصبح ثانويا . وأن تفاصل الحيوات السابقة قد يجعل المرء أحيانا فى انحدار مستمر . وأن ثمة مواهب كثيرة تكمن فينا جميعاً ، لكن قلما يوجد الشخص الذى يستطيع استثمارها كلها .

ولذا فهو يأخذ بنظرية « الكارما » القائلة بأن قدر الانسان يلاحقه حتى بعد وفاته ، ولكنه يرى أن تفهم الانسان لقدراته ، ومعرفته لامكانياته الدفينة ، أمور كفيلة بأن تغير وجه العالم (١) .

المبحث الرابع

بعض اختبارات فريدة فى الأحلام وفى الاتصالات الروحية

بالاضافة الى الأدلة الوضعية الكثيرة التى قدمها الباحثون المصريون ، والتى قد تؤيد احتمال صحة دعوى « العودة للتجسد » ، ثمة طائفة أخرى من الأدلة لها طابع خاص فريد . وهى عبارة عن مجرد تنبؤات بقرب عودة انسان معين بالذات للتجسد أبديت فى « الجلسات الروحية » عن طريق « الطرقات المسموعة » أو « تفوهات الغيبوبة » ، أو « لوحة الحروف الهجائية » .. أو غيرها من طرق التراسل بين العالمين ، وقد تحقق بعضها على وجه قوى أو ضعيف .

حالة كانت موضوع رسالة دكتوراه فى الطب

ومن هذه الطائفة من الوقائع الفريدة التى خضعت للتمحيص

---

(١) للمزيد عنه راجع الأستاذ عبد العزيز جادو . المرجع السابق ص ٣٧٠ —

الدقيق ما نشر فى مجلة « فلســـفة العلم » (١) التى كان يصـــدرها فى Palermo بايطاليا الدكتور اينوسنزو كالدرونى Innocenzo Calderone وها هى التفصيلات نقلا عن كتاب « الحياة اللاحقة » La Vie Posthume العالم الروحى شارل لانسلان Charles Lancelin وقد أخـذها من رسالة حصل بها صاحبها على درجة دكتوراه فى الطب من « كليــة طب بالرمو » وهو الدكتور كارملو سامونا Carmelo Samona وعنوان الرسالة « الغاز الروح » (٢) . ويحسن أن نبـدأ فى سرد تلك الأحـداث الهامة بالخطاب الآتى :

عزيزى كالدرونى :

رغم الصفة الشخصيــة تماماً للوقائع التى سبقت ولادة طفلتى، فاننى لا اتردد — خدمة للعلم — فى تقديمها للنشر فى مجلتكم المحترمــة الواسعة الانتشار ، وبغير أن أتكتم اسماء الأشخاص المتنــوعين الذين يعرفونها ، وبقدر اتصالهم بها . واذا كنت أمتنع أنا عن مناقشتها ، فاننى أرى مع ذلك ضرورة كشف النقاب عنها ، حتى يناقشها الآخرون .

ولا يمكن لأى علم أن يتقدم خطوة اذا كان يتجاهل الوقائع . واذا كان كل انسان يخشى السخرية ، أو لأى سبب آخر ، يحتفظ لنفســـه بالوقائع التى تقع فى منطقة « ما وراء الروح » والتى تتفاوت فى مـــدى ندرة تحققها ، اذاً فالوداع لكل أمل فى التقدم :

ولذا فهاأنذا أرسل اليك بياناً مفصلا صادقاً بصفة مطلقـــة عن الوقائع كما حدثت ، وبدون أدنى مناقشة من جانبى للمشكلات الهامـــة التى تثيرها .. وها هو البيان :

بتاريخ ١٥ مارس سنة ١٩١٠ توفيت طفلتى المحبوبة الكسندرين Alexandrine البالغة من العمر خمس سنوات اثر اصابتها بالتهاب سحائى خطير . وكان الى عميقا وكذلك ألم زوجتى ، الى حد كادت معه أن تفقد صوابهـا . وبعد ثلاثة أيام من وفاتها حلمت بها زوجتى ، وبدا لها أنها تراها كما لو كانت حية وسمعتها تقول لها : « لا تبكِ يا ماما ، فاننى لم افترق عنك، بل ابتعدت عنك فحسب . وترقبى بالأكثر عودتى اليك صغيره على هذا النحو » . ثم ظهرت لهـــا كما لو كانت قد أصبحت جنينــاً صغيراً كاملا . ثم اضافت قائلة : « وبالتالى فانك ستبدأين فى التألم من جديد بسببى».

---

(١) Filosofia della Scienza

(٢) Psyche Mysteriosa.

وبعد ثلاثة أيام تكرر لها الحلم مرة أخرى . وعنـدما علمت احدى صديقاتها بذلك حاولت أن تقنعها — اما عن اقتناع شخصى ، وأما لمجرد تعزيتها — باحتمال عودة ابنتها الى الحياة عن طريق ولادة جـديدة .. قائلة لها أن حلماً كهذا يصح أن يكون اشعاراً لها من ابنتها بأنها تستعد للولادة من جديد عن طريقها . ولكى تنجح فى اقناعها بامكان حدوث واقعة كهذه أحضرت اليها كتاباً لليون دنيز Léon Denis يعالج فيه موضوع « العودة الى التجسد » . لكن شيئاً لم ينجح فى تخفيف آلامها لا الاحلام ولا هـذا التفسير ، ولا قراءة كتاب دنيز .

كما ظلت لا تصدق احتمال أن تصبح أماً من جديد ، خصوصاً وانه كان قد حدث لها حمل زائف fausse couche اقتضى تدخلا جراحياً لها بتاريخ ٢١ نوفمبر سنة ١٩٠٩ أعقبه نزيف متكرر ، فأصبحت تقريباً متيقنة من أنها لا يمكن ان تحمل مرة أخرى .

وفى ساعة مبكرة من صبيحة أحد الأيام بعد موت طفلتها ، وكانت زوجتى تبكى كعادتها ، قالت لى وهى غير مصدقة : « اننى لا أرى أمامى سوى الحقيقة الرهيبة ، وهى أننى فقدت ملاكى الحبيب الصغير ، وهذا الفقد قاس أكثر مما ينبغى ، ورهيب الى حد أننى لا يمكن أن أتعلق بخيط أمل مستند الى مجرد أحـلام كتلك التى مرت بى ، فأومن بحادثة غير متصورة وهى عودة ابنتى الحبيبة الى الحياة عن طريقى ، خصوصاً عندما أتمثل فى ذهنى حالتى الصحية الراهنة .

وبغتة عندما كانت تندب حظها العاثر بطريقة مرة ويائسة ، وكنت من جانبى أجاهد لتعزيتها ، سمعنا ثلاث طرقات خشنة وقوية على باب الغرفة ، كما لو كانت صادرة من مفاصل أصـابع أشخاص يبغـون أن ينبهوننا الى رغبتهم فى الدخول . وقد اشترك معنا فى الاستماع اليهـا أولادنا الثلاثة الصغار الذين كانوا معنا فى نفس الغرفة ، ولم يكن هناك — لدهشتنا العظمى — أى شخص يريد الدخول كما توقعنا ..

وفى نفس الليلة عزمنا على أن نبدأ فى عقد جلسات وساطية عن طريق « الطرقات المسموعة » Typtologie (١) وواظبنا عليها لمدة ثلاثة شهور بالأقل . وقد حضرها زوجتى ، وحماتى ، وأنا ، وأحياناً ولديّ الكبيران . ومنذ الجلسة الأولى اتصل بنا كائنان ، زعم أحدهما أنه ابنتى ، والآخر أنه شقيقة لى كانت قد توفيت منذ زمن طويل عندما كانت فى الخامسـة

---

(١) بحسب قاموس « لاروس العالمى » Larousse Universel يشير هذا التعبير — عند أنصار الروحية — الى الرسائل الواردة من الأرواح عن طريق طرقات الموائد الدائرة Tables Tournantes ، أو الطرقات على جسم ما .

عشرة من عمرها، والتى كانت بحسب اقوالها تقوم بدور المرشدة للصغيرة الكسندرين .

وكان أسلوب هذه الأخيرة يبدو هو نفس أسلوبها الطفلى الذى كانت تستخدمه عندما كانت لا تزال حية . أما الأخرى فكان اسلوبها صحيحاً ، وكانت تتدخل فى الحديث اما لكى تشرح بعض عبارات الكائن الصغير ، التى كانت تبدو أحيانا غير مفهومة ، واما لكى تحمل زوجتى على تصديق التأكيدات الصادرة من ابنتها .

وفى الجلسة الأولى أضافت الكسندرين — بعد اذ قالت انهـــا هى بشخصها التى ظهرت فى الحلم لأمها ، وان الطرقات التى سمعت فى ذلك اليوم أحدثت للاشارة الى وجودها ، ولمحاولة تعزية والدتها بأساليب اشد من غيرها تأثيراً — اضافت قائلة : « يا أمى الصغيرة لا تبك بعـــد الآن لأننى سأولد من جديد عن طريقك ، وقبل عيد الميلاد سأكون معكم » ثم استمرت فى الحديث قائلة : «يا ابى العزيز اننى عائدة اليكم، يا أشقائى الصغار اننى عائدة، يا جدتى اننى عائدة . قولوا لأقربائى الآخرين وللعمة كاترين Catherine أننى سأكون قد رجعت اليكم قبل عيد الميلاد» . . وهكذا ظلت تكرر القول الى جميع الأقارب والمعارف الآخرين الذين كانت تربطها بهم أحسن الصلات فى أثناء وجودها القصير .

ويكون من الممل ان نورد جميع الرسائل التى حصلنا عليها منها خلال ثلاثة شهور تقريباً ، لأننا اذا تركنا جانباً بعض العبارات الرقيقـــة الموجهة الى بعض أعزائها ، فان هذه الرسائل تتحدث — دائماً تقريباً — وبتكرار ثابت وممل عن ايذان بقرب عودتها الينا قبـــل عيد الميـــلاد وهى موجهة — كما هى الحال منذ أول جلسة — الى كل واحد من اقاربها ومعارفها .

ولقد حاولنا عدة مرات أن نوقف هذا التكرار المحـــير ، بأن نؤكد لهذه الروح الصغيرة بأننا سنعنى بأن نبلّغ الى الجميـــع نبـــأ عودتها ، او بالأدق نبأ ميلادها من جديد قبل عيد الميلاد وبغير أن ننسى أى انسان ، لكن بغير جدوى ، لأنها كانت تصر على عدم التوقف الا بعد أن تفرغ من سرد أسماء جميع معارفها . . ومنذ البداية أعلنتنا بأنها لن تتمكن من الاتصـــال بنا الا خلال ثلاثة شهور تقريباً ، لأنها فيما بعـــد ستكون — تدريجياً — أوثق اتصالاً بالمـــادة ، وأنها ستنام فيها تماماً .

وفى ١٠ أبريل كان لدى زوجتى أولى دلائل الحمل . وفى ٤ مايو كنا فى مدينة فنيتيكو Venetico من اعمال مقاطعة مسينا ، فتلقينـــا نبأ جديداً عن قرب عودتها ، وأضافت الروح قائلة : « يا ماما توجـــد

فى أحشائك فتاة أخرى أيضاً » . ولما لم نفهم هـذه العبـارة الأخيرة واعتقدنا أن ثمة خطأ قد وقع تدخلت الروح الأخرى (العمة جان Jeanne) قائلة : « ان البنيّة لم تخطىء ، لكنها لم تحسن التعبير تماماً ، اذ أنها تريد أن تقول ان كائناً آخر يطوف من حولك ، أيتها العزيزة آديل Adèle ويريد أيضاً العودة الى هذه الأرض » .

ومنذ ذلك اليوم أخذت الكسندرين تؤكد فى كل رسائلها ، باضطراد وباصرار ، بأنها ستعود مصحوبة بشقيقـة صغيرة ، وبأنهـا ستكون — بحسب أسلوب حديثها — سعيـدة بذلك . وبدلا من أن يكون هـذا القول سبباً فى تشجيع زوجتى وتعزيتها كان سبباً فى ازدياد شكوكهـا وقلقها ، خصوصاً بعد هذه الرسالة الجديدة الفريدة ، وبدا لها أن كل شىء سينتهى بخيبة أمل عظمى .

وفى الواقع كان ينبغى تحقق وقائع كثيرة بعد هـذه الرسائل حتى يكون ما فيها صحيحاً — وهى : ١ — أن تصبح زوجتى حاملا فعـلا . ٢ — الا يكون هـذا الحمل سبباً فى اجهاضها كما حدث من قبـل . ٣ — أن تضع توأمين ، وهو ما لم يحدث من قبل لا لها ، ولا لأى واحد من أسلافها ولا من أسلافى ٤ — ان تضع مولودين انثيين ، لا ذكرين ، ولا ذكر وأنثى » .

ويضاف الى ذلك — فى تقـديرنا — اعتبـار خامس هام ، وهو أن الولادة حدثت فعلا قبل عيد الميلاد المقبل حسبما ورد فى رسائل الروح، مع أن الحمـل لم يكن قد حدث وقت املاء أول رسالة . كما ينبغى أن يضاف اعتبار سادس ، وهو المشابهـة — ولو الى حـد ما — بين ملامح الطفلة فى تجسـدها السابق واللاحق ، وهو ما تنبأت به أيضاً الروح المراسلة وما تحقق بدوره فعلا ، على ما سيرد فيما بعد . ومن المحـال رياضياً أن يقال — اذا كانت هذه الوقائع ثابتة — ان تحقق هذه الأمور كلها كان محض صدف عشواء ، أو محض رجم بالغيب وقد تحقق كله مـع ذلك !!..

ثم يقول الدكتور سامونا انه فى جلسة من الجلسات الأخيرة عبّرت زوجته عن الصعوبة التى تجدها فى الاقتناع بعودة الكسـندرين ، لأنه من الصعب أن يكون شكل الطفلة القادمة مماثلا تماماً لشكل الطفـلة التى فقدتها . وعندئذ بادرت الروح جان الى الاجابة قائلة « ستكونين يا آديل راضية من هذه الناحية ، لأنها ستولد مشابهـة تماماً للأولى ، وان لم تفقها جمالا بكثير ، فانها ستكون أجمل منها قليلا » .

وفى الشهر الخامس من الحمل ، كنا فى شهر أغسطس فى سبادافورا Spadafora ، وفحص زوجتى عالم فى الولادة هو الدكتور فنسنزو كوردارو Vincenzo Cordaro الذى قرر لها من تلقاء نفسه : « اننى لا يمكننى أن أؤكد بصفة قاطعة ، ولكن لدىَّ عدة أسباب تحملنى على الاعتقاد بوجود حمل بتوأمين » . وكان لهذه العبارة على زوجتى تأثير السحر ، وبدأت بارقة أمل تلمع فى روحها التى كان الألم قد اضناها وهدَّها ..

وبمجرد الدخول فى شهرها السابع أصيبت زوجتى بآلام مباغتة فى الكلى ، وباعراض اخرى لمدة خمسة أيام جعلتنا قلقين عليها من لحظة الى أخرى ، وخائفين من حدوث ولادة قبل الميعاد لا يتيسر معها للمولود أو للمولودين أن يعيشوا نظراً لأن الحمل لم يتم سبعة اشهر كاملة . وقد تدخل الدكتور كوردارو لمعاونتها ، وأمكن لحسن الحظ درء الخطر على خلاف جميع التوقعات . وعندما استعادت صحتها تماماً ، وكانت قد انقضت على الحمل سبعة شهور كاملة عدنا الى مدينة بالرمو حيث قام بفحصها طبيب الولادة المعروف الدكتور جيجليو Giglio الذى قرر وجود توأمين ..

وفى ٢٢ نوفمبر وضعت زوجتى توأمين عبارة عن طفلتين . اما عن تشابه الملامح ، فان تحقيقه يقتضى بطبيعة الحال زمناً ما ، ويتطلب مراقبة الطفلتين فى أثناء نموهما . ومع ذلك فمن الغريب أنه ظهرت بعض علامات مميزة تؤكد صحة النبوءة ، وتشجع على متابعة الملاحظة ، وتسمح لنا بالاعتقاد بأنه حتى من هذه الناحية لقد تحققت صحة الرسائل حرفياً .

وفى هذه اللحظة لا تتشابه الطفلتان التوأمتان أبداً ، بل ان كل واحدة منهما تختلف عن الأخرى فى الطول ، وفى اللون ، وفى الشكل ، لكن القصيرة منهما تبدو صورة طبق الأصل من « المتوفاة » . اى صورة طبق الأصل من الكسندرين فى لحظة ولادتها الأولى . ومن العجيب انها تحمل ثلاث خصائص مميزة مشتركة بينهما وهى : احتقان فى العين اليسرى ، وافراز دهنى خفيف فى الأذن اليمنى ، وانتفاء خفيف لتوافق نصفى الوجه asymétrie مماثل تماماً لذلك الذى كان لدى الكسندرين عند ولادتها السابقة » .

التوقيع : الدكتور **كارملو سامونا**

بعض شهود الحالة

ومع تقريره الخاص قدم الدكتور سامونا عدة تقارير مفصلة من جميع شهود هذه الجلسات الروحيــــة الذين ايدوا صحة الوقائع كما وردت بتقريره الخاص . وروى كل واحد منهم التفصيلات المطابقة التى شاهدها بنفسه ، وهم :

اولاً : شقيقته السيدة كاترين سامونا جاردينى C. S. Gardini

ثانياً : الآنســـة آديل ميركانتينى Adèle Mercantini كريمة البروفسور الكبير ميركانتينى .

ثالثاً : البروفســـور رافايل فيجلى Raphael Wigley وهو رجل دين .

رابعاً : المركيز جوزيف ناتولى Joseph Natoli وهو اديب معروف .

خامساً : الأمـيرة دى نيسيمى De Kiscemi والـدة الدوق ديـــل آرينيلا Dell Areneila عضـــو مجلس النواب الايطالى .

سادساً : الكونت فرديناند مونروى Ferdinand Monroy وهو أديب وسياسى معروف .

والى هــذه السلسلة من الشــهادات يضيف الدكتور اينوسنترو كالدونى رئيس تحرير مجلة « فلسفة العلم » الاعتبارات الآتية :

« ان هذه الحالة جديرة بالتأكيد بأن تنشر فى جميع التقـــاويم الخاصة بالظواهر العليا ، وبأن تدرس بعناية قصوى بمعرفــة راويهـــا الدكتور كلرميلو سامونا الذى يعتبر اسمه نفسه ضمانة كبرى على صحة الوقائع ، وعلى كفاءة الالمـــام بها . ولقد نشر فى هذا الشأن مؤلفـــاً هاماً عنوانه « الغاز الروح » الذى حصل به على درجة دكتور من كلية الطب بجامعــة بالرمو ، والذى نال تقريظــاً ضخماً من الصحافة على تنوع اتجاهاتها . كما نال اهتماماً من عدد من العلمــاء الكبار من أمثـــال البروفسور شارل ريشيه (١) Charles Richet وغيره .

وقد قال فيه ريشيه « ان هذا الكتاب مصيره أن يصبح كتـــاباً تقليدياً فى العلم الجـــديد » . كما أثار اهتمام العلماء دى روشا (٢)

---

(١) راجع ما ورد عنه فى « المفصل » الجزء الأول ص ٦٣١ — ٦٦٠ .

(٢) راجع ما ورد عنه فى المرجع السابق ص ٤٥٤ — ٤٥٥ .

de Rochas ، وفلورنوا Flournoy ، وبوزانوا (١) Bozzano وأجابيتى Agabiti وغيرهم من الأعلام .

ويضيق المقام بطبيعة الحال عن سرد جميع هذه التقارير والآراء ، ناهيك عن النظريات المختلفة عن مصـــدر الحمل بوجه عام وصـــلة الجنين به . ومن يريد المزيد فليرجع الى مؤلف العلامة شارل لانسلان عن « الحياة اللاحقة » ، فقد خصص لموضوع الكسندرين مكاناً فسيحاً فيه . كما سرد بعض حالات اخرى قد تعزز صحة هـذا الأسلوب فى تحقيق نظرية « العودة للتجسد » ، وهو أسلوب «الاتصالات الروحية»، الى جانب سائر الأساليب الأخرى التى تناولنا بعضها فيما سبق .

وشيد المؤلف على كل ذلك مفهوماً محدداً عن نطاق الادراك بشطريه الواعى وغير الواعى ، وعن صلة الشطرين معـاً باللاشـعور المطلق ، أو بالوعى غير الشخصى le non moi .ولنا عودة الى ذلك عند معالجة اتطور من اللاشعور الى الشـعور ، وصلة ذلك بتكوين « الأنا » بحسب آراء جوستاف جيلى .

صـور للمقارنة

وفيما يلى نقدم بعض صور الكسندرين فى حياتهـا السابقـة واللاحقة للمضاهاة ، مأخوذة عن نفس هذا المرجع ، الذى لم يشك أحد فى قيمته ، وفى نزاهة الروح العلمية التي هيمنت على وضعه ..



ألكسندرين السابقة فى سن
ثلاث سنوات وثمانية شهور



الكسندرين اللاحقة فى سن
عامين وأربعة شهور

(١) راجع ما ورد عنه فى المرجع السابق ص ٦٦١ — ٦٩٠ .



الى اليسار الكسندرين اللاحقة ، والى اليمين شقيقتها التوأم ماري باتش M. Pace وهما في سن السنتين من عمرهما

* * *

وهذه الوقائع التي حصل بها محققهـا على اجازة الدكتوراه في الطب من جامعة بالرمو وأيدتها تقارير دقيقة ، وشهد بصحتها الدكتور كالدرون الذي كان ذا سمعة ضخمة في ايطاليا ، كان لها دويها الذي تجاوز الأوساط المهتمة بأمثال هذه الموضوعات . وقد أعقبتها مقالة أخرى للدكتور سامونا ظهرت في نفس المجلة وهي « فلسفة العلم » في عددي مايو ويونية سنة ١٩١٣ وقد حلل فيهـا الدكتور سامـونا الطفلتين التوأمتين تحليلا فيزيقياً ونفسياً . وكان مما ورد في هـذا التحليل الجـديد :

ان التفاوت في الشكل بين التوأمتين آخـذ في التزايد ، وكذلك التفاوت في النفسية . ولقد أردت توضيح هذا التفاوت الذي لم يظهر لي مهماً في مبدأ الأمر ، لكن قيمته ظهرت فيما بعد من زاوية أنه يبرز بصورة أوضح من غيرها الشبه الشديد بين الكسـندرين الحاليـة والكسندرين السابقة ، ومن جهة اخرى من شأنه أن يستبعد من احتمال التـأثير الايحائي من جانب الأم في النمو الجثماني والنفساني للطفلة الكسندرين الحـالية ..

فالكسندرين الحالية لا تزال مستمرة في ابراز تشـابه كامل مـع الأخرى التي توفيت .. وعلى اية حال يمكنني ان أؤكد بطريقة مطلقة أن التشابه لا يزال تاماً . وأن سلوكها من الناحية النفسية هو نفس سلوك الكسندرين المتوفاة . وبمجرد ما بدأت حياة التوأمتين في الدخـول في صلات مع العالم الخارجي فان اتجاه كل منهما كان مغايراً للأخرى بحيث يمكننا أن نقرر أن كلا منهما تمثل طبيعة متميزة تماماً عن زميلتها .

وهكذا يسرد والد الطفلتين العديد من التفصيلات عن هذا السلوك، ويبين الى اى مدى يوجد شبه صارخ بين سلوك الكسندرين فى حياتيهما السابقة واللاحقة ، حين يوجد تفاوت صارخ بين سلوكها وسلوك التوأم الآخر ، وهو أمر غير مألوف بالنسبة للتوائم العادية (١) .

اختبارات أخرى عن طريق الاتصالات الروحية

وهناك حالات مماثلة عن عودات للتجسد كانت متوقعة الحدوث — قبل حدوثها — عن طريق رسائل أو اتصالات روحية محددة :

— ومنها حالة دونها الأمير اميل ف . بتاريخ ١٨ ديسمبر سنة ١٨٧٤ بمدينة فيفيه Vevey بسويسرا فى رسالة منه الى « المجلة الروحية » (٢) التى تصدر بباريس يخبرها فيها عن حالة طريفة من حالات العودة للتجسد، وهى خاصة بابنه الذى كان يبلغ عندئذ من العمر ثلاث سنوات . وقد ذكر فيها أنه قبيل ولادته بقليل تلقى من الأرواح المراسلة معلومات عنه ، وعن أنه سيحوز ملكات شعورية نامية ، لأنه فى حياته السابقة التى أمضاها فى انجلترا كان معنياً بتنمية هذه الملكات باتباع طقوس سرية Esotérique .

ومنذ بضعة أسابيع كان ابنى هذا يلعب ويثرثر فى مكتبى وسمعته يتحدث عن انجلترا ، التى لم يتحدث أى انسان أمامه عنها مطلقاً . فسألته قائلا : هل تعرف ما هى انجلترا ؟ .. فأجابنى قائلا : « نعم انها بلادى التى عشت فيها منذ مدة طويلة ، تماماً » ثم دار الحوار بيننا على هذا النحو :

س : هل كنت فيها صغيراً كما أنت الآن ؟

ج : كلا بل كنت أكبر منك سناً ، وكانت لدى لحية طويلة .

س : وهل كانت ماما وأنا كما نحن الآن ؟

ج : كلا لقد كان لى بابا وماما آخرين .

س : وماذا كنت تفعل ؟

ج : كنت أقوم كثيراً باشعال النار ، وذات مرة أصبت بحروق وتوفيت بسببها » (٣) .

---

(١) للمزيد يراجع شارل لانسلان . المرجع السابق ص ٣٠٩ —٣٦٣ . كما تجد فيه وقائع أخرى مماثلة .

(٢) سنة ١٨٧٥ ص ٤٨

(٣) يبدو أن اشعال النار كان من ضمن الطقوس السرية التى كان هذا الشخص يمارسها فى تجسده السابق بانجلترا .

ـ وثمة حالة أخرى وردت فى « المجلة العلمية والخلقية للروحية » (١) وكانت مدونة فى مضبطة جلسة روحية عقدت بمدينة ليون بفرنسا وفيها قرر أحد الوسطاء أن طفلة ما ستولد فى أسرة معينة ، وسيكون فى جبهتها أثر جرح ملتئم بالنظر الى أحداث معينة مرت بها فى حياتها السابقة . وقد ولدت فعلا الطفلة بتلك العلامة المميزة .

ـ وثلاث حالات أخرى أوردتها مجلة « التقدم الروحى » (٢) فى عددى ٥ فبراير و ٢٠ مارس سنة ١٨٩٨ تبين ان الأرواح تعود الى الأرض ، وهى متعلقة بوسطاء لاحداث « الطرقات الكاتبة » أو « للكتابة التلقائية » وقد أعطوا تنبؤات صادقة عن عودات لتجسدات معينة .

اختبار آخر

وهذا اختبار فريد أورده الأسقف ك. و. ليدبيتر C.W. Leadbeater فى أحد مؤلفاته وهو « الجانب الآخر للموت » (٣) . وهو خاص بسيدة فى السادسة عشر من عمرها تزوجت منذ عام ، وتجهل كل شيء عن الوساطة ، وعن الروحية ، وعن العودة للتجسد ، ولم تسمع احداً يتحدث أمامها عن هذه الأمور .

وبمجرد احساسها بالحمل روت لأمها انها تشعر بأن كائناً غير منظور يلازمها كظلها ويراقب عن كثب كل حركاتها ، وأفكارها . وقالت انها تعتقد أن هذا الكائن عبارة عن كائن ثانوى له مظهر سيدة تكبرها بعدد وافر من السنين ، وهذا الوجود اصبح تدريجياً أكثر كثافة . وبعد مضى ثلاثة شهور من احساسها الأول بوجود هذا الكائن قالت انها بدأت تتلقى بالالهام بعض رسائل مطولة مما وصفته بأنه « مقابل » لها .

واظهر هذا الكائن بكل وضوح اهتمامه وقلقه على سعادتها ، وأخذ يتبادل معها محاورات طويلة . واعطى لها اسمه ، واصله ، وتفصيلات عديدة عن حياته السابقة . وظهرت عليه لهفة شديدة على أن يكون معروفاً ومحبوباً من أمه المستقبلة ، وبذل جهداً ضخماً لكى يبدو لها ظاهراً ، وأخيراً نجح فى ذلك . وكان يكفى لهذه السيدة الشابة أن تجعل الغرفة فى حالة نصف ظلام لكى يظهر هذا الكائن وجوده أمامها .

---

(١) LaRevue Scientifique et Morale du Spiritisme

(٢) عدد ابريل سنة ١٩٨٥ . Le Progrès Spirite

(٣) L'Autre Coté de La Mort.

والى هذا الحد كان المعتقد أن الحالة لا تخرج عن نطاق الحالات النفسية المرضية ، ولكن قبل أسبوعين أو ثلاثة من الولادة أخذت هذه الروح تظهر لأمها المستقبـــلة أن السبب الرئيسى لوجودها هو رغبتهـا فى أن تشغل الشكل الجديد لولادتها حتى تكمل اختبــارها الأرضى الذى انتهى قبل الأوان . واعترفت السيدة الصغيرة بأنها لم تفهم جيداً فى تلك اللحظة ماذا كان يريد هذا الكائن أن يقوله ، لكنهــا رغم ذلك لم تكن مضطربة .

وفى الليلة السابقة على ولادة طفلتها الصغيرة ، شاهـــدت « تلك الصديقة » للمرة الأخيرة ، وقالت لها هذه الأخيرة : « اقتربت اللحظة ، فكونى شجاعة وسيسير كل شىء على ما يرام » .. ومنذ ولادتها قالت الأم الصغيرة انهاترى فىملامح طفلتها صورة كاملة ودقيقـــة للروح التى اختفت ، وفى نفس الوقت لم تكن الطفلة تشبه اى فرد فى الأسرة .

وبعد مضى عدة سنوات ، وكانت تفصيلات هذا الاختبار المذهـل قد نسيت تقريباً ، وقع بصر الأم مصـــادفة على كتاب قديم يتضمن سرداً تفصيلياً لحياة المرأة التى عاشت فيها . وكانت احداث حياتهـا مطابقة للأحداث التى روتها الى أمها الصغيرة فى خلال شهور الحمل .. ولمـا كانت تلك الأم الصغيرة تخشى الافضاء بمـــا جرى للآخرين ظلت تحتفظ به لفترة طويلة . وعندما بلغت ابنتها الخامسة عشرة من عمرها روت الأم الواقعة لأحد الحاضرين وحددت اسم الكائن الذى كان يلازمها، وعندئذ حولت الابنة وجهها ناحية الأم قائلة لها « الم يكن أبى يسمينى بهذا الاسم فيما مضى » ؟ وذلك مع أن والدها كان قد توفى عندما كانت فى السنة الأولى من عمرها !!

ولمـا نفت لها الأم أن والدها كان يسميها بهذا الاسم أجابتها قائلة: « ولكننى متأكدة من أننى أذكر أن شخصاً ما كان يناديني بهذا الاسم » . وقد حرر الأسقف ليدبيتر هذه الوقائع فى خطاب الى رئيس تحرير مجلة « المفكر المتقدم » (١) ، نقلا عن خطاب تلقاه من نيومكسيكو .

ولا يمكن بطبيعة الحال الجزم بصحتها ، ولكن تسلسل الوقائـع يلتئم التئاماً غريباً مع مبدأ العودة للتجسد ، ويتعـذر ابتـكارها الا من شخص ملم بالكثير من جوانب هـــذا الموضوع ، الذى اخـــذت تترى التحقيقات اللاحقة الى جانب اثباته لا الى جانب نفيه .

---

(١) The Progressive Thinker.

متابعة

وهذا اختبار آخر روته مجلة « العالمين » Two Worlds وهى مجلة متخصصة فى الموضوعات الروحية وتصدر بانتظام منذ ثمانية وثمانين عاماً ، وعرف عنها الاعتدال ، مع الصدق ، ومقتضاه أن دائرة روحية كانت تعقد بانتظام ، وكانت تتلقى رسائل من روح يدى داود .. وفى ذات يوم أعلن داود انه لن يتمكن من العودة ثانية الى هذه الدائرة لانه على وشك أن يعود للتجسد على الأرض ، وبعد ذلك انقطعت أخباره عن الدائرة لمدة عامين .

وبعدئذ عاد من جديد للهيمنة على وسيطة الغيبوبة فسألته هذه قائلة : « لكنك قلت انك كنت على وشك العودة للتجسد على الارض فماذا جرى ؟ » . فكان جوابه « نعم لقد تجسدت فى أثيوبيا ، ومت بعد مضى عام واحد بسبب سوء التغذية ! » .

ويبدو أن داود هذا كان روحا متطورة ، ولم يكن بحاجة لأكثر من المكوث لمدة عام واحد فى بقاء اليم على الأرض الى أن تحرر من جسده الأرضى من جديد بسبب سوء التغذية . ويمكن بحسب رأى مجلة « العالمين » هذه القول بأن عودة داود للظهور على الأرض فى صورة طفل تعيس كانت عودة قصيرة الى حد أن فردية داود لم تستحوذ على المركبة الفيزيقية الجديدة الا استحواذاً جزئياً ، ثم سرعان ما توفى بسبب سوء التغذية . وبعد هذه الاقامة القصيرة استرجع فوراً شخصيته القديمة (١) .

ويقول محرر هذا المقال انه فى دائرته المنزلية الخاصة قرر الروح المهيمن على الوسيطة كاترين Catherine انه لن يمكنه العودة الى هذه الدائرة لأنه كان على وشك العودة للتجسد . كما قال هذا الروح للوسيطة انه كان شقيقاً لها فى تجسد سابق بجبال الهملايا . ويقول محرر المقال ان هذا الروح عندما كان يتحدث عن طريق وسيطته أحاديثاً مسجلة على شريط التسجيل ، ابدى دهشته مما يجرى الآن فى القرن العشرين ، واخذ يوجه النقد الى أسلوب الحياة الحاضرة !.

كما قال أيضا انه قد سبق له التجسد — كما سبق لوسيطته التجسد أيضاً — بعد تلك المرة التى تجسدا فيها معاً منذ زمن بعيد بوصفهما

---

(١) بحسب بعض رسائل الارواح لا يكون اندماج الكائن المتجسد فى جسده الفيزيقى اندماجا تاما الا بعد سن العشرين فى المتوسط . واحيانا يظل الاندماج سطحيا جدا ، وقد يعطى هذا الاندماج الجزئى السطحى بعض الأعراض النفسية او العصبية التى لا يجدى فيها العلاج .

شقيقاً وشقيقة ، لكنه الآن يعود اليها بوصفه راساماندساس Rasamandas وهو اسمه فى تجسده القديم .

ويلاحظ محرر المقال أن الملمين الروحيين يتحدثون على الدوام عن الأرواح العريقة والأرواح الشـــابة ، فماذا يعنى ذلك ؟ انه يعنى أن الأرواح العريقة هى تلك التى قطعت طريق التطور فى الاختبار من داخل ومن خارج رداء المـادة لمدى أزمان بعيدة . أما الأرواح الشابة فقـــد بدأت منذ زمن قريب رحلتها فى تكوين فرديتهـــا فى استقلال عن روح الجماعة . وغنى عن القول انها كلها تمثل شعلات من الجوهر المقـــدس تنجز — خلال اختباراتها — تطور وعيها الخاص .

فهل بمقدور اى انسان أن يكون جاداً عندما يتصور أنه عنـــدما يتجسد كائن على الأرض لمدة بضع ساعات ، أو شهور ، أو سنوات فى حالة الطفولة ، يمكنه أبداً أن تتاح له فرصة اختبار الدروس التى لايمكن أن تختبر الا اذا ارتدى الكائن صورة فيزيقية ؟!.

وهل بمقدور اى انسان أن يكون جاداً عندما يتصـــور أن ملايين الكائنات التى تبدأ تطورها فى بطون أمهاتها ، ثم تطرد منهـــا عن طريق الاجهاض ، يتعذر عليها أبداً أن تبدأ طريقها من جديد ؟ وهل هذا يعكس فى شىء العدل الالهى ؟ ! (١) .

اختبارات لها دلالتها فى تجسدات الأرواح .

ومن الاختبارات الخطيرة التى لها دلالتها ايضاً ما حدث فى بعض غرف الجلسات الروحية فى أثنـاء تحقيق ظواهر تجســـدات الأرواح فى ظروف مؤاتية . فقد تجســـدت أرواح تجســـداً تاماً أو جزئيـــاً ، ولكن ليس فى صورتها كما كانت فى حياتها الأخيرة ، وهذا هو الوضـــع المـألوف الذى يحدث عادة ، بل فى الصورة التى كانت عليها فى حيـــاة سابقة لها ، اذا ما عادت اليها ذاكرة هذه الحياة السابقة واضحة . ومن المعروف أن اساس التجسد هو قدرة ذاكرة الروح على التـــأثير فى مادة الاكتوبلازم المنبثقة عن الوسيط (٢) .

فكما أن الروح تفضل عادة أن تتجسد فى شكلها الأخير حتى يتعرف عليها الحاضرون ، رغم انها قد تكون استعادت شبابها تدريجياً فى عالم الأثير ، فكذلك يمكنها أن تتجســـد — بحكم تأثير ذاكرتها فى الاكتوبلازم فى صورة أخرى كانت لها فى حياة سابقة لتجسدها الأخير .

---

(١) عن مجلة « العالمين » عدد فبراير ١٩٧٥ ص ٣٦ — ٣٨ .

(٢) راجع « منفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الأول ص ١٧٧ .. ٢٠٨ .

وقد سجل حدوث عدة تجسدات من هذا النوع الأخير بحاث لهم مكانتهم : منهم القس مارتن لجبلاد Martin Liljeblad (١٨٧٣ — ١٩٥١) (١) الأسقف السويدى الذى يقول انه حضر فى سنة ١٩٣٨ عدة جلسات تجسد مع الوسيط الدانيمركى المعروف أنير نيلزن Einer Nielsen (١٨٩٤ — ١٩٦٥) (٢) فى كوبنهاجن ، وشاهد هذه الظاهرة عند تجسد روح القس توماس كنجو Thomas Kingo (١٦٣٤ — ١٧٠٣) الذى روى له أن له تجسداً آخر لاحقاً كعامل فى حقل عنب بالمانيا .

وثمة أمثلة أخرى فى التجسدات التى قدمها العلامة الألمانى المعاصر فى الباراسيكولوجى هانز جيرلوف Hans Gerloff (٣) والسيدة نويجرات Noeggerath (٤) تؤكد انه قد يمكن للروح أحياناً أن تظهر خلال أساليب متعددة من الوساطة ، ليس فحسب فى صورة تجسدها الأخير ، بل فى صورة بعض تجسدات سابقة .

واذا تركنا جانباً المفاهيم القلقة المرتبطة بكلمة « نفس » و « روح » فان هذا يعنى — بحسب رأى البحاثة كارل موللر — أن شطراً فحسب من روح الانسان الكلية يكون نشطاً خلال التجسد الواحد (٥) .

وكثير من البحاث يؤكد هذا المعنى الذى أشرت اليه فى أكثر من موضع سابق ، وهو وجود وعى للانسان وهو خارج الجسد أسمى وأوسع نطاقاً عن وعيه وهو معتقل فى الجسد ، وهذا الوعى الأسمى قد تظهر بعض ومضات منه حتى قبل التحرر من الجسد المادى بالوفاة وهو صاحب الفضل الأول فى ظواهر الالهام ، وغيره من ظواهر الادراك عن غير طريق الحواس E. S. P. (٦) . فلماذا لا يلعب هذا الوعى الأسمى دوره فى التجسدات أيضاً ، وهى لا تخرج عن كونها من الظواهر الروحية الخاضعة لتأثير العقل فى المادة تأثيراً مباشراً ؟ ! ...

---

(١) المرجع السابق . ص ٦١٧ — ٦١٨ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٦٤ — ٢٦٥ ، ٦١٨ — ٦١٩ .

(٣) عن المرجع السابق . ص ٦٠٨ — ٦٠٩ .

(٤) هى السيدة روفينا نويجرات Ruffina Noeggerath ولها كتاب عن « دوام الحياة بعد الموت » Survie (باريس ١٨٩٧ وله طبعة ألمانية فى سنة ١٩٠٤) وقد تناولت شرح تجارب عديدة لها فى هذا الشأن .

(٥) عن كارل موللر : المرجع السابق ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .

(٦) راجع ما ورد فى « المفصل » . الجزء الثانى ص ١١٢ — ١٢١ ، ٤٥٣—٤٩٢ .

اعتبارات ينبغى أن تراعى

وبالاضافة الى ما تقدم فان عدداً كبيراً من أصحاب المواهب الوساطية المتنوعة قدم بيانات محددة كثيرة عن تجسدات معينة له مستعيناً بذاكرته الواعية ، أو بارشادات يقال انها منسوبة الى أرواح مراسلة ، وأحياناً قد تكون مؤيدة ببيانات محددة ، أو برسوم ، أو بصور ، أو بأصوات مباشرة ، أو بتفوهات غيبوبة ، أو بتنبؤات معينة .

ولا ينبغى تقبل جميع البيانات على علاتها ، فقد تكون مشوبة بجانب قليل أو جسيم من الوهم ، أو من الخطأ ، أو من الايحاء ، أو من التسرع فى الاستنتاج من جانب الوسيط ، أو من جانب روحه المرشد أو المراسل . وينبغى دائماً أن نضع فى الاعتبار أن الأرواح المراسلة فيها حشد هائل من محبى الهزل ، والكذب ، والادعاء . وفيها من يزعم كذباً الاطلاع على حقائق الأمور ، أو الالمام بخفايا الوجود . بل فيها من ينتحل لنفسه صفة النبوة ، بل الألوهية أيضاً . وفيها حشد هائل من أصحاب العقليات المضطربة ، أو الأخلاق الضعيفة ، أو المعلومات الخاطئة .

فينبغى اذا أن نخضع كل قول وكل زعم لأسلوب التحليل الناقد والتمحيص الدقيق ، كما هى الحال — بالضبط — بالنسبة لأقوال سكان الأرض ومزاعمهم ، ففيهم ايضاً خليط لا ينتهى من كل المستويات والاصناف والاتجاهات كما نعلم جميعاً . وعندما يأتى الارشاد الروحى من مصدر أهل للثقة فهو يأتى عادة لمساعدة انسان فى التغلب على بعض الصعوبات الراهنة التى قد يواجهها عن طريق الكشف عن بعض جوانب ماضيه السحيق ، أو لمساعدته فى محاولة الحصول على المزيد من التطور الروحى .

كما ينبغى أن نضع فى الاعتبار أن الوعى الانسان لا يتجسد بكامله فى التجسد الواحد ، بل ان أغلبه يظل خارج نطاق التجسد ، وبالتالى مخبوءاً فى اللاشعور ، وهو أمر قد يفسر فى حالات عديدة عدم وضوح التطابق المتوقع بين شخصية الانسان فى حاضره وشخصيته فى ذلك الماضى السحيق . بل ظهور تفاوت أو تناقض جلى فى بعض الأحايين . وعلى أية حال فان كل اعتبار ينبغى أن يوزن وزناً دقيقاً — ومعه كل احتمال متصور — عند دراسة أية بيانات للحكم لها أو عليها .

وينبغى أن نضع فى الاعتبار أيضا أن ظواهر تجسد الأرواح ، وهى ظواهر قد خضعت لتحقيقات جادة كثيرة تحت أدق صور الرقابة العلمية(١) ، هى فى حقيقة الأمر ظواهر عودة للتجسد أيضاً ، لأن جميع

---

(١) راجع ما ورد فى هذا الشأن فى « المفصل » . الجزء الأول ص ٥٢٧ — ٦٣٠ ، ٦٣٤ — ٦٤٩ ، ٦٥٢ — ٦٥٥ ، ٦٦٤ — ٦٨٠ .

الأرواح التى ثبت تجسدها عن طريق استعارتها لمادة الاكتوبلازم من جسم الوسيط أو الوسيطة انما هى أرواح سبق لها العيش على الكوكب الأرضى لفترات تتفاوت فى مداها .

فاذا كان بمقدور الروح أن تعود للتجسد لمدة بضع دقائق أو لحظات عن طريق استعارة عنصر معين من دم الوسيط أو الوسيطة ، فان عودتها للتجسد لبضع سنوات عن طريق استعارة جسم آدمى من احشاء الأم ، يصبح امرا متصورا من الناحية البيولوجية .

ويتقوى هذا الاحتمال اذا روعى أن هذه التجسدات تأخذ احجاما واشكالا متنوعة . وانها تمر بمراحل مختلفة بحسب قدرة الروح ، وطاقة الوسيط ، وكثافة الاكتوبلازم المنبعث منه ، وطول المثابرة ، والخضوع للمران الكافى . وهذه كلها أمور غريبة على أذهاننا الآن ، لكن حققها علماء مدققون كبار وتثبتوا من صحتها بكل السبل . ولعل ما سيرد فيما بعد عن « الهيولى المحايدة » التى ليست هى بعقل ولا بمادة ، او بالأدق هى بين العقل والمادة ، أى تجمع بين خصائص الاثنين معاً ، ما قد يلقى أضواء لها قيمتها على تفسير هذه الظواهر المفرطة فى أهميتها .

المبحث الخامس

آراء بعض الأرواح فى شأن العودة للتجسد

عن موقف الأرواح بوجه عام

مما يسترعى الانتباه أن الأرواح التى تنادى بصحة العودة للتجسد ، والتى تقيم شطرا هاماً من فلسفتها عن علاقة الانسان بالكون على هذه العودة هى أبرز الأرواح المعلمة ذات التعاليم الراقية : ومنها مثلا هوايت ايجل White Eagte (أى النسر الأبيض) ، وسيلفر بيرش Silver Birch (أى الغصن الفضى) ، وهوايت راى White Ray (أى الشعاع الأبيض) ، ورد كلاود Red Cloud (أى الغيم الأحمر) ، وأجاشا Agasha ، وفلتشر Fletcher ، وزودياك Zcdiac ، وجوهانز Johannes ... وغيرهم كثيرون .

وبطبيعة الحال ليس مجرد اصرار الأرواح الراقية على القول بالعودة للتجسد معناه صحة هذا الاعتقاد ، خصوصا وانها تسلم بصعوبة اثباته معمليا فى جميع الحالات نظرا لأن الأصل هو نسيان كل وجود

أرضى سابق للانسان ، وانزلاق هذا الوجود الى اللاشعور بوصفه مجرد لبنة خفية فى بنيان ما تعودنا أن نصفه بأنه « التكوين الفطرى الروحى للانسان » بما له وما عليه ، ولكن فى الواقع انهـا تستند الى أسانيـد لهـا وجاهتها ، ولا يصح المنصف الا أن يوليها حقها من العناية . وهذه الأسانيد بعضها يغلب عليه الطابعان الفلسفى والنظرى ، وبعضها الآخر ذو طابع يقبل التحقيق العملى .

وغنى عن البيان أن هذا الاعتقاد فى العودة للتجسد مرتبط ونيـق ارتباط بمبدأ حرية الارادة الانسانية ، وبالتالى بمسئولية الانسان الخلقية عن أفعاله . وفى الواقع انني لم أقـرأ أن روحا واحدا أنكر مبدأ هـــذه المسئولية الخلقية المتوقفة على مدى ما يتمتع به صاحبها من حرية الختيار مهما كانت مقيدة ، أو تبدو مقيدة بقيود الميراث ، والبيئة ، والعصر .

وليس معنى ذلك بالمرة أن ثمـة اجماعا من الأرواح على صحة مبدأ العودة للتجسد ، فالاجمـاع محال بين البشر هنـا أو هنـاك فى الأمور المعنوية المتصلة بتكوين الروح وبماضيها السحيق فى مستوى المـادة أو مستوى الأثير .

ولذا فان ثمة أرواحا عادية سئلت عن العودة الى التجسد فنفتها . ويقول الفيلسوف آلان كاردك Allan Kardec فى هذا الشـأن ان الأرواح التى تتصل بنا فى فرنسا من أنصار العـودة للتجسد كمـا لو كانوا من براهمة الهند ، أو من فقهـاء الكنيسة الأوائل مثل سانت أوريجـين Origène الذين نادوا بالوجود السبقى للروح على الحياة الأرضية . والذين نظروا الى التجسد بوصفه وسيلة لتطهير الروح فى المـاضى وفى المستقبل حتى تعلو الروح الى « أجواء الأرواح النقية » ، وهو تعبير يوجد فى مؤلفـات كاردك كما يوجد فى كتابات البراهمة .

أما الأرواح التى تتصل فى أمريكا وانجلترا فمنها عدد يسير كان ينعى احتمال العودة للتجسد وهـذا التعارض يفسره كاردك نفسه بأن الأرواح التى تتصـل بنا كثيرا ما تكون أرواحاً دنيا ، وهذا اعتبار يجعلنا نفهم لمـاذا أن الرسائل كثـيرا ما تكون تافهـة ، أو مضـللة ، أو حتى منافية للآداب .

ولأن الانجلو سكسون فى غالبيتهم ينتقلون الى العـالم الآخر على رفض مبدأ العـودة للتجسد ، فانهم عندما يتصلون بالأرضيين يصرون على هذا الرفض ، خصوصا وأن التجسد الجديد قد يعود بهم فى شعب ملون وهذا ما لا يطيقه شعورهم بأنهم أسمى من الملونين كثيرا ! ! لذا

لا ينبغى التعويل فى هـذا الموضوع على اقوال الأرواح العـادية بل على أقوال الأرواح المتطورة التى ارتقت كثيرا . والتى نلمس رقيها من عمـق أفكارها وترابطها ، والتى تدافع فى كل مكان عن مبـدأ العودة للتجسـد هذا ، وتقدم له أسانيد فلسفية ووضعية ضخمة يتعذر رفضها جملة ، خصوصا اذا جاءت متسقة مع الكثير من الحقائق العـامة عن التطـور والعقل ، واللاشعور ، والأحلام ... على ما سيرد فيما بعد .

واضيف الى ذلك أن الآراء المعترضة على مبدأ العودة للتجسـد أخذت فى التراجع الواضح حتى عند الانجلو سكسون ، الى حد أننى لا أجد فى مراجعهم الحديثة سوى تأييـد متزايد لهـذا المبـدأ . وهو تأييد منسوب — فى الكثـير من الأحيـــان — الى أقوال نفس أرواحهم المراسلة ، سواء منها تلك التى تنشرها المراجع المختلفـة ، أم تلك التى تنشرها النشرات والصحف الروحية التى يصلنى بعضها بانتظام .

كما أضيف اعتبارا آخر سجله شو دزموند Shaw Desmond مدير « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن عندما قال « انه يحدث فى معظم جلســات الاتصــال بالأرواح أن يؤثر فـكر الوسـيط وكذلك فكر الحاضرين قليـــلا ، وكثيرا بطريقـة غير مباشرة ، فى الرســالة الأصلية ... وكثير من الوسطاء لا يؤمن بالعودة للتجسد على الرغم من ايمـان الأرواح المرشدة به ، ويمكننى القول بأن جميع المرشدين البارزين يعتقدون تماما فى العـودة للتجسد لاكتســاب الخبرة فى الأرض التى تقوم بدور المدرسة ... » (١) .

من حوار بين كاردك ولفيف من الارواح الراقية .

وقد أجـرى آلان كاردك محاورات طـويلة مع لفيف من الأرواح الراقيـة حول هذا الموضوع أوردها مفصلة فى « كتاب الأرواح » (٢) ، وهى محاورات قيمة ، ولا يتسع هذا المقـام لايرادها كلها ، خصوصا لأن كثيرا من المعـانى المستفادة منها قد ورد فى مواضـع أخرى سابقـة ولاحقة ، وانما نكتفى بايراد بعض أجزاء منها عن طبعة سنة ١٩٤٧ من هذا الكتاب : —

— كيف يتأتى للروح التى لم تبلغ حـد الكمال على الاطـــلاق فى اثنـــاء حياة الجسد أن تكمل تطهرها ؟

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الثانى ص ٣٢٨ .

(٢) Le Livre des Esprits.

ويراجع ما ورد عن آلان كاردك فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٦٨ — ٤٦٩ . وفى باب « الثواب والعقاب » من الجزء الثالث .

— يتحمل محنة تجسد جديد .

— كيف يتأتى للروح أن تنفذ هــذا التجسد الجديد ؟ هل بتطورها كروح ؟

— ان الروح بلا ريب تتطور عند تطهرها ، ولهــذا الاعتبار بالذات تلزمها محنة العيش الجثماني .

— اذا فللروح عدة وجودات جثمانية ؟

— نعم فلجميعنا وجودات متعددة . وأولئك الذين يقولون لــكم عكس ذلك يرغبون فى الابقــاء عليكم فى نفس الجهالة التى يعيشون فيها هم أنفسهم . فهذه هى رغبتهم .

— يبدو كنتيجة لهــذا المبدأ ان الروح بعــد أن تغــادر جسدها المــادى قد تتخذ لها جسدا آخر ، أو بعبارة أخرى أنها تعود للتجسد فى جسد جديد ، فهل هذا هو المفهوم ؟

— ان هذا أمر واضح .

— ما هو هدف العودة للتجسد ؟

— التكفير ، والتقدم التدريجي للانسانية ، وبغير ذلك أين كانت ستوجد العدالة ؟

— هل عدد مرات التجسد محدد ، أم أن الروح تعود للتجسد الى ما لا نهــاية ؟

— فى كل وجود جديد تخطو الروح خطوة جديدة فى طريق التقدم ، وعندما تتخلص من كل أوجه قصورها ، لا تعد بها حاجة لمعــاناة محن الحيــاة الأرضية .

— هل عدد مرات التجسدات واحد للجميع ؟

— كلا : ان من يتقدم سريعا يوفر على نفسه المحن . وكل هــذه التجسدات المتتابعة دائما متعددة جدا ، لأن التقــدم يبــدو تقــريبا بلا حدود .

— وماذا تصبح الروح بعد تجسدها الأخير ؟

— روح سعيدة تماما ، لأنها روح نقية .

— ما هو أساس عقيدة العودة للتجسد ؟

— عدالة الله ، والكشف عنه ، لأننا نكرر بلا توقف القول بأن الأب الصالح يدع الباب دائما مفتوحا لأولاده لكى يندموا . الا يقول لك المنطق

أنه يكون من الظلم أن يحرم نهائيا من السعادة النهائية ، وبلا رجعة ، كل أولئك الذين لم يكن فى وسعهم التقدم ؟ أليس جميع البشر أولاد الله ؟ ان الرجال الأنانيين فقط هم الذين نجد لديهم الظلم ، والحقد الغشوم ، والعقوبات التى لا تغتفر للآخرين » .

ويعلق كاردك على هذه الاجابات قائلا : ـ

« أن جميع الأرواح تميل نحو التقدم ، ولقد زودها الله بالوسائل عن طريق اختبارات الحياة الجسدية . لكنه فى عدالته يترك لها أن تنجز فى وجودات جديدة ما عجزت عن تحقيقه أو انجازه فى اختبار سابق .

وليس من العدل ولا من الرحمة الالهية أن يعاقب نهائيا أولئك الذين يكونون قد صادفوا عقبات خارجة عن ارادتهم حالت دون تقدمهم ، وفى نفس البيئة التى عاشوا فيها . واذا كان مصير الانسان محددا بعد الموت بطريقة لا تقبل التعديل ، فان الميزان الالهى لن يكون واحدا بالنسبة لجميع البشر ، ولن يكون خلوا من التحيز .

ان فقه العودة للتجسد ، أى ذلك الفقه الذى يتقبل عدة وجودات متتابعة للانسان هو الفقه الوحيد الذى يلتئم مع الفكرة التى لدينا عن عدالة الله بالنسبة للأشخاص الذين يعيشون فى مستوى معنوى أدنى من غيرهم ، وهى الوحيدة التى بمقدورها أن تفسر لنا المستقبل ، والتى تستقر عليها آمالنا ، لأنها تتيح لنا الوسيلة التى بها نمحو أخطاءنا عن طريق اختباراتنا المتجددة . فالعقل يقودنا اليها ، كما ان الأرواح تنادى بها .

والانسان الذى يشعر بانه أدنى من غيره يجد فيها أملا معزيا ، فانه اذا كان يؤمن بعدل الله ، فليس له أن يؤمل فى أن يصبح مساويا الى الأبد لأولئك الذين كانوا فى سلوكهم أفضل منه . والاعتقاد بأن هذه الصفة لن تحرمه الى الابد من الحصول على الخير الأسمى ، وانه سيتمكن من الحصول على هذا الخير عن طريق بذل جهود جديدة ، هذا الاعتقاد سيكون من شأنه تقويته وتشجيعه .

وكذلك ما شأن الانسان الذى يحصل فى نهاية حياته الأرضية على خبرة متأخرة لن يتمكن من الافادة منها ؟ ان هذه الخبرة التى جاءت متأخرة لن تفقد أبدا ، بل ستكون مصدر نفع له فى حياة جديدة » .
(ينتهى تعليق كاردك) .

ــ هل جميع وجوداتنا الجسدية تتم كلها على الأرض ؟

ــ كلا ليست كلها ، بل فى العوالم المختلفة . والحياة على الأرض

ليست هى الأولى ولا الأخيرة ، بل هى من أكثف صور الحياة المادية ، ومن أبعدها عن الكمال .

— هل تمر الروح فى كل تجسد جديد من عالم الى آخر ، ام أن بمقدورها أن تمر بعدة تجسدات فى نفس الكرة ؟ .

— بمقدورها أن تحيا مرات متعددة على نفس الكرة ، ما لم تحصل على تقدم أوفر مما يتيح لها المرور الى عالم أسمى .

— اذا فنحن بمقدورنا أن نظهر عدة مرات على الأرض ؟

— يقيناً .

— وهل بمقدورنا أن نعود اليها بعد أن نكون قد عشنا فى عوالم اخرى ؟

— بلا ريب أنه سبق لكم العيش اما بعيدا عن الأرض واما عليها .

— وهل من الضرورى العودة للعيش على الأرض ؟

— كلا ، ولكن اذا عجزتم عن التقدم عليها فمن الجائز أن تذهبوا الى عالم آخر ليس أفضل منها ، بل قد يكون أسوأ .

— وهل ثمة ميزة من العودة للسكنى على الأرض ؟

— لا توجد ميزة خاصة ، ما لم تكن العودة لتحقيق مهمة معينة ، وعندئذ يتقدم الانسان فيها كما يتقدم فى غيرها .

— ألا يكون الانسان أوفر سعادة اذا ظل روحا ؟

— كلا ، كلا ، لأن الانسان سيتوقف عن التقدم ، مع أنه يرغب فى التقدم نحو الله .

— هل يمكن للأرواح بعد أن تكون قد تجسدت فى عوالم أخرى أن تتجسد على الأرض مع أنها لم تظهر عليها أبدا من قبل ؟

— نعم كشأن تجسدكم أنتم فى العوالم الأخرى ، فان جميع العوالم متضامنة ، وما لا يتم انجازه فى عالم معين يتم انجازه فى عالم آخر .

— اذا فقد يوجد على الأرض أشخاص متجسدون للمرة الأولى ؟

— يوجد كثيرون ، وفى درجات متفاوتة .

— هل يمكن بوسيلة ما التعرف على الروح التى تظهر متجسدة لأول مرة على الأرض ؟

— أن ذلك سيكون عديم الجدوى .

— هل يلزم للوصول الى الكمال والى السعادة القصوى التى هى الهدف النهائى لجميع الأشخاص المرور بالتجسد فى جميع العوالم الموجودة بالكون ؟

— كلا لأنه توجد عوالم كثيرة فى نفس المستوى ولن تتعلم فيها الروح شيئا جديدا .

— اذاً فكيف نفسر تعدد الوجودات على نفس الكرة ؟

— ان الروح يمكنها فى كل مرة أن تجد نفسها فى مراكز متفاوتة تماما ، فتمثل لها — بنفس المقدار — فرصا متنوعة للحصول على الاختبار .

— هل بمقدور الأرواح أن تحيا جثمانيا فى عالم أدنى نسبيا من العالم الذى سبق لها العيش فيه ؟

— نعم ، عندما يكون عليها أن تؤدى مهمة للمساعدة فى تحقيق التقدم ، وعندئذ تتقبل بسرور متاعب هذا الوجود ، لأنه يتيح لها سبيلا للمزيد من التقدم .

— أليس من الجائز أن يحدث ذلك للتكفير ، وأن يرسل الله الأرواح المتمردة الى عوالم أدنى ؟

— بمقدور الأرواح أن تظل متوقفة عن التقدم ، لكن ليس بمقدورها التقهقر للوراء ، وعقابها يكون عن توقفها عن التقدم ، ويتعين عليها أن تستعيد الوجودات التى أساءت استخدامها ، وذلك بما يناسب طبيعتها .

— ما هى الأرواح التى يتعين عليها أن تستعيد نفس الوجود ؟

— هى تلك التى فشلت فى مهمتها ، أو فى اختبارها .

— وهل الأرواح التى تقطن عالما مشتركا وصلت كلها الى نفس درجة التقدم ؟

— كلا ، بل توجد أرواح متفاوتة فى تقدمها ، كما هى الحال على الأرض .

— عند المرور من هذا العالم الى عالم آخر هل تحتفظ الروح بنفس الذكاء الذى كان لها هنا ؟

— الذكاء بلا ريب لا يفقد لكن من الجائز أنه لن يملك نفس الوسائل للتعبير عن نفسه ، وذلك يتوقف على مدى تفوقها ، وعلى حالة الجسم الذى سيكون لها (لأن الجسم يؤثر فى الذكاء ، كما أن الذكاء يؤثر فى الجسم) ...

ـ هل عند العبور من عالم الى آخر يلزم أن تمر الروح دائما بطفولة جديدة (عندما ترتدى جسدا ماديا جديدا) ؟

ـ الطفولة انتقال ضرورى ، لكن لا يلزم أن تكون الطفولة حمقاء فى كل عالم بمقدار حماقتها عندكم .

ـ هل تختار الروح عالمها الجديد الذى يتعين عليها أن تقطنه (عند العودة للتجسد) ؟

ـ ليس دائما ، لكن بمقدورها أن تطلب هذا العالم الجديد ، ويمكنها أن تحصل عليه اذا كانت تستحقه ، لأن العوالم غير متاحة للأرواح الا بحسب مدى تطورها .

ـ واذا لم تطلب الروح شيئا ، فما الذى يحدد لها ذلك العالم الذى ستتجسد فيه ؟

ـ درجة تطورها .

ـ هل الحالة الجثمانية والمعنوية للكائنات الحية تظل كما هى فى كل كرة ؟

ـ كلا لأن العوالم نفسها خاضعة لقانون التطور ، وكلها بدأت مثل عالمكم فى حالة دنيا ، والأرض نفسها سيلحقها تحول مماثل ، وعندما يصبح الناس عندكم طيبين ستتحول الحياة عندكم الى جنة أرضية » .

ويعلق كاردك على هذا القول بأن الأجناس التى تعمّر الأرض حاليا ستختفى يوما ، وستحل محلها كائنات أخرى أرقى منها ، وتلك الأجناس المتطورة ستخلف الجنس الحالى ، كما أن الجنس الحالى حل محل أجناس أخرى أكثر بدائية منه .

ـ هل توجد عوالم تعيش فيها الأرواح بلا أجساد مادية ، ولايغلفها سوى الجسم الأثيرى ؟

ـ نعم ، وحتى هذا الجسم الأثيرى قد يصبح رقيقا الى حد أن يبدو كما لو لم يكن له وجود بعد ، وتلك هى حالة الأرواح النقية .

ـ اذا فلا يوجد حد فاصل بين حالة التجسدات الأخيرة وحالة الروح النقية ؟

ـ هذا الحد الفاصل لا وجود له ، والفارق يمحى تدريجيا ويصبح غير محسوس ، كما يمحى الليل تدريجيا فى أضواء الفجر الأولى(١) .

---

(١) من آلان كاردك . المرجع السابق ص ١٤٧ ـ ١٥٥ . ويلى ذلك مناقشات مستفيضة مع الأرواح انتهت فى نتائجها الى نتائج تتشم تماما مع تلك المبينة بسائر أجزاء هذا البحث لذا تحاشينا ايرادها منعا للتكرار . ومن يريد المزيد فليرجع الى هذا المرجع القيم جدا ص ١٥٥ ـ ١٨٥ .

من حوار بين سوافر وسيلر بيرش

وقد ناقش هانن سوافر H. Swaffer نقيب الصحافة البريطانية ـ وهو لايعتقد بهذا المبدأ ـ الروح سيلفر بيرش Silver Birch وهو ابرز روح مراسل فى العالم ، بل فى تاريخ الروحية(١) عن هذا الموضوع الخطير مناقشات كثيرة فتمسك سيلفر بيرش بصحة العودة للتجسد وأعطى عنها تحليلات كثيرة لها وزنها . وقد جرى الحوار على النحو الآتى : ـ



سيلفر بيرش
من عمل الرسام الفرنسى
المعروف مارسيل بونسان
Marcel Poncin

ـ لماذا لم يعطنا عالم الروح اثباتا للعودة للتجسد ؟

ـ ماذا يمكن أن يكون اثباتا للعودة للتجسد التى لا يمكنك أن تفسرها عن طريق ضبط الروح والسيطرة عليها ؟ انك ستتقبلها فقط عندما يكون وعيك معدا لذلك . . عندما يكون واضحا لك أنها القانون . . وهذا هو السبب فى أن هناك كثيرين فى عالمى يقولون ان هذا لا يحدث . . . لأنهم لم يصلوا بعد الى مرحلة الوعى التى يعرفون عندها أن هذا يحدث . . هل يمكن أن يفسر الصوفى مذهبه الباطنى لرجل من رجال الأعمال ؟ هل يمكن أن يفسر الفنان شيئا عن الهامه لهؤلاء الذين لم يوهبوا رقة احساسه ورهافة شعوره أو شيئا عن افكاره الموحاة ؟ انه لا يستطيع . . . انهم فى مستويات عقلية مختلفة .

ـ هل تعرف الروح متى تكون على وشك أن تتجسد ؟

ـ الروح تعرف ، ولكنها لا تستطيع أن تعبّر عن ذاتها من خلال العقل ، والروح التى هى الروح العظمى انما تعبر عن ذاتها عن طريق الخلود ، بالتدريج خطوة فخطوة . وهناك عند اية مرحلة لا يزال يوجد جزء عظيم غير واضح لم يعبّر عنه بعد .

ـ اذن هل الروح تتجسد لاشعوريا ؟

---

(١) راجع ما ورد عنه فى « المفصل » . الجزء الأول ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤ ، ٧٧١ـ٧٩٣ *

— يتوقف هذا على حالة تطور تلك الروح . هناك كثير من الأرواح التى تعرف أنها قد تجسدت من قبل ، وهناك أرواح أخرى لا تعرف . ان نفوسها ربما تعرف ، وادراكها ربما يعرف ولكنها ربما لا تكون معروفة لدى العقل (الواعى) . انك على صلة بأعظم أسرار الحياة . وانا اجد انه من الصعب جدا أن أحصل على كلمات فى اللغة الانكليزية لكى أعبّر بها عن الحالات العامة للروح .

— اذا كانت الحياة فى تغير وتطورمستمرين ، وكانت العودة للتجسد حقيقة ، فكيف يمكننا أن نتحقق من لقاء أحبائنا بعد وفاتنا والاستمتاع بحياة النعيم التى وُعدنا بها ؟ !

— ان الحب سوف يميّز ويعرف دائما من يقره ويعترف به ، لأن الحب أعظم قوة فى الكون كله . الحب سوف يجتذب محبيه دائما ، والمحب سوف يلتقى دائما بمن يحبه .. فليس هناك أى شىء يمكن أن يحول دون الاتحاد بين أولئك الذين يتحابون .

— ولكن مع العودة للتجسد سيكون هناك انفصال مستمر ، فهل هذا يتلاءم مع فكرة النعيم الأبدى ؟

— ان فكرتك عن النعيم الأبدى لا تتواءم مع فكرتى عن النعيم الأبدى . انما الكون وما فيه من القوانين كائن وقائم كما صنعه الخالق لا كما صنعه الخلق ، والانسان العاقل هو ذلك الذى يغيّر تفكيره عندما يواجه الحقائق الجديدة ، لأنه يعرف تماما انه لا يمكنه أن يبدّل الحقائق لكى يرضى هواه .

اذا كان حقا ما يقال من أننا كنا موجودين خلال حيوات لا عدّ لها قبل هذه الحياة ، فلماذا اذن لم نكن أكثر تقدما وارتقاء ، واكثر مثالية مما نحن عليه الآن ؟

— أنت يمكنك أن توجد فى عالم المادة وتكون قديسا ، ويمكنك أن تكون فى العالم المادى أحط من الانحطاط واتفه من التفاهة . وهذا لا يتوقف على المستوى الأرضى ، بل يتوقف على تطور الروح .

— الا يزال أمامنا عدد غير متناه من حيوات النضال والكفاح والألم والعذاب علينا أن نجتازها فى المستقبل كتلك التى كابدناها فى الماضى ؟

— نعم .. عدد غير متناه .. كفاح ومعاناة .. معاناة تجعل الروح بداخلك قادرة على البزوغ نقية ، مطهرة ، معززة ، مؤيدة ، مهذبة ، مصفاة ، مثل الذهب ينبثق من الجوهر الخام بالتحطيم والصقل والتهذيب الى أن يتكشف أصله عن طريق تلك العمليات .

ـ اذا كان الأمر كذلك ، فما جدوى فكرة دار البقـاء بعد الموت ؟

ـ ان ما تعتبره اليوم نعيما مقيما لن تعتبره كذلك غدا ، لأن السعادة تكمن فى الكفاح والجهاد . الجهاد دائما لأن الاعلى والأرقى وراء ذلك .

ـ اذا تجسدت الروح فهل تعود الى نفس الجنسية كما كانت فى آخر تجسد ؟

ـ ليس ضروريا . انهـا ستختار المدينة ، والأمة ، والسـلالة ، والأسرة ، التى تراها ضرورية لظهورها الجديد .

ـ هل ينطبق نفس الشىء على مسألة الجنس Sex ؟

ـ نعم ليس من الضرورى أن تعود الروح بنفس الجنس الذى كانت عليه من قبـل .

ـ هل يمكن أن يكون صحيحا أننـا نعاقب على ذنوبنا فى حيـاة اخرى على الأرض ، كما أننا يجب أن نكفر عن خطايانا قبـل أن نرتقى فى عالم الروح ؟ هل يعاقبنا الله مرتين عن نفس المعصية ؟

ـ ليست المسألة مسألة عقاب .. وانما هى مسألة ارتقاء . واجب يلزم أن يؤدى .. درس يجب أن يُعلَّم ويُستذكر .. حلقة أخرى يجب أن تُصهر وتطـرق وتدخل فى سلسلة تهذيب الروح وتثقيفها واعلائهـا والسمو بها . ان العودة للتجسد لا تعنى دائماً انك يجب أن تعاقَب .. انها تعنى فى الغالب أن ثمة فجوات أو فراغ ينبغى أن يملأ .. وهذا يمكن أن يكون فى بعض الأحيان تأديباً وتهذيباً للأفراد ، وقـد يكون فى أحيان اخرى دروسـاً لم تعرف بعد .. هـذا لا يعنى دائماً العقاب .. وأنت لا يمكن أن تعـاقب مرتين . وحين تكون على علم ودراية « بالقـانون » فستعجب من كماله ، لأنه لا يطفف الكيل ولا يخسّر الميزان . القـانون كامل ، والشريعة كاملة ، والكمال صفة من صفات الله (١) .

من حوار بين هوايت راى ووسيطته

ونوقش ايضاً الروح المرشد الراقى الذى يرمز لنفسه باسم هوايت راى white ray (الشعاع الأبيض) فى موضوع العودة للميلاد فأيدها ، ملقياً عليها بعض أضواء جديدة . وجرى الحوار الآتى :

ـ هل من الممكن لمولود حديث انتقل اليكم بعد قضاء بضعة أيام فقط

---

(١) للمزيد راجع الأستاذ عبد العزيز جادو « العودة للتجسد فى المفهـوم العلمى الحديث » ص ٢٨١ — ٢٩٥ .

أن يعود فيولد من جديد لنفس الأم اذا حملت جنيناً من نفس الجنس بعد ذلك بفترة قصيرة ؟

— يبدو أن ذلك يحدث بالأكثر اذا أرادت ذلك صاحبة الشأن ، لكنني يؤسفني أن أقول ان ذلك لا يمثل لها حقاً مكتسباً ، ولكن توجد امكانية للأرواح التي كانت لها حيوات سابقة على الأرض أن تعود ثانية اليها في تجسد آخر

واذا كان من الممكن لروح تكون قد عاشت الى مرحلة النضج ، أو الى أبعد منها ، أن تعود الى التجسد ، فان هذه العودة للطفل المولود حديثاً ، الذي توفى ولما يمض عليه على الأرض سوى فترة قصيرة ، تكون أبعد منالاً ، لأن معنى الوفاة بعد فترة قصيرة على الأرض هو أن هذه الروح تكون قد استوفت الدروس التي كان يمكن لعالمكم البشري أن يزودها بها ، ولكن يلزمها فحسب فرصة اضافية لمدى بضعة أسابيع من الارتباط المباشر بالأرض (عن طريق التجسد) .

وقد يمكنكم أن تقدروا أنه من الطبيعي للانسان الذي استكمل حياة طويلة على الأرض ، ومع ذلك يجد أنه ينبغي أن يعود ثانية لتمضية فترة أخرى عليها ، أن يسمح له بالعودة . ولتفكروا ، ولتتحققوا — كما أخبرناكم من قبل — أن ثمة خطة كاملة وراء ذلك ... واذا ما تحققتم من كمال الخطط الروحية ، فان عديداً من الوقائع التي تحدث على الأرض ، والتي لا زلتم تصفونها بأنها غير عادلة ، قد يبدو مفهوماً . ولا قيمة لموضوع الجنس Sex عند العودة للتجسد .

— اذاً فمن الصدق القول بأن الاخيار هم الذين يموتون صغاراً ؟

— في مثل تلك المناسبات أقول نعم ، اذا كانت الاقامة عندكم لفترة قصيرة جداً ، لكن لا يمكنني أن أقرر أن ذلك صحيح بالنسبة لمن ينتقلون مبكراً في حياتهم الناضجة (أي في الرجولة مثلاً) .

ولكنني سبق أن أشرت الى أنه اذا كانت العودة للتجسد أمراً صحيحاً ، فانكم لم تمنحوا الشعور بها في عالمكم لسبب وجيه . فليس من الاختبار العادل أن تعرفوا مقدماً نوع الدروس التي عليكم أن تحصلوها . بل ان عليكم أن تتعلموا أولاً ، وبعدئذ أن تبحثوا فيما اذا كان بمقدوركم اجتياز الامتحان . فليس الأمر عبارة عن مجرد التخصص في تحصيل الدرس الذي سبق رسوبكم فيه .

وموضوع العودة للتجسد وصل في أرضكم الى عقول كثيرة ، وحرك عقولاً أخرى أيضاً ، وخلق قضايا عديدة . واذا كان بعض العقول قد تقبل صحة العودة ، فان البعض الآخر ينكرها لانه ليس بمقدوره أن يجد

آية بينة عليها . وهذا البعض الآخر عليه أن يتفكر فى أمور كثيرة لم يكن هناك أى دليل على صحتها منذ سنوات قليلة ، ومع ذلك ثبتت بعدئذ صحتها لفرط دهشتهم ويأسهم . ومن ذلك مثلاً كشوف العلم الخطيرة التى صنعت لتدمير عالم البشر ، فليرجع أولئك اذاً بذاكرتهم الى الوراء الى الوقت الذى لم تكن فيه هناك أية نية على صحة ذلك .

وانه لأمر حق اننا نقول لكم دائماً من جانبنا ان تؤمنوا فحسب بما لا يرفضه العقل ، ولكن فلتتعلموا مع ذلك أن تكونوا متسامحين فلا تقبلوا أمراً ما دمتم غير مؤمنين به ، ولكن لا تنظروا الى غيركم كما لو كانوا ذوى عقول قاصرة لمجرد أنه حدث لكم أن آمنتم بأمر مغاير لهم .

ولا ترفضوا اى شىء لمجرد عجزكم عن تقبله ، فان الله قد خلق العقل كجهاز مفرط فى تزمته وتعقيده ، وهو يستجيب فى أوقات مختلفة الى دوافع متباينة ، ومع ذلك اذا رجعتم بذاكرتكم الى بضع سنوات خلت ستجدون أن عقلياتكم كانت مختلفة تماماً عما هى عليه الآن . وتطور العقلية أمر مستديم أبداً . لأنه بدون استكشاف أسس جديدة للتفكير فان العقل يضحى راكداً ، وعندئذ فان عمل العقل الأعظم يضيع هباء ، وهذا ما لا يمكن أن يكون .

— قلت انه من الجائز للأرواح أن تعود للتجسد بضعة أسابيع فقط لمجرد اتمام تطورها عن طريق ذلك الارتباط المباشر بالأرض ، فبأى أسلوب ، وكيف يتأتى لتلك الروح أن تفيد من اقامة لمدى بضعة أسابيع فحسب ، بوصفها طفلاً حديث الولادة ؟

— ليس من الضرورى أن يكون الاختبار قد أعطى للروح التى عادت للتجسد باقامة مداها بضعة أسابيع ، بل ان هذا قد يكون لتطور الشخصين اللذين تم اختيارهما بوصفهما والدين لهذا الطفل . وهذه العودة تؤدى الى تحقيق الارتباط بين الوالدين والطفل ، أو بالأدق بينهما وبين الروح التى قد عبَّرت عن وجودها بوصفها طفلاً .

وعندما تعود تلك الروح الى عالم الروح من جديد قد تجلب — بسبب ارتباطها القصير بالأرض — مساعدة وارشاداً من عالم الروح الى الوالدين . فهذه وسيلة لانشاء ارتباط أوثق مما كان بعالم الروح ، ارتباط قد يعجز عن انشائه الروح المرشد . وهو ارتباط هام جداً حتى ولو كان الوالدين غير متنبهين له .

— هل من الحق أن يقال أن الاختبار الذى قد تحصل عليه الروح عن طريق عودتها للتجسد ، ليس محدوداً بهذه الأرض ، بل

انه يتعين عليها أن تحصل على الاختبار أيضاً من المستويات المتنوعة التى قد تذهب اليها بعد مغادرتها الأرض ، وان الاقامة لمدى بضعة أسابيع على الأرض قد تكون ضرورية لبدأ دورة جديدة فى الحياة ؟

ـ ان هذا غير ضرورى . وثمة مناطق يمكننا الوصول اليها بطريقة فعالة فحسب عن طريق خدمة عالمكم . ولكن الروح المحتاجة للاختبار يمكنها أن تذهب فى مهمة تطوعية ، بل تذهب خلال الأجواء بدون العيش ابتداءً مرة أخرى على الأرض . وتفهم طريقة الميلاد على الأرض قد يكون احد الأسباب ، لأن علينا أن نتعلم ذلك قبل أن نجىء الى الأرض . ولقد ثبت لنا ـ من جانبنا ـ انه فى المعتاد عندما ترتبط روح بالأرض لفترة قصيرة ، فانها بالأكثر تنسى نفسها ، وترغب فحسب فى خدمة ترقى أولئك المحتاجين للمرور باختبار الظفر بطفل ثم فقده بعد ذلك بأسابيع .

ـ هل تعرفون أسلوب العودة للتجسد ؟

ـ اسلوب العودة للتجسد بسيط للغاية ولكنه لا يحدث على نفس الوتيرة فى كل حالة . فهناك أرواح تجىء الى جانبنا تعبّر عن رغبتها فى العودة ثانية الى الأرض ، وتبدى أسباباً وجيهة لها ، فيُسمح لها بالعودة . ويكون لها احساس كامل بقرب الولادة حتى تجىء اللحظة التى تدخل فيها الى الحمل الجديد ، ومنذ تلك اللحظة يتوقف احساسها الايجابى بعودتها الى الأرض ويظل هذا التوقف قائماً طيلة حياتها الارضية . وعندما تعود الى عالم الروح من جديد قد تسترد احساسها بتجسداتها على الأرض .

ولكن هذا لا يحدث لكل انسان ، بل ينبغى أن تعرفوا أنكم لستم كلكم أرواحاً عائدة للتجسد ، وان كنتم كلكم أرواحاً متجسدة . فعديدون منكم لم يسبق لهم فى الماضى العودة للتجسد ، وان جاز أن يعودوا مستقبلاً ، اذا تبين أن العودة ضرورية لتطورهم أو لتطور الآخرين . فالعودة للتجسد كثيراً ما تكون لخدمة تطور الآخرين ، كما تمثل فرصة تمنح الى أولئك الذين نالوا فرصاً عديدة على أرضكم لكنهم أضاعوها . فهؤلاء عندما يدركون فشلهم ويعبرون عن رغبتهم فى التكفير عن هذا الفشل يسمح لهم بالعودة ثانية الى الأرض لكى يثبتوا لأنفسهم انهم بحاجة الى اتمام فهمهم للنواميس .

ـ هل يشبه ذلك ملحقاً ثانياً لامتحان مدرسى ؟

ـ نعم اذا شئت أن تنظر للعودة هذه النظرة التى تعبر تماماً عن المغزى . وهكذا ترى أنه من الحق أن بعض الكائنات كان على الأرض

شريراً جداً ، ولكن ليس من الصواب الا يمنح هـذا البعض أية فرصـة ثانية للخدمة . وبشرط الا تستخدم هـذه الفرصة لتعظيم الذات ، بل بالأقرب لانكار الذات ولتحقيق حاجة البعض للحصول على تفهم مغزى اخوة الآخرين ، هذا التفهم الذى فشلوا فى منحه للآخرين عندما كانوا على الأرض .

وهنـاك أولئك الذين ينعمون بالفهم المقـدس ، وبانكار الذات ، وبالأخلاص . وهم ينعمون بانكار الذات الى حد انهم قد يفكرون فى العودة الى الأرض متطوعين بغير أن يفكروا فى انفسهم . لكنهم لا يعودون بوصفهم « شخصيات عظيمة » ولا تكون لديهم اية معرفة عما كانوا عليه من قبل ، وعادة لا يذكرون ماضيهم ، لأنهم لا يرغبون فى تذكر انجازاتهم السابقة . كلا بل أنهم يعودون للأرض فى تواضع ، وفى فهم رزين لقيود الانسان ، وللمصادر غير المحدودة التى تغذى الروح ، وهـذا هو الأسلوب الذى يسمح لهم بالعودة الى الأرض فيه (١) .

ماذا يقول هوايت ايجل ؟

« فالعودة للتجسد تعنى اذاً فى الواقع ــ كما يقول الروح هوايت ايجل ــ أن الحياة فى الجسد المـادى تشبه فصلاً فى مدرسـة . ونحن نعود اليها ثانية بدروس معينة علينا أن نتعلمها ، وبملكات معينة علينا أن ننميها . وفى خاتمة الفصل الدراسى نعود الى منازلنا ثانية ، أى نتحـول الى حالة أرق من الوجود الداخلى ، فى أرض يمكن أن تسمى بأرض الضوء لفترة من الراحة والانتعاش .

وخلال هذه الفترة يمكن للروح أن تستعيد ما ربحته وما خسرته ، فى حياة انتهت الا من نتائجها الكارمية Karmic results (أى العلية الروحية) ويمكنها أن تخطط لخطواتها التالية عندما ترى أن الوقت قد أزف كيما تحاول من جديد . وهذا الأسلوب فى الانتقال من الجهـد الى الراحة ومن الراحة الى الجهد يستمر الى أن تنتهى دورة الحيـاة على الأرض ...

وتحت قانون دقيق لا مفر منه نولد من جديد طبقـاً لعدالة الاله السامية فى البيئة التى نقابل فيها من جديد أولئك الذين اخطانا اليهم ، أو اخطأوا الينا ، او أولئك الذين ساعدناهم فى المـاضى أو ساعدونا . فنحن نعود للتجسد مع أولئك الذين كرهناهم او اسـأنا اليهم ، وذلك الى أن

---

(١) عن كتاب « فلسفة هوايت راى » The Philosophy of White Ray لوسيطة الغيبوبة السيدة بوليت أوستن Paulette Austen ص ٨٥ ــ ٨٨ .

تُصحح جميع الأخطاء ، وتغتفر جميع الاساءات ، والى أن تتحول الكراهية الى حب .

ونحن نعود للتجسد أيضاً مع أولئك الذين أحببناهم والذين احبونا ، وهو ما يجلب السعادة الى حياتنا . وبفضل الله قد يمكننا أن نحول كل ما يؤلمنا من أمور الى مصدر قوة لنا ، ونستخدم أفعالنا السيئة الماضية فى رفع مستوانا من الاختبار . وهكذا نصنع من كل من فكر وعمل لنا قيود مستقبلنا وفرصه » (١) .

ماذا يقول روح فون ليست ؟

وفى هذا الاتجاه يقول روح فون ليست Von Liszt الموسيقار المعروف فى بعض رسائله للوسيطة روزمارى براون Rosemary Brown — بعد أن اثبت شخصيته بسمفونيات وقطع موسيقية عديدة املاها عليها تحمل بشهادة كبار النقاد كل خصائص موسيقاه — (٢) : « فى الواقع ان جانباً فقط منكم هو الذى يظهر على الأرض عن طريق الجسد الفيزيقى والمخ ، أما الباقى فيظل جنيناً فى الروح ، ويكون كلاً لا يتجزأ معكم . وان هذا واحدٌ من الأشياء التى نريد أن نساعدكم فى أن تنموها وان تنفهموها كيما يحاول الأفراد أثناء اقامتهم على الأرض أن يعبّروا عن انفسهم بطريقة أكمل من غيرها ، وعلى مستوى أرفع من غيره » .

كما شرح لها كيف أن الشخص الواحد لا يعود أبداً بذاته وبكل مميزاته مرتين على الأرض ، فان هذا أمر محال بالنظر الى تغير الآباء ، والأجداد ، والمخ ، والجسد . وفى الجملة فان كل ما فى الانسان سيتغير ، ولكن جانبا من الذات سيندمج أو سيتداخل فى كائن جديد . وعندما يتوقف الجسد الفيزيقى عن العمل فى تلك اللحظة التى نسميها « موتا » فان هذا الجانب الرئيسى الذى اندمج فى الجسد يعود الى أصله الكلى . وعلى هذا النحو توجد فى معنى من المعانى « عودة للتجسد » ، لكن لا يوجد تكرار لنفس الشخص ، وبالتالى فان الحديث عن هذه العودة للتجسد يعنى بوجه عام مجرد امكانية للكائن فى أن يولد من جديد على الأرض .

كما يقول ان تبسيط فهم عملية العودة للتجسد قد أساء اليها . وبحسب رأيه فاننا لانمضى أوقاتنا فى الذهاب والاياب بين عالمين بلانهاية.

---

(١) عن كتاب « لماذا على الأرض » Why On Earth ? للوسيطة جون كوك Joan Cooke ١٩٦٤ ص ٣٣ — ٣٤ .

(٢) راجع ما ورد عنها فى « المفصل » . الجزء الأول ص ٢٣٢ — ٢٣٦ .

بل اننا قد لا تمكننا العودة الى الأرض سوى عدد محـدود من المرات ؛ وتوجد احتمالات أخرى لا حصر لهـا ، كما لا توجد أية قاعدة مضطردة .

وجميع مرات العودة اختيارية بصفة مطلقـة ، فلا يلقى اى انسان الى الارض رغم انفـه ، ولا يرغم على الذهاب اليها ، وفى هـذا تكمن العدالة . كما شرح لهـا ان العودة قد يكون من أهدافها أن نتلقى درسا جديدا أو آخر ، ولكن بمجرد وجودنا هنا ننسى علة مجيئنا ، وفى الواقع لا يوجد منا سوى جانب فقط جاء الى الأرض هو ذلك الجانب الذى قبل طائعا المجيء اليها .

وقد يقاسى الانسان بسبب تعصبه لجنس أو للون أو لدين معين .. وهـذا المتعصب يمكن أن يعـود الى التجسد فى نفس الجنس أو اللون أو الدين الذى كان يكرهه فيما مضى والذى كان يناضل ضده . وعلى هذا النحو يمكن أن يفهم الدرس القائل بأن جميع البشر هم على قـدم المساواة فى عين الله .

ويشبّه فون ليست تكوين الروح الانسانية من عناصر متعددة بالذرة التى تتكون من بروتونات ونيوترونات تتفاعل معا فى تكوين النـواة التى تحيط بهـا الالكترونات . وهكذا الروح الانسانية فان أجزاءها المنفصلة تتجمع معا فى نواتها ، لكن كل جـزأ منها يمكن أن ينفصـل عن باقيها ، وهذا الجزأ القابل للانفصال هو ذلك الذى يمكنـه ان يظهر فى عالمكم فى صور شخصيات متنوعة .

وبالتالى فانه يوجد ما يطلق عليه دعاة العودة للتجسد « تجسدات متنوعة » لكنها كلها تنتمى الى روح واحدة بمقدورها أن تتخير أى جانب فريد منها ينبغى أن تكون له الأفضليـة فيها . ولنفترض مثـلا أن روحا كانت لهـا صلات بمصر ، ثم وضعت فى مكان آخر ولنفترض انه اليونان ، فان هذه الروح يمكن أن تظهر كمصرية أو كيونانيـة بحسب الزى الذى ستختاره لنفسها ، وسيكون شأنها شأن الممثل الذى يقوم بأداء عدة أدوار مختلفة . فالممثل يظـل على حاله ، لكن دوره المسرحى هو الذى يجعله يتخذ شكلا مغايرا ، أما حياته الخاصة فلا تتغير (١) .

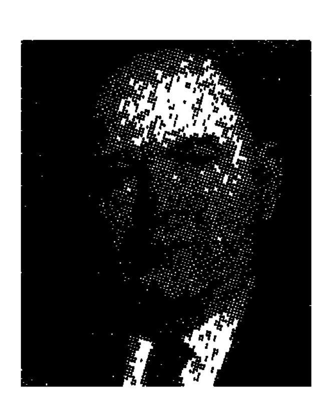
---

(١) عن كتاب « على اتصال بالعالم الآخر » للوسيطة البريطانية روز مارى براون . الترجمة الفرنسية :

Florent Peiré : En Communication Avec L'Au - Delà, Paris 1971 P. 129 - 132.

ماذا يقول روح آرثر فورد ؟

تحدثت فى الجـــزء الأول من كتاب « المفصـــل » عن آرثر فورد Arthur Ford بوصـــفه وسيطاً روحياً قـوياً صـمدت وساطته لبحوث عدد من كبار الباحثين ، كما كان هو نفسه مؤلفا وباحثا له عـدة مؤلفات معروفة(١) . والآن أتحدث عنه بوصـــفه روحا مراسلا بعد انتقاله الى عالم الروح فى أوائل يناير من سنة ١٩٧١ .



آرثر فورد

وقد تمكن فورد بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٧١ — اى قبل مضى ثلاثة أسابيع على انتقاله من الانصال بسيدة أمريكية تعمل وسيطة هاوية « للتلبائى » أو « للتراسل الفـــكرى » تدعى روث مونتجـومرى Ruth Montgomery كانت على صلة وثيقة به حال حياته الأرضية وبدأ فى املاء عدة رسائل « بالتلباثى » أخذت تدونها على الآلة الكاتبة ، وذلك كما تفعل كل سكرتيرة تجيد استخدامها عندما يملى عليها رئيســها ما يرغب فى املائه عليها . وقد نشرت هـــذه السيدة جميع الرسائل المملاة عليها من روح آرثر فورد فى كتاب حديث تحت عنوان « عالم تال » (٢) (١٩٧٢) .

وقد تناول الروح — من ضمن ما تناوله — موضوع العودة للتجسد فى فصلين منه عنـــوان أولهما — وهو الفصـــل السابع « بين الحـــوات الأرضية » قال فيه — بتاريخ ٣ مارس ســـنة ١٩٧١ — : « أننا ننمـــو ، ونعيش ، ونحب أن نعود فى دورات لا تنتهى الى أن نتخلص من أوجـــه النقص التى تلصـــق بنـــا خلال الطريق فنصبح صـــالحين للاندماج فى الله تعـــالى نفسه .

ولمـــاذا يوجد خطاة كثيرون من بيننا الى هذا الحد ؟ ! لان الكثيرين منا يضعون المتعـــة فوق الخدمة ، وهذا هو التعليل بكل بساطة ، فلو أن عدداً أكبر منا وجد متعته الحقيقية فى خدمة الآخرين لتقدمنا أسرع بكثير مما نفعل الآن ، لأن التقدم يعنى الربط بين المنفعة والمتعة .

---

(١) راجع ما ورد عنه فى ص ٣٤٧ — ٣٤٨ .

(٢) A World Beyond.

ولكن الطريق السهل الممهد الذى تسلكه غالبيتنا هو اضاعة الوقت فى تفاهات ، والجرى وراء مطالب لا تنفع الآخرين ولا تنفعنا نحن أنفسنا . وهذا هو ما نطلق عليه « الطبيعة البشرية » ، أى طبيعة النفس عندما تشغل شكلا جثمانيا . فشهوات الجسد ، والتسويف بلا داع ، والأساليب الأنانية ، وانتخام الذات ، كل هذا يساعد على تكوين ما نتصور انه يمثل « الطبيعة البشرية » . وبعضه يستمر على هذا الجانب الحالى من الحياة فى الروح بنفس المنوال .

فالبعض يتامل نفسه فى مرآة من صنع تفكيره الخاص مرتديا ملابسا أنيقة : كان يتمنى أن تكون هى ملابسه الحقيقية ، ومصففا شعره الذى لا وجــود له الا فى ذهنــه ، ويحيا فى منازل لطيفــة خلقتها اللهفة على العظمة ... ولكن كل هذه اشكال فكرية ليست حقيقيــة الا بالنسبة لمن يؤمن بهــا . وقد يكون وقع هذا القول مضحكا ، لكن ليس بمقدورنا أن نصــطدم كثيرا مع أوهام النــاس التى تستمر حتى هنــا ، لأن كل ذات تتخلف عن التقــدم تجر وراءها كل الجنس البشرى ، أو كما يقــال كل أرواح البشر .

فلتذكرى يا روث Ruth أن كل خطــا يقترفه اى واحد منــا يسيء الى الآخرين ، وأن تقدم كل الجنس البشرى هو النقطة الهــامة التى ينبغى أن نتذكر ضرورتها (١) » .

ماذا عن اسلوب العودة ؟

وفى موضع آخر من هذا الكتاب يقول روح آرثر فورد : لقد تطلبت معرفة معلومات أوسع من الأسلوب الذى به تعود الروح لاتخاذ جســد فيزيقى فقيل لى أن فرصة العودة للتجسد تأزف فى المعتاد بعد أن تكون قد اتيحت للروح مهلة واســعة كيما تتــأمل فى نوع الديون الكارميــة Karmic debts ، التى ينبغى أن تســددها ، وفى نوع الصــفات التى تلزمها أكثر من غيرها فى تطورها المستقبل .

وبعد أن تختار الروح هذه العودة فانها تحتاج الى العثور على المركز

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٣ — ١٣٤ .

والاشارة هنا الى حالة بعض الأرواح التى تظل تحلم وتحلم حتى فى بعض المستويات المنخفضــة من عالم الروح ، ولا تريد ان تحيــا فى أرض الواقــع الخلقى والاجتمــاعى والوجــدانى . كذلك الى ناموس التضــامن الاجتمــاعى الذى يســود الكون فى كل مكان والذى اشرت اليه فى عــدة مواضع ، وهو ناموس طبيعى مسلم بصحته فى جميع العلوم الانســانية حتى على مــستوى الحياة المــادية .

الذى يبدو انه يحقق لها الاختبارات التى تنمى شخصيتها وطباعها بحيث تتمكن من سداد ديونها الكارمية ومن تحقيق تقدمها . فاذا كان يلزمها تعلم الصبر فانها ستحاول التجسد فى مركز يحتاج الى اختبار متواصل للأعصاب . واذا كان يلزمها تعلم الحب فانه سيكون عليها أن تختار مركزا لا يكون فيه الحب متدفقا تدفقا عظيما ، حتى تناضل فى وجه أولئك الذين لم يتعلموا هم أنفسهم كيف يمنحون الحب الى الآخرين . وهكذا تسير الأمور .

واذا كانت الروح قد حصلت على حق تخير أبويها ، فانها تبدأ فى البحث عن أولئك الذين ربما تكون قد عرفتهم فى حيوات سابقة فى الجسد . أى أولئك الذين تربطها بهم ثمة روابط « كارمية » سليمة أو سقيمة ...

وعندما يتحدد اختيارها فان الروح تأخذ فى التجوال بالقرب من ابويها المنتظرين لفترة ما حتى تتأكد من قبولها العودة الى اتخاذ جسد فيزيقى عن طريقهما . وعندما يتكون الجنين تدلف الى هذا الجسد الجديد وذلك فى المعتاد فى وقت مقارب للولادة . واذا ترددت طويلا ، فان المولود لا يعيش (١) .

وفى فصل لاحق عنوانه « أمثلة من العودات للتجسد » يقول نفس الروح ، وهو ما يعنينا هنا بوجه خاص : « ان تخير الموقع الجغرافى الذى تتجسد فيه مسألة من أدق المسائل . ولكننا نختار ما يبدو لنا أفضل مكان نعمل فيه بحسب قانون الكارما (أى ارتباط الحياه الراهنة بسلوكها الماضى) ، وننمى فيه صفاتنا نحو ما هو أسمى . فاذا كنا فى حياتنا السابقة متعصبين ضد أقلية معينة فقد نعود للتجسد فى نفس هذه الاقلية ، حتى نسدد الدين الماضى ونتحرر من رذيلة التعصب ضدها .

فكل واحد منا يقابل ذاته فى الجسد ، وأيضا فى هذا المستوى الذى يبدو مألوفا أكثر من غيره من الناحية الروحية . ونحن نتخذ انفسنا العدول : والخطايا التى نحب أن نتصور — ونحن فى الجسد — أنها خطايا تافهة هى وحدها الخطايا الحقيقية عندما ننظر اليها من على الجانب الحالى . فنحن نسائل انفسنا : الى من أسأنا بأفعالنا على الأرض ؟ وهل كانت هذه الأفعال لتعظيم الذات ، ولمتعة الجسد ، أم كانت فى الحقيقة نتاج تفكيرنا فى شخص آخر ورغبتنا فى عدم الاساءة الى هذا الشخص الآخر ؟

---

(١) ص المرجع السابق ص ٤٣ — ٤٥ .

ان انكار الذات فضيلة من أعظم الفضائل لأنهـا تعلمنا كيف نضع محبة الآخرين فوق محبتنا لأنفسنا . وضبط النفس مفيد للروح ، ونحن نحتاج اليه دائما ، لكن فرصنا لتطبيقه هنا قليلة الى حد اننـا نعـود للتجسـد مرارا وتـكرارا حتى نزيح جانبا نواحى ضعفنا ونطبق انـكار الذات » .

كما يملى فورد عن سر اخفاقنا فى تذكر حيواتنا المـاضية ما يلى : « اننـا فى كثير من الأحيـان نجلب معنا فى العقـل الفيزيقى (المخ) بعض الذكريات عن حياة الروح ، واحيانا ومضات عن بعض حيواتنا السابقة . وذلك بالأكثر اذا ما كنا قد عقدنا العزم الأكيد على التذكر ، وصممنا على أن نواصل السير فى نفس الطريق الذى سلكناه فى تجسد سابق .

فان هذه الأفكار تؤثر فى أفعالنا وفى آرائنا عندما نكون هناك (على الأرض) ، وتظهر منها ومضات باهتة أحيانا فى أحلامنا عندما نكون فى حالة معلقة من النشاط الفيزيقى . فتلك الأحلام كثيرا ما تكون عبارة عن روابط بالمـاضى ، واذا كنا نلتفت اليهـا جيدا فقـد يكون التقـدم أيسر لنـا . فهى ليست « هذاءات » لا ضابط لهـا ، بل مجرى مستقر من الوعى يقف الى جانبنا خلال الأبدية . أو الى أن تمحى اخطاء المـاضى عن طريق أفعال التعويض عن هذه الأخطاء واصلاحها ، فنحن نتطلع مثلكم للوصول الى اكتمال الروح . ونحن نشاهد أرواحا صقلها الكمال الى حد أننـا نتطلع الى أن نصوغ أنفسنا مثلها .

ومع ذلك فمجرد تقليد الآخرين ليس هو سبيل النهوض والاشراق ، لأن بداخل كل روح توجد معرفة الخير والشر . وكل واحد منا يخضـع لتأثير اغراءات الشر والخير . وبالتالى فعلى الرغم من أننا نمثّل كلنا جزءاً من الكل الأسمى ، الا أن كل واحد منا مختلف عن الآخـر مثل اختلاف بصمات الأصابع الواحدة عن الأخرى ...

ودعينى أؤكد لك انه لا يوجـد ارغام على أى انسـان أن يعود الى الشكل الفيزيقى . واذا تخيّرنا الاقامة هنا سمح لنا أن نظل هنا للأبد ، ولو أن التقدم يكون أكثر مشقة ، لكن أولئك الذين يعودون الى الأجساد المـادية سريعاً وينتهزون أية فرصـة تسنح لهم ، ويمضون أياماً صعبة فى دور الأرض ، يتقدمون سريعاً بالنسبة الى أولئك الذين يظلون هنا ، ولا يجعلون من أهدافهم اتمام دورة فيزيقية أخرى » .

ثم يقول : « نحن على هذا الجانب فى وطننا . وفى هذا الوطن بدأنا المغامرة ، وتقدمنا الى مسالك متعددة باحثين عن فرص التقدم الروحى . الا ما أحلى الوعود المشرقة التى تقـدم هنا ، والقرارات المحددة بالتقدم السريع التى تتخـذ ، والتى سرعان ما تعوقها قوى الأرض واغراءاتها !

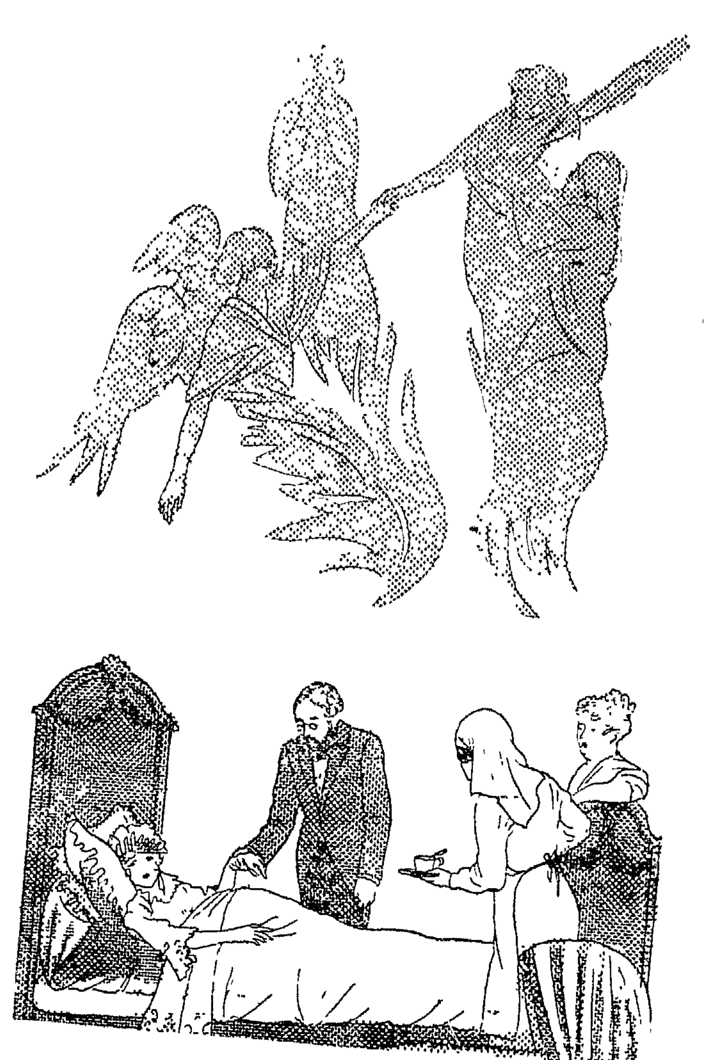
للأسف ان الأرواح كثيرا ما تعـود الي هنـا وهى تجـرّر أذيال الخيبة والهزيمة عندما تدرك انها لم تحقق التقدم الذى كانت قد صممت على تحقيقه وفى مبدأ الأمر تحاول أن تلقى التبعة على الظروف ، أو على شخص آخر بوصفه مسئولاً عن اعاقة تقدمها . ولكن بمضى الوقت ، وعندما تكرّس الروح نفسها على هذا الجانب للتأمل اليقظ فيما جرى ، تبدأ فى ادراك أنها هى بذاتها مصدر فشلها لاصرارها على خصالها الرديئة القديمة .

وعندئذ ماذا تفعل الروح ؟ انها تعتزم أن تراجع باخلاص كل خطأ اقترفته عندما كانت لا تزال فى جسدها الفيزيقى . فراجعوا بيقظة انفسكم وانتم فى عالمكم قبلما تراجعوها عند وصولكم الى هـذا الجانب . ولتتم المراجعـة عندما تكون الفرصـة لا تزال سانحة لتغيير اتجاه الطريق ، وللارتفاع الى مستويات أعلى . لأن كل ما تملك الروح أن تفعله هنا هـو أن تراجع نفسها ، وأن تلزم نفسها بالسداد ، وأن تدرس ، وأن تعـد نفسها للدورة القادمة فى حياة الجسد . وهكذا فأنتم لا تزالون أصحاب فرصة لكى تنفذوا مهمتكم الأصلية ، أو بالأقل لكى تضيئوا الطريق أمام الآخرين ، وهو ما يمنحكم فرصاً اضافية مجانية مضمونة للفائدة » (١) .

وفى مواضـع أخـرى يقرر فورد أنه لا يوجـد ميعاد محدد للعودة للميلاد فقد تكون بعد ساعات من الموت ، أو أيام ، أو شهور ، أو دهور ، أو قد لا تكون أصـلاً . وأن الأمر متوقف على رغبة الروح ، وعلى مدى نضجها ، وحكمتها ، ولهفتها على التقدم الروحى الحقيقى . كما يتوقف أيضا على نوع الأهـوال التى تكون الروح قد عانتها أثناء تجسـدها على الأرض ، وعلى نوع الحياة التى تحياها فى الأثير ومدى رضائها عنها .

---

(١) عن المرجع السابق ص ١٤٦ — ١٥١ .



لحظة نزول الروح من عالم الأثير الى بطن الأم (أى الموت الكوكبى) كما تخيلها أحد الرسامين ، ويكون النزول طبعا بين أسى الروح والأقربين هناك .

الفصل الثالث

فى بعض المعلومات والحقائق العامة بقدر اتصالها « بالعودة للتجسد »

عالجت فى الفصلين السابقين موضـوع العودة للتجسـد من زاوية الاعتقاد والفلسفة ابتداءً ، ثم من زاوية العديد من التحقيقات الموضوعية المثابرة بعد ذلك . والآن ينبغى أن أتناول نفس الموضـوع من زاوية بعض المعلومات والحقائق العامة المرتبطة به ، وبقدر هذا الارتباط ، والتى قـد تلقى أضواء لها قيمتها على عدة جوانب متساندة من هذا الموضوع المتعدد الجوانب ، وذلك فى خمسة مباحث متتابعة على النحو الآتى : ــ

المبحث الأول : عن بعض الحقائق العامة فى الطبيعيات وفى الذات ، بقدر اتصالها بالعودة للتجسد .

المبحث الثانى : عن نظرية التطور بقـدر اتصـالها بالعودة المحتملة للتجسـد .

المبحث الثالث : عن التطور من اللاشعور الى الشعور بحسب آراء جوستاف جيلى مدير « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس .

المبحث الرابع : ماذا عن قانون الكارما او الجزاء من جنس العمل ؟

المبحث الخامس : عن « العودة للتجسد » فى بعض نتائجها العامة بحسب آراء شو دزموند مؤسس « المعهد الدولى » للبحث الروحى بلندن .

المبحث الأول

عن بعض الحقائق العامة فى الطبيعيات وفى الذات بقدر اتصالها بالعودة للتجسد

عن بعض المبادىء الطبيعية العامة

ابتـداء ــ وقبـل الدخـول فى الصـميم ــ يلاحـظ أ.د. والكر E D Walker أن القول بأن الروح تخلق بغتة لكى تقدم الى هذا العالم يتنافر مع كل مبادىء العـلوم ، فالطبيعة تسلك دائمـاً أدق السـبل الاقتصادية ، ولا يضيع فيها شىء ، ولا يضاف فيها شىء . وكل ما قـد يظهر فى فصل الربيع بغتة الى الوجود انما هو مشتق من عامل كافٍ كان

موجوداً من قبل رغم انه غير منظور منا . شأنه شأن البخار الذى يغذى الغيوم .

وهناك رأى متفق عليه سواء بين الروحيين أم بين الماديين ، وهو أن كمية الطاقة والمادة تظل ثابتة ، وقانون حفظ الطاقة يعمل فى نطاق الروح مثلما يعمل فى نطاق المادة . ورصيد الطاقة فى الكون رصيد ثابت . فلا ينقص ولا يزيد لكنه يتغير .

وتطور التكوينات العضوية الذى يتشاهد متداخلا فى موكب الحياه يشير الى أن الكائنات الحديثة متطورة من كائنات قديمة طبقا لأسباب غير مستحدث لكنه أزلى . ولا يسمح العلم بالقول بحصول معجزة مثل بعث الحياة من العدم ، التى تنافى كل اختبار . لكنه يسمح بوجود بعث عام للحياة خلال كل ظواهر الطبيعة ، وهذا أمر خاضع للمشاهدات الشائعة والنظر الى الروح بوصفها كائنا أزليا مستمرا خلال حقب من التجسدات نظر يلتئم مع روح العلم الحديث .

ومما له قيمة خاصة هنا قانون السبب والنتيجة ، وهو يمثل محور الوجود . ولا يوجد تفسير ملائم آخر لظاهرة الحياة مثل القول — كما يقول العلم الخالص — بأن ثمة أسباباً تشبه تلك الأسباب التى تعمل الآن أمام ناظرينا ، وهى المسئولة عن النتائج التى نشاهدها .

وخصائص كل شخصية نراها تحتاج الى اختبارات سابقة فى حياه فيزيقية تكون قد ولدتها . وكل الحواس الخصبة للطبيعة الانسانية تشير الى اختبار أرضى طويل بوصفه مصدرا لها . والشهوات الجسدية التى لم تشبع للروح تحتاج الى سلسلة من الوجودات المادية حتى تتغلب عليها ...

ويقول علماء الفسيولوجيا ان البنيان العضوى العجيب للانسان لا يمكن أن يجىء عن طريق محض مادة ، بل لابد له من مبدأ روحى موجود من قبل يجمع من حوله الشروط العضوية اللازمة للوجود الفيزيقى ، ويرغم العناصر المادية على أن تتبع التخطيط الذى وضعه . وهذا العامل الديناميكى أو الروح لا بد أن يكون موجودا من قبل ، ومستقلا عن الجسد . أى قبل اعداد الوعاء اللازم له .

وقد عنى بابراز الوجود السابق للروح على الجسد عدد من علماء الفسيولوجيا منهم بوييه Bouiller ، وموللر Muller ، وهارتمان Hartmann ، وستاهل Stahl . وأن لهذه الروح طاقة قابلة للتشكيل تشيد بطريقة لا شعورية جثمانها العضوى

الخاص . كما تحدث عن هذا المعنى الاغريق وبعض اللاحقين منهم فنستة Fichte ولوتز Lotze .

وكما يشيد العصفور عشه بطريقة غريزية وبمهارة خرافية ، كذلك تقوم الروح لا شعوريا بصناعة جسدها مستخدمة القوانين المناسبة لها . ويعترف غالبية العلماء بوجود هذه الطاقة اللاشعورية للعقل أو للغريزة التى تقوم باصلاح الجسم ، وشفاء جروحه ، وكسور عظامه ، وهى التى تشرف على نموه . وتحدث عن هذا المعنى أيضا أفلاطون ، وجيوردانو برينو Giordano Bruno .

ويقول الأخير ان النفس ليست فى موضع محدد من الجسم ، بل انها تشبه شكلها الداخلى ، والنموذج (أو التمثال) الذى صنعته من الخارج . أى أنها تشبه الشكل الذى يصنع الأعضاء ، ويشكّل الكل من الداخل ومن الخارج . ومن ثم فان الجسم يكون فى النفس ، والنفس تكون فى العقل (أو فى الروح) .

وهذا الفهم من شانه تخطئة المذهب المادى الذى يقصر طاقات الفرد على تعقيدات الآلة . وهذه القدرة للنفس المستقلة على صنع شكل خارجى لها هى تلك التى دفعت أفلاطون الى أن يفترض أن تكون للنفس قوة طبيعية يمكن الامساك بها ، وتخضع لولادات متكررة .

ولما كانت الذات أعرق من الجسد ، ولما كانت هى التى تشيّد الجسد بحسب ذوقها وامكانياتها ، ولما كانت أهداف مسكنها الجسدى لا يمكن تحقيقها فى حياة عابرة واحدة ، لذا يتعين عليها أن تستعيد نفس الاختبار ، محاولة دائما أن تصوغ جسدها بما يناسب ملكاتها النامية . وذلك حتى تستغنى عن حياتها فى المادة . ولذا انفصل منظر الانسان الحديث عن منظره فى ماضيه السحيق ...

ثم ان الذات الواعية لا يمكن أن تشعر بانه كان لها بداية ما ، ولا تشعر بالفناء . والاحساس بالبقاء عندها يتخطى كل انقطاعات النسيان والنوم ، وكل حواجز المادة . وهذا الاحساس الذى لا يتوقف بالذات يثير فكرة استقلالها عن الجسد المتغير الذى هو سجنها المؤقت . وعندئذ ترد الى الخاطر فكرة أن النفس اذا كانت قد ظهرت مرة فى شكل انسانى ، فلا بد أنها قد تعود للظهور فى أشكال أخرى . وشخصية الذات لا ترتبط — بيقين — بتذكرها كل ماضيها ، فنحن دائما ننسى ، ثم نستيقظ من جديد الى المعرفة ، ولكن الاحساس بالذات يتخطى كل ذلك . وبنفس الطريقة يبدو لنا وجودنا الراهن كما لو كان عبارة عن يقظة نومية حركية دفعنا اليها من حياة سابقة ، كما يبدو لنا أننا سنخرج يوما من

هذا النوم الى اليقظة (١) .

كما يلاحظ والكر أن فلسفة « الأفكار الفطرية » فى الانسان لم تعد مقبولة فى الحاضر ، بل تنتمى الى العصور الماضية . وانصار فلسفة الحدس او الالهام intuitionalists ينظرون الى مفاهيم العلة والمادة ، والزمان والمكان ، كما لو كانت توجد فى العقل مستقلة عن الاختبار . ولكن انصار فلسفة الاحساس sensationalists ينسبون هذه المفاهيم كلها الى الاختبار ، أو الى الاحساس بها .

اما التطوريون من انصار سبنسر Spencer فيتخذون موقفا وسطا ويعتبرون هذه المفاهيم ارثا عقليا ناجما عن اختبارات السلالة برمتها . وهذا الخلاف كله لا يمكن حله — كما لاحظ ادجار فاوست Edgar Fawcett — عن طريق علم النفس الغربى .

ويثور باكل Buckle على هذه الأنظمة المتضاربة لأنها القت بدراسة العقل الى اضطراب يماثل الاضطراب الذى وصل اليه الاعتقاد بسبب خلافات رجال اللاهوت . ويرى جورج هنرى لويز G. H. Lewes فى مؤلفه عن « تاريخ الفلسفة » (٢) هذا الوضع المحير فيما وراء الطبيعة .

وحل المشكلة يجيء عن طريق العودة للتجسد كما يعرفها الشرقيون الذين يؤكدون ان الفكرة الصحيحة للنفس يمكن اكتشافها عن طريق تربية ملكاتها فوق المدركة super-sensuous Faculties .

وبالتالى فهم يعتقدون أن كل مدرسة متطرفة تحوى شطرا من الحقيقة فحسب . وان الاكتساب الأول لهذه المفاهيم كان عن طريق الاحساس ، لكنها الآن اصبحت بمثابة أفكار فطرية فى عقل الطفل . فهى الآن عبارة عن اختبارات أصبحت عامة عن وجودات سابقة طفت فى العقل من جديد .

وان عدم الاستقرار الذى تشعر به نفوسنا يشير الى عادات قديمة فينا ذات تأثير متغير . وثمة اشارة الى ماضينا اكثر وضوحا من ذلك ، وهى تنوع الطبع فى الشخص الواحد . فهذا التردد بين عوامل القلق والاضطراب بداخل كل واحد منا ، وهو متلهف للسيطرة عليها ،

---

(١) راجع : Reincarnation : A Study of Forgotten Truth 1919 p. 25 - 28.

(٢) History of Philosophy.

وعاجز عن ذلك مهما كان ثبات عاداته الحاضرة ، من شأنه أن يجعل أفضل من فينا خاضعا للمغريات ، وأقوى من فينا متخاذلا بين طباع عديدة . والطريق الرئيسى لطبائعنا كثيرا ما يكون مقيدا بطرقنا القديمة التى نسيناها ....

والتكوين الخلقى للأطفال يشير الى ذلك ، خصوصا صدور أفعال شريرة منهم قبل أن يتأثروا بالبيئة . وقد دفعت هذه الظاهرة المراقبين اليقظين الى القول بأن الروح الانسانية قد تخيرت الطريق الى الشر فى مستوى مماثل لهذا المستوى سابق على الولادة فيه . وكل من يعرف الأطفال يرفض نظرية البراءة الفطرية فيهم . لأنهم بمجرد حيازتهم القدرة على الخطأ يرتكبون الخطأ كأمر طبيعى لا يحتاج الى تعليم .

والميل القوى للخطأ عند الطفل الذى لم يتأثر بالبيئة بعد ، ليس بمقدوره أن يخفى الخير الذى عنده ، لكنه يشير فحسب الى توافر عادات سقيمة سابقة تحاول أن تعاود نشاطها . والمجرم الأثيم فى المعتاد يرى اثمه عندما تجرى الخطيئة فى مجراها ، ويصبح ملتفتا اليها الى حد أنه قد يحاول أن يغيّر من سلوكه فيما تبقى له من حياة . وهكذا يبدو الشر مصدرا للخير ، وتبدو الرذيلة بمثابة فضيلة بحاجة الى تقوية .

وتثور فى كل انسان ، فى مرحلة من مراحل نموه ، حاسة التعرف على الخطيئة بداخله ، ويكون متأكدا أنها حقيقية الى حد أنها تتجاوز للوراء كل حياته الراهنة . وعقلنا الداخلى يلتئم مع الحاسة العامة الموجودة لدى الانسان بأنه وحده مسئول عن اتجاهات ميوله الخاطئة (١) .

عن « النظرية المركبة » العقل

ولا ريب أن علم العقل يحظى من العلماء فى العصر الحاضر بعناية عظمى لم يسبق له أن حظى بها من قبل نظرا للاعتقاد الذى كان سائدا من أن العقل — كالروح — يعلو على كل محاولة لاستكشافه ، أو لسبر بعض أغواره . أما الآن فقد تغير هذا النظر تماما ، وابتدأ يرسى قواعده علم ناشىء هو « علم العقل » يقوم فى جوهره على دراسة الادراك عن طريق الحواس ، وعن غير طريقها .

---

(١) راجع ولكر . المرجع السابق ص ٣١ — ٣٤ .

ولا ريب أن الظواهر العقلية للوساطة تلعب الدور الأكبر فى كشف بعض أسرار العقــل ، التى هى فى نفس الوقت أسرار للروح ، ما دام لا يمكن الفصل بين الروح وبين العقل الواعى أو غير الواعى ، وهو الطاقة الموجهة لسلوك الروح أيا كان نوعه .

وقد كثرت النظريات الحديثة فى العقل وتنوعت بما يضيق المقــام عن تفصيله ونحن فى صدد « العودة للتجسد » (١) . الا أنه مما هو جدير بالذكر هنا أن بعض هذه النظريات الحديثة قد يلتئم مع نظرية التجسدات المتكررة . ومن ذلك مثلا تلك النظرية المركبة The Compourd Theory عن العقل ، والتى مقتضاها أن العقــل الانسانى مركب من عدة مراحل مندمجة معاً . فبحسب هذه النظرية يقول تشارلى برووض Charlie D. Broad — أبرز الفلاســفة البريطانيين المعــاصرين ، وأســتاذ « الفلسفة الأدبية » بجامعة كامبريدج منذ ســنة ١٩٣٣ وهو عضــو فى « الجمعية الملكية » البريطانية منذ سنة ١٩٢٦ ، وفى « الاكاديمية الملكية » بالســويد ، وفى « جمعية البحث الروحى » بلنــدن (٢) ، ومن المقتنعين بصحتها عن طريق بحوث معمليــة مثابرة فى الغيبوبة وفى الهيمنة الروحية وأصلها لأكثر من خمسين عاماً . « يمكننا أن نفترض أن العامل الروحى psychic factor يمكن أن يســتمر بالأقل الى فترة ما بعد تحطم الأعضاء التى كان مرتبطا بها (أى بعد الموت) لكى يكون المركب الذى يدعى عقل « جون جونز » (٣) .

وهذا العامل الروحى لا يمثل بذاته عقلا ، ولكنه يمكن أن يخضــع لتغييرات بسبب الاختبارات التى حدثت لصاحبها عندما كان حياً . ويمكن مؤقتا أن يرتبط بأعضــاء وسيط فى غيبوبته . واذا كان الأمر كذلك فانه يكون بالتالى عقل مؤقت ، وهذا العقل المؤقت يحتوى على نفس العامل الروحى الذى كان « لجون جونز » ، وبالتــالى فليس من المستغرب أن يبرز بعض الخصائص المميزة « لجون جونز » ، وبعض ذكريات الحوادث التى مرت به أثنــاء حياته الأرضية .

وبما أن العنصر الجسدى لهــذا العقــل المؤقت عبارة عن أعضــاء الوسيط المعــدة adapted للعامل الروحى للوسيط لا « لجــون

---

(١) راجع ما ورد عن بعض موضوعات العقل المتصلة بالروح فى « المفصــل » الجزء الثانى ص ١٠٨ — ١٢٤ .

(٢) راجع ما ورد عنه فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٤٦ — ٤٤٧ ، وفى الجزء الثانى ص ٨٤ — ٩٠ .

(٣) كناية عن اى شخص مجهول مثل قولنا بالعربية « زيد » أو « عمرو » ..

جونز » فليس من المستغرب اذا كان هذا العقل يبرز مميزات كثيرة من خصائص الوسيط ... وتظل هذه الحالة قائمة طالما ظل الوسيط في الغيبوبة » .

ويضيف العلامة بروض فى نهاية تحليله لهذه النظرية التى لها أسانيدها التجريبية الوفيرة أن « لها مزايا معينة فى جانب نظرية التجسدات المتكررة ... فبدلا من أن يكون ثمة عقل واحد هو الذى يهب الحياة لحلقات متتابعة من الأعضاء فانه يوجد ثمة عامل روحى واحد يرتبط بهذه الحلقات المتتابعة من الأعضاء كيما يكون حلقات متتابعة من العقول .



تشارلى بروض

ولا بد أن توجد فترات يظل خلالها هذا العامل الروحى الذى انفصل من الجهاز العضوى الذى مات ، والذى لم يدخل بعد فى ارتباط بجهاز عضوى آخر على وشك أن يولد .

وخلال هذه الفترات فان هذا العامل الروحى هو الذى يحدث هذه الظواهر غير العادية التى يأخذها الانسان الروحى العادى مأخذ البينة على دوام حياة عقل الانسان . ولا أعلم وقائع معينة تحسم هذه التجسدات المتكررة لكنها نظرية ممكنة ، ولها مزية تفسير « مصدر » العقل أثناء الحمل « ونهاية » العقل عند الموت . وتبدو لى مقبولة أكثر بكثير عندما تصاغ فى تعبير العامل الروحى الباقى الذى ليس بعقل ، عنها عندما تصاغ فى صيغة عقل باق يهب الحياة لحلقات متتابعة من الأعضاء » (١) .

ويراعى أن « النظرية المركبة » عن العقل تقوم على وجوب التمييز بين العقل والروح ولو أنهما متلازمان دائما ، ولازمان معاً لتكوين الشخصية الانسانية ، لزوم ارتباطهما بجسد عضوى مادى أو أثيرى .

---

(١) عن كتاب الدكتور بروض « العقل ومكانه فى الطبيعة » The Mind And Its Place In Nature ، وقد ظهرت طبعته الأولى فى سنة ١٩٢٥ ، والسابعة فى سنة ١٩٦٨ . وعن الفصل الثانى عشر منها وعنوانه « الحجج التجريبية لحياة الانسان بعد الموت » أخذنا هذه الاحالة (راجع بوجه خاص ٥٤٠ — ٥٤١ ، ٥٥١) .

وهذا الجسد الأثيرى يلتئم تماما مع ما ذهب اليه برجسون من أن الوظيفة هى أصل العضو ، وليس العضو هو أصل الوظيفة . والجسد الأثيرى باجماع آراء الباحثين يحمل وظائف الانسان لا اعضائه . ولذا فان بمقدوره النظر ، والشم ، واللمس ، والسمع ، والذوق . وهو ما يفسر ما تقوله الأرواح التى كانت فى حياتها على الأرض لا تبصر أو لا تسمع من أنها أصبحت بعد الموت تحوز القدرة الكاملة على البصر أو السمع بعد تحررها من أعضائها المادية العاجزة وانتقالها للعيش فى الأثير بأعضاء غير مادية ، ولكن بقدرات فطرية فيها (١) .

وهذا الاعتبار نفسه يفسر كيف أنه عند العودة للتجسد تعود هذه القدرات الكامنة فى الجسد الأثيرى لكى تعمل عن طريق الأعضاء المادية للجنين بعد الولادة محكومة بالحالة الجديدة لهذا المولود . وهى حالة محكومة بدورها بقوانين طبيعية متنوعة يمت بعضها الى الوراثة من الأبوين والأجداد ، ويمت بعضها الآخر الى وراثة الذات من تطورها السابق ، ومن اختباراتها الماضية فى تجسداتها السابقة .

فاذا كانت هذه القوانين تقتضى أن يولد الجنين أعمى ، فهو لن يمكنه استخدام حاسة النظر التى تظل خامدة فى الجسد الأثيرى ، فلا يرى الا فى الأحلام التى تمر به فى النوم ، أما فى اليقظة فيتعذر عليه ذلك الى أن يتحرر هذا التعيس — بعد فترة طويلة أو قصيرة — من ربقة هذا العضو المادى العاجز عجزا تاما أو جزئيا الذى ارتبط به بحكم قوانين المادة متفاعلة مع قوانين الروح وهى قوانين بيولوجية خلقية يكمل بعضها البعض الآخر .

عن الهيولى المحايدة

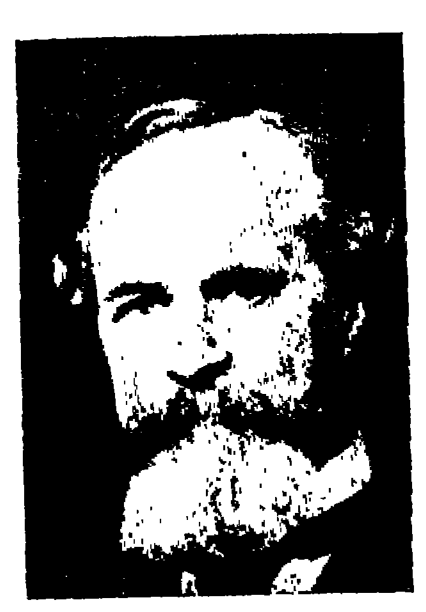
والجسد الأثيرى أو الهيولى جسد خاضع للذاكرة مباشرة كما ذكرت فيما سبق . وهو رقيق ومرن الى حد يفوق قدرات تصورنا وهو رباعى الأبعاد ومن ثم فانه يمكن أن يوجد وأن يختفى عن الأبصار وعن الحس بحسب حالة الذاكرة ، وبحسب « مستوى الوجود » أيضا (٢) .

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الأول ص ٨٥٨ — ٨٧٠ ، والثانى ص ٣٧ ، ٣٠١ — ٣٠٤ .

(٢) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الثانى ص ٨٧ — ٨٩ ، ١١٧ — ١٢١ .

واقرب وصف له هو ما ذهب اليه الفيلسوف الرياضي برتراند راسل B. Rassell عندما قال ان وليام جيمس (الفيلسوف الأمريكي المعروف) قد أصاب في رفضه الشعور باعتباره كائناً قائماً بذاته . وأن الواقعيين الأمريكيين (أنصار المذهب البراجماطي) قد أصابوا بعض الصواب في اعتبارهم العقل والمادة كليهما مؤلفين من هيولي محايدة : لا هي بالعقلية ولا هي بالمادية اذا عزلناها وحدها (وهذا القول يلتئم تماما مع القول بأنها رباعية الأبعاد) .



وليام جيمس

ويمضي راسل في توضيح وجهة نظره فيقول ان هذه الهيولي المحايدة قد تتخذ وصفاً يبيح لنا أن نسميها عقلا ، وقد تتخذ وصفاً آخر يبيح لنا أن نسميها طبيعة مادية ، وقد تكون في وضع آخر يجوز فيه الوصفان ، فاحساساتنا من مرئي ومسموع ... الخ من الصنف الثالث ، لأنك قد تنظر اليها من زاوية فاذا هي تابعة لعلم النفس ، أو تنظر اليها من زاوية أخرى فاذا هي تابعة لعلم الطبيعة » ...

وعلى هذا الأساس أقام راسل نظرية « الواحدية المحايدة » أو « الهيولي المحايدة » مستوحيا اياها من المقال المشهور الذي كتبه وليام جيمس بعنوان « هل للوعي وجود ؟ » . فالواحدية المحايدة نظرية مؤداها — كما سبق أن قلت — أن العقل والمادة ليسا ضربين من الموجودات مختلفين اختلافا جوهريا ، بل العقل والمادة كلاهما مشتق من هيولي محايدة لا هي عقل ولا هي مادة (١) . وفي ضوء هذا الفهم الصحيح للعقل وللمادة يمكن أن تجد نظرية العودة للتجسد عن طريق الجسد الأثيري الذي لا هو عقل ولا هو مادة ، بل « هيولي محايدة » بحسب وصف وليام جيمس (٢) تأصيلها الفلسفي والرياضي الذي كانت تفتقر اليه فيما مضى .

وقيمة هذا التأصيل تتحصل في انه قد وصل اليه ابرز فيلسوف

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٨ — ٢٢٨ .

(٢) المرجع السابق . الجزء الأول ص ٣١٢ — ٣١٩ والثاني ص ٢٢ — ٢٧ .

براجماطى اتصل بالظواهر الوساطية اتصالا وتيقا وهو وليام جيمس ، وأيده فيه أبرز فيلسوف رياضى لم يتصل أى انصال بالظواهر الوساطية هو برتراند راسل ، كما أيدهما فيه آخرون على نحو أو آخر عندما ذهبوا الى أن المادة واحدة تستخدمها الروح .

وهذا المفهوم الحديث للعقل وللمادة ولعدم وجود حواجز بينهما ، بل ولا اختلاف جوهرى فى تحليلهما الأخير ، يعطى تأصيلا لأمور كثيرة منها بوجه خاص ما يلى :

أولا : ظاهرة الحمل أى حلول العقل فى الجنين عندما يصبح الجنين صالحا لاستقبال عقل دخيل قادم من مستوى آخر للوجود ، فى صورة حقل مترابط ومعزول عما سواه من الطاقة المغناطيسية الكهربية التى تحوى كل خصائص الانسان .

ثانيا : ظاهرة نمو هذا الجنين بتأثير العقل الذى حل به الى أن تتكامل أشهر الحمل التى لا تتجاوز — فى المعتاد — تسعة أشهر .

ثالثاً : ظاهرة نمو الطفل منذ الولادة الى الوفاة عن طريق تجدد الأنسجة والخلايا وهى عملية بيولوجية — عقلية عبارة عن محض تأثير مباشر للعقل فى المادة .

رابعاً : دوام هذا العقل حتى بعد انفصاله بالوفاة عن الجسد المادى لسبب أو لآخر ، وبعد فترة قصيرة أو طويلة يقضيها فى الجسد المادى .

خامساً : الظواهر الروحية فى صيغها العديدة . تستوى فى ذلك بعض ظواهرها الفيزيقية مثل التجسدات ، مع بعض ظواهر العقلية مثل الادراك خارج الحواس (١) ، والخروج من الجسد .

سادسا : كما يقدم هذا القول « بالهيولى المحايدة » تفسيرا للخلاف الذى ينشب احيانا بين الباحثين الروحيين حول طبيعة بعض الظواهر ، وهل نعتبرها ظواهر محض عقلية ؟ أم فيزيقية ؟ أم مركباً من النوعين معاً ؟ وقد قابلنا نموذجا واضحا لمثل هذا النقاش فى علاجنا لاختبارات « الخروج من الجسد » Out of Body Experiences (٢) .

سابعاً : ويقدم أيضاً تفسيراً للمعلومات التى ترد عن ظروف الحياة

---

(١) المرجع السابق . الجزء الأول ص ١٧٧ — ٢١١ .

(٢) المرجع السابق . الجزء الأول ص ٩٩٣ — ١٠٠٩ . وفى كتاب مستقل عنوانه « ظواهر الخروج من الجسد » ١٩٧٥ ص ١٦٩ — ١٨٥ .

بعد موت الجسد المادى ، والأوصاف المتعددة التى ترد عن هذه الحياة خصوصاً ما اتصل منها بتأثير العقل المباشر فى « مادة الأثير » . وما اتصل منها بجسد الروح أو بالجسد الأثيرى ، أو المرن أو الهيولى ، وبالملابس التى ترتديها الأرواح وكيف أنهـا تكوّن جزءاً من أجساد أصحابها ، لأن الأجساد والملابس معا من صنع العقل ، ومن نفس طبيعته الهيولية المحايدة التى قد تكون عقلا من زاوية ومادة من زاوية أخرى (١) .

ثامناً : وهـذا الجسد الهيولى الذى لا هو عقل ولا هو مادة ، أو بالأدق هو عقل لامادى فى بعض حالاته ومادة عقلية فى بعضها الآخر يفسر أيضاً بعض حالات المس الروحى والاستحواذ حيث قد يكون المريض ضحية أعراض نفسية أو عضوية من جراء هيمنة مثل هـذا العقل غير المتجسد الذى قد لا يشـعر بوجـوده ، ولا بما قد يسببه من أضرار لضحيته حين قد يشعر هذا العقل أحيانا أخرى بوجـوده وبهيمنته على كائن آخر هو الوسيط أو الوسيطة .

تاسعاً : كما قد يفسر أيضا احتمال وجـود عـدة أرواح ماسـة أو مهيمنة على جسم الوسيط أو الوسيطة فى وقت واحد وقد لا يشـعر أى واحد منها بوجود الآخر . وقد سجل بعض الباحثين الروحيين حالات عديدة بهذا المعنى ، وتحدثت عنها مراجع عديدة لها وزنها .

ومما هو جدير بالذكر أنه يبدو أن الروح الماسة بمجرد اختراقها هالة الوسيط — تفقد تجسدها الأثيرى المرن الخاضع خضـوعا مباشرا للعقل أو للروح ، فلا تظهر أمام وسطاء الجلاء البصرى الا كضوء شـمعة مشتعلة من ناحية الحجم والمظهر العـام كما أكـده بعض هؤلاء الوسطاء . ويكون شأن الروح الماسة عندئذ شأن عصفور صغير وجد شقا فى جـدار مكشوف فاتخذه مسكنا له يأبى مغادرته الا بعناء شديد .

والظاهر أن هـذه الشـعلة الصـغيرة المضيئة هى بذاتهـا الكتلة الكهربية — المغناطيسية واهبة الحياة للانسان وحاملة كل صفاته وملكاته وذكرياته الشعورية واللاشعورية . وصغر الحجم لا ينبغى أن يروعنا أو يثير اعتراضنا وذلك اذا ما لاحظنا أن أخطر الغدد التى تتحكم فى مصير الانسان صغيرة الحجم جداً ومنها مثلاً الغدة الصنوبرية التى تقع فى قاعدة المخ ، والتى لا يزيد حجمها عن حبـة الفول السودانى ومثلهـا الغـدة النخامية . فهل هذه الشعلة الكونية الصغيرة هى تلك التى تتجسد وتعود للتجسد وهكذا فى صـورة آدمية حتى يتكامل نضجها وتطورها فتصبح جديرة بالاندماج فى المجرى العام للحياة الكونية ؟ ! ...

---

(١) المرجع السابق . الجزء الثانى . ص ٣٠٤ — ٣٠٧ .

عاشراً : وهـذه الأمور كلها لا يفسرها مجتمعة مجرد القول بوجود جسد أثيري لكل انسان متداخل فى جسده المادى، ومطابق له فى تكوينه الذرى ومنسوجه الجزيئى ، وهو الذى ينسلخ من الجسد المادى بالوفاة كيما يحيا فى صورة مادية فى عالم الأثير .

فان هذا التفسير الأخير يتضمن تبسيطاً أكثر مما ينبغى لطبيعة هذا الجسد الأثيرى ولمصدره وبالأخص من زاوية صلته بالعقل ، وبارتباطه بالذاكرة ارتباطاً عميقاً ومباشراً بوصفه موطناً لهـذه الذاكرة وحارساً أميناً لها (١) وذلك بالأقل الى حين حدوث ميلاد جديد على المستوى الأرضى أو عودة للتجسد لتحقيق المزيد من النضج ومن التطور .

حادى عشر : وقد يفسر هذا الكشف أيضاً ظاهرة سجلها الكثيرون من الباحثين الروحيين وهى وجود عدة أرواح فى غرفة الجلسات فى وقت واحد ، وقد لا يشعر أحدها بالآخر مطلقاً . أو قد يتم الشعور عن طريق مجهود ارادى ضخم ، حين قد يشعر الجميع بالجسد المادى للوسيط أو للوسيطة بسبب الانبعاثات الضوئية الصادرة من الهالة (٢) .

ثانى عشر : كما يفسر نفس هـذا الكشف وهو كشف « الهيولى المحايدة » قيمة « الاحساس بالذات » كميزة عقلية ــ خلقية ، أو بالأدق كميزة روحية قد تقف سداً فى وجه بعض التداخلات غير المرغوب فيها من جانب العالم غير المرئى . وبالتالى قد تقف سداً فى وجه طائفة من الاضطرابات العصبية والنفسية التى قد يتعرض لها بعض الأشخاص عندما يفقدون هذا « الاحساس بالذات » . وقد يكون ذلك من مقدمات الاضطراب العصبى أو من آثاره ، وقد يكون هذا الفقد تاماً أو جزئياً ، وهو أمر غير مرغوب فيه عندما يكون الانسان فى تمام صحوته ، وكامل صحته النفسية والجثمانية .

عن النبوغ المبكر

ولا ريب أن كل هذه الكشوف العلمية عن حقيقة الذاكرة الشعورية واللاشعورية وعن موطنها فى الجسد الأثيرى الذى لا هو عقل ولا هو مادة تقدم تفسيراً كان العلم والفلسفة معاً يبحثان عنه منذ زمن بعيد عن علة ما يوجد

---

(١) ولعل هذا الاعتبار هو الذى حدا ببعض الباحثين الى الحديث لا عن الجسد الأثيرى فحسب ، بل عن الجسد العقلى أيضاً باعتباره أسمى من الجسد الأثيرى وأعصى ارتياداً فى الدراسات الروحية . راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الأول ص ٩٤٢ عن بعض الاختبارات فى التنويم المغناطيسى أو فى ص ٩٦١ منه عن موقف الفقه الثيوصوفى منه.

(٢) المرجع السابق . الجزء الأول ص ٨٧٩ ــ ٨٨٢ ، والجزء الثانى ص ٣٠١ ــ ٣٠٤ ، ٣٣٧ ــ ٣٤١ .

فى البشر من تفاوت ضخم فى المواهب وفى الملكات العقلية ، والخلقية ، والروحية . وهو تفاوت لا يتناسب فى مداه مطلقاً مع سنى الحياة الأرضية القصيرة وما يحدث أثناءها من تطور ضيق النطاق محدود المدى . بل ان هذا التفاوت قد يظهر منذ سنى الحياة الأولى على الارض ، فمنذ الطفولة المبكرة قد تظهر على طفل معين مخايل الذكاء بل العبقرية ، وجمال الأخلاق أيضاً ، حين قد تظهر على طفل آخر — وقد يكون شقيقا له — مخايل البلاهة ، أو الغباوة ، أو شراسة الطباع .

والنبوغ المبكر عند بعض الأطفال ظاهرة مسلم بصحتها ، وتسبب أحياناً الحيرة والذهول ، وقد ضربنا أمثلة عديدة منها فى الجزء الثانى من « المفصل » (١) . وفى حالات عديدة يكون دور الالهام من عالم آخر واضحا كل الوضوح . وقد ثبتت حالات منه بالاتصالات الروحية مثل حالة الطفل الموسيقار فلوريزل فون رويتر Florizel Von Reuter الذى تبين من تحقيقات هانن سوافر Hannen Swaffer نقيب الصحافة البريطانية انه كان ملهماً من روح الموسيقار الايطالى نيكولو باجانينى Nicolo Paganini (٢) .

والقول بحصول الهام من كائن منظور لا ينبغى ان يتعارض مع التعليل الآخر وهو العودة للتجسد ، لأن ملكة تلقى الالهام الراقى تحتاج بطبيعتها الى روح متطورة تطوراً كافياً ، وفى اتجاه معين دون آخر هو الذى انتهى بهذه الروح بالوصول الى شفافية تلقى الالهام فى ناحية دون غيرها من نواحى الموسيقى ، أو الرسم ، أو الشعر ، أو الرياضيات ، أو اللغات ، أو الأدب ، أو العلوم .. الخ .

فلا تعارض البتة فى تعليل النبوغ المبكر عند بعض الأطفال بين القول بالالهام والقول بالعودة للتجسد ، بل ان كل تعليل منهما يكمل الآخر ويتكامل به .

وهذا هو ما انتهيت اليه عند معالجة موضوع الالهام فى نهاية الجزء الثانى من « المفصل » . أما فى المواهب العادية أو المتوسطة فان احد التعليلين قد يغنى عن الآخر . ويتعذر وضع قاعدة عامة ، بل لابد من دراسة تاريخ كل حالة على حدة ، وكافة ملابساتها ، لاعطاء رأى له وزنه فى تعليل مصدر تلك الموهبة ، وتحديد موضعها بين الالهام ، أو بين الخبرة

---

(١) راجع ما ورد فيه فى ص ٤٩٠ — ٤٩٣ .

(٢) راجع ما ورد فى كتاب « قصتى العظمى » الترجمة العربية بمعرفتنا ١٩٧٢ ص ٣٢٧ — ٣٢٩ .

الدنينة فى اللاشعور ، أو بين الاكتساب المألوف خلال سنى الحياة الراهنة لصاحبها .

ع) وحدة ((الليبيدو))

كما تقدم هذه الكشوف نفسها تعليلا لما قد يبدو على بعض الذكور من عراقة فى الذكورة ، وعلى بعض الاناث من عراقة فى الأنوثة ، وعلى البعض الثالث من حالة قد تجمع الى صلابة الرجولة واعتدادها برأيها قدرا من رقة الأنوثة ولين عريكتها ، وعلى البعض الرابع من انحراف نحو نفس الجنس . فيقولون ان ذلك كله راجع الى التجسد المتكرر فى أحد النوعين دون الآخر ، أو فيهما معاً مرة بعد مرة . ويحاول بعض الروحيين تفسير بعض صور الشذوذ بأنها قد تتضمن نوعاً من التذكر غير الواعى للماضى السحيق فى صورة أو فى أخرى .

ثم ان كل جسد مذكر يحوى أطلالا من الأنوثة كالثديين لا استعمال لهما عند الرجل ، كما أن كل جسد مؤنث يحمل أطلالا من الذكورة يعرفها علما التشريح والبيولوجيا . ووجود هذه الأطلال أمر لا تخفى دلالته عن الباحثين عن العلة والسبب فى كل أمر من أمور الحياة . بل من الناحية البيولوجية ان كل كائن بشرى يخرج الى الوجود حاملا معالم الجنسيين معا بطريقة تلقائية ، ثم ما يلبث أن يتغلب احدهما على الآخر بتأثير الهورمونات . وبعبارة أخرى أن الليبيدو Libido وهو الطاقة الحيوية ، أو الجانب العقلى للغريزة الجنسية واحد بين الذكور والاناث ، ولا يوجد أى فارق بينهما فى هذا الجانب رغم اختلاف الجانب البيولوجى الفسيولوجى .

ولذا كتب فرويد فى « ثلاث مقالات فى نظرية الجنس » (١٩٠٥) يقول « اننا لا نجد فى أى كائن بشرى — لا بالمعنى السيكولوجى ولا بالمعنى البيولوجى — رجولة خالصة أو أنوثة خالصة ، ففى كل فرد ينجلى بالحرى مزيج من الخصائص البيولوجية الجنسية الخاصة به مع قسمات بدرجة" من الجنس الآخر » . كما كتب فى مؤلفه « محاضرات جديدة فى التحليل النفسى » (١٩٣٥) يقول « لا يوجد غير ليبيدو واحد يعمل فى خدمة الوظيفة الجنسية المذكورة والمؤنثة على حد سواء » (١) .

---

(١) وهذه الثنائية الجنسية تظهر دائما بصورة سيكولوجية وهذا هو الوضع المألوف . انما قد تظهر بصورة عضوية أيضا فى حالات الخنوثة hermaphroditism ويذهب فرويد أيضا الى أن عقدة أوديب الكاملة انما ترجع الى وجود الثنائية الجنسية فى طبيعة كل طفل (راجع « الذات والغرائز » تأليف سيجموند فرويد ترجمة د. محمد عثمان نجاتى طبعة ١٩٦١ ص ٦٤ — ٦٨) .

وقد سار الفريد آدلر Alfred Adler تلميذ فرويد والعالم النفسي المعروف في نفس الاتجاه أيضاً ، وسلم بهذه الحقائق ودلل عليها في عدة مواضع من مؤلفاته قائلاً ان الازدواج الجنسي موجود في الناس ثابت . ويذكر أن لاكير كشف أن هرمونات الجنس الآخر توجد في بول الناس جميعاً ... هذا الى ما ذكره من أن دراسة التوائم قد تؤدي يوما الى التثبت من الاشتراك في خصائص الجنس الآخر وتعين على فهم تلك الحقيقة (١) .

كما ذهب آدلر الى أبعد من فرويد عندما سلم بان الشعور الجنسي ليس هو المحرك الخفي الذي يوجه نوازع النفس الانسانية وأهم ميولها ومخاوفها ، بل ان حب الحركة لتحقيق الذات هو هذا المحرك الخفي الاصيل في كل انسان ، لأن الذات أوثق صلة به من جنسه . ولأن — وهذا هو المهم — « الأنا » في الانسان أسبق من الذكورة والأنوثة معاً وأعرق . وهكذا ابتعد آدلر عن أستاذه فرويد واقترب اقتراباً واضحاً من نتائج البحوث الحديثة عن الذات ، وكيف أنها أسبق من الذكورة والأنوثة معاً ، ومستقلة عنهما ولو على نحو ما .

ومن المسلم به أيضاً أن المرحلة الجنينية هي مرحلة تذبذب بين المؤنث والمذكر ، وهو تذبذب يرجع الى الجنسية الثنائية الاصلية في الكائن البشري حتى ولو كانت نهاية الصراع بين الجنسيتين في الكائن الواحد محددة من قبل ، فما علة هذه الجنسية الثنائية ومن أين جاءت ؟ ! ...

ويقال أيضاً انه اذا كان التجسد على المستوى الأرضي مفيداً في نضج الروح ونمو ملكاتها ومواهبها عن طريق الالم فان التجسد لمرة واحدة قد لا يكون كافياً ، خصوصاً اذا كانت فترة التجسد الأرضي قصيرة بسبب حلول الأجل المحتوم في طور الطفولة او حتى في الشباب . وان تعدد مرات التجسد على هذا المستوى يفسح للروح مجالا أكبر للحصول على مزيد من المعرفة والاختبار ، ومن تناسق الشخصية ، وبالتالي على مكانة أسمى في العالم الذي تستحقه الروح — بحسب مرحلة تطورها — من عوالم ما وراء المادة .

وفي الجملة يقولون ان موضوع التطور عن طريق العودة الى الجسد هو أنه يعطي للانسان فرصاً متعددة كيما يمر خلال فصول متعددة من مدرسة الحياة الأرضية العجيبة هذه ، وبالتالي كيما يحصل على مزيد

---

(١) للمزيد راجع كتاب « علم النفس الفردي . اصوله وتطبيقه » للدكتور [illegible] اسحق ١٩٦١ ص ١٠٢ — ١٠٨ .

من التطور والتناسق فى العقل والعاطفة عن طريق المزيد من الاختبار فى الالم والنضـال الشاق فى هـذا المستوى الأرضى الذى يتطلب نضـالاً لا ينقطع والمـاً لا يتوقف .

فمثلا تجسـد الروح فى الرجولة يعطيها فرصة أو أكثر للتقدم فى صفات الرجولة الطيبة ، مثل الشجاعة ، والعزيمة ، والاقدام ، والحكمة ، والتواضع ، والصدق ، والتسامح . وتجسدها فى الأنوثة يعطيها فرصة أو اكثر للتقدم فى الصـفات الطيبة للأنوثة مثل قـوة الاحتمـال ، ورقـة الشعور ، وعمق العاطفة،والتضحية،والحنان ، والحياء.كماقد تكون الانوثة ترويضاً للروح على العفة وضبط النفس ، وهكذا حتى تتكامل الفضائل المطلوبة فى الروح فـلا تعـود بعد بحاجة للتجسد على المستوى الأرضى ومعاناة دروسه واهواله ، بل تستحق مستوى راقيا من مستويات الأثير .

عن بعض الغاز شخصية الانسان

ولا ريب ان نظرية رجعـة الروح هـذه من شأنها ان تفسر هـذه الحقيقة التى يمكن لأى انسان أن يكتشفها بنفسه ، وهى أن الانسان يطوى غالباً بين جنبيه عـدة شخصيات ، بدلاً من شخصية واحدة متناسقة ومتكاملة . فاذا ما حاول الانسان أن يسبر أغوار أى صديق له لتبين له انه يصادق فيه أكثر من انسان ، وأن هذه الشخصيات المتعددة فيه قـد تتصارع فيمـا بينها وقـد تتآلف كما قد تتصارع وتتآلف فى علاقتها مع مجموع الشخصيات التى تحيط بها .

فـلا تحاولن اذاً أن تسبر اغـوار أية شخصية ، حتى شخصيتك الخاصة ، لأنه يبـدو أنه قـد كتب على الانسان أن يحيا غريباً حتى عن نفسه ، عاجزاً عن أن يتفهم شيئاً جدياً عن أغوار طبيعته الخاصة ، فمـا بالك بطبائع الآخرين ؟ ! . وكلما اعتقد الانسان أنه قد وصل بالفعل الى معرفة شيء ذى بال عن نفســه أو عن نفس غيره كلما كان فى واقع الأمر أبعد ما يكون عن الوصول الى هذا الهدف البعيد المنال .

ثم ان ثمة حقيقة قد ثبتت ثبوتاً كافياً ، وهى أننا نتصرف فى حياتنا بما قـد ينبعث من داخلنا من مشاعر ورثناها عن ماضينا ، وعن تراث التجارب المسجلة فى اللاشـعور ، أو ان شئنا فى عقلنا الباطن . فهـذه وتلك هى الحـوافز الحقيقية التى توجـه ارادتنا وتتحكم فى موقفنا من أحداث الزمان حلوها ومرها معاً ، أما مشاعر الآخرين فقد تكون لنا بمثابة السـدود الحكيمـة التى وضعتها الطبيعة كيمـا نعيد النظر فى أحكامنا وتصرفاتنا فنكتسب لأنفسنا سلسلة تجارب متجـددة ، وبالتالى ذخيرة مخبوءة ، وأيضاً لتكييف علاقتنا على نحو أفضل بأنفسنا وبنواميس الحياة

الصحيحة التى يلزمنا الاتساق الصحيح معها حتى نحصل على قدر أكبر من تناسق الشخصية ، وبالتالى من السعادة الداخلية التى هى حقاً مملكة السماء فى الانسان . فنحن فى الواقع قد نستفيد من الاختبارات التى قد ننساها قدر فائدتنا من الاختبارات التى قد نذكرها. فلماذا النسيان اذا ، وما هو هدف الطبيعة منه ؟

هذا النسيان يحصل كما لاحظ الباحثون الروحيون لحكمة الهية سامية ، وهى دفع عجلة التطور للأمام ، وحتى لا يكون ماضى الروح السحيق عائقاً يعوقها فى تقدمها ، بما قد يكون فيه من أخطاء ، ووصمات ، وآلام ، وأهوال . فهو رد اعتبار من الطبيعة للروح يسلبها مخازيها السابقة ، ولا يسلب النفس حقها فى الاحتفاظ بالمرحلة التى وصلت اليها فى التطور عن طريق الألم والاختبار المتكررين ، ولنا عودة تفصيلية الى ذلك فيما بعد على لسان الدكتور جوستاف جيلى مدير « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس .

ومما هو جدير بالذكر انه قد حدثت اتصالات وساطية بعدد من الأرواح التى أمكنها أن تتذكر — استثناء من ذلك — شطرا ولو غامضا من ذكريات حياته سابقة لها أو أكثر طفت الى السطح — بعد الموت — من عقلها الباطن الى عقلها الواعى ، وأن تربط بين ذكرى هذه الحياة السابقة وصنوف التجارب القاسية التى تعرضت لها فى حياتها الاخيرة للتكفير — فى صور شتى — عن ذنوب اقترفتها فى حياة سابقة لها على الأرض ، وكتب آلان كاردك A. Kardec — وهو أبرز اسم فى الفلسفة الروحية لغاية الآن — مليئة بالعشرات من هذه الحالات ، وبوجه خاص كتابه عن « الجنة والنار » (١) .

وهناك أيضاً حقيقة علمية سائدة الآن حتى فى علم النفس . وهى أن اللاشعور أعمق وأهم من الشعور . فهذا الأخير ليس سوى جزء ضئيل من العقل يطفو على سطح الماء ، حين يختفى الجزء الاكبر منه وهو العقل الباطن تحت السطح ، بالأقل طيلة الحياة الارضية . ويقول عدد من الروحيين ان علة ذلك هى أن الوعى الانسانى لا يتجسد كله فى المرة الواحدة ، فلا يتجسد منه فى المرة الواحدة سوى جانب يسير عن طريق المخ الذى يتحكم بدوره فى الجهاز العصبى للانسان. ومقتضى ذلك بالضرورة هو تعدد عدد المرات التى ينبغى أن يتجسد فيها الوعى للحصول على النمو المطلوب ، وعلى التناسق الكافى بين شتى أجزائه ، وهذا التناسق هو الذى يحقق للانسان قدراً أوفر من السعادة ومن الاطمئنان النفسى بعد الشقاء والقلق .

---

(١) Le Ciel et L' Enfer

وقد أيدت ارواح متعددة أخرى صحة هذا النظر ، بل منها من علل بعض الامراض العقلية بعدم حدوث التجسد الارضي على النحو الطبيعى . فاذا لم يكن الجانب المتجسد من الوعى كافياً كيما يحقق السيطرة المطلوبة للمخ — ومن ورائه العقل — فقد المخ سيطرته على وظائف الأعضاء . وبدا صاحبه ناقص الادراك عديم الاتزان فى حركاته وسكناته .

ومثل هذا المرض العقلى — الذى تعودنا أن نصفه بالبله أو بالعته أو غير ذلك من أوصاف — يختفى تدريجياً بعد الانتقال عندما يندمج الجزء الضئيل الذى كان متجسداً فى باقى أجزاء الوعى فيبدو الانسان « المعتوه سابقاً » انساناً طبيعياً فى ذكائه ، وأحياناً انسانا على درجة ممتازة من الذكاء أو الألمعية مؤدياً على أتم وجه وظائف حياته الجديدة ، وهذا اعتبار هام تنبغى مراعاته عند تحقيق شخصية أرواح بعض المنتقلين (١) .

وقد فتح علم الروح بذلك آفاقا جديدة فى دراسة أسباب الأمراض العقلية لم تكن معروفة من قبل ، بجانب الآفاق التى فتحها من ناحية التسليم بامكانية ظاهرة المس والاستحواذ الروحى obsession and possession التى تصدى لبحثها الفيلسوف المعروف وليام جيمس William James (٢) ، وأخضعها أيضا للبحث العملى الدقيق لمدى عشرات من السنين الدكتور تيتوس بول (٣) Titus Bull، ثم كارل ويكلاند (٤) Carl Wickland عضو المجمع العلمى الأمريكى — ووصلوا فى بحوثهم الى نتائج ايجابية محددة وواضحة فى دلالتها .

ويلاحظ أيضا أن تجسد أرواح بعض المنتقلين تجسدا تاماً أو جزئياً تحت ادق صور الرقابة العلمية ، على ما بينته بأسانيده فى « المفصل »(٥)؛ هو فى حقيقته عودة للتجسد . واذا كانت العودة هنا وساطية ومرهونة بلحظات قصيرة فليس ما يمنع من أن تكون لها صورة أخرى طبيعية عن طريق الميلاد وأن تكون بالتالى لمدة الحياة الدنيوية التى تتفاوت طولاً وقصراً .

هذا وقد امكن — كما قلت لعدد ملحوظ من الأرواح التى ترتاد غرف الجلسات الروحية — متجسدة أو غير متجسدة — أن تتذكر شطرا من

---

(١) راجع ما ورد عن هذا الموضوع فى « المفصل » الجزء الأول ص ٢٨٤ — ٢٨٩ ؛ ٨٢١ — ٨٢٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٣١٤ — ٣٢٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٢١ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٢٨ — ٣٣٠ .

(٥) المرجع السابق ص ١٧٧ — ٢٠٨ ، ٥١٧ — ٦٨٠ .

حياة سابقة لها أو أكثر . ذلك انه بحسب الأصل تفقد الروح ذاكرة حياتها السابقة بمجرد الالتصاق بجسد الجنين فى بطن أمه ، فلا يتبقى لهـا من هذه الذاكرة سوى درجة التطور التى وصلت اليها النفس ، والتى تنزلق الى اللاشعور كيما تمهد لهـا طـريقها فى حياتنا المستقبلة ، ولذا كان العقل الباطن ــ أو اللاشعور ــ مخزناً لدروس المـاضى السحيق وخبراته. وهو مخزن ملىء بصنوف التجربة التى أصبحت ــ بحسب الظاهر ــ فى طى النسيان الكامل .

عن احلام الأجنة ومشاعرها

ومن الكشوف الجديدة الجديرة بالذكر هنـا أن العلم الحديث فى دراسته لعمل المخ مع الاستعانة بالرسام الكهربائى قد وصل الى حقـائق هامة عن نشاط المخ فى أثنـاء النـوم ، وعن تأثره بالأحلام . ووصـل العلمـاء الى الجزم بأن الجنين فى بطن أمه يحلم ، وأمكن صنع رسومات كثيرة لتسجيل نشاط مـخ الجنين فى أثنـاء أحلامه ... فبماذا يحـلم الجنين ؟ وما هى الصور التى يشاهدها أو الأصـوات التى يسـمعها ؛ أو الأشياء التى يلمسها مع أنه بحسب المذهب المـادى لا يكون قد اكتسب بعد شيئاً من الحواس ، أو من قدرة الاحساس ، أو من الوعى ، أو من الذكريات الشعورية أو غير الشعورية التى تصنع الأحلام عند كل كائن حى ؟

أما من الناحية الروحية فمن المتصور أن تكون الذكريات السابقة للجنين ، التى انزلقت اليه من اقامته فى عالم المـادة أو الروح هى صانعة هذه الأحلام ، وهى المسئولة الوحيدة عنها بعـد اذ انزلقت من الشـعور الى اللاشعور فى لحظة ارتباط الروح « بالمعتقل » المـادى المعـد لهـا فى رحم الأم بحكم نواميس التطور والارتقاء .

وهذا الموضوع وثيق صلة بموضـوع آخر وهو مشاعر الأجنـة وأحاسيسها وهى فى بطون أمهاتها . فانه يكاد يكون من المسلم به الآن ان حياة الجنين الشعورية تبدأ قبل الولادة ، لا منذ الولادة فحسب كمـا كان يقال فيما مضى .

وبالتالى فان حب الأم للجنين أو كراهيتها له (كما فى حالة الحمـل غير المرغوب فيه ، أو فى ظروف المشاحنات الزوجية والطلاق) قد يكون له أثره فى طباع هذا الجنين بعد الولادة . ومثل ذلك قسوة الاب فى معاملة الأم أو كراهيته لهـا فى فترة الحمل لاعتبار أو لآخر ، فقد تترك هـذه أو تلك بصماتها فى نفسية الجنين ، ولا تظهر هذه البصمات بطبيعة الحال الا فيما بعـد الولادة ، وقد تحتاج فى بعض الأحيـان الى تدخل المحلل

النفسانى فى الطفولة أو فى المراهقة (١) .

وقد يؤيد ذلك ما ذكره بعض الصحف حديثاً وها هو نصه كما ورد بجريده الاخبار الصادرة بتاريخ الثلاثاء ٥ نوفمبر سنة ١٩٧٤ : «أعلن الدكتور السير وليام لايلى الأستاذ بجامعة أوكلاند بنيوزيلاند فى محاضرة بلندن أمس أن الطفل الذى لم يولد بعد يشعر بالألم ، بل قد يشعر بالملل الشديد أثناء وجوده بالرحم .

وقال ان الرحم ليس بالمكان المظلم الممتلىء بالصمت ، وأن الطفل يتعلم فيه الرضاعة والشرب واستخدام رئتيه استعدادا للانتقال الى العالم . ويشعر أيضا بالبرد والصوت والضوء ، بل ويتذوق السائل المخصص لتغذيته ويشرب كمية أقل اذا كان مذاقه غير طيب ، ويصاب بالزغطة ، ويمص اصبعه ، ويستغرق فى النوم ويستيقظ » .

وبعبارة أخرى ان حواس الجنين تعمل قبل أن يخرج الجنين الى عالم الاحساس ، وقبل أن تتكامل حتى أدوات الاحساس الخمس المعروفة ، مما يدل على استقلال الشعور عن أدوات الاحساس وهو ما يلتئم مع المذهب الروحى للحمل وللولادة ، ويتعارض بداهة مع المذهب المادى الذى يربط بين الاحساس كوظيفة ، وبين أدوات الاحساس كوسيلة ، كما يربط بين الشعور والتفكير وبين اكتمال نمو المخ بوصفه المسيطر الأول والأخير على الجهاز العصبى للانسان .

اما بحسب التحقيقات الروحية فان مصدر الاحساس هو الشعلة المقدسة التى تهب الحياة للجسد المادى والتى تنزلق الى الرحم بعد حدوث الحمل — بفترة ما — حاملة معها العقل فى صورته اللاشعورية ، وهو العقل الذى يحتمل سبق ارتباطه بحياة المادة فيما مضى ، وهذه هى بعينها نظرية « العودة للتجسد » .

---

(١) للمزيد راجع : J. G. Bennett : A. Spiritiual Psychology 1964 p 51.

وثمة أبحاث حديثة تشير الى أن بمقدور النبات أن يتألم وأن يشعر بالعاطفة (راجع اشارة عنها فى جريدة الأخبار عدد ٢٠/٧/١٩٧٤ وهى تتحدث عن أبحاث للعالم السوفيتى كريستوفر والأمريكى بومى كينز) . فاذا صح جدلا انه كان بمقدور النبات الذى يتغذى من الأرض والهواء أن يشعر بالألم أفلا يكون ذلك بمقدور الجنين وهو فى بطن أمه ؟ ! ...

المبحث الثانى

عن « نظرية التطور »
بقدر اتصالها بالعودة للتجسد

هل تتطور الحياة حقيقة أم لا ؟ يبدو أن العلم المادى قد حسم هذا التساؤل بالايجاب منذ زمن كاف ، وان كان البحث لا يزال مثارا فيما يتعلق ببداية التطور ، وبتعليل هذا التطور ، من محاولة التعرف على أهدافه الصحيحة . وفى هذه الأمور كلها تعددت المدارس التى يضيق عنها هذا المقام . وفى نطاق المادة هناك اجماع أيضا على انها فى حالة تطور مستمر من البسيط الى المركب .

التطور حقيقة علمية

واذا كانت المادة فى حالة حركة دائمة ، وتطور لا يتوقف من البسيط الى المركب ، فمن باب أولى يكون الانسان بكل ما يحوزه من مرونة نفسية وعضوية ، ومن قابلية للتأقلم أو للتكيف مع العصر والبيئة .

ومن تطور المادة يقول جوستاف لوبون Gustave Le Bon ان الأثير الذى يملأ رحبات الفضاء قد انتهى بان تحول الى ذرات ، ومن تجمع الذرات نشأت المادة كما توجد فى أرضنا ، وكما يمكننا أن نراقبها فى الكواكب . وخلال فترة التكون التدريجى للمادة من الأثير ، قامت الذرات باختزان رصيد من الطاقة كان عليها أن تنفقه فى صيغ متنوعة منها الحرارة ، والكهرباء فيما تلا ذلك من الأزمان .

وعندما فقدت الذرات ببطء هذه الصيغ من الطاقة التى اختزنتها فى مبدأ الأمر ، مرت المواد بتطورات مختلفة ؛ وارتدت صيغاً متنوعة .

وعندما بعثت الذرات بكل ما فيها من طاقة مخزونة فى صورة اهتزازات مضيئة ، عادت — نتيجة للاشعاعات الصادرة عن تحللها — الى الأثير الأولى الذى جاءت منه . فالاثير يمثل اذاً « النرفانا » النهائية التى تعود اليها جميع الأشياء بعد وجود يتفاوت فى مدى قابليته للزوال .

وهذه النظرات الموجزة عن مصدر الكون الذى نعيش فيه وعن نهايته لا تلقى سوى أضواء باهتة على الظلمات العميقة التى تغلف ماضينا، وتحجب مستقبلنا . وهى تمثل تفسيرات قاصرة جداً ، ولكن العلم لا يملك أن يقترح غيرها . ولا يمكنه بعد أن يرقب اللحظة التى يتمكن فيها من تلمس السبب الأول الحقيقى للأشياء ، أو حتى أن يصل الى الأسباب الحقيقية لظاهرة واحدة . فينبغى اذا عليه ان يدع للاعتقادات

وللفلسفات مشقة تخيل الأنظمة المعدة لكى تنسبع حاجتنا الى المعرفه(١).

* * *

ولقد لعبت نظرية التطور دوراً هاماً فى ارتياد العـديد من المجاهل الطبيعية التى كانت قبلها تستعصى على الارتياد ، والتى كانت تمثل محض ألغاز تنتمى الى ما وراء الطبيعة أكثر مما تنتمى الى بحوث العلم الوضعى، وبالذات الى بحوث علم الأحياء « البيولوجيا » .

وذلك الى الحد الذى دفع أحد المؤلفين الى القول بأنه بعد الاعتراف المبدئى بتطور الجسد ـ حتى بمعرفة اللاهوت ـ فانه من اليسير توقع الاعتراف ـ بلا تأخير بتطور الروح . ومن ثم فقد انهار ذلك السد الذى حاول اللاهوت أن يقيمه فى وجه الانسان حتى يمنع تطلعه الى الوراء .

وبالنسبة لدارس علم النفس الحديث فانه يجد أن فكرة « الوجود السبقى » انتقلت من نطـاق الاعتقاد الى نطـاق الواقع ... ولذا كتب العـلامة البريطانى توماس هكسـلى T. Huxley قائلا : « انه لا يوجد أحد بمقدوره أن يرفض هـذه الفكرة على أساس أنها تمثل خرافة منوارنة الا المفكر المتعجل جدا . وفقه العوده للتجسد ـ شأنه شأن نظرية التطور نفسها ـ له جذوره فى عالم الواقع ، وربما تكون له أسانيد تماثل فى قوتها أسانيد التطور نفسها » .

ولاحظ أن هـذه العبارات الخطيرة قالها هـذا العلامة المعروف (١٨٢٥ ـ ١٨٩٥) عندما كانت الأسانيد التى يملكها العلم الوضـعى عن هـذا الموضوع ضئيلة جـدا بالنسبة لتلك التى يملكها الآن ، بل لا تكاد تذكر فما بالك الحال بعد اذ بلغت وثائقه هذا المبلغ الذي عرضـنا لبعض جوانبه فيما سـبق ؟ !

هذا وقد تعرضت فى الجزء الثانى من « المفصل » لبعض مبـادىء عامة عن هـذه النظـرية ، وعن موقف العـلم المعاصر من ناحيـة عـدم انكارها بوجه عام ، وان كانت الفلسـفة المعاصرة أخذت تتحول تدريجياً من تعليل التطور بمادية الوجـود الى التسليم بوجـود قـوى عاقلة ، وبتخطيط روحى عريق وراء هذا التطور . والمدارس فى هذا الشأن عديدة يضيق عنها المقـام الحـالى ؛ وقد اختلفت فى بعض مبادىء التطور لا فى صحة التطور نفسه كقاعدة عامة خصوصاً على الأحياء ولا ريب أن التطور

---

(١) عن مؤلفه فى « تطور المادة » L'Evolution de la Matière

ينبغى أن يثار كمبدأ عام عند الحديث فى نظرية احتمال العودة للتجسد بالنظر الى الصلة الوثيقة بين الموضوعين .

فالانسان كائن نام متطور ، وقابل للنمو وللتطور نحو الافضل ما فى ذلك ريب ، وجميع الشواهد تؤيده . والحيوان كائن نام متطور ، وقابل للنمو وللتطور ما فى ذلك ريب أيضاً ، وجميع الشواهد تؤيده . لكن المشكلة الحقيقية هى فى تحديد خطوط التطور ومصدره واتجاهاته الصحيحة .

وكان الاعتقاد السائد بعد اعلان ناموس التطور ان الانسان والحيوان يسيران فى خط واحد مشترك التطور . وهذا الناموس الخاص بالتطور كان فى شكله الأول مستمدا من الفلسفة المادية للوجود ومرتبطا بها ، ولا يكاد يفسح مجالا بالتالى للحديث عن عنصر روحى يبقى حيا بعد فناء الجسد المادى . وكان القول بأن الانسان لا يختلف عن الحيوان شيئاً من ناحية التكوين البيولوجى لكل منهما يعطى دعامة ضخمة للفلسفة المادية عن الوجود . أو بالأدق يعطى حجة قوية لدعاة القول بفناء شخصية الانسان بسبب فناء جسده المادى .

هذا بالنسبة للغرب ، أما بالنسبة للشرق الأقصى ، فقد تصور عدد غفير من حكماء الهند — بوجه خاص — أن هذا القول يعطيهم دعامة علمية لتأييد دعوى احتمال عودة الانسان للتجسد ولو فى صورة حيوانية احياناً ، بل وعودته الفورية عقب انفصال الروح عن الجسد رأساً ، بلا حاجة لأية فترة يقضيها خارج جسده المادى فى اى عالم من عوالم ما وراء المادة .

ولكن ما لبث لفيف من أحسن التطوريين فى الغرب أن أدركوا أن الانسان لا يسير فى خط واحد فى التطور مع الحيوان حتى مع التسليم بتطور الانسان ، وبتطور الحيوان ، ومن هؤلاء الفيلسوف الكبير برجسون — كما فطنوا أيضاً الى أن تطور الانسان أعرق كثيرا من تطور الحيوان وأسمى منه هدفاً (١) .

ومن ثم ينبغى أن نقول ان تنازع البقاء وبقاء الأصلح وان كان صحيحاً كناموس طبيعى ، الا انه لا يصح أن يعتبر مصدرا للتطور . بل بالأكثر نتيجة حتمية له . وبالتالى فانه يتعين البحث عن مصدر آخر للتطور غير ناموس تنازع البقاء وبقاء الأصلح . ومن ثم يبرز دور التخطيط الروحى العاقل وراء هذا التطور لتحقيق غايته الحقيقية وهى

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الثانى ص ٣٤ — ٣٧ ، ٤٣ — ٥٢ .

الارتقاء بعقول بنى البشر ومشاعرهم ، عن طريق خلود أرواحهم ، وعدم قابليتها للفناء ، حتى وان تعرضت الأجساد الترابية لكل النتائج الوبيلة التى يفرضها نشاط ناموس تنازع البقاء ، بكل ما فيه من قسوة مفرطة ، بل وحشية تبدو بحسب الظاهر — لا هدف لها ولا ضابط .

التطور والايمان

وفى هذا الشأن يكتب العلامة المرحوم محمد فريد وجدى مقالا ضافياً يقول فيه : « ان الأستاذ الكبير الفرد راسل والاس A. R Wallace الذى اكتشف ناموس الانتخاب الطبيعى هو وداروين فى آن واحد ، وأحدهما بعيد عن الآخر قال فى كتابه عن « الانتخاب الطبيعى » صفحة ٣٣٢ : ان الانسان عالم قائم بنفسه وانه متمتع بروح وأن روحه تخلد بعد هذا العالم .

والأستاذ الطبيعى الكبير فيركو الألمانى يهزأ بالداروينية ويعدها مفسدة للأخلاق ومحللة للاجتماع « راجع كتابه فى نقد الداروينية الاجتماعية » .

والعلامة الفيزيولوجى الكبير كاتروفاج قال فى كتابه عن « النوع البشرى » بعد تحليل دقيق للأصول الداروينية : « لسنا نستطيع أن نعلّم الناس أن الانسان متسلسل من القرد أو من أى حيوان آخر ، بل لا نستطيع أن نعتبر القول بذلك مسألة علمية » .

وهذا العلامة الجليل — كلود برنار — الذى يدعوه البيولوجى المشهور لوانتك بأبى الفيزيولوجيا كان لا يعتد بالمذهب الداروينى ويعتبر جميع التطورات الانسانية حاصلة بواسطة القوة الحيوية الثاوية فى اجسادها ...

ثم يقول العلامة وجدى ان « كرنر الطبيعى الألمانى كان يقول بوجود قوة حيوية فى الوجود تمد كل كائن بما يحتاج اليه من الغرائز والوسائل .

أما هكسلى البيولوجى الانجليزى الكبير فكان يقول ان الحياة نفسها قوة مدبرة ومنظمة ، وأنها هى التى تهدى الكائن الضعيف لكل ما يحتاج اليه حتى عمل القوقعة ، وتلهمه زخرفتها وتكوينها .

والأستاذ هيكيل الألمانى المتشدد فى اثبات نشوء الحياة بالعوامل الآلية لم يستطع أن ينكر أن فى كل ذرة عضوية ، فضلا عن كل خلية روحاً وعقلا وارادة تديرها وتؤتيها بما يصلحها « راجع كتابه عجائب الحياة » .

هذه هى أقاويل المذاهب الكبرى وكلهم مجمعون على ضرورة وجود قوة مدبرة فى الكائنات الحية تمدها بالوسائل المقومة لهـا على خلاف بينهم فى تصورها . انا لا انكر أن أكثر هذه الافتراضات لا يقـوى على النقد ، ولكنها تدل القـراء على مبلغ حيرة العلماء فى تعليل وجود هـذه الغرائز الغريبة بتأثير العوامل الآلية المجردة من العقل .

ومهما يكن الأمر فهل تخرج هذه الأقاويل عن دائرة الامور الظنيـة التى لا يمكن تحقيقها ، والتى هى بتخالفها يهدم بعضها بعضاً ؟ هـذا كلـه لا يعنينى وانما الذى يهمنى أن أقف قراء العربيـة على ما يدلى به بعض الكتاب اليهم تحت نواميس بيولوجية ومشاهدات علمية فى هـذا الموطن وغيره مما لا يمكن تمحيصه تحليـلا وتركيبا ، كلـه من قبيـل الظنيات التى لا تغنى عن الحق شيئاً .

فهى لا تصلح لأن تشكك مؤمناً فى ايمانه ، ولا أن تمـد ملحـدا فى الحاده ، وتجعل باب العـلم مفتوحا على مصراعيه للفتوح الجديدة المؤيدة بالمشاهدة والتجربة ، ومنها ما يقيم أقطاب العلم صرحه تحت اسـم المباحث الروحية ، فقد انكشفت للعقول بثبوت الروح والعـالم الروحانى ينابيع القوى الحقيقية للحياة الكونية . وهو عمل ضخم بذل العلمـاء فيه تسعين سنة متوالية (الآن حوالى قرن وربع) . ولم يبـالوا بارجافات المرجفين ، كما لم يبال بهـا مسـمر ، ولافوازييه ، وجالفانى ، وباستور من كاشفى مساتير الطبيعة الكبرى ... » (١) .

وفى الواقع ان نظريات التطور ــ حتى مع تسليمها كلهـا بمبـدأ تطور الحياة ــ لا تزال فى تطور مستمر ، وأيضا فى تناحر لا يتـوقف . ويبدو أن عودة الانسان للتجسد على نحو أو آخر ، وفى وقت أو آخـر ، ولسبب أو آخر ، تمثل ناموسا حقيقيا يلعب فى تحقيق تطور الحيـاة دوراً أعمق واخطر بكثير مما كان يجـول فى الأذهان ، خصوصا منهـا أذهان العلمـاء المـاديين الذين كانوا على استعداد لقبول مبدأ التطـور وليسوا على استعداد لمناقشة مبـدأ « العـودة للتجسد » أو لمحـاولة تفهمه ، أو حتى لتحقيق أسانيده وهى آخذة فى النمـو وفى الوضـوح بشكل مضطرد .

التطور فى المفهوم الثيوصوفى

وعن تطور الانسان تكتب الرائدة الثيوصوفية المعـروفة السـيدة آنى بيزانت Annie Beasant فى مؤلف من مؤلفاتها العـديدة

(١) من مقال له فى جريدة الأهرام عدد ٤ أكتوبر سنة ١٩٣٨ بعنوان « ناموس التطور والتسلسل ونشـوء الغريزة الأخلاقيـة فى الانسان » ص ٣ ، ١٥ . وكان ذلك بمناسبة اعتراض اثارة أحدهم على البحوث الروحية باسم نظرية التطور .

وعنوانه « الحكمة القديمة » (١) (١٨٩٧) قائلة ما مضمونه أن العلم الحديث آخذ فى الانبات التدريجى الواضح لضعف دور الوراثة فى تطور الكائنات العليا ، وأن الخصائص الذهنية والأدبية لا تجئ جزافاً من ناحية الآباء . وبقدر ما تسمو الصفات بقدر ما يضعف فيها دور الوراثة فابن الانسان العبقرى كثيرا ما يكون أبلهاً ، وابن الوالدين العاديين قد يكون عبقرياً .

وبالتالى فلابد من وجود جوهر دائم تكمن فيه الخصائص الذهنية والأدبية ، وتنمو ، والا فان الطبيعة — فى هذا الجانب الهام من نشاطها — تبرز نتاجاً ضالا ليست له أية علة بدلا من الاضطراد المنتظم الذى نعرفه عنها . وفى هذا الشأن يبدو العلم أصماً ، لكن الحكمة القديمة تعلمنا أن هذا الجوهر هو « الموناد » Monad (كلمة هندية تعبّر عن الروح أو العقل) الذى هو موطن جميع النتائج ، والمستودع الذى تختزن فيه جميع الاختبارات بوصفها طاقات نشطة متزايدة .

وهذان المبدآن المرتبطان ونيق ارتباط « بالموناد » وبالامكانيات التى تتطور الى طاقات ، وبدوام الحياة والشكل ، يحلان كثيرا من المشكلات العويصة للعلم الحديث ، وايضاً المشكلات التى يواجهها المفكر الانسانى ، والحكيم ، والتى لا تزال تتعثر فيها الجهود الجادة .

ثم تقول آنى بيزانت ما مفاده أن الروح الجنينية ، أو العقل فى الجنين يحوز فى البداية جسداً عقليا جنينياً يتضمن الشكل الذى جاء به ، لكن لم يحز بعد أية امكانية نشاط ، لأنه عبارة عن مجرد نواة لجسد عقلى مرتبطة بنواة لجسد سببى Causal body وبالنسبة للعديدين تبدو الحياة بوصفها رغبة قوية من الطبيعة تباشر ارادتها فى الروح ، فتدفعها الى المسير بامتداد الطريق الذى يلتئم مع عواطفها وشهواتها ، ويرتطم بكل أمواج رغباتها الحيوانية الهائجة ، التى لا تخضع لسيطرتها .

وهذه المرحلة المبكرة للروح تبدو لنا الآن كريهة عندما نتطلع اليها من مرحلة التطور المرتفعة التى وصلنا اليها ، ولكنها كانت ضرورية لانبات بذور العقل حتى يتعرف على الأمور ، ويدرك أن امرا معينا يغاير الأمر الآخر ، وكان هذا هو المبدأ الأساسى للتفكير .

ولايقاظ تلك القدرة على الادراك فى العقل كان لا بد أن تمر الروح بمفارقات قوية وعنيفة ، حتى تفرض عليها التمييز فيما بينها . وكان لابد أن تتلقى الروح طرقات دورية من المتعة الجمة ، ومن الألم المرير . وهكذا أخذ العالم الخارجى يؤثر فى الروح خلال رغبة الطبيعة ، فأخذت

---

(١) The Ancient Wisdom. ص ١٨٣ — ١٨٤ .

الروح ببطء شديد تستخدم ملكاتهـا ، وتسجلها نتيجة تكرارات تفـوق الحصر . والمكاسب الضئيلة التى حققتها الروح خلال كل حياة اختزنتها فى عاقلتها ، وهكذا حدث التطور البطىء .

وهو تطور بطىء فى الواقع ، لأن أى شىء فكرت فيه الروح ، وأى جهد قامت به ، لم يؤثر فى تنظيم الجسد العقلى الى أن تم تسجيل ادراكات عديدة للأمور فيه بوصفها صوراً عقلية ، أمكن أن تكون مادة خام تقام عليها مناشط عقلية تنبعث من الداخل ... وكان هذا هو بداية التفكير ، ونواة كل انظمة المنطق التى أمكن لعاقلة الانسان أن تطورها وأن تتمثلها . وتم ذلك تحقيقاً لرغبة الطبيعة فى أن تنمّى بهجة الانسان ، وتقلل من آلامه ، ولكن كلا الأمرين كان من أثرهما زيادة نشاط الجسد العقلى ، ودفعه الى المزيد من النشاط .

وفى تلك المرحلة من طفولته كان الانسان لا يملك أية معرفة عن الخير والشر ، والخطأ والصواب . بل لقد كان الصواب هو ما يلتئم فحسب مع الارادة الالهية ، التى تساعة تطور الروح نحو الأمام ، والتى تميل الى تقوية الجانب الأسـمى من طبيعة الانسـان ، وترويض جانبهـا الأدنى واخضـاعه . وكان الخطأ هـو كل ما يعوق التطور ، ويقيّد الروح فى مراحلهـا الدنيا بعد أن تعلمت الروح الدروس التى عليهـا أن تتعلمها ، والتى تميل الى السيطرة على الجانب الأدنى لحساب الجانب الأسمى . وبالتالى فان الخطأ هو كل ما يقيّد الانسان بالوحش الذى انبثق عنه بدلاً من « الاله » الذى ينبغى أن يتطور اليه .

فكل انسان عليه أن يتعلم وجود « القانون » ، وذلك عن طريق اتباع كل ما ظل يجتذب انتباهه فى العـالم الخارجى ، والتعلق به ، وعندئذ يتعلم بالاختبار البهيج أو الأليم ، ما اذا كانت متعته تلتئم مع « القانون » أم تتناقص معه ...

ولا ينبغى أن نغفل الاشارة الى أنه فى تلك الأيام المبكرة حدث تنوع ضخم فى نموذج التطور الفردى وطبيعته نتيجة البيئة التى تحيط به . فقد كان على جميع الأرواح أن تنمّى طاقاتها ، لكن الطريق الذى تسير فيه التنمية يتوقف على الظروف التى وُجدت فيها الروح : ومنها الطقس، والخصوبة أو الجدب ، وحياة الجبل أو السهل ، والغابة أو الشاطىء ... فهذه الاعتبارات ، ومعها اعتبارات أخرى لا تحصى ، تباشر تأثيرها فى يقظة الطاقات العقلية فى اتجاه معين أو فى آخر ...

والانسان عند مروره من الموت الفيزيقى الى مستوى « الديفاشان » (مستوى العودة للتجسد من عالم الغيب بحسب التعبير الهندى) يفقد

المرة بعد الأخرى أجساده المختلفة : الجسد الفيزيقى ، والكوكبى ، والعقلى ... وصلة الانسان بجسده الفيزيقى تنقطع نهائياً ، وينتهى أثرها ، لكن الجسدين الكوكبى والعقلى يصبحان هما الانسان نفسه باندماجهما معاً . ويكونان بمثابة المخزن للملكات والصفات الناتجة عن ممارسة مناشط الحياة الأرضية ، والبذور للجسدين الكوكبى والعقلى فى المرحلة التالية . ويبدأ عندئذ شروق حياة جديدة .

وتبدأ الحياة الجديدة عن طريق احياء البذور العقلية ، التى تواصل الحياة وتستمد عناصرها من المستويات الأدنى للعقل حتى ينمو منها جسد عقلى جديد يعبّر بالضبط عن المستوى العقلى للانسان ، وجميع ملكاته العقلية بوصفها أعضاء . ولا تبقى اختبارات الماضى فى هذا الجسد العقلى الجديد بوصفها صوراً عقلية ، لأن تلك الصور اختفت باختفاء الجسد العقلى القديم (باندماجه فى الجسد الكوكبى) ويبقى جوهر هذه الصور فحسب ، أى أثرها فى العقل .

وقد كانت هذه الصور بمثابة الغذاء للعقل ، والمادة الخام التى أصبحت ملكات ، وتظهر فى الجسد الجديد بوصفها طاقات تحدد تكوينه ، وتكوّن أعضاءه . وعندما يكون الانسان على هذا النحو قد صنع لنفسه جسداً جديداً لحياته المقبلة على المستويات العقلية المنخفضة ، يعمد الى احياء البذور الكوكبية الكامنة فيه ، كيما يزوّد نفسه بجسد كوكبى لازم لحياته على المستوى الكوكبى . وهذا الجسد يعبّر من جديد تعبيراً دقيقاً عن الصفات التى طوّرها فى ماضيه ، كما تعبّر البذرة عن كل خصائص الشجرة التى جاءت منها .

وهكذا يقف الانسان مزوداً تماماً بما يلزم لتجسده القادم . وتظل ذكريات أحداث ماضيه فى جسده السببى ، وهو الجسد الوحيد الدائم الذى يتنقل بصاحبه من حياة الى حياة . وعندئذ يحدث عمل أجنبى عنه لتزويده بجسد فيزيقى مناسب للتعبير عن خصائصه (هو تكوين الجنين بسبب التلقيح وانقسام الخلايا) . وفى حيواته الماضية يكون الانسان قد أنشأ بعض روابط مع كائنات بشرية ، وبعض تلك الروابط ستحدد جزئياً مكانه من ناحية الميلاد والأسرة ، ولقد كان هذا الانسان مصدراً لسعادة الآخرين أو لشقائهم ، وهذا بدوره عامل آخر يتدخل فى تحديد حياته المقبلة .

واذا كانت طبيعة الرغبة فيه منسقة جيداً ، أو بعيدة عن التنسيق ، فان ذلك يدخل أيضاً فى الاعتبار فى شأن الوراثة الفيزيقية لجسده المرتقب . واذا كان قد نمّى بعض الطاقات العقلية ، ومنها الطاقات الفنية ، فان ذلك يدخل فى الاعتبار ، لأن الوراثة الفيزيقية تمثل عاملاً هاماً ولأن

التكوين العصبى ، والحساسية الفيزيقية مطلوبان أيضاً ، وهكذا تسير الأمور فى تنويع لا ينتهى ...

وهكذا يتحدد نوع السلالة ، والشعب ، والأسرة ، وما يصح تسميته بشكل الجسم الفيزيقى المناسب للتعبير عن صفات الانسان ، وعن ثمرة أفعاله الماضية ... ويتكون الجسد الأثيرى الجديد فى رحم الأم ، متخللاً الجسد الفيزيقى الكثيف فى كل جزىء من جزيئاته ، وينمو معه تماماً ، وتكون الوراثة الفيزيقية قد أدت دورها فى الخامات التى قدمتها لتكوين الجسد الفيزيقى ...

وبعد مرحلة متقدمة يدخل الجسد الكوكبى فى ارتباط مع المقابل الأثيرى الجديد ، ويباشر تأثيراً قوياً فى تكوينه ، وعن طريقه يؤثر الجسد العقلى فى الجهاز العصبى ، حتى يعدّه ليكون جهازاً مناسباً للتعبير عن نفسه فى المستقبل . وهذا التأثير بدأ فى حياة ما قبل الميلاد ، وذلك الى حد أنه عندما يولد طفل فان تكوين مخه يعبّر عن مدى صفاته العقلية والأدبية ، وعن مدى اتزانها ، ويظل ذلك كله قائماً بعد الولادة حتى يتكامل التكوين الفيزيقى للانسان .

ويكون وعى الانسان الى سن السابعة من عمره نشطاً على المستوى الكوكبى اكثر مما هو على المستوى الفيزيقى ، وهذا يتضح كثيراً من نشاط المواهب الروحية عند الأطفال ، حيث قد يرون رفاقاً غير منظورين ، ويرون رؤى ، ويسمعون أصواتاً لا يشاركهم فيها الكبار .

وهذه الظواهر تختفى فى المعتاد عندما يبدأ العقل يعمل بنشاط عن طريق المركبة الفيزيقية ، والطفل الحالم يتحول الى الصبى أو الفتاة المألوفين . وكثيراً ما يلوم الكبار أولئك الأطفال عندما يروون مشاهداتهم غير المنظورة منهم ، فيضطر الأطفال الى اخفائها مخافة اللوم من الكبار ، أو السخرية منهم . لذا يتعين على الكبار أن يكونوا اوسع صدراً مع أطفالهم ، وأكثر تجاوباً معهم ، وفهماً لهم .

وعندما يتفهم الجميع موضوع العودة للتجسد ، فان ذلك كفيل بأن يرفع عن حياة الطفل كثيراً من مخاوفها وآلامها ، وبأن يمكّنه من نضال روحه عندما تحاول السيطرة على أجهزتها الجديدة ، وترتبط ارتباطاً تاماً بجسدها الكثيف ، وفى نفس الوقت بغير أن تفقد قدرتها فى الافادة من اهتزازات أجسادها الأخرى الأكثر منه رقة عندما تحاول التأثير فى اهتزازات الجسد الفيزيقى (١) .

---

(١) تلخيص عن المرجع السابق ص ١٩٦ — ٢٠٧ .

تعليق

هذه هى بعض اقوال السيدة آنى ببزانت ، وهى مرتبطة بالتعاليم الثيوصوفية ، وبخاصة منهــا جانبهــا المتعلق بتعدد الأجساد الآدمية ، وتداخلها ، وتطورها ، وتنوعها بين فيزيقية ، وأثرية ، وعقلية ، وكوكبية ، وسببية (١) ... نعرضها هنا لأنها قــد تلقى بعض أضواء لها قيمتها فى ابضاح ماهية الحياة فى الأرض وفى الأثير ، و « آلية » العودة للتجســد بدون ارتباط منا بأى جانب منها ، ولكن فى نفس الوقت بغير أن نغفــل الاشارة الى أن بعض جوانب هذه الفلسفة — ولست كلها تلتئم التئاماً فريداً مع تلك النتائج التى وصل اليهــا بعض أعلام الباحثين العمليين : وبخاصة منهم الدكتور جوستاف جيلى فى فرنسا ، وشو دزموند فى انجلترا على ما سيرد فى المبحثين القادمين .

وفى نفس الوقت ينبغى أن نلاحظ أن تعدد الأجساد للشخص الواحد لا يعنى بالمرة — حتى فى المفهــوم الثيوصوفى — تعــدد الشــخصيات أو الفرديات ، بدلالة أن التعاليم الثيوصوفية تقصد بالجسد الفيزيقى مجرد الجانب الشهوى من جسد الانسان ، وهو كائن فى منطقة البطن (موضع شهوتى الطعام والجنس) ، وبالجسد الكوكبى الصدر (وهو موضع القلب والعاطفة) ، وبالجسد العقلى الرأس (وهو موضع التفكير والعقل) ... وهكذا .

وعلى أية حال فان التسليم بالتطــور ، وبالعودة للتجسد كوسيلة للتطور ، أمران مستقلان تماماً عن التسليم بتعدد الأجساد داخل الجســد الواحــد ، ولا يتطلبان فى الواقع أكثر من التسليم بوجود جســد أثيرى شامل يحمل كل رغبات الانسان ومشاعره ، وعاقلته أيضاً .

أما تقسيمه الى « مناطق » أو الى « عناصر » ، وأما الكلام فى مدى ترابط تلك العناصر أو عدم ترابطها المحتوم ، فهذا موضوع آخر ، ويمكن أن يكون محلاً للنقاش ، وللبحث العلمى الذى يبدو فى هذا الميدان بالذات — وهو ميدان التطور — أنه لا يزال فى المهد .

من اتجاهات الفلسفة الهندية

ولا ريب أن التعاليم الثيوصوفية استمدت جل عناصرها من الفلسفة الهندية التى تقوم على مبادىء الخلود ، والعــودة للتجسد ، والكارما ،

(١) راجع ما ورد عن هذا الموضوع فى « المفصل » . الجزء الأول ص ٨٤١—٨٧٠ ، ٩٤١ — ٩٤٣ ، ٩٦١ وبوجه خاص المراجــع المشار اليها فى هــذه الصفحة الأخيرة عن الثيوصوفية بوجه عام .

وتعدد الأجساد الآدمية أو تداخلها . وكنموذج من موقفها فى هـذا الشأن ما ورد عن هـذا الموضـوع فى كتاب « فلسفة الهنـد فى سيرة يوجى » من « أن تداخل أجسام الانسان الثلاثة يتجلى بطرق متنـوعة فى طبيعته الثلاثية . ففى عالم اليقظة الأرضى يحس الكائن البشرى كثيرا أو قليـلا بأغلفته الثلاثة .

فحينما يستغرق المـرء بحـواسه فى الذوق أو الشـم أو اللمس أو السمع أو النظر فانه يعمل أصلا بجسمه المـادى . وبالتخيل أوالارادة يعمل بجسمه الكوكبى . وحينما يفكر أو يغوص فى الفحص والتأمل يعمل بجسمه السببى ، وتأتى أفكار النبوغ الكونية لذلك الانسان الذى يعتاد الاتصال بجسمه السببى أى الاستغراق فيه ، وبهـذا المعنى يمكن تقييم الأفراد اجمالا الى أشخاص ماديين ، أو عاملين ، أو عقليين .

ويعيش الانسان بجهازه المـادى نحو سـتة عشر ساعة كل يوم ، ثم ينام . فاذا استغرق فى حلم ظل فى جسمه الكوكبى يخلق بغير عنـاء اى أمر ، كما تفعل الكائنات الكوكبية . فاذا كان نومه عميقا خاليا من الأحلام لمـدى بضع ساعات استطاع تحويل وعيه أو احساسه بذاتيته الى الجسم السببى . ومثل هذا النوم مجدد للقوى ؛ فالحالم يلمس جسمه الكوكبى لا السببى ، ولا ينتعش فى هذا النوم تماما » (١) (مثل ذلك الذى لا يحلم بتاتاً لاستغراقه فى جسمه السببى) .

والتعاليم الثيوصوفية والهندية غاصة بالتفصيلات عن هذا الموضوع، وهى لا تلزمنا هنا ، بل كل ما يلزمنا هو — فى نهـاية المطـاف — التسليم بوجود جسد واحد لا مادى ، مرن ، خاضع للعقل ، وللتطور ؛ مستقل عن الجسد المـادى الذى يسقط بالوفاة ، بل هو حامل شـعلة الحيـاة — وهى الروح — والمزود للجسد المـادى بالحياة ، والشعور ، والعقل . وهى أمور دخلت بالفعل الى نطاق البديهيات فى العلوم الحديثة : وبخاصة الفيزياء ، والبيولوجيا ، والسيكولوجيا .

التطور ودورات الحياة

ولا ريب أن التطـور بوجه عام وثيـق صـلة بما يطلق عليه وصف « دورات الحياة » وفى هذا الشأن يتحدث جوفرى هدسن Geoffrey Hodson فى كتـابه « هل العودة الى التجسد حقيقة أم خيال »(٢) فيقول — نقلا عن الترجمة العربية للأستاذ زكى عوض المحامى :

---

(١) ترجمة الأستاذ زكى عوض المحامى سنة ١٩٥٥ ص ٤٥٤ — ٤٥٥ .

(٢) Reincarnaticn Fact ar Fallacy ?.

« هنا نقرر أن العودة الى الحياة تستند على مزيج من تعليم خاص بالحياة البشرية ، وقاعدة من قواعد الطبيعة . والتعليم كما تناولناه يهدف الى تكميل الانسان ، أما العقيدة فهى قاعدة الدورية . وما الانسان فى جوهره الروحى سوى بذرة للألوهية تغرس فى العوالم المادية وفوق المادية ، لكى تنمو وتبلغ أسمى درجة ممكنة . وفى مملكة البشر الدنيوية يطلق على الفرد الذى بلغ هذه الحالة ، اسم الضليع أو الانسان المكمل .

وواضح أن مثل هذا البلوغ لا يتحقق فى حياة أرضية واحدة . وحتى لو عاش المرء العمر المعتاد ، فلن يتوافر له الوقت أو الفرصة لانماء جميع مواهبه البشرية ، وتحاشى ذلك انما يكون بعملية الدورية ، وبالمد والجزر ، وبالذهاب والاياب . وحتى المجموعات الشمسية على هيولتها والتى تضم أدق الكائنات تخضع لهذا القانون . فليس مرة واحدة بل مرارا عديدة يهبط الانسان كذاتية ، ويتخذ جسما ماديا حين الولادة ويتركه عند الموت .

وفى كل مرة تحدث اختلافات فى الجنس والسلالة والبيئة والفرص وضروب النشاط ، وهذه الاختلافات تهيىء تقدما فى كل حياة بحيث تحصل الروح فى النهاية على سائر الاختبارات اللازمة ، وتدرب جميع القوى ، وتقمع سائر وجوه الضعف . وبهذه الكيفية يتحقق النجاح فى النهاية لسائر البشر بعامل الزمن اللانهائى ، والتنوع الواسع فى الاختبار اللذين يكفلان النجاح للنفس الروحية المتفتحة . وتتركب كل دورة على الطريق اللولبى الصاعد الذى يصل الانسان بواسطته الى قمة الكمال ، بنزول قسم من القوة والحياة ووعى الذات الى التجسد المادى فى كل حياة . ثم تأتى رجعة تالية ، ولكن دائما فى وضع أعلى على اللولب .

* * *

وتفتتح كل دورة جديدة بتغيير فى الوعى ، تحسه الذات فى وقت معين بعد انقضاء الدورة السابقة . وتعبر فلسفة الشرق عن هذا التغيير بالكلمة السنسكريتية « تنها » ومعناها الظمأ الى الحياة ، بقصد اطراد النمو ، وللاعراب الأتم والأكمل عن النفس . ولما كانت الذات التى تقطن فى مستوى وعى العقل المجرد أو المعنوى ، تعلم أن ذلك مستطاع بولوج باب الحياة المادية مرة ثانية ، فانها توجه انتباهها الى العوالم الأكثف ، فتقذف فى بادىء الأمر شعاعا ثلاثيا للذاتية من القوة والحياة والوعى على سطح العقل المادى ، حيث يجمع حوله مادة عقلية تكون بالتدريج جسما عقليا .

وفى نفس الوقت يزداد الشعاع نفاذا الى حيث مملكة الانفعالات

ويكون بالمثل جسما للرغبات . وفى النهاية ينفذ الى العالم المادى عادة فى وقت الحمل ، حيث يندمج فى الخلية المزدوجة الأولى التى تكونت حينذاك ، والتى تنمو فيما بعد جسما ماديا (١) . وأبان الحياة السابقة على الولادة تنمو هذه الأجسام ويتزايد وعى الذات لها . وتستمر العملية بعد الولادة ، ويزداد باطراد الوعى الذاتى فى المستويات الثلاثة لا سيما اعتبارا من السنة السابعة ، حتى تبلغ سيادة الذات للجسم المادى أقصى حد لها ببلوغ الرشد عادة .

* * *

ان عملية التطور عن طريق الاختبارات المادية تواصل تقدمها حتى الممات . أما مدى هذا التطور ونوعه فيحكمهما قانون السببية . وبعدئذ يطرح الجسم المادى جانبا وتبدأ عملية العودة . ولوقت ما ، يتوقف طوله غالبا على نوع وقوة الحياة العاطفية فى مقامها على الأرض ، تظل الذات واعية فى الجسم العاطفى ، وتواصل اجتناء كرماها فى ذلك الجسم .

وهذا الأمر يثير فكرة الاختبارات المطهرية بعد الوفاة ، حيث تكسب الذات دروسا ثمينة ويطرد التقدم . وفى النهاية بطرح جانبا جسم الرغبات ويبدأ الطور الأخير للمرحلة الراجعة ، التى تتألف من الحياة فى الجسم العقلى ، الذى يحصل بسبب تخلصه من شوائب الأهواء على سعادة تامة ، وهى حالة تطابق الى حد ما الفردوس أو السماء فى التعاليم الدينية .

وحينما تجد المطامح السامية أقصى تعبير عقلى لها تأتى هذه الفترة الى نهايتها . ويمتزج ثانية المظهر أو قسم الذات الذى قام بالرحلة الدورية ، بالنفس العليا التى انفصل عنها . ويرجع الابن الشارد الى موطنه (٢) ...

التطور والسببية

كما يقول جوفرى هدسن فى نفس المرجع الآنف الاشارة اليه :

« ان قانون السببية أو الكارما يتصل بتطور الانسان الروحى اتصالا وثيقا ، بغية الوصول الى الكمال عن طريق حيوات متعاقبة على الأرض .

---

(١) انظر « دراسة فى الوعى » A Study in Consciousness لمؤلفته انى بيزنت ، وكتاب « معجزة الميلاد » The Miracle of Birth لجوفرى هدسن .

(٢) انظر كتاب Mystery of Death لجوفرى هدسن .

وكل عمل انسانى سواء أكان عقليا أم عاطفيا أم ماديا يحدث ، طبقا للقانون الكرمى ، انعكاسا معادلا له تماما . ولكن قد لا تتم الانعكاسات أو ردود الفعل فى نفس الحياة التى ارتكبت فيها الأعمال ، بل تظل أحيانا معلقة تتحين الفرص الملائمة فى تجسد تال لتعلن فيها عن ذاتها . فان دقة قانون السببية تتطلب أن تحدث الأسباب نتائجها فى نفس المستوى وفى العالم الذى حدث فيه السبب . فالأفعال المادية تؤتى ثمارها فى نتائج مادية والأفعال العاطفية والعقلية والروحية تحدث نتائجها فى عوالمها الملائمة لها .

الا أنه لما كان الفعل المادى الذى يتم فى حياة معينة قد لا ينتج رد الفعل الكامل أثناء تلك الحياة ، كانت العودة الى الأرض امرا ماسا حتى يتهيأ الظرف الملائم ، الا وهو توطيد الادراك فى جسم مادى . ويبدو أن القديس بولس قد ألمح الى هذه القاعدة فى اعرابه عن قانون الزرع والحصاد ، حيث يقول : « لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فسادا ، ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية » (١) . وطبقا لهذا الرأى فان الاستحقاق أو عدم الاستحقاق الذى نشأ فى حيوات سابقة يحدد ماجريات الحياة الحاضرة . فكل انسان يدفع الى العمل الأسباب التى تحدث اختباراته التالية .

ان هناك نظريات ثلاث تعرض لتفسير ضروب التباين والاجحاف الظاهرة للولادة البشرية وللفرص . واحداها نظرية الخليقة الخاصة ، والتى تنظر الى كل طفل حديث الولادة كمخلوق جديد . وهذا الرأى الذى تستمسك به بعض المذاهب المسيحية غير مقنع من وجهات متعددة ، لا سيما وأن أصحاب هذا الرأى يعزون مشكلة الظلم الصارخ فى الحياة الى ارادة الله ، ويقولون بأن الحياة والموت هما لغزان لا يجوز التعمق فى بحثهما .

وهنا يجب ان نسلم بأن نفوسا دون ماض خلفها تقفز بغتة من العدم الى الوجود ، مزودة بمؤهلات معينة فكرية وأدبية ، وتتميز بها عما للوالدين وأفراد الأسرة ، انما هى فكرة غير مقبولة ، كالفكرة القابلة لأطفال يظهرون بغتة من لا شىء ولا ينتسبون لأى انسان ، ومع ذلك يظهرون سجايا ومميزات وصفات فردية وعائلية وجنسية خاصة .

* * *

---

(١) غل ٦ : ٨ .

والنظرية الثانية هي الصدفة . ويحكى سر والتر سكوت قصة فليسوف مرح شبه الحياة البشرية بمنضدة بها ثقوب أعد لكل منها وتد يلائمه . الا انه لما كانت هذه الأوتاد تغرز اعتباطاً دون نظر الى ثقوبها الملائمة ، فمما لاشك فيه حدوث نتائج خرقاء من هذا العمل الاعتباطى . وللأسف لا يزال أناس يثقون أن صدفة مماثلة تحدد فى الولادة وبعدها ، ظروفنا الخاصة بالجسم وبالبيئة .

وهذه النظرية كسابقتها لا تقنع العقل المفكر على الاطلاق . فلماذا تكون الحياة البشرية هى الشيء الأوحد فى العالم الظاهر الذى لا يحكمه قانون ؟ ففى كافة جوانب الطبيعة اعتبارا من أكثف مادة الى ارق أثير ، ومن كوكبنا الأرضى فصاعدا الى أبعد النجوم ، ومن أحقر الأحياء الدنيئة الى أكبر المجموعات الشمسية ، يقف العلم على قانون محكم . وقد جاء فى حديث لسير أرثر ادنجتون أستاذ الفلك بجامعة كمبردج ، عن القانون خلف قوى العالم المادى ما يلى : « أنه قانون جليل لا ينثلم ، وخليق أن يتفق وعقل الاله » . وبالنظر الى وجود قانون ثابت يحكم كل شيء فى العالم المادى ، فانه بالكاد يكون معقولا أن نجد القانون غائباً فى اختيار ظروف الولادة البشرية والحياة التى تتلوها . وهذا الغياب يتعارض أيضا مع تعاليم الحكماء على مر الأجيال ، ولا سيما مع فلسفة هرمس التى تقول : « كما فى السماء كذلك على الأرض » .

* * *

وثالث التفسيرات للاختلاف البين فى اختبارات البشر هو وجود القانون . وطبقا له فان ظروف الحياة البشرية من حيث الصحة والسعادة ، والمقدرة والفرصة أو المرض ، والشقاء والضعف والحرمان ، انما هى نتائج عمل قانون محكم وحصاد لغرس سابق . وتقدم عقيدتنا العودة الى الحياة والكرما حلا لمشكلة عدم المساواة والفرصة فى الولادة ، تلتئم مع المنطق والعدالة . فالمفارقات والتباين فى الظروف البدنية والعقلية وفى المقدرة ، وفى البيئات المختلفة التى يولد ويعيش فيها الناس ، هى ثمرات مباشرة لسلوكهم الشخصى السابق .

وتقرر مدام هـ . ب . بلافاتسكى أن هناك كرما استحقاق وكرما عدم استحقاق . والكرما لا تجازى ولا تكافىء ، بل انها ليست سوى القانون العام الأوحد الذى يقود بغير خطأ ، وبغير مبالاة كما يمكن ان نقول ، سائر القوانين الأخرى الى احداث نتائج معينة فى أخاديد مسبباتها

الخاصة بها .... أسباب لا محيص عنها ، ولا يمكن اقصاءها من الكون، الى أن تستبدل بنتائجها الشرعية وتمحى بواسطتها . ومثل هذه الأسباب ما لم تستبدل أثناء حياة الشخص الذى أحدثها بنتائج سديدة فانها سوف تقتفى أثر الذات الراجعة الى الحياة وتظل تلاحقها فى رجعتها التالية الى أن يستقر تماما الاتزان بين النتائج والأسباب .

التطور والتناسق

والكرما ولو أنها أمر معنوى لا تدركه الأفهام ، فهى الأساس الذى يبنى فوقه العالم المادى المحسوس ، وعن طريقها تحدث تلك التعديلات للعقل الأوحد الذى تتكون منه الفردية واختبار الذات . وهى عملية تصورية اذ لا يمكن ادراك التقسيم بالوحدات . فالضراء هى نتيجة اضطراب للسكون أو الهدوء الذى يسيطر على الذكاء العام ، وتنافر فى تناسق الطبيعة . ويحدث الاضطراب أصلا من التفكير الأنانى للبشر والذى لا مناص من أن يتنافر بداخل العقل الأعظم الذى هو متزن وهادىء ويعمل بغير محاباه . فكل حركة تتلوها عودة الى السكون الذى سبقها والذى بدأت منه . وكل اضطراب يجب أن يعود الى الاتزان . والكرما — وهى نتيجة الفعل — تتكون بالأكثر من هذه الرجعة .

ومهمة القانون حفظ التوازن التام ، فاذا انثلم التناسق بذل القانون على الفور جهدا لاستعادته ، وهو ما يحدث الألم . والأعمال المتنافرة هى التى تتم تحت تأثير الخداع بأن كل انسان كائن منفصل . وسبيل الفكاك من الألم هو قهر هذا الخداع . والمرء الذى تتسق أفكاره مع العقل الالهى وعن طريقه يعمل ذلك العقل باتقان ، ولا يسلم بالعوامل الانفصالية — ومثل ذلك الانسان يحيا فى غبطة دائمة .

ومع ذلك فابان أحد أدوار التطور ، لا يكون الاحساس بالفردية فى حد ذاته وبالا على المرء ، بل بالأحرى هو طور من النمو يطابق فى حياة النبات تكوين الساق الذى تنمو منه الأغصان والألياف ، والتى تعبر بعد ذلك عن حياة النبات . الا أن الفردية تصبح مصدرا للألم اذا تفوت فوق الضرورة أو طال أمدها بغير موجب ، حيث تسبب الأنانية والتطاحن وتولد الخصام . وحينما يكافح المرء بغير حق فى أية حالة فانه يعكر اتزان العقل الواحد . وهنا يبدأ القانون أن يعمل لاستعادة التناسق ، بقوة لا تجدى مقاومتها . لأن محاولة المرء فى المقاومة ولو بغير وعى منه تزيد فى شدة الألم . والخطوة العملية لاقلال الألم ومحوه هى

اصــلاح المرء لذاته والاذعان للقــانون . ومن هنا تنشأ اهمية فهم الانسان لهــذه العقيدة » (١) .

التطور والحكمة

فالعودة للتجسد على هذا الوضع تكون لازمة للتخلص تدريجيا من الرذائل وللتحلى تدريجيا بالفضائل ، ولا يكون ذلك بالمعــرفة النظــرية لمــاهية الرذيلة وماهية الفضيلة ، لأن المعرفة النظرية لا تغنى فتيــــلا ، بل يكون عن طريق الممارسة العملية الطويلة المتكررة . وشأن ممارســة الرذيلة والفضيلة فى ذلك شأن ممارسة اى عمل او فــن .

فالانســان لا يصبح جراحا مثــلا من قراءة كتاب أو مائة كتــاب فى الجراحة ، بل لابد له من أن يقــوم بالاختبار بنفسه مرارا وتكرارا حتى يصح أن تصفه « بالجراح » . ومن المحتمل جــدا ان يخطىء وان ينجح ، وأن يكون ســببا فى اصابة غيره أو فى خدمتهم ، ولكن الممارسة العمليــة أمر لا مفر منه فى النهــاية .

وهنا فى نطاق امور الرذيلة والفضيلة لا بد ان تتعدد صور الممارسة ومراحلها بتعدد الرذائل والفضائل تعددا لا حدود له ، ناهيــك بتعــدد المواهب والملكات ، واتجــاه هــذا كلــه ــ بحسب قانون السببية ــ الى الاتجاه الصحيح أو الخاطىء . ناهيك باحتمال تحول الميول من نطــــاق الى آخر ، ولنوعها ، وتعددها ، واتصالها العميق بأوثق رغبات الانسان، وعواطفه ، وغرائزه ، ومثله العليا الصادقة أو الزائفة .

فمثلا بحسب النواميس الروحيــة التى أمكن التثبت منها يعد حب التسلط رذيلة كبرى ، اما حب الخــدمة فهو فضيلة كبرى ، بل هو أب الفضائل كلهــا لانه لا ينبع الا عن نفس عطوفة وديعة قد امتلأت حبــاً للاخرين . فاذا فرضنا أن شخصا مثل نابليون بونابرت يحــوز عبقرية لا ريب فيها فى ميدان القتال واستعباد الشعوب ، فانه ينبغى بحسب ناموس التطور الروحى ، وهو ملازم للتطور العضوى ، أن تتحول هــذه العبقرية تدريجيا من حب التسلط الى حب الخدمة ، لمصلحة صاحبها ، ولمصلحة الانسانية بأسرها .

وهذا التحول لا يجىء بغتة ، أو نتيجة لمجــرد الاقتناع النظــرى بضرورة التحول وذلك لتحقيق التطور نحو الأرقى والأحسن ، وهو الهدف الاســمى من الحياة . بل يجىء التحول بطيئا نتيجــة ممارسات عمليــة مضنية فى تجسدات متنوعة قد يكون اغلبها متواضعا ، ومصــحوبا بالآم

---

(١) عن جولــرى هدسن . ترجمــة الاســتاذ زكى عوض . المرجــع الســابق ص ٤٨ ــ ٥٨ .

متلاحقة من المهـد الى اللحد حتى تكتسب الذات الخـالدة قدرة التفكير للآخرين بعد الاغراق فى التفكير فى الذات وللذات . وحتى تمارس بنفسها الاحساس بالألم والحـرمان من الحرية وهمـا من مستلزمات القتال ، والتسلط ، ومحاولة استعباد الآخـرين التى يكابدها الضـحايا ويجنى ثمرتها البغاة الطغاة من أمثال نابليون ، وغليوم ، وهتلر ، وستالين ...

وهكذا يظهر تماما كيف أن الانسان الذى يمضى أيامه فى حياة بسيطة متواضعة فى خدمة تطوره الروحى نحو المحبة والوداعة أفضل بكثـير فى نواميس الحياة الراقيـة ـ من ذلك الذى قد يقيم « مجدا » زائفـاً ـ ويقـال عنه أحياناً مجدا خالدا ـ روته دماء الضحايا وأشـلائهم . وكم من جندى أفضـل من قائده ، وكم من تابع أنبـل من متبوعه ، وكم من فقـير أفضل من سـيد زمانه ، رغم عريه وجوعه ، وحرمانه ودموعه ..

وهكذا تتحول مثل هذه الذات على الأمد البعيد من لهفـة القتـال الى اللهفة الى الادب ، أو الفن ، أو العلم ، أو الطب أو النضال السـلمى لأجل مبدأ سام ، أو غاية نبيلة بدافع من حب الخدمة وحده وهـذا هو المجد الحقيقى الوحيد الذى يعـرفه ناموس التطـور الروحى . وهكذا تشترى مثل هذه الذات ماضيها ، وتتحول من الاتجاه الخاطىء فى التطور الى الاتجاه الصائب فيه . ومن اعتناق مفاهيم خاطئة عن المجـد ، وعن الوطنيـة ، وعن الكرامة ، الى اعتناق مفاهيم صائبـة عن المجد ، وعن الوطنية ، وعن الكرامة . مفاهيم جديدة لحمتها المحبة وسداها التواضع ، بعد مفاهيم مضللة لحمتها الأنانية وسداها الغرور .

وقل مثل ذلك عن موقف الذات من سائر مفاهيم الحياة ، بما فيها مفاهيم الايمـان ، والأخـلاق ، والاجتماع ، والفلسـفة ... فموقف الذات من هذه المفاهيم كلها عرضة للتطور البطىء . أو بالأدق هو ينبغى أن يتطور دواما فى الاتجاه الصـحيح ما دام هناك خلود للذات . وما دام هناك تطـور نحو الأرقى والأحسن ، أى نحو الاصلح روحياً ناهيـك بمـا هو أصلح عضويا وجثمانيا .

وهذه الصلاحية ليست سوى صدى لنشاط نواميس طبيعية تعمل بلا توقف من خارج الذات ومن داخلهـا ، ومن واجب الذات الاتساق ، أو بالأدق محاولة الاتساق معها على قدر طاقتها وبحسب درجة تطورها . وهى نواميس تعمل جنبا الى جنب مع نواميس المـادة والطاقة ، مثـل نواميس الحـرارة ، والجاذبيـة ، والنمـو ، والتحـول ، والحـركة ، والاهتزاز ... وكلها لازمة لوجود الحياة ، ولنموها ، ولتطورها نحـو الأرقى والأحسن .

وكما عرفت حركة التطور - على المدى البعيد جدا - كيف تصقل فى الذات الانسانية انفعالات غرائز الجنس ، والاجتماع ، والاقتناء ، والسيطرة ، وحب البقاء ... فى وسط نضال مر ، عنيف ، طويل ، سببه جهل الانسان بنفسه وبحقيقة أهدافه فى الحياة ، أو بالأدق بحقيقة أهداف الحياة فيه ، فانها ستعرف مع الوقت كيف تصقل أيضا انفعالات غريزة الاحساس بالمجهول ، ولعلها أصعبها كلها صقلا ، لأنها تبدو دائماً معصومة ليست بحاجة للصقل . ولأنها - فيما يبدو - أكثرها ضراوة ، وأوثقها اتصالا بأعمق خلجات النفس .

وعندما يتم صقل جميع الانفعالات عن طريق المرور بأكبر قدر ممكن من الاختبارات المثمرة المفيدة فسيعرف الانسان نفسه ، وسيكون قد وضع قدميه فى طريق الحكمة التى هى أثمن شىء فى الوجود . والحكمة لا تعرف حدودا بل هى فى نمو مضطرد متزايد ، وعندما تبلغ لدى صاحبها مستوى رفيعا فهو يصبح كائنا رفيعاً ، وقد يصل برفعته الى حد التحرر النهائى من قيود الزمان والمكان ، واختباراتها المريرة . وعند هذا الحد لا تعود به حاجة للعودة للتجسد الأرضى ، لأن هذا التجسد هو عبارة عن ارتداء هذه القيود بعينها ، والاكتواء بنارها .

وبعبارة أخرى لا يصبح هذا الانسان فيما بعد هو نابليون ، أو هو غليوم ، أو هتلر ، أوستالين ، أوأضرابهم ... بل يصبح محض كائن حكيم له رسالة أرفع بمراحل كثيرة من رسالات كل هؤلاء الطغاة البغاة . رسالة مجيدة بالمعنى الروحى الصحيح لا بالمعنى الأرضى الزائف ، لأنها هى بعينها رسالة الخدمة فى محبة ، وفى تواضع ، وقبل كل شىء فى حكمة .

ومن يحصل على الحكمة يحصل فى نفس الوقت على السعادة ، لأن الحكمة - كما قال أرسطو - هى طريق السعادة ، وهى أسمى الفضائل كلها لأنها عبارة عن رد فعل أمين يقوم به العقل عن عمل لا يستهدف تحقيق أية مصلحة عملية أو مادية . ولذا « فان اللذة زائلة ، والأمجاد عابرة ، والثروة عرضة للضياع ، والسمعة تتوقف على حكم الآخرين ، لكن الحكمة هى وحدها الفضيلة الباقية الكاملة التى ترقى بالوجود الانسانى » . ولعله لنفس هذه الاعتبارات قال برجسون ان الكون المادى آلة لصنع آلهة ، أى لصنع كائنات عاقلة حكيمة جديرة بمجد الخلود ، متحررة من آلام الرذيلة وأهوالها التى تصيب صاحبها كما تصيب الآخرين أيضاً بحكم ناموس مسلم بصحته من التضامن الاجتماعى .

بين تطور الانسان وتطور الحيوان

وهذا الفهم الفلسفى للتطور - سواء أكان فى اطار المفاهيم الثيوصوفية أم خارجها - كما يفسح للروح وللخلود ، وللتخطيط الالهى

المرسوم ، دورا واضحا فى الوجود ، فانه فى نفس الوقت لا يشجع - فى اى معنى من معانيه - احتمال عودة الانسان للتجسد فى وعى أو فى صورة حيوان أعجم ، لأن التطور يسير نحو الأمام لا نحو الخلف من جانب ، ولأن خط الانسان فى التطور مستقل عن خط الحيوان ، باستقلال الانسان عن الحيوان فى وعيه ، وفى وجدانه ، وفى حاسته الخلقية من جانب آخر .

واستقلال خط التطور عند الانسان عن خط التطور عند الحيوان لا ينفى وجود بعض نقط التقاء بينهما ، هى تلك التى سمحت للاثنين ان يوجدا فى وقت واحد على كوكب واحد ، وان يتحكم الانسان فى الحيوان ، فيتخذ من ظهره مقاما ، ومن لحمه طعاما ، بغير احتمال التداخل بينهما من ناحية الوعى ، أو الوجدان ، أو الحاسة الخلقية ، التى قد توجد عند الحيوان فى صورة باهتة جدا أحيانا ، ولكن يعوزها التقدم الموجود عند الانسان ، والذى يسير جنبا الى جنب مع تقدم الوعى الشعورى واللاشعورى فيه ، وهو تقدم مضطرد ، وان كان بطيئا بل أبطأ مما نتصور .

وليس من الصحيح ان يقال أن الانسان يختلف عن الحيوان فى أنه يملك حاسة روحية دونه . أو بالأدق ان له قدرة على الادراك خارج الحواس لا يملك الحيوان الأعجم مثلها ، فان هذا القول محض خطأ ، وهناك دراسات كثيرة على الحيوانات أثبتت أن بعضها قد يملك بعض قدرات روحية متنوعة ، مثل الجلاء البصرى ، ومثل استشعار الأمور المستقبلة أو الحاضرة ...

وبعض هذه القدرات قد يكون وصف الالهام وصفا مناسبا له ، وأوضح امثلة لها هى فى الهامات النملة ، والنحلة ، والعصفور والسمكة ....

* * *

ولا اريد أن أتعرض هنا للمشكلة الخطيرة التى لم يحسمها العلم بعد ، وهى من أين بدأ تطور الانسان ؟ ولكن هناك نقطة ليست محل نزاع ، وهى أنه اذا كان تطور الانسان قد بدأ جدلا من أصل حيوانى يشبه الغول أو الشمبانزى ، فان الانسان ولا ريب قد قطع صلته تماما بهذا الأصل الحيوانى منذ عشرات الآلاف من الأعوام التى قد تبلغ المائة ألف عام أو اقل أو اكثر ، بغير دخول فى التفصيلات الخارجة عن دائرة البحث .

وتطور الحياة نحو الأمام — على المدى البعيد — هو جوهر ناموس التطور الذى ينكر بتاتا احتمال تطورها للخلف . وهذا الجوهر لا يتعارض مع احتمال عودة الانسان للتجسد فى صورة انسان جديد . وربما اكثر خبرة ونضجا مما كان ، لكنه يتعارض تماما مع احتمال عودته — وقد وصل بالفعل الى مرتبة الانسان بكفاح مائة الف عام أو نحو ذلك — الى صورة حيوان يعوزه العقل ، كما يعوزه التطور بمقدار هذه الحقبة الطويلة نفسها . وذلك حتى اذا صح أن تطور الانسان بدأ من أصل حيوانى على نحو ما .

وهذا القول لا ينفى أن غرائز الحيوان قد تظل رابضة فى وعى الانسان ، وقد تكشف عن نفسها بمناح شتى للسلوك الاجرامى على ما لاحظه سيزار لومبروز — وغيره — بالنسبة لطائفة « الجناة بالفطرة » التى قد تمثل ارتدادا atavisme بالانسان الى أصله الحيوانى أو لا تمثل . لكن مقومات الانسان ، وأخصها القدرة على استخدام الاستدلال المنطقى ، تكون أيضا لا تزال متوافرة فى هذه الطائفة المرتدة من الجناة وأقوى ظهورا فيهم من غرائز الحيوان الرابضة فيهم ، والتى قد تنشط تحت تأثير ذبول الحاسة الخلقية أو اختفائها ، لا تحت تأثير ذبول العقل أو اختفائه .

وهذا هو ما يلاحظ أيضا عند طائفة المجرمين المصابين بالجنون الخلقى أو بالتخلف الروحى Psychopathes (أصحاب الشخصية السيكوباتية) حيث تعوزهم — هم أيضا — الحاسة الخلقية ، ولو فى أضعف صورها ، فتبدو تصرفاتهم محض حيوانية وكأنها من تراث ذلك الماضى السحيق الذى مر به الانسان عندما كان يتسلق الأشجار على أربعة أرجل (١) .

* * *

ويلاحظ الفرد راسل والاس A. R. Wallace وهو الذى أعلن نظرية التطور فى سنة ١٨٥٨ قبل داروين (٢) أن تطور الانسان فى تكوينه العقلى أبرز مما هو فى تكوينه الخارجى . فالانسان يختلف عن الحيوان

---

(١) للمزيد راجع مؤلفنا فى « مبادىء علم الاجرام » طبعة ثالثة ١٩٧٤ ص ٥٠ — ٥٢ عن « الجناة بالفطرة » وص ٣١٠ — ٣١٩ عن « الجنون الخلقى » .

(٢) راجع ما ورد عن والاس فى « المفصل » الجزء الاول ص ٢٨٥ — ٢٧٨ ؛ وفى الجزء الثانى ص ٤٩ — ٥٢ .

من ناحية أنه عرضة لكى يتحمل تغــرات ضــخمة فى ظروف العيش وفى البيئة بغير أن تحدث تغرات مقابلة ملحوظة فى بنيانه وفى شكله .

وهو يواجه تغــيرات البيئة بأن يغير أساليبه فى الملبس ، والاقامة ، والدفاع ، والأجهزة التى يحوزها ... ورأس الانسان ووجهه يتناسبان مباشرة مع جهاز الذكاء الذى هو المترجم عن الانســان ، والمعبر عن أرق الحركات فى طبيعته . وأى تغيير حقيقى انما يجىء من جانب تغيير العقل ، وذلك منذ العصر الذى لم يكن فيه الانسان يحوز مخا متقدما على هــذا النحو الرائع ، هذا المخ الذى هو أداة الروح ، والذى هو حاليا ــ حتى فى أحط أنواع الانسان ــ يسمو كثيرا فوق أرقى الحيوانات ، وذلك منــذ العصر الذى كان يملك فيه الانسان الشكل ، ولكنه لا يملك الا بتــعوبة طبيعة الانسان ، ولم يكن يملك أيضاً لغــة الانسان ، ولا مشاعره العاطفية والأخلاقية . ولكن لابد أن الانسان كان ينتمى فى المــاضى الى ســلالة متناسقة ، انتماء أدى الى اختفاء الشعر الذى كان يغطى جسمه اختفاء شــبه تام .

وعلى أية حال فلا يوجد حتى الآن أى مبرر حقيقى للاعتقاد بأن خط التطور مشترك ومتداخل بين الانسان والحيوان ، أو بأن من الجــائز أن يعود الانسان المنتقل الى التجسد فى صــورة حيوان أعجم ، وذلك بالاضافة الى انتفاء كل دليــل يؤيد هذا الاعتقاد الذائع فى الهند وفى الشرق الأقصى بوجه عام ، والذى لا يلقى بدوره تأييدا من آراء العلمــاء او من أقــوال الأرواح الراقية أو تعاليمها .

أما العودة الى التجسد فى صورة انسانية فيكاد يكون موضع اجماع من هذه الأرواح الراقية . ومع ملاحظة أن هذا النظر ــ اذا صح ــ قــد لا ينفى الأصل البــدائى أو شبه الحيوانى لجســم الانسان ، لكنه ينفى المستقبل الحيوانى أو شــبه الحيوانى لروح الانسان مهما عظمت خطاياه وتراكمت أخطاؤه .

ونضيف الى ذلك أن بعض المؤلفين الثيوصــوفيين ــ منهم سينيت Sinett ــ يقول ان التعاليم البوذية الأصلية قد سلمت بالعودة للتجسد فى صورة انسان ، لكنها خلت تمــاما من الاشارة الى احتمال العــودة فى صورة حيوان . وأن هذا الاعتقاد الأخير دخيل على البوذية فى مفهــومها الأصــلى ، وأنه من الخرافات التى تسللت اليهــا فيما بعد ، كما تتسلل الخرافات والأساطير وتتكاثر تدريجيا فى جميع المعتقدات (١) .

---

(1) Karl Muller : Reincarnation Based on Facts 1970. p 21.

من اقوال الباحثين الروحيين

وفى هذا الشأن يقرر البحاثة الروحى المعاصر جان برير Jean Prieur فى كتاب له عنوانه « شهود غير المنظور » (١) (١٩٧٢) « ان المراسلين الروحيين يرفضون النظرية التى بمقتضاها يمكن للروح الانسانية العاقلة الخالدة أن تزوّد بالحياة وبالتتابع أجساداً حيوانية ، ثم أجساداً آدمية » .

كما يقول روح يدعى بيير Pierre فى نفس هذا الكتاب « ومع ذلك فان الانسان مخلوق على صورة الله ، وهذا ما لا يمكن للحيوان ان يصل اليه ، رغم الخداع الذى وقع فيه أنصار تقمص الانسان لروح الحيوان . فالكلب مثلا وهو أكثر الحيوانات قابلية للانفعالات العاطفية التى يشعر بها فى روحه الحساسة ، لكنها مع ذلك بدائية يظل مع ذلك حيوانا حتى فى حياته العليا التى يلج اليها بعد الموت » .

واذا كان تقمص أرواح الحيوانات نظرية زائفة فان ذلك لا ينفى أن من واجبات الانسان أن يشجع تطور الحيوانات والارتفاع بها الى حياة اسمى من حياتها عن طريق تدريبها ، وايقاظ مواهبها الخاملة ، والعطف المتزايد عليها (٢) .

ثم ان ثبوت وجود أجساد اثيرية لجميع الكائنات الحية ، ومنها الجراد ، والضفادع ، والفئران — وقد ثبت ذلك بتجارب معملية متنوعة من بينها التقاط صور ايجابية لها باستخدام « مخدع ويلسون للتمدد » Wilson Expansion Chamber على مابينته فى مناسبة أخرى (٣) — من شأنه أن ينفى الحاجة الى عودة الوعى الانسانى للتجسد فى صورة حيوان ما لكى يزوده بالحياة ، أو للتزود عن طريق تجسده فيه باختيار مفيد فى نمو هذا الوعى ذاته .

انما الأمر الأقرب الى الاحتمال — متى ثبت افتراض العودة للتجسد بمعنى الولادة المتكررة لنفس الكائن على المستوى الترابى — أن تكون عودة الانسان فى صورة انسان ، وعودة اى حيوان فى صورة نفس الحيوان . وهنا ينبغى أن توضع فى الاعتبار عدة اعتبارات هامة وهى : —

---

(١) Les Témoins de L'invisible بمقدمة من الفيلسوف المعاصر جابريل مارسيل Gabriel Marcel عضو الاكاديمية الفرنسية .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٧ — ١٤٤ . وراجع عن دوام حياة روح الحيوان ما ورد فى « المفصل » الجزء الأول ص ٨٨٢ — ٨٨٩ .

(٣) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الأول ص ٨٨٢ — ٨٨٩ .

أولا : أن قانون التطور من الأدنى الى الأسمى يلعب دوره دائما عند كل كائن حى ، ومهما كان التطور بطيئا فلا قيمه لذلك لأن الزمن لا حدود له فى الطبيعة .

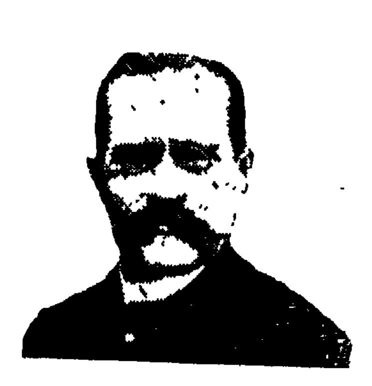
ثانيا : أن تطور الانسان يسير فى خط مستقل عن تطور الحيوان على ما لاحظه برجسون .

ثالثا : أن المسافة بين تطور الانسان والحيوان تبدو بلا حدود على ما لاحظه نفس الفيلسوف ، حتى اذا قلنا باحتمال التطور من الحيوان الى الانسان .

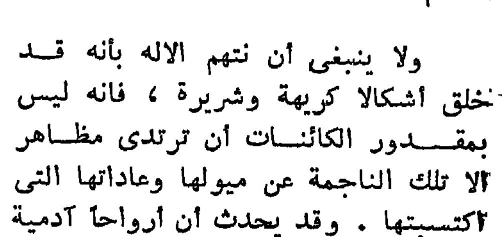
رابعا : أن وراء التطور تخطيط روحى لا يمكن تعليله بالمصادفة كما لا يمكن تعليله بظواهر الحياة المادية مثل نقص الغذاء فى الطبيعة وافتراس الأقوى جثمانياً للأضعف (١) . لأن هذا الافتراس وان كان ملازماً للتطور المادى الا أنه ليس التعليل المناسب له ، وفارق بين التعاصر الزمنى وبين العلية الطبيعية (٢) .

ويبدو أن النظريات الحديثة للتطور تسير فى هذا الاتجاه ، ولا تجد فى التعليل الداروني القديم ما يروى الغليل ، أو ما يتفق مع معطيات العلوم الأخرى .

ويقول أيضا الباحث الروحى المعروف ليون دنيز Léon Denis ان الروح بعد تطور بطىء تصل الى الحالة الانسانية ، وعندئذ تحصل على المعرفة ، ولا يمكن أن تتقهقر الى الوراء . وفى جميع الدرجات فان الأشكال التى ترتديها الروح انما تعبّر عن قيمتها الخاصة . والمكان الذى تشغله الروح فى سلسلة الكائنات ملائم دائما لحالتها من التقدم .



ليون دنيز



ولا ينبغى أن نتهم الاله بأنه قد خلق أشكالا كريهة وشريرة ، فانه ليس بمقدور الكائنات أن ترتدى مظاهر الا تلك الناجمة عن ميولها وعاداتها التى اكتسبتها . وقد يحدث أن أرواحاً آدمية

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الثانى ص ٣٥ – ٣٧ ، ٤٣ – ٥٢ وفى الجزء الثالث ص ١٠٧ – ١١٣ .

(٢) المرجع السابق . الجزء الثالث ص ٣٤٤ – ٣٥٥ .

تختار اجسادا آدمية ناقصة العقل أو عرضة للألم لكى تسيطر على شهواتها ، وتحصل على الصفات اللازمة لتطورها ؛ ولكن لا يمكن ابدا أن تمارس هذا الاختبار فى صورة كائنات دنيا حتى وان كان الكائن يقع بالضرورة تحت سيطرة الميول التى نماها فى نفسه ...

ولا يوجد بالتالى ما هو أعظم ولا أعدل ، ولا أكثر التئاما مع قانون التطور من ارتقاء الارواح الذى يحدث على مراحل تدريجية ، تكوّن فيها نفسها بنفسها ، وتتحرر تدريجيا من وطأة الغرائز ، وشطحات الأنانية لكى تستيقظ فى حياة العقل ، والحب ، والحرية . ومن العدل المطلق أن يخضع الجميع لنفس شروط التعلم ، وأن كل كائن لا يحصل على حالة عليا الا بعد الحصول على قدرات جديدة ..

وعندما تصل الروح الى الحالة الانسانية ، وتحصل على سيادتها ، ومسئوليتها الأدبية ، وتتفهم واجبها ، لا تكون بذلك قد وصلت الى نهاية تطورها ، بل بالعكس يبدأ عملها الحقيقى ، وتناديها مسئوليات جديدة . ومعارك الماضى ليست سوى تمهيد لما يدخره لها المستقبل .

فالروح تعود للميلاد فى أجساد لحمية تتتابع على هذه الكرة . وفى كل مرة تظهر الروح من جديد بأعضاء استعادت شبابها . ورسالة التقدم التى تكون قد توقفت (أو بالأدق تباطأت) بالموت تستأنف من جديد ، وتتقدم الروح أكثر فأكثر .

وكسائحة أزلية فانه على الروح أن تصعد من مستوى الى مستوى نحو مزيد من الخير ، ونحو العقل غير المحدود ، وتكتسب مزايا جديدة ، وتنمو فى العلم ، وفى الحكمة ، وفى الفضيلة ، وفى الحب . وكل وجود أرضى ليس سوى حادثة فى حياتها الخالدة . ولا يمكن لاية روح فى هذه الفسحة القصيرة من حياتها الأرضية أن تحرر من عيوبها ، واخطائها ، وشهواتها السفلى التى هى بقايا من حيوانها المنقضية ، بقدر ما هى شواهد تنبىء عن أصلها القديم .

وعندما نقيس الأزمنة التى كان على الانسانية ان تجتازها منذ ظهورها على الأرض حتى تصل الى حالة الحضارة ، فاننا نقدر أنه لتحقيق أهدافها ، وللصعود من ضوء الى ضوء نحو المطلق والمقدس ، كان يلزم للروح أزمنة بلا حدود ، وحيوات لا تتوقف عن طريق الميلاد المتجدد » (١) .

---

(١) عن ليون دنيز Après La Mort p. 163 - 165

وهذه الاعتبارات مجتمعة تتعارض تماما مع القول باحتمال عودة الانسان الى الوراء فى خط التطور الذى مضت عليه حقب سحيقة تتجاوز قدرتنا على التقدير أو القياس ، وبالتالى فلا نتصور أبدا الغاء كل هذا المجهود المتواصل بالتجسد فى صورة دابة من الدواب العجماء البكماء ، مهما كانت جسامة الشرور والأخطاء . وفى آلام التجسد الأرضى ما قد يفوق كل تصور ، وما قد يصلح لمواجهة أى داء عياء فى العقل والأخلاق ، بسبب مرونة الانسان وقابليته للتكيف وللتربية عن طريق الألم المربر اذا أحاق بذلك الشعلة القدسية الخالدة فيه ألا وهى الروح .

المبحث الثالث

عن التطور من اللاشعور الى الشعور
(بحسب جوستاف جيلى)

بعد أن قدمت فى المبحث السابق بعض الجوانب العامة فى نظرية التطور بمقدار اتصالها بموضوع العودة للتجسد يجمل أن أتناول فى المبحث الحالى طائفة من آراء الدكتور جوستاف جيلى Gustave Geley مدير « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس وهو مؤسسة معترف رسمياً بأنها ذات نفع عام منذ سنة ١٩١٩ .

والأمر الذى يدفعنى الى ذلك هو أن صاحب هذه الآراء له خبرة خاصة فى بحوث الظواهر الوساطية تمكنه من الحديث فى هذه الموضوعات حديث خبير متمكن من عناصرها العديدة التى تحتاج الماماً خاصاً بأمور كثيرة ، والتى لم يعد يجدى الارتجال فى معالجتها مهما كانت قدرة الكاتب المرتجل وعلو مكانته كمفكر أو كفيلسوف نظرى .

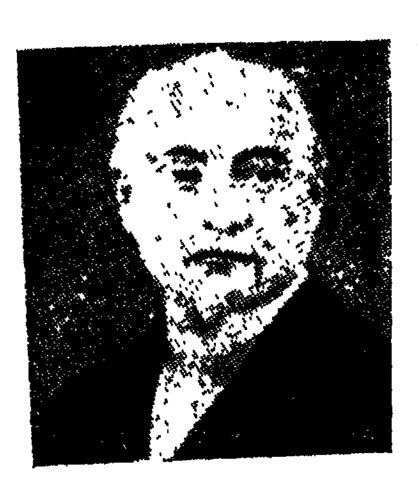
ويبرز هذا الاتجاه عنده تحقيقاته الدقيقة فى الظواهر الوساطية ، وبوجه خاص فى ظواهر التجسدات التامة والجزئية التى جرت داخل « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس واشترك معه فيها عدد من أبرز العلماء منهم شارل ريشيه Ch Richet عضو أكاديميتى الطب والعلوم بباريس (جائزة نوبل فى الفسيولوجيا) ، ودى جرامون de Gramont (من أكاديمية العلوم) ، والكونت ج . بوتوكى J Potocki .

وقد تمت كلها بأسلوب مدقق وحذر تماما فى تسجيل المقدمات واستخلاص النتائج ، وكلها متراكمة فى خطورتها بمقدار ما هى جديدة على الأذهان سواء [illegible] . وقد حاضر عنها العلامة جيلى ذاته فى «الكوليج

— ٢٨٠ —

دى فرانس » Collège de France وهو ارقى معهد هناك ومخصص لمناقشة القضايا العلمية الخطيرة بمعرفة جهابذة العلم والفلسفة . من ذوى السمعة العالمية .

فنحن لسنا هنا بالمرة فى اطار الفلسفة النظرية ، بل الفلسفة الوضعية بمفهومها الدقيق ، ولايحسن الحديث فى موضوعات التطور والشعور واللاشعور سوى عالم مدقق وضعى فى مثل مكانة جيلى الذى ينظر اليه الكثيرون بوصفه من أبرز رواد هذا النوع من البحث العلمى ، ومن أبعدهم صيتا ، وأعمقهم تفكيرا فى العالم اجمع (١) .



جوستاف جيلى

ونظرا للترابط الشديد بين آرائه فضلت أن أضمها معاً فى المبحث الحالى بدلا من توزيعها بين موضوعات أخرى متعددة ، رغم أنها قد تكون وثيقة اتصال ببعضها ، حرصا على عدم فصم الترابط او التكامل الواضح الذى يربط بين بعض أجزائها والبعض الآخر .

وقد عرض جيلى نظريته فى هذه الموضوعات فى مؤلف قيم عنوانه « من اللاشعور الى الشعور » (٢) (١٩١٩) أنصح كل دارس لهذه الموضوعات بالعناية به ، وعنه ألخص الآراء الآتية :

عن التمييز بين صورتين من الارادة

وهو ابتداءً يطالب بوضع تمييز واضح بين الارادة اللاشعورية ، وبين مقابلها فى الشعور ، لأن كل ما هو راقٍ حقيقة ورفيع فى الانسان — وهو جوهره الخالد L'essence eternelle — مثل العبقرية ، والالهام ، وقدرة الابداع ، موضوعى ، أى ينتمى الى الارادة اللاشعورية .

---

(١) راجع ما ورد عنه فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٦٤ — ٤٦٧ ، ٥٧٤—٥٨٥ . وما ورد عن التقاط صورة روحية له داخل « الكلية البريطانية للعلم الروحى » فى الجزء الثانى ص ١٣٨ — ١٤٠ .

(٢) De L'inconscient Au Conscient.

وان دائرة الوعى التى يصنعهـا تجسيد objectivation خصائص الارادة لا تنبع الا من حيوية أو من روحية المخ psychisme cérébral ومن ثم فان الشـعور مرتبط عند الحيوانات العليـا والانسـان بموطنه العضوى (اى المخ) فهو يولد ويختفى به ، ويؤدى الموت الى افنائه . وعلى العكس من ذلك أن ما يمثل جوهر الكائن ، وهو الارادة ، لا يمسه سوء .

فاذا كنا بالموت نفقد الوعى ، فاننا نتحول ببساطة عن طريق الموت الى حالتنا الأولى المجردة من المعرفة لكنها ليست حالة لاشعورية بصفة مطلقـة . وهى حالة فى شكلهـا ذلك تكون بلا ريب أسمى من سابقتها اذ يختفى فيهـا التعـارض بين « الشخص » و « الموضوع » . واذا كان شوبنهور يقول ان الموت يعلن عن نفسه بوصفه فناء الفرد ، لكن فى هذا الفرد تكمن نواة لكائن جديد .

ومن ثم فان ما يفنى هنا لا يفنى نهائياً ، وما يولد هنـاك لا يتلقى وجوداً جديداً فى أساسه . وما يموت يفنى ، لكن تبقى منه نواة ، تخرج منها حياة جديدة ، تدخل الآن فى الوجود دون أن تعرف من أين جاءت ، ولا لمـاذا اصبحت هكذا .

كما ينقل جيلى عن شوبنهور قوله أنه يمكن بالتالى النظر الى كل كائن انسانى من وجهتى نظـر متعارضتين : الوجهـة الأولى أنه فرد يبدأ فى الزمان وينتهى فيه ، مارا بطريقة عابرة ... والأخرى أنه كائن أصيل غير قابل للفناء يتجسد فى كل كائن موجود .

ولاريب أن كائناً كهذا يمكنه أن ينجز شيئاً أفضل من مجرد الظهور فى دنيا مثل دنيانا ، تمثل عالمـاً محدداً للألم وللموت ، كلما هو موجود فيه ، وكل ما يخرج عنه ينبغى أن ينتهى ويموت . ولكن ما لا يخـرج فيه ، وما لا يريد الخروج فيه يخترقه بكل قدرة البرق الذى يبرق عالياً بغير أن يعرف فيما بعد زمناً ولا موتاً (١) .

ومن ثم فان الوعى الفردى ، وكذلك الكون ، ليس له وجود ذاتى وحقيقى . انه وظيفة مؤقتة للارادة ، ويولد من ارادة الحياة . ولذا فان ارادة الحياة تكون بمثابة خداع ضار للارادة .

---

(١) يحيل المؤلف القارىء الى كتاب « الاعتقاد » La Religion للفيلسوف الالمـانى المتشاءم آرثر شوبنهور ، أما فلسفة جيلى فمؤسسة على العكس من ذلك على التفاؤل بمستقبل الانسان على ما سرد فيما بعد .

عن ماهية ((الأنا))

ثم يتساءل جيلى قائلاً هل « الانا » تمثل — كما يقول علم النفس التقليدى قمة حالات الوعى ، أم انه يمكن فصلها ، وتصورها مستقلة عن تلك الحالات ؟ ويجيب بأن الجواب لم يعد محل شك وهو أن « الأنا » لاينبغى أن تختلط بحالات الوعى ، ولكن لتفهم ذلك يلزم بذل بعض الجهد.

فنحن نتقبل بلا صعوبة تذكر أن « الانا » لا تتحدد بالجسد المادى، كما أنها لا تتحدد بحالات العقل ، وهو ما يحتاج الى مزيد من الصعوبة . لأن الانسان بمقدوره أن يميز ذاته عن حالاته العقلية بصعوبة اكثر مما يميزها عن كيانه العضوى .. انه ينبغى تحوير العادات العقلية الراسخة ، والاستعانة بكل صرامة المنطق للذهاب الى أبعد من قاعدة ديكارت « انني أفكر فأنا موجود » لكى نتقبل قاعدة « انني موجود حتى خارج أفكارى . انها تمثل حالتى ، لكن الأمور التى اتمثلها بعقلى representations mentales كلها ليست هى « الأنا » .

واذا استندنا الى الوقائع فلا يوجد شيء محقق أكثر من هذه القاعدة الاخيرة ، والمنطق فيها محدد : وهو انه اذا كانت « الأنا » عبارة عن مجموع حالات من الشعور (أو الوعى) ، فانه يتعذر أن نفهم كيف أن حالات الشعور تلك حتى اذا كانت سليمة لم تمس فان « الأنا » — وهى تركيب من هذه الحالات يمكنها أن تفقد الاحساس بانها متحدة معها ، وبالتالى تفقد القدرة على السيطرة على تركيبها الروحى . وهذا هو أخطر ما تملكه « الأنا » ؟

وانها لحقيقة أولية وهى ان تكامل حالات الشعور يوجد فى نفس الوقت مع اختفاء الوحدة التركيبية unité synthétique (اى الأنا) والتوجيه المركزى (أى عن طريق المخ) . وان تناقص انصراف « الأنا » أو اختفاءه هو اساس علم النفس الشاذ ، ومن المسلم به ان كل حالات الشذوذ النفسى توجد فى وقت واحد مع بقاء المراكز العصبية سليمة من الناحية التشريحية — الفسيولوجية ... اذا « فالانا » متميزة عن حالات الشعور التى تعبر عنها . والظاهرة النموذجية من وجهة النظر التى نستند اليها هى حالات طروء تحويرات فى الشخصية .

وبالتالى فان جوهر « الأنا » لا يمكن ان يختلط بحالات الشعور الخاضعة لها ، والثانوية فيها . وفيما يتعلق بالعقل — كما هى الحال فيما يتعلق بالجهاز العضوى — ينبغى التمييز بين الجوهر الدائم . وبين تمثلاته الوقتية . وحالات الوعى ليست سوى « تمثلات الأنا » . وهى

شطر متفرد من « الحركة الروحية الكونية » dynamo - psychisme universel لا ينبغى أن تختلط بما تتمثله من أمور .

بالاضافة الى ذلك فان الوقائع تبين أنه توجد فى « الأنا » ملكات تتجاوز حدود حالات الشعور ، وتسيطر على كل ما يتمثله العقل من امور . فالالهام والعبقرية المبتدعة يتجاوزان بكثير اطار الملكات العقلية . ولا يوجد فى الالهام وفى العبقرية شىء مما يميز تسلسل المنطق ، فهما ملكتان أسمى من المنطق ، نابعتان — كما هو واضح — من الجوهر المقدس « للأنا » .

ومن باب أولى الملكات الروحية فوق المألوفة ، وخصوصاً ملكة الاستشفاف ، فانها مستقلة عن الأعضاء وغير مرتبطة بالادراك أو بالعاقلة. ولذا أقول مرة أخرى ان « الأنا » ، أى « الأنا الجوهرية » أو « الانا الحقيقية » متميزة عن حالات الشعور ، وعن تنابع موكب ما تتمثله بصفة مؤقتة من أمور .

وليكن الأمر كذلك ، اذآ ماذا نعنى بالضبط بعبارة « الأنا الحقيقية » المتميزة عما تتمثله من أمور عقلية ؟ هل هى الجوهر المبتدع ، والارادة ، واللاشعور ، والديناميكية الروحية الأساسية ؟ ... ان الاسم لاقيمة له ، لكن ينبغى أن نعتبر « الأنا » شطراً من الديناميكية الروحية الأساسية يحتفظ بالفردية ، وبالذاكرة ، وبالاحساس بالذات حتى خارج التمثلات العقلية التى تمر بها .

عن دورات النمو فى مجرى الحياة

ولا تضيع أية ذكرى ، ولا أى اختبار نفسى أو جوهرى . ان الأعضاء تلحقها تطورات واسعة خلال مجرى الحياة ، وبلا ريب تجدد نفسها جزيئاً بعد جزىء . وحالات الشعور تتتابع بتغير بعضها عن البعض الآخر تغيرا كبيرا أو يسيرا . وان الحياة مصنوعة فى حقيقتها من سلسلة حيوات : حياة الطفولة الأولى ، ثم حياة الطفولة ، فالمراهقة ، فالرشد ، فالشيخوخة ، وكل حياة منها متميزة عن الأخرى رغم أنه يجمع بينها أساس مشترك .

وهذه الحيوات تنأى الى مدى أو الى آخر بما يبدو أنه نسيان نهائى لما مضى ، وكل نسيان منها يكون الكائن بمثابة موت صغير . ولكن خلال تجدد الجزيئات العضوية ، وحالات الشعور ، يظل قائما كائن روحى سام وعميق قام بتسجيل كل حالات الشعور هذه ، وهو يحتفظ بها بطريقة غير قابلة للمحو فهى اذا [illegible] حالات دائمة ، حتى وان ظلت خامدة فى جوانبها الأكبر .

ومع ذلك فهذا ليس كل شيء ، فان الروح اللاشعورية التى تثرى بهذه الطريقة فى مجرى حياتها من كل حالات الشعور المتجددة لا تكتفى بتسجيلها ، بل تقوم بهضمها أيضاً . فان جميع ما تحصل عليه من معرفة واعية تهضمه ، ثم تحوله الى ملكات . وهــذا أمر واضح خلال مجــرى الوجود حيث نجد أن الكائن ينمو ، ويحصل على ملكات جديدة أو اكثر وضوحاً من الاحساس ، والادراك ، والمعرفة .

وهــذا النمو النفسى لا يمكن الا أن يكون ثمرة تحول المعارف الى ملكات . وهذا التحول لا شعورى ، وهو لا يجرى فى جزيئات المخ غــير المستقرة والفانية ، بل يحتاج الى كيان دائم وعميق فى الشــطر الدائم والجوهرى من الكائن ، أى فى كيانه الديناميكى ـ الروحى ـ الباطن (١) .

وهكذا يكون التغــير المستمر للشخصية الواعية ليس بذى قيمــة تذكر ، لأن الفردية الباطنة الدائمة تحتفظ بالذاكرة غير القابلة للمحو عن جميع حالات الوعى التى مرت بها .

علاقة ذلك « بالعودة للتجسد »

ثم ينتقل جيلى الى أهم نقطة تعنينا هنا مباشرة فيقول اننا اذا كنا لا نجد فى مجــرى وجــودنا الراهن سوى مصدر شطر فحسب من كنز اللاشعور ، فانه يكون من حقنا أن نبحث عما يكمل هذا المصدر فى اختبارات سابقة ، وأن نرجع الى ما وراء الوجود الراهن لتفسير اللاشعور .

ولا ريب أن هذا الاستنتاج خطير ، ويبدو لعديد من القراء كما لو كان لأول هلة غير متناسب مع الوقائع التى يستند اليها ، بل خارقاً للعقل . لكن لا ينبغى أن ينظر اليه على حدة ، بل مرتبطاً بمجموع الأدلة الأخرى ، وعندئذ يكتسب قــوة جــديدة . وليس من الصعب أن نتفهم كيف أن « الديناميكية الروحية الجوهرية » عندما تتجســد فى تمثلات عضــوية جديدة (أى فى أجســاد جديدة قادرة على تمثل الأمور) تحتفظ لنفسها بالذاكرة العميقة عن الاختبارات التى حققتها فى تمثلاتها السابقة .

فبدلاً من الحديث عن وجــود واحد ، اذا تمثل الانسان وجــود سلسلة من الوجودات المتتابعة ، فانه يتفهم مباشرة كيف أمكن للانسان الحصول على الشعور بادئاً من اللاشعور الفطرى . فان كل وجود منهــا ـ وهى وجودات لا حصر لها ومتنوعة ـ قد أحدث حفراً فى الديناميكية

---

(١) راجع ما ورد عن الذاكرة فى المفصل » الجزء الأول ص ٨٥٠ ، والجزء الثانى ص ٩٤ ـ ١٠٧ والاشارة هنا الى الجسد الأثيرى .

الجـوهرية للكائن ، وترجم عن نفســه بحالة من الوعى : اى بذكرى ، وبملكة . وهكذا يتحول الكائن تدريجياً من اللاشعور الى الشعور .

وهـذا الاسـتنتاج لا يتعثر بأى اعتراض علمى ، ومن العبث ان يجاهد الانسان فى العثور على اعتراض واحـد عليه فى كتلة معارفنا . أما فيما يتعلق بنسيان الوجودات السابقة ، فانه ليست له أية قيمة بالنسبة للعلم المعاصر ، لأن الذاكرة لا تلعب الا دوراً ثانوياً فى علم النفس الحديث ، أما النسيان فهو يحدث دائماً وفى كل مكان .

ان الشـطر الأكبر من الذكريات يتلاشى خـلال الوجود . وذاكرة الانسان ، وأعنى بها ذاكرة المخ ، قابلة للمحو ، وهى غير وفية ، وعاجزة ، وكثيراً ما تخوننا فى الحياة اليومية والعادية . وهى كذلك من باب أولى فى الحالات الشاذة ، كالحالات الثانوية états séconds التى تحدث تلقائياً ، أو تلك التى تحدث فى الغيبوبة المغناطيسية أو الوساطية .

ولكن فوق هذه الذاكرة المخية ، الجزئية ، الزائلة ، توجد الذاكرة اللاشعورية ، اى الذاكرة الفردية الحقيقية الكلية ، غير القابلة للزوال ، ولا للتدمير ، شأنها فى ذلك شأن الفـردية نفسها . ففى هـذه الذاكـرة الأساسية تظل محفورة للأبد جميع أحداث الحيـاة الحاضرة ، وجميـع الذكريات ، وجميع المكاسب الواعية التى تم الحصـول عليها عن طـريق السلسلة العظمى للحيوات السابقة .

وهكذا يتأتى لنـا أن نتفهم تماما التطور الفردى ، وأن نحل جميـع المشكلات الطبيعية والفلسفية المتعلقة بالفـرد . ولا ريب أنه من وجهـة نظر « ما وراء الطبيعة » فان فكرتنا تجد مكاناً متسعا لها ، لكن من وجهة نظر علم النفس فانها لا تترك لغـزا بغير حل له (١) .

عن مستقبل الانسان

وبعد أن يعالج جيلى ما يراه فى شأن تطور الانسان فى ماضيه وحاضره يحاول أن يتوقع ماهية مصير الانسان مستندا الى استنتاج رئيسى ، وهو أن اندماج الشعور فى اللاشعور سيؤدى الى اضاءة جوانب هذا الأخير شيئاً فشيئاً ، وسـيأتى وقت لا يعـد فيه شىء ملغـز أو غامض عن اللاشعور .

وعندما يصل الانسان الى ما نطلق عليه « قمـة التطور » بمقـدار ما يمكننا أن نتصور هـذه القمـة ، فان الانفصال الظـاهر ، أو الحاجز

(١) المرجع السابق ص ٢٢٥ — ٢٢٨ ، ٢٣٢ — ٢٣٥ .

الوقتى بين الشعور واللاشعور سيختفى . وكل ما نخزن الكائن مثل الملكات والمعارف ، وكل ما حازه خلال ماضيه الهائل من خبرات يصبح فى متناول يده ، كلية ، ومباشرة ، وبانتظام ، وبصورة طبيعية . حتى الملكات فوق المألوفة ستكون رهن اشارة ارادته الواعية .

اى أن الكائن « اللاشاعر » سيختفى ولا يتبقى من بعد سوى الكائن الشاعر . أما جوهره الميتافيزيقى فسيظل على حاله ، لكنه سيكون قد حصل على معرفة نفسه ومعرفة ما يحيط به . وعند ذاك ، وعند ذاك فقط ستستحق الديناميكية الروحية أن تحمل اسم الارادة .

واذا كنا لا نخشى ان نذهب فى متاهات أكثر مما ينبغى من الميتافيزيقيا ، فان بمقدورنا أن نسمح لأنفسنا باستنتاج آخر ، وهو استنتاج ينبغى أن نقنع بتدوينه بحذر وتحفظ . وهو أن الاتساع غير المحدود لوعى الكائن ينبغى أن يكون من عواقبه أن يؤدى الى تفجير الحواجز الوهمية والانتقالية التى يصنعها اتخاذ الكائن صيغة الفرد L'individualisation . وبعبارة اخرى انه يؤدى الى عودة الكائن الى الوحدة الأصلية التى خرج منها . ولكن هذه الوحدة ، التى هى تركيب من كل صور الوعى ، ستضم هذا الانسان مع الحفاظ عليه بوصفه فى جوهره كائنا خالدا لا يقبل المحو ... وهكذا فان قمة التطور يمكن تصورها كما لو كانت نيرفانا واعية (١) .

عن تحقيق سيادة الوعى

ثم ينتقل جيلى الى الحديث عن تحقيق سيادة الوعى واضعا نصب عينه وجود ثلاث معطيات رئيسية وهى : —

أولا — أن كل ما هو أساسى فى الكون ازلى ولا يمكن تدميره ، وهو دائم خلال مظاهر انتقالية للأشياء .

ثانيا — أن كل ما هو أساسى فى الكون يمر بالتطور من اللاشعور الى الشعور .

ثالثا — أن الوعى الفردى يكوّن جزءا لا ينفصم مما هو أساسى فى الكون . وأنه يتطور من اللاشعور الى الشعور بطريقة ابدية ، وانه بذاته لا يقبل الفناء .

ويقول أن بين هذه المعطيات الثلاث الرئيسية فى فلسفته : الأولى منها تلاقى موافقة اجماعية ، أو هى بالأقل تقع فى الأساس من كل الانظمة

---

(١) عن المرجع السابق ص ٢٤٩ — ٢٥٠ .

الفلسفية العظمى فى جميع العصور ، فاذا رفضناها فمعنى ذلك اعلان افلاس الفلسفة افلاسا تاما . ومع ذلك فهذه المعطاة الأولى ليست فحسب وجهة نظر روحية أو عبقرية ، بل هى بديهية أولية ترتكز على أساس وضعى وطيد .

فالالهام ، والتعقل ، والوقائع كلها على اتفاق فى أن تكشف لنا عن وجود ديناميكية روحية مزودة وحدها بالوحدة وبالدوام ، أى أن لها وحدها وجود حقيقى ، ويمكن أن نكتشفها خلال التمثلات التى لا تحصى، والتى تبدو لنا محسوسة ، ومؤقتة ، ومرتبطة بالمكان ، فهى بالتالى محض خداع شأنها شأن الزمان والمكان (١) .

اما المعطاة الثانية ، فانها وان كانت تفتح الباب للنقاش ، الا أن جميع الاعتبارات الخاصة بالتطور تفرضها علينا . فان المرور من اللاشعور الى الشعور هو اقل الأشياء التى يمكن انكارها فى التطور . ذلك أن تطور الأنواع والكائنات يتضمن حدوث محاولات ، وأخطاء ، وتوقفات ، بل وتراجعات ، لكن التطور الواعى فى مجموعه لا ينقطع .

فالوعى العام يتزايد بانتقال التطور من طور الأسماك ، الى طور الزواحف ، ثم الى طور الثدييات ، ثم الى طور الانسان . وعند المقارنة بين الأنواع فيما بينها فلا يوجد سوى معيار واحد محقق عن التفوق التطورى وهو الوعى المكتسب . وما يصنع هذا التفوق ليس هو التركيب ، أو التكامل العضوى ، ولا هو القوة الجثمانية ، ولا هو الموائمة مع وظيفة ممتازة أو أخرى كالقدرة على الطيران مثلا ، بل هو فحسب مدى الوعى المكتسب .

فالتطور هو فى الحقيقة الشعور بالحالة الحقيقية ، وبحالة البيئة المحيطة بنا ، وبالروابط القائمة بين الكائن الحى والوسط الذى يعيش فيه ، وبين الوسط الخاص والوسط العام . وتطور الفنون والعلوم ، وتحسين السبل التى فى أيدينا لانقاذنا من الآلام أو لاشباع حاجياتنا امور لا تمثل بذاتها أهداف التطور . بل هى نتائج لتحقيق الهدف الأساسى وهو اكتساب الوعى اكتسابا متزايدا بالتدريج . وكل تقدم عام مشروط بالتزايد المسبَّق لدائرة الوعى ...

واذا كانت المعطاتان الأولى والثانية من فلسفتنا لا تقبلان المناقشة، وعادة لا يناقشهما أحد ، فان المعطاة الثالثة ليست كذلك ، فان دوام الوعى الفردى وتطوره غير المحدود ينكرهما غالبية الفلاسفة حتى أولئك الذين نادوا بما اقتنعنا به عن الفكرة العامة عن الأمور .

---

(١) راجع « المفصل » الجزء الثانى ص ٢٢٨ — ٢٣١ ، ٣٤٥ — ٣٧٠ .



آرثر شوبنهور

ومن ذلك أن أفيرهوز Averroes وشـــوبنهـــور Schopenhouer يتفقان فى هـــذا الشـــأن مع المـادبين المعاصرين اذ أن الوعى الشخصى بالنسبة لهما وظيفة من وظائف المـخ ، تظهـــر بظهوره وتختفى باختفائه ... أما نحن فعلى العكس من ذلك ننادى بأن الوعى الفردى يمثل جـزءا لا يتجـزأ مما هو أساسى ودائم فى الكائن (أى الروح) . وانه كان موجودا من قبل ، وانه سيوجد مستقلا عن تطور أعضائه المتتابعة ، وعن جميع ما مـــر به من تجســـدات ومن تمثلات ، محتفظاً بالذكـرى الكاملة لكل تمثـلاته ، وانه ســينمو شـيئاً فشــيئاً عن طـريق جميع الاختبارات التى مر بهـا .

ومما لا ريب فيه أن دوام الوعى الفردى مناقض للظـواهر . لأن الشـــطر الأكبر لمـا اكتسبه يظـــل خلال فترة وجـــوده الأرضى فى اللاشـــعور ، وخامدا . ولذا فليس من المستغرب أن يبدو هـــذا الدوام لجمهور الدهماء كما لو كان أمراً خارقاً للعقـــل اللهم الا اذا كان هـــذا الدوام لديه مجرد بنـــد من بنود الايمان . ولكن مما يؤسف له ــ على العكس من ذلك ــ ومما يسبب الذهول أن يوجد فيلسوف عبقرى مثـل شوبنهور يشاطر الدهماء رأيهم بغير أن يناقشه .

ان دوام الوعى الفردى أمر تؤيده الميتافيزيقيا ، كما يؤيده العلم ، ومن الطبيعى أن تكون الأدلة العلمية المؤسسة على الاحاطة بالوقائع كانت مجهولة فى وقت شـــوبنهور ولذا فات أمرها عليه . ولكن من الصعب أن نفهم غشاوته عن الاثبات الميتافيزيقى ، أو تحيزه ضد هذا الاثبات(١) .

وظيفة النسيان

ثم يعالج جيلى مشكلة النسيان قائلا ان نسيان المـاضى عند الولادة فيه خير للانسان ، لأن من الضرورى أن يعتقد الكائن أن نطاق تصرفاته محـدود بين الولادة والموت ، وأن يجهـل فى جانبها الاكبر ــ مكاسـبه القديمة ، وأيضا ملكاته الدفينة .

---

(١) عن المرجع السابق ص ٣٠٩ ــ ٣١٢ .

وابتداء فان رهبه الموت مرتبطة بجهل الكائن لمركزه الحقيقى ، وهى لا غنى عنها للكائن ، لأنه بدون هــذه الرهبة الآمنــة ، لايمكن للكائن أن يبذل فى حياته الراهنة كل ما تسمح به الحياة من جهد ، وبالتــالى كان سيتطلع بسهولة الى التغيير . وكل عجــز مهما كان ضــئيلا ، أو كل اضطراب عضوى مزمن سيكون فوق طاقته ، وقد يصبح الانتحار هــو العمــلة السارية بين الناس .

وجهــل الكائن لمكاسبه القديمة لا يقل لزوماً عن ذلك ، فبدونه كان سيصبح لدى الكائن ميــل لايقاوم نحو العمل الدائم فى نفس الاتجــاه القديم بسبب « قانون أقل مجهود » . وبالتالى فانه كان سيتقبل بصعوبة أى عمل جديد يتطلب منه مزيدا من الجهد . وكان سيكون مقوداً بطريقة لا تقــاوم تقريبا نحو تطــور فى اتجاه واحد لا ينتهى الا الى تخصص متضخم وضار .

وجهل الملكات فــوق المــألوفة التى قد يحوزها الكائن هو أيضــاً ضرورة مطلقة تزيد عما تقدم ، لأن الاستخدام المنظم ، العادى ، والعملى لهذه الملكات كان سيلغى الجهد تماما . والغريزة مثال يوضح لنــا تماما هذا الاعتبار . فالغريزة ليست شيئاً آخر سوى الصيغة المنحطة والبدائية للالهــام . وهى تتضمن كالالهــام قدرا من التخمين . وماذا نجــد فى نفسية الحيوان بالمقــارنة بغيره ؟ نجد أنه حيثما سادت الغريزة فقــد أوقفت التطور العقلى .

فالحشرة لها غريزة رائعــة تخضع لهــا خضوعا أعمى ، فتطورت الحشرة فى أمان تام ، لكن تطورها قادها الى طريق مغلق ، ويبدو أن كل تقــدم عقلى أصبح محظورا عليها بطريقة وضعية .

ولننظــر الى الحيــوانات الفقرية فنجــد على العكس من ذلك أن الغريزة المعصومة أفسحت المجال للتفكير غير المعصوم ، لكنه تفكير خصب لأنه يفترض الجهد ويتطلبه . ولذا فان التقدم العقلى عندها لم يتوقف وسمح بأمل كبير . وما هو صحيح بالنسبة للغــريزة صحيح من باب أولى بالنسبة للملكات الغامضة المستقلة عن قيود الزمان والمكان .

فلنفترض أن انساناً بمقــدوره أن يتصرف فى الحيــاة اليــومية بمقتضى هذه الملكات ، فيقرأ مثلا أفكار غيره من الناس ، ويرى الأشياء عن بعد . ويتمتع بالاستشفاف ، فما حاجة مثل هذا الانسان لكى يفكر ، ولكن يحسب حساب تصرفاته ، ولكى يقــدر العواقب ، ولكى يناضل ؟

فهذا الانسان قد يتجنب الخطأ ، لكنــه أيضاً سيتجنب الجهد ، وبالتالى فليس ثمــة تقــدم عقلى له . وهــذا الانسان كان ســيصبح

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كالحشرة : محض آليـة رائعة . وهكذا فان التطور لو سـار فى هـذا الاتجاه فلن ينتهى الى وعى أسـمى بل الى نوع من الحركيـة النومية المفرطة فى الحساسية التى تسمح بمعرفة كل شىء بدون فهم أى شىء . وهكذا فان الانسان الأسمى كان سيصبح محض آلة سامية . فمن المفيد اذاً ، بل مما لا غنى عنه أن تكون جميع الملكات الرفيعة ، شأنها شأن كل الكنز النفسانى الذى ادخره الانسان فى تطوره كائنة فى شطرها الأكبر فى اللاشـعور ، وخامدة ، فى المرحلة الراهنة من مراحل تطوره .

وصفة الخمود فيها لا تمنع هذه الملكات اللاشعورية من أن تلعب فى الوجود الأرضى دورا هاما ، بل أساسيا . فانها هى التى تكوّن المستودع النقى للكائن ، والتى تعطيه صفاته الأساسـية . ولكن مظاهرها خامدة بالقـدر الكافى الذى لا يعوق الجهد ، حتى وأن كانت نشطة بالقدر الذى يساعد الانسان ويرشده . وهنا يوجد توازن رائع ، رغم انه نادرا ما يكون توازناً كاملا : فغالبية الكائنات تجهـل هـذه الملكات أكثر مما ينبغى لأنهـا لديها فى حالة سـبات . وثمة كائنات أخرى تعرف هـذه الملكات أكثر مما ينبغى فتتألم من ادراك عجزها عن تحقيق تطلعاتها الأسـمى من غيرها ، ولكن هذا الألم ضريبة العبقرية .

وجهل المـاضى مثل جهل الحاضر فيه خير بدوره . فالكائن الذى بلغ الذروة فى التطـور هو الذى يمكنـه بلا متاعب أن يتعـرف على كل التكدس الضـخم لـما مر به من اختبارات ، ومن انفعالات وعواطف ، وجهود ومعارك ، ومباهج وآلام ، وميول وأحقـاد ، ومشاعر منحطـة أو سامية ، وتضحيات أو أعمال أنانية . وفى كلمة يمكنه أن يتعرف على كل ما كون تدريجيا شخصياته المتعددة ، وميزه ، وخصصه المرة بعـد الأخـرى .

فلو عرف الانسان العادى ذلك ـ حتى ولو فى صورة ومضة برق ـ فان هذا البرق كفيل بأن يصعقه ! فان لديه ما يكفيه من أثقـال الحاضر بكل أخطائه ومشاغله . فكيف يتحمـل بالاضـافة الى ذلك آلام الأيام المـاضية ، وما ارتكبه من حماقات ومن تصرفات وضيعة ، ومن شهوات حيوانية كانت تدفعه ، ومن الملل الذى يتجاوز كل قياس عنـدما كان فى حيواته البدائية . فهل التأسى على التجسدات الممتازة يعادل ذكـريات التجسدات الاجرامية ؟

والنسيان يؤدى لحسن الحظ الى تهدئة أحقاد المـاضى وأطماعه العقيمة ، ويرضى بقدر معتدل الأغلال التى تقيد أكثر مما ينبغى الكائنات بعضها بالبعض الآخر ، وتحد من تحركاتها فى نفس الميدان . فكل تذكر للمـاضى لن يترتب عليه سوى اعاقة الكائن فى جهاده الحاضر ...

وفى النهاية فان الجهل بالمستقبل أمر لا غنى عنه لأسباب اقوى مما تقدم ، وأدعى الى هدوء النفس فى الأوجه الدنيا لتطور وعيها . وتعتقد الجموع أن هذا الجهل بالمستقبل نقمة كبرى ، وفى الواقع ان الجموع العادية ، أو المنحطة متأقلمة مع ظروف الحياة الراهنة . ومتكيفة مع نزعاتها السفلى ، ورغباتها الهزيلة ، ومع متعها القصيرة ، وايضاً مع موكبها الطويل فى المآسى .

وحتى عندما تشعر باختلاجات الفن فانها لا تفلح فى أن تسمو بها الى ادراك عالم أسمى ومشاهدته . وهى تجد انه من الطبيعى جداً — لحسن الحظ — أن تحيا فى عالم للمعارك وللآلام . وبفضل جهلها فانها لا تثور عبثاً ضد ما لا يمكن درؤه . وتجد من الأمور المألوفة — بفضل عناية الله — أن ترى نشاطها يكاد يضيع برمته فى البحث عن لقمة العيش ، أو فى النضال ضد عناصر البغضاء .

وهكذا فان مشاغلها تكون من طراز منخفض وتعيش كما هى الحال فى الاطار الذى خلقت فيه ، ولا ترى بديلا آخر لجهدها الحاضر ، وليس بمقدورها أن تتحمل بديلا آخر من جهد يسمو على الانسان ، ولا حدود له .

وحتى بالنسبة للصفوة المختارة فان الجهل بحياتها المستقبلة أمر خيّر ، فانها بدون هذا الجهل كانت ستتضاعف آلامها فى حياتها الحاضرة. وكم كانت ستكون مأساتها عندما تدرك الأثر الهزيل فى المستقبل لما يبذل فى الحاضر من جهد ضخم ، وانتفاء الجدوى مستقبلاً — بحسب الظاهر — من آلام الحاضر . وعندما تدرك أية مأساة تحققت فى مجرى التطور الانسانى لغاية الآن : فالجاذبية المفرطة للجمال الأنثوى ، كالعبقرية المفرطة للمفكر ، كلاهما مرتبطان بتكوين عضوى واهن ، وبوظائف دنيا ومنفرة ، ناهيك برواسبها وبأمراضها .

وللاستسلام لكل هذا البؤس يلزم الا تكون لدى الانسان أية فكرة عن وجود عالم للنور وللحب أسمى من عالمنا ، وذلك رغم أن بعض الأشخاص من الصفوة المختارة لديهم الالهام بوجود ذلك العالم . وهذا الالهام لا يعد مع ذلك ميزة لهم بالنظر الى الموقف الراهن من تطور الانسان . وان حزن الأشخاص المتازين امتيازاً حقيقياً ليس له من سبب آخر سوى هذه الانطلاقة غير الواعية للاحساس بعالم جميل اكثر مما ينبغى ، لكنه يبدو بعيداً كما لو كان يمثل حلماً خرافياً وعابثاً ... لكنهم وهم فى مواجهة الحقيقة الملموسة لايتبقى لهم من تلك الرؤية التى تسمو عن الانسان العادى سوى تثبيط الهمة ، واحتقار الأشياء الحاضرة ، والقاء ظلال الكآبة على كل حياتهم .

وهكذا ترى أن هذا الجهل الذى يحيط بالكائن من ناحية موقفه الراهن ، وماضيه ، ومستقبله ، لا ينبغى أن يدعونا الى استخلاص نتيجة تشاؤمية ، لأن هـذا الجهل يكون جـزءاً لا يتجزأ من الآلام التى لا يمكن منعها ، لكنها لازمة ومثمرة .

الا أن الجهـل فى فلسفتنا أمر عابر بالضرورة ، ومرتبط بالأوجه الدنيا للتطور . وهو فى جانب منـه قابل للتخفيف أو للتوقف المؤقت ، فى نطاق محدود خلال نفس مجرى التطور ، وسيترك مكانه يوماً للمعرفة الكاملة والتامة .

واذا كان الاندماج فى الجسد يتضمن قيوداً فى اتجاه معين ، كما يبين من كل شىء ، وتحديداً للفردية الواعية ، فانه يبدو واضحاً أن الانفصال عن الجسد يكون مصحوباً باتساع حدود تلك الفردية . فالكائن يمكنه عند ذاك أن يتفهم مايعنيه فى النطاق الذى يسمح به وعيه المكتسب عن طريق التطور وهو ما كان يفلت منه عندما كان محكوماً بحدود المخ . وهذا هو ما يحدث جزئياً عند استخدام الملكات الوراء الروحية ، وهو ما يحدث لسبب أقوى عند الموت (١) .

تعليق

هـذه هى بعض جوانب فلسـفة جوستاف جيلى عن التطـور من اللاشعور الى الشعور ، وهى فلسفة أصيلة وتعتمد على حقـائق وضعية كثيرة وتفسر العـديد من ألغـاز الوجود التى صادفهـا جيلى فى حياته العادية ، كما صادفهـا فى بحـوثه فى الظواهر الوساطية بكافة انواعهـا الفيزيقية والعقلية داخل « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس الذى كان مديره منذ تأسيسه الى أن توفى جيلى فى حادثة سقوط طائرة فى وارسو سنة ١٩٢٥ (٢) .

وهى الى ذلك تعطينا تعليلاً يتعذر تماماً الحصول على افضل منه عن مصدر الادراك خارج الحواس ، وتحديداً يتعذر الحصول على أنسبه منه لحقيقة الصلة بين اللاشعور والشعور ، ولموضع كل منهما من تطور ملكات الانسان ، ولصلة ذلك كله بالعودة المحتملة للتجسد الأرضى مرات ومرات .

كما تساعد هـذه الفلسفة على وضع الانسان فى موضعه الصحيح من الكون بوصفه كائناً روحياً ديناميكياً لا ينتهى تطـوره نحو الأمام الى

(١) المرجع السابق ص ٣١٦ — ٣٢١ ، وراجع للمزيد ما ورد فى « المفصـل » الجزء الثانى ص ٢٩٤ — ٢٩٦ .

(٢) راجع ما ورد بهـذا الشأن فى « المفصل » الجزء الثانى ص ٣٥٧ و ٣٤٩ .

لية الغرائز بقدر ما ينتمى الى حسن استخدامه لملكاته ومواهبه العقلية ، ما قد يبذله من جهد فى سبيل تنميتها وتوسيع دائرة نشاطها ، عن طريق النضال الخلقى الحكيم . ومحور هذا كله هو اقتناعه بخلود الانسان . وباحتفاظه بشخصيته ، وبكل مكاسبه العقلية والعاطفية وهو فى طريق تطوره الهادىء من اللاشعور الى الشعور ، الى أن يكون كائنا راقيا جديراً بمكانه السامى فى الطبيعة ، ومتمتعاً بقدر وافر من السعادة لا يتاح له الآن سوى شطر ضئيل جداً من هذا القدر .

فهى فلسفة من التفاؤل العلمى بمصير الانسانية ، ومن التفاؤل الذى يتجاوز كل حدود ، ما دام تطور الانسان نحو الأفضل يتجاوز بدوره كل حدود تصورنا الراهنة . وهى بالتالى فلسفة تقع على النقيض من اية فلسفة مادية بوجه عام ، ومن أية فلسفة تشاؤمية بوجه خاص . ولذا فان جبلى جعل مناقشة فلسفة شوبنهور ودحضها يقع فى الأساس من هذه الفلسفة الروحية المتفاءلة المترابطة مع المنهج العلمى بمقدار ترابطها مع منهج البحث فيما وراء الطبيعة كما قال .

وهو يصل فى تفاؤله الى حد الاعتقاد بأن الانسان حتى عندما يتكامل فى تطوره ، وتصبح ملكاته اللاشعورية ملكات شعورية لا يتلاشى فى الوعى الكونى العام ، ولا يفقد نفسه وملكاته فيه ، بل يظل محتفظاً بمكاسبه العقلية والروحية ويظل طافياً فى هذا الوعى العام كما تطفو قطع الجليد على مياه المحيط .

وهناك نقطة فى هذه الفلسفة لا تثير الآن اى نقاش فى دوائر الباحثين، وهى أن الانسان الراهن لا يمثل تجسداً تاماً لكل عناصر وعيه ، أى لكل عناصر تكوينه الشعورى واللاشعورى ، بل انه يمثل فحسب تجسداً عارضاً لجانب يتفاوت فى مداه من هذا الوعى الذى يعمل خلال المخ ، حين يظل باقيه — الى مدى أو الى آخر — خامداً خارج اطار المخ والجهاز العصبى للانسان .

ومقتضى هذا القول — عند المقتنعين بدوام حياة الانسان بعد الموت كنتيجة تفرض نفسها فرضاً تأسيساً على بينات لا تحصى توصل اليها اسلوب التحقيق الوضعى — ان الانسان يكون بعد تخليه عن جسده الترابى بفترة تتفاوت فى مداها افضل مما كان قبل هذا التخلى ، من الناحيتين العقلية والوجدانية .

وهذا التحول نحو الافضل يجىء نتيجة زوال الحاجز القديم بين الشعور واللاشعور ، والذى كان من صنع الجسد المادى الخاضع لهيمنة المخ والجهاز العصبى ، وهما جهازان بالغا الضعف بالمقارنة بالعقل والجهاز

الأثيرى ، هذا حتى اذا صرفنا النظر عن الأمراض الجثمانية التى قد تصيب المخ والجهاز العصبى من شتى المصادر وأولها الشيخوخة ، وكل أمراض الدورة الدموية أيضاً ، بالاضافة الى الأمراض التى تصيب المخ والأعصاب بصفة مباشرة .

ولذا تجد أن الروحيين المطلعين يتحدثون كثيراً عما يسمونه « ذواتنا العظمى » greater selves التى نحصل عليها عن طريق « عملية الموت » أو بالأدق عن طريق عملية التحول عن طريق الموت اى مغادرة المعتقل الرهيب الذى يعتقل جانباً هاماً من شعورنا وبالتالى يعطل الاستخدام الكامل لحواسنا وملكاتنا الفطرية ، الا وهو الجسد المادى بكل ما يتحكم فيه من عناصر الضعف المتوارثة أو المكتسبة .

و « ذواتنا العظمى » ، أو بالأدق ذواتنا التى تسير سيراً حثيثاً وان كان بطيئاً نحو النمو والثراء فى العقل والوجدان ، عن طريق العلم الصادق والايمان النقى هى موضوع فلسفة النفس فى علم الروح الحديث ، كما هى موضوع فلسفة الروح فى علم النفس الحديث . ولا تعجب لما أقول ، فان علم الروح هو الوارث الشرعى لعلم النفس بمفهومه القديم ، وقد سلم تماماً بحقيقة هذه « الذات العظمى » حتى لقد أضحت فيه الآن بمقام البديهيات التى حاول الدكتور جيلى تأصيلها علمياً ، كما اتجه اليها آخرون كبار من قبله ومن بعده ، ومن أكثرهم اطلاعاً ، وأعمقهم مستوى .

وقد اختلف أكبر علماء النفس مثل مكدوجال ، وآدلر ، ويونج ، خلافات جوهرية عند محاولة وضع الحد الفاصل بين الشعور واللاشعور ، وبالتالى عند تعيين دور كل منهما فى سلوك الانسان واتجاهات مناشطه المختلفة .

ويبدو أن العلم لن ينجح فى هذا التحديد فى المستقبل القريب ، وذلك بالنظر لتداخل العقلين الواعى والباطن تداخلاً تاماً فى نشاطهما ناهيك بتداخل دور العقل الأسمى معهما فى اداء هذه المناشط . وان اختلاط عناصر العقل المختلفة فيما بينها هو اشبه ما يكون بماء البحيرة المتحركة التى تتداخل مياهها على الدوام : ما يوجد منها فى القاع ، مع ما يوجد منها فى السطح ، مع ما يوجد منها بين القاع والسطح ، بسبب نشاط اى عامل يؤدى الى تحريك المياه ، ومنها مثلاً حركة الهواء ، والتيارات المائية التى تجرى فيها ، ناهيك بالنشاط الملاحى فيها .

وعندما يتجمد جزء من ماء البحيرة بسبب حلول فصل الشتاء من المحال تعيين مصدر هذا الجزء المتجمد فى مائها رغم أن الجليد يطفو على

السطح ، ويكون الجزء الأكبر منه (حوالى تسعة اعشاره) تحت السطح. ولكن مصدر هذا الجليد عبارة عن مياه مختلطة ومتداخلة معاً قادمة من كل مستوى من أعماق مياه البحيرة .

وعملية تجمد جزء من ماء البحيرة قادم من أعماق متفاوتة لكى يطفو وحده على السطح هو — فى تقديرى — اشبه شىء بتجسد جزء من وعى الانسان قادم من أعماق متفاوتة من وعيه المتوارث والمكتسب ، لكى يطفو وحده على السطح العاقل فى جانبه الأكبر ، ويظل اغلبه معزولاً عن باقى ماء البحيرة الذى لم يتجمد كله ، ولكنه يظل فى نفس الوقت غارقاً فيها ، حتى يذوب هذا الجليد فيعود من جديد للاختلاط بباقى ماء البحيرة .

وعملية ذوبان الجليد يقابلها فى الانسان انفصال العقل عن المخ ، بالوفاة ، فعندئذ تعود كل عناصر هـذا العقل الى الاندماج — بعضها فى البعض الآخر من جديد — داخل اطار الشخصية الجديدة التى يصير اليها الوعى بعد الوفاة ، ويظل عليهـا . وهو مع ذلك يظل فى تفاعل دؤوب ، وعمل متواصل الى أن يحل وقت عودة جانب آخر من ماء البحيرة للتجمد جزئياً من جديد .

وكل انسان هو هذه البحيرة الصغيرة برمتها ، وليس هو مجـرد قطعـة الجليد المتجمدة — الى وقت ما — من هذه البحيرة . وكل بحيرة هى عبارة عن قطـرة ماء صغيرة فى محيط لا يعرف العـلم له حدوداً ، ولا ابعاداً هو محيط الحياة الكونية نفسها . وكل قطرة ماء مآلها فى النهاية الأخيرة الى الاندماج فى هـذا المحيط الأعظم عندما تصبح القطرة جديرة بالاندماج فى المحيط . وعندئذ يحصل صاحبها على « النرفانا » أو السعادة الأزلية التى لا تعكر صفوها تجسدات ترابية سعيدة أو شقية ، متقاربة أو متباعدة ، وذلك لأن السعادة الخالصـة عند تجسد جانب من الوعى فى التراب محض سراب ، وان وجدت فهى مقيدة بأغلال ومخاوف عديدة تنبع من طبيعة التجسد الترابى نفسه .

وهكذا يبدو تماماً أن قضية مصير الانسان أخطر بكثير من أن تكون قضية وجود مقيد محدود مـع انتماء بالوراثة الى اعتقاد وطقوس معينة تلقى به الى جحيم لا حدود له ، وبلا مقدمات واضحة معينة وبلا منطق مقبول عادل . أو انتماء الى اعتقاد وطقوس أخـرى يلقى به الى جنات لا نهاية لها ، وأيضا بلا مقدمات واضحة معينة ، وبلا منطق مقبول عادل . فقضية مصير الانسان تصبح على هذا النحو هى قضية دوام ، مع تطور، وتطور بعيد المدى ، عميق الأثر ، لا يحدث جزافاً ، بل تلعب فيه ارادة الانسان دورا يتعذر اهداره تماماً . وهو قبل كل اعتبار آخر دور روحى واخلاقى لا يعصى على الفهم ، والتبرير ، والتقدير .

وعن طريق هذه العملية التى تتكرر عن طريق تكرار الميلاد والوفاة ، كما يتكرر تجمد ماء البحيرة عن طريق تعاقب الحر والبرد . يحدث النمو المطلوب فى عناصر الوعى المختلفة وتطورها ، واندماجها معاً فى وعى واحد متناسق ، متطور على الأمد البعيد ، مخصص لأدار رسالة فى مستوى معين من مستويات الوجـود أسمى بكثير من مستوى نشـاطه الراهن عندما يتجسد جانب منه ، أو بالأدق عندما يعتقل جانب منه فحسب للعمل فى اطار التكوين العضوى المكتسب والمتوارث للمخ ، وعن طريق هذا التكوين العضوى فحسب .

وهذه الاعتبارات تجعل من أشق ما يمكن محاولة وضع حد فاصل بين نشاط الشعور واللاشعور من جهة ، ونشاط العقل الأسمى والأسفل من جهة أخرى ، فالمشكلة ليست هينة بالمرة . وهى كالمشكلة التى يقابلها جميع الباحثين فى سلوك الانسان عندما يحاولون رسم حدود فاصلة بين ما يمت من عناصر السلوك الى الاكتساب ، وما يمت منها الى الفطرة .

ورغم تقـدم الدراسات فى « علم الانسـان » و « علم النمـاذج الحيوية » Biotypologie تقـدماً نسبياً ، لا يزال من المحال رسم حـد فاصل بين عناصر الإكتساب وعناصر الفطرة ، بل لا يزال — حتى هـذه الساعة — من المحال وضع تعريف دقيق لمعنى الفطرة ومعنى الاكتساب . ولكن الأمر المحقق الوحيد هـو أن طبع الانسـان لا يمكن أن يكون محض فطـرة ولا محض اكتسـاب ، لأن الشخصية الانسانية أو الفردية قابلة للتحول ، وللسيولة ، وللتطور بتأثير الزمن والوسط والظروف .

« فالطبع Caractère فى النطاق النفسى يمثل ما تمثله البنية أو السجية tempérament فى نطـاق وظائف الأعضـاء . ورغم التسليم ببقاء الميول الفطرية فان ردود الفعل الخارجية تظل متغيرة . فالانسان بنفس طبعه الشبابى يحـوز عادات مكتسبة تحت تأثير العوامل الخارجية قابلة لأن تدعم ميوله الفطرية ، أو لأن تنال منها منالاً قوياً أو ضعيفاً .

وكما يقول بعض العلمـاء ان التسليم بأن الطبع محض اكتسـاب وبالتالى متكيف مع الوسط معناه تحديد عدد الطباع بعدد الأوساط ، والخلط بين الطبع الانسانى وسيكولوجية الحيوانات العديمة الفقرات . فانه فحسب بفضل الفارق الموجود بين الطبع والشخصية يمكن الوصول الى حقيقتين تبـدوان متعارضتين فى الظاهر : همـا تحقيق شخصية الانسان بذاتها ، والتغير المستمر للروح الانسانية ، هذا التغير الذى عبّر عنه تعبيراً شعرياً نواى Noilles بقوله « لن تكون لنا ابداً الروح التى لنا فى هذه الليلة » .

هذا عن الطبع الفطرى للانسان ، أما عن العناصر البيولوجية المرتبطة به فهى تشير الى معنى نسبى يتحدد وفقا لظاهرة السلوك الانسانى المطلوب اخضاعها للدراسة ، لأنها عبارة عن علاقة بين الذات (أى الوعى بكل عناصره المتجسدة وغير المتجسدة) وبين عدة عوامل حيوية ليست غريبة عنها ، مرتبطة بها من كل جانب .

وتتوقف هذه العلاقة على طبيعة هذه العوامل وما يتولد عن تفاعل هذه وتلك من ظواهر شتى . وقد تشعبت الآراء فى شأن تحديد هذه العلاقة : فمثلاً يعطى بعض العلماء قيمة خاصة للعوامل البيولوجية فى تفسير السلوك الانسانى حين يعتبرها البعض الآخر مجرد وسيلة لابراز الصفات الفطرية التى تلقاها الفرد عن طريق الوراثة (١) .

ويمكن أن يضاف اليها الآن — فى اطمئنان كاف — التأثيرات التى تلقاها عن طريق تجسداته السابقة ، وظروف هذه التجسدات وهى لا يمكن أن تنتهى عند حد فى تعددها وتنوعها . وهكذا يمكن بسهولة الاتفاق مع الدكتور جيلى فى أن اختبارات الشعور تتحول الى اللاشعور ، وأن ذكريات اللاشعور تصبح مع الوقت الطويل ملكات ومواهب يقظة فى الشعور نفسه .

عن موقف برجسون واينشتين

وفى هذا الشأن يتساءل برجسون الذى هو فيلسوف وضعى وعالم نفسى أيضاً قائلاً : « ماذا عسانا أن نكون فى الواقع ، أو ماذا عسى أن يكون طبعنا ان لم يكن تلك الحصيلة التى تجمعت من تاريخ حياتنا السابقة ، منذ ولادتنا حتى الآن ، ان لم نقل قبل ولادتنا ، ما دمنا نحمل معنا ميولاً وراثية ، أو استعدادات سابقة على الولادة ...

صحيح اننا لا نفكر الا بجزء ضئيل من ماضينا ، ولكننا نرغب ، ونريد ، ونعمل ، بماضينا كله مع ما ينطوى عليه من اتجاه أصلى قد اتخذته نفوسنا منذ البداية . واذن فان من شأن ماضينا أن ينكشف لنا بأكمله من خلال قوته الدافعة على شكل ميل أو اتجاه ، ولو أن جانباً ضئيلاً منه فقط هو الذى يستحيل الى قصور عقلى » .

ثم يقول ان من شأن الماضى ان يظل حياً باقياً فى الحاضر ، وأن من المحال على الشعور أن يمر بنفس الحالة مرتين ، وذلك لانه مهما تكن الظروف متشابهة ، أو مهما تكن الملابسات واحدة ، فانها لا تؤثر مطلقاً

---

(١) للمزيد راجع مؤلفنا فى « مبادىء علم الاجرام » طبعة ثالثة ١٩٧٤ ص ١٩١ — ١٩٧ ، والمراجع المشار اليها فيه .

فى شخصية واحـدة بعينها ، ما دامت تعرض لهـا فى لحظة جديدة من لحظات تاريخها .

ولمـا كانت شخصيتنا فى تكون مستمر لأنها تبنى ذاتها فى كل لحظة ، مستعينة بما تجمع لديهـا من تجارب فان شخصيتنا فى تغير دائم دون أدنى توقف أو انقطاع . وهذا هو السبب فى انه لا يمكن أن تتكرر فى أعماق شـعورنا حالة نفسية واحـدة ، حتى ولو بدا لنـا لأول وهلة أننا بازاء ظاهرة واحدة بعينها ... » (١) .

وهكذا يتحـدث برجسـون ليس فقط عن دور الوعى وكيف انه « لا يعمل الا بجزء ضئيل من ماضينا ، ولكننا نرغب ونريد ونعمل بماضينا كله » ، كما يتحدث أيضـاً عن انفسنا بوصفنا الحصيلة التى تجمعت من تاريخ حياتنا السـابقة منـذ ولادتنا حتى الآن ، ان لم نقل قبل ولادتنا ما دمنا نحمل معنا « ميولاً وراثية أو استعدادات سابقة على الولادة » . وهكذا نرى برجسون وقد اقترب اقتراباً واضحاً من جيلى فى الجـوهر والمضمون .

كما ذهب برجسون الى أن « المذاهب الروحية كانت على حـق فى استماعها الى الشـعور عندما كان الشعور يؤكد الحـرية الانسانية لكن العقل ما زال موجوداً هنا ليقول ان السبب يحدد نتيجته ، وان كل شىء معاد ، وأن كل شىء موجود من قبل . وقد كانت هذه المذاهب الروحية على حق عندما آمنت بوجود شخصية فردية مطلقة ، وباستقلال الفـرد تجاه المـادة » ...

* * *

واذا تقبّلنا هذا النظر وهو أن جميع اختباراتنا المـاضية لا تزال دفينة فى اللاشعور فانه يصبح مفهوماً أمر الكثير من الأحلام التى يتعذر تعليلها بالاختبارات التى مرت بنا فى حياتنا الراهنة وحـدها . ذلك أن اللاشعور يمثل الجـانب الأعمق والأهم من الوعى ، والوعى ملازم للروح وهى لا تعرف فواصل الزمان والمكان ، لأن الروح خالدة بطبيعتها . ولأنها تمثل قبساً باهتاً من العقل الأعظم أو من الروح العظمى .

ومن ثم يكون من المفهوم احتمال قـدرة اللاشعور على رؤية بعض أحداث المستقبل رؤية صحيحة ولو على نحو ما وفى أحوال نادرة . كمـا يكون من المفهوم أيضاً احتمال قـدرة اللاشعور على رؤية بعض أحداث المـاضى رؤية صحيحة ولو على نحـو ما ، وفى أحوال نادرة . وذلك كله

---

(١) عن الدكتور زكريا ابراهيم فى « مشكلة الحياة » ١٩٧١ ص ٣١٢ ، ٣١٣ .

ما دام أن المستقبل لا يعدو أن يكون ـ بحسب تعبير أينشتين ـ عبارة عن ماض آت ، وأن الماضي لا يعدو أن يكون مجرد مستقبل قد فات ! !

وهذا النظر كله لا يكون متصوراً ومفهوماً الا فى ظل فهم رباعى لأبعاد الكون تتداخل فيه على نحو أو آخر أحاسيس الزمان بأحاسيس المكان لكى تحل محل هذه وتلك أحاسيس « الحالة » . ولذا قال أينشتين « اذا كانت نظريتى عن الكون صحيحة فلابد أن توجد قوى أدراك رباعية الأبعاد » (١) . وهذا هو ما يتحقق بصورة جزئية فى بعض حالات النوم ، وفى بعض حالات الغيبوبة المغناطيسية ، والروحية . وفيها كلها قد ينشط اللاشعور الى استعراض بعض أحداث الماضى القريب أو البعيد للروح .

ومن ذلك مثلاً تنقل احساس أحد النائمين من الشعور بأنه ذو نفوذ وسلطان ، الى متسول يقفعلى باب دار ، الىمغامر يجتاز الأدغالحيث يقتاله أحد الأشخاص ، أو يفترسه أحد الوحوش ، الى بحار يجوب أعالى البحار ... فمن الجائز علمياً الآن أن يكون هذا الشخص قد مر باختبار حقيقى أو آخر من هذه الاختبارات فى أحد تجسداته السابقة ، بغير أن ننفى دور الرغبات المكبوتة ، وتداعى المعانى ، وقدرة اللاشعور على اعطاء رموز متنوعة ، أو أشكال عقلية متباينة . فكل تفسير منها لا ينفى الآخر ، وكل هذه التفسيرات مجتمعة لا تنفى دور الحالة الصحية والهضمية ، واختبارات الأمس القريب ، لأن المطلوب هو الوصول الى تفسير عام شامل يغطى جميع الأحلام العادية والشاذة ، فان فى الأحلام أيضاً ما هو عادى وما هو شاذ كما هو الشأن فى كل ظواهر الشعور واللاشعور (٢) .

تساؤلات اخرى حتمية

ومتى ثبت أن حياة الانسان الراهن تمثل تجسداً عارضاً جزئياً لجانب فحسب من وعيه ، فان هذا الثبوت يجر وجوبا الى التساؤل عن مصير باقى جوانب الوعى . ولماذا يتجسد مؤقتاً جانب منه دون آخر ؟ واذا كان التجسد المؤقت ضرورياً لنمو هذا الجانب المتجسد من الوعى فلماذا لا يكون لازماً لنمو باقى جوانبه ؟ وكيف يتأتى أن يحدث التناسق المرجو بين جوانب الوعى المختلفة اذا كان بعضها قد أتيحت له فرصة للنمو وللصقل لم تتح لباقى جوانبه ؟ ! .

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » . الجزء الثانى ص ٣٤٥ ـ ٣٧٠ .

(٢) ومن الطريف أنه ورد فى ورقة البردى « انانا » التى ترجع الى سنة ٣٢٠، قبل الميلاد هذه العبارة وهى « ان الانسان لا يذكر حيواته السابقة الا فى الحلم أحيانا أو كفكرة مرتبطة بحادثة سابقة » . وراجع ما سبق عن « موقف قدماء المصريين من الاعتقاد فى العودة للتجسد .

ثم ان الألم أمر لابد منه لسمو الوعى . وهذه أيضاً بديهية مسلم بها فلسفياً منذ أقدم الأزمان . والألم فى مستوى المادة وفير غزير ، وفى مستوى ما وراء المادة أقل غزارة بكثير فى الوضع المألوف للأمور . وذلك بالنسبة للانسان العادى أو المجرد abstrait الذى توضع له أقيسة علم النفس ، والطب ، والطب النفسى ، بل وأحكام التشريع الوضعى أيضاً ...

وكل هذه الاعتبارات مجتمعة تفرض نفسها فرضاً على أن تثار بمعرفة العقل المنقب فى مصير الانسان ، وفى احتمالات مستقبله القريب والبعيد ، والغاز ماضيه القريب والبعيد ... واذا ارتبطت هذه الاعتبارات بالاقتناع بدوام الحياة بعد الموت كحقيقة وضعية ، فانها تجعل احتمال العودة للتجسد أمراً غير مفتقر الى أسانيد فلسفية ووضعية وطيدة وذلك حتى اذا تركنا جانبا الاستشهاد بفلسفة الفراعنة والاغريق وبالأسانيد والنصوص المنزلة وبمعتقدات الشرق الأقصى برمته وبالهامات كبار الفلاسفة والمفكرين .

فاذا أضيف الى ما تقدم التحقيقات العلمية الدقيقة التى مرت بنا فى الفصل السابق والتى جرت باتباع عدة سبل ، وفى عدة بلاد ، وعلى مدى سنين طويلة ، وما تكشفت عنه من نتائج ايجابية صارخة فى أكثر من الأحيان لتبين لنا تماما أن المعارضة المرتجلة لم تعد تمثل موقفا علمياً سليماً ناهيك بآراء الأرواح المراسلة الراقية التى يتعذر تماما اهدارها تماما فى هذا المقام أو فى مقام الفلسفة الروحية بوجه عام .

فنحن اذا وضعنا فى الاعتبار ، كل ذلك ، لتبين لنا تماما لماذا اتجه جمهور علماء الروحية العلمية اتجاها واضحا وصريحا نحو القول بأن مبدأ العودة للتجسد — رغم غرابته المفرطة للانسان العربى أو الغربى العادى — مبدأ لا يجافى الواقع ، ولا يتعارض مع تعاليم الاعتقاد ، أو الفلسفة ، أو العلم الوضعى ، متى أحسنا الفهم ، وكنا مخلصين فى محاولة تقصى الحقائق فى هذه الأمور الخطيرة التى أصبحت تلقى عناية متزايدة من جميع المنقبين فى حقيقة موضع الانسان من هذا الكون غير المحدود ، بعد طول مقاومة عنيفة بلا أساس علمى ، أو بعد طول سبات عميق بلا هدف ولا جدوى .

بقيت كلمة من هذا التعليق عن جهل الانسان بماضيه وبمستقبله أو بالأدق عن نسيانه لماضيه وعجزه عن تعرف خطى حياته المستقبلة فى مستوى المادة ، ثم فى مستوى الروح ، فان هذا الجهل يخدم تطور الانسان خدمات جليلة كما لاحظ بحق جوستاف جيلى ، ويكسب الانسان هدوءا فى حاضره واطمئنانا لمستقبله ، فما أتعس حاضر الانسان لو عرف

ما يخفيه عنه المستقبل من أحداث سعيدة ، أو سيئة لابد أن تتداخل معاً كما هى الحال دائماً .

* * *

واحتمالات نمو أو ثراء ذواتنا العظمى لا تقف عند حد ، اذا ما احسنًا اختيار طريق تطورنا نحو الأمام . فمن يحسن اختيار طريقه يصل الى هدفه فى يسر وبسرعة ، أما من تنكب طريق الصواب فعليه أن يعانى بسبب سوء اختياره الكثير من الأهوال والمتاعب قبل أن يصل الى هدفه ، الذى قد لا يصل اليه أبدا ، ما لم يغير من أساسه الطريق الذى اختاره لنفسه .

والانسان لا يحسن تخير طريق تطوره الا اذا عرف أولا كيف يحوئل ميوله القوية نحو الأمور المادية الى ميول أخرى قوية نحو الأمور الروحية . وهذا التحول لا يمكن أن يجىء بغتة ، بل هو مهمة التطور الطويل ، والفهم الأمين لرسالة العيش فى مستوى المادة لأعوام قد تقصر وقد تطول طبقا لتخطيط طبيعى تمتد جذوره الى ماضينا السحيق ، وترتفع اغصانه الى مستقبلنا البعيد .

وهذا كله يتطلب الارتباط بمفاهيم صحيحة عن علاقتنا بالكون . وحيثما نكون ارتباطاتنا وتطلعاتنا تكون أرواحنا أيضا ، ولذا قال سويدنبرج بحق أن « حب الانسان هو الذى يصنع له مسكنه » فخطوط ماضينا ، ومعها ارتباطاتنا وتطلعاتنا الحاضرة ، هى التى تصنع طريق تطورنا من حياة المادة فى كل هوانها الى حياة الروح فى كل مجدها الذى يفوق بمراحل كثيرة قدرة تصوراتنا الراهنة .

وهى التى تحدد لنا أيضا فترات بقائنا فى الأرض ، أو فى الأثير حيث قد تطول فترة الاقامة هناك فى المرة الواحدة لبضعة أيام ، أوسنين ، أو قرون ، أو أكثر . ولا قيمة لذلك لأن الزمن لا وجود له فيما وراء المادة ، وكل ما يلزم هو أن تهضم الروح فى كل اقامة لها اختبارات ماضيها السحيق ، وتستعد لتقبل اختبارات مستقبلها ، وذلك كله طبقاً لنواميس طبيعية للروح مفرطة فى حكمتها وفى رحمتها للانسان . وهى نواميس لا تتأثر بزمان ولا بمكان كما هو الشأن فى كل النواميس الطبيعية . كما لا تتأثر أيضا بأى انتماء ، أو رياء ، أو تسليم ، أو انكار ...

* * *

وثمة تساؤل اخير هنا . وهو أنه اذا كان تفسير كل هذه الظواهر المتلاحقة التى ننتمى الى فصيلة الظواهر فوق المألوفة ينبغى أن ينتهى

الى قبول العــودة للتجسد كمبــدأ طبيعى . فما الذى يدعو البعض الى تجاهل هذا التفسير المناسب أو المكابرة فيه لغاية الآن ؟ !

كان من الممكن أن يتجه العــالم الوضعى غير هــذا الاتجاه ويحاول بكل السبل الوصول الى تعليل آخر ، لو كان التعليل بالعودة للتجســد لا يتوائم مع ما حصل الانسان عليه من معطيات أخرى متنوعة عن حقائق الوجود المختلفة المتصلة بالوعى الانسانى ، وبالتطور وبالمــادة ... وبوجه عام بالمبـــادىء العــــامة فى الطبيعة الانسانيــة ، وفى البيولوجيا ، وفى السيكولوجيا . ولكننا رأينا ان التعليل بالعودة للتجسد يبدو لغاية الآن أكثرها التئاماً مع هــذه المعطيات فى حالتها الراهنـــة ، ناهيك بمبادىء الفلسفة العــامة ، والعقائد المقــارنة منذ أقدم العصور لغاية الآن ، على ما وضحناه فى مواضعه فى المباحث السابقة .

ومع ذلك فقد تردد بعض العلماء فى قبول التعليل بالعودة للتجسد ، ولا يزال يتردد بسبب الارتباط المسبّق برفض هــذا التعليل ، وان كان العدد الاكبر منهم أخذ يتحول تدريجيا اليه بسبب تدفق الوقائع الصارخة من جهة ، وبسبب التئامها الصارخ من جهة أخرى مع المعطيات العلميــة المتنوعة التى سبق التعرض لها ، الى حد اننا نتوقع أنه لن يمضى أكثر من بضع عشرات من السنين الا وقد أدرج الاعتقاد بالعودة للتجسد نهائيــاً بين هــذه المعطيات نفسها .

ومما قد يساعد على ذلك ايضا ارتباط هــذا التعليل بقانون خلقى وفلسفى معــروف وهو قانون « الكارما » أو ارتبــاط النتائج بأسبابها ارتباطاً محتوما بحكم قانون العلية الطبيعية ، الذى يحكم تطــور المــادة بقــدر ما يحكم تطور الروح أيضاً . ولذا يتعين أن نقف وقفة كافيــة عند قانون الكارما هذا ، وهو موضوع المبحث المقبل .

المبحث الرابع

ماذا عن قانون « الكارما »

أو الجـزاء من جنس العمل

هناك عدة أمور لم يحسمها نهائيا بعد « علم الروح الحديث » رغم أهميتها القصوى ، فمن الأمور محل النقاش فى هذا الميدان بحث عــدد مرات العودة ، والفاصل الزمنى بين كل حياة أرضية وأخرى ، وما اذا كانت العـــودة اختيارية أم مفروضـــة على كل انسان كقــاعدة عامة ، وبواعثها وظروفها .. وغيرها من أوجه النقاش بين المدارس الروحيــة

المختلفة على النحو الموجود فى كل ميدان من ميادين العلوم النظرية والعملية معاً .

وتنادى التعاليم الروحية السائدة بامكان العودة للتجسد على المستوى الأرضى ، وذلك كوسيلة تتخذها روح راقية - أحياناً - لأداء رسالة ما من الخدمة الراقية على هذا المستوى قد لا تؤدى الا عن طريق العيش بين البشر والاختلاط بهم . وتكون الروح فى هذا الشأن كانسان راق يقبل السفر الى بلاد نائية متخلفة حضارياً ، ويقاسى أهوالا من سوء المعاملة ومن الظروف الطبيعية القاسية فى سبيل اداء رسالة علاجية نبيلة ، أو رسالة لتخفيف ويلات مجتمعه الجديد ، أو تعريفه ببعض أسباب التقدم والعرفان اللازمة له .

كما يقولون ان العودة للتجسد قد تكون - أحيانا أخرى - وسيلة لتكفير الروح المتجسدة عن أخطائها السابقة ، أى لسداد ديون الماضى بصورة ما ، أو كيما تحصل هى نفسها على مزيد من التطور والارتقاء تحت تأثير قسوة ظروف الحياة فى هذا الكوكب الحزين المليء بصنوف الشقاء ، وبدواعى الكفاح المرير . ويعد عندئذ يوم ميلاد الروح على هذا المستوى الأرضى من أتعس أيام حياتها ، كما يعد يوم انطلاقها من أسر هذا المستوى الكئيب هو يوم الافراج المرتقب بعد طول الاعتقال فى المنفى السحيق .

فمثلا يجد عدد ضخم من الأرواح ومن الروحيين فى نظرية العودة للتجسد أو رجعة الروح هذه تفسيرا لأمور كثيرة يتعذر تفسيرها تفسيرا مقبولا بغيرها . ومنها ولادة بعض الأطفال عميانا أو مشوهين أو عاجزين ، مع أن الله تعالى عادل ورحيم ولا يتصور أن يكون قد فرض على هؤلاء الأبرياء آلاما رهيبة لغير ذنب جنوه ، أو لذنب اجترحه أحد آبائهم أو أجدادهم . أما مذهب العودة للتجسد فيقول انهم قد اجترحوا هم أنفسهم فى حياة سابقة لهم ما اقتضى ولادتهم على هذا النحو للتكفير عن طريق الألم عما اجترحوه فيما مضى .

وكذلك الشأن فى تعليل كل تعاسة قد تصيب انسانا ما ، وقد لا تبدو مسئوليته عنها واضحة فى سلوك حياته الحاضرة ، فهم يقولون ان سبب تعاسته كامن فى حياته أو فى احدى حيواته السابقة ، وان هذه التعاسة تعد نتيجة محتومة لقانون الكارما Karma ، أو ارتباط النتائج ارتباطاً محتوما بأسبابها بقدر اتصال هذا الارتباط بحياة الروح التى لا تتوقف ، فهذا القانون يعلل التعاسة ، كما يعلل السعادة الراهنة

على نفس النحو عمــلا بناموس طبيعى معروف هو ناموس « الجـــزاء من جنس العمل » أو « ما تزرع اياه تحصد أيضاً » .

ماذا يقول همفريز فى « الكارما »

وفى هذا الشأن يكتب كريستماس همفريز T. Christmas Humphreys قائلا ما مضمونه ان « كارما » Karma كلمة سنسكريتية مشتقة من كلمة Kri اى جذر النبات ، وتعنى عندهم الفعــل أو العمل . فالكارما لذا تعنى العمل أو الفعل ، لكن مع مرور الوقت اصبحت هــذه الكلمة تنطبق على ما وصفه المفكر الألمــانى ليسنج Lessing بأنه أقدم فقــه فى العــالم .

وهى من وجهـــة النظر المــادية تعنى مجـــرد قانون السببية Law of causation أو ميزان السبب والنتيجـــة ، أو ما يطلق عليه فى هذا النطاق بقانون التساوى بين الفعل ورد الفعل ، وبالتقــابل بينهما . أما من وجهة النظر الروحية ، فالكارما هى قانون الجزاء الأدبى ، ليس فحسب بمفهوم أن لكل سبب نتيجة ، بل أيضــا بمفهــوم أن من يحــرك نشاط السبب يتحمل هو نفسه النتيجة .

وقد أطلق المعلم الروحى رادا كريشنان Radakrishnan على الكارما قانون « حفظ الطاقة المعنوية » ... وهـــذا القانون ليس قانونا هندوسيا ، ولا ثيوصوفيا ، بل هو قانون أساسى فى كل فلســفة سرقية ، ونادى به القديس بولس عندما قال « أيها الأخوة ، لا تضلوا ، الله لا يشمخ عليه ، فان الذى يزرعه الانسان اياه يحصد أيضاً »(١) .

وفى القرون الأولى للمسيحية كان هذا القانون يمثل اعتقادا كنسياً فى الغرب . ولكن عنــدما اكتشف مجمع القسطنطينية فى ســنة ٥٥٣ أن العودة للتجسد لا تلتئم مع النظـــام العجيب للتفــكير الذى كان بعض الأساقفة بصدد اقامته ، لذا أعلنوا ان هذه العودة تعتبر هرطقة . ومعهــا القانون الآخر الذى يجعل العــودة مقبولة ، وهو قانون الكارما .

وهذا القانون اما أن يكون صحيحاً ، واما أن يكون زائفاً . والكون اما أن يكون تنظيماً ، واما أن يكون فوضى . ومن المحال ان يكون فى جانب منه محكوماً بالقــانون ، وفى جانب آخر محكوماً بالصدف العمياء غــير العاقلة . والكارما ليست قانوناً يمكن أن يقال فى شأنه « انه من الجائز أن يوجــد ثمــة شىء ما فيـــه » . فهــو اما قانون موجـــود ، واما

---

(١) غلاطية ٦ : ٧ .

لا وجود له . فاذا كان موجوداً فان الانسان الاحمق هو ذلك الذى لا يستخدمه ، والانسان الحكيم هو ذلك الذى يدرسه ، ويعلنه بالطول وبالعرض ، ويطبقه على أصغر تفصيلات حياته اليومية .

واذا لم يكن قانون الكارما صحيحاً ، فان الخطأ يكون خطأ ضخماً الى حد فريد اذا نظرنا الى أنه ظل ينادى به كأساس لكل الحكمة المتراكمة فى العالم منذ بدأ البحث عن الحقيقة فيه ، واذا نظرنا الى أن أحداً لم يقدم الينا قانونا بديلا له لتفسير ظواهر هذه الحياة الدنيا .

ولكن هذا القانون لا يمكن فهمه الا من وجهة النظر الروحية . أما اذا نظرنا اليه بوصفه قانوناً آلياً للاستحقاق والمديونية ، للأعمال الطيبة والشريرة ، فاننا نجرده من كل قوته الحية . واذا كان هذا القانون ينطوى على كل شىء مرتبط بالكون فانه ينبغى النظر اليه فحسب من ناحية شاملة ، وهذه هى النظرة الروحية اليه .

ان الانسان ينتمى الى مستويات مختلفة للادراك ، هى بمثابة نوافذ تضىء له طريق الفهم الصاعد الى فوق . وكما أن حارس الفنار يقيم فى برج مشيد على صخرة عالية لكى يتطلع الى مستوى المصباح الذى يلقى ضوءا ليس موجهاً الى الحارس ، كذلك فان وعى الانسان عندما يتطور يكون عليه أن يتسلق من مستوى الى مستوى حتى يجد الضوء الذى بداخله ويميل اليه ، وهو ذلك الضوء الذى يشرق للأزل .

ووراء العقل ، الذى هو جهاز التفكير ، يوجد مستوى الالهام ، وملكة التأمل ، والتعرف المباشر على الحقيقة . وهذا المستوى خامد فى غالبيتنا ، أو يعمل بطريقة خاملة فيعطى انعكاسا منخفضاً ، كما تفعل الغرائز . ومع ذلك فعلى كل انسان أن ينمى هذا المستوى من الالهام ... وهذا الالهام ينفع فى اضاءة البصيرة بشعلات مناسبة من الفهم ، وفيما بعد فان الوعى الصاعد يبدأ فى استخدامه على مستواه الخاص . وكل من اختبر هذه الشعلات الساطعة المنبعثة من قلب الأشياء سيعلم ، وسيعلم بعيدا عن كل شك ، أن هذا القانون حق .

ومن آن الى آخر ، فانه حتى على مستوى العقل عندما تثار الشكوك وتعوق الفهم ، يمكن أن ينظر الى هذا القانون بوصفه فحسب فقهاً مؤسساً على اعتبارات معقولة جميلة ، يمكن اختبارها وهى فى حالة نشاط للتحقق من صحتها .

فالكارما اذاً قانون يسود جميع القوانين الطبيعية الأخرى من قانون

الجاذبية ، الى قانون « المتوسطات » . وهو ليس قانوناً أعمى ، بل انه قانون حى وعاقل شأن كل شىء آخر فى الكون ...

والانسان هو الذى يصنع « كارماه » لأنها نتاج أفكاره . و « كل ما نحن عليه الآن هو نتاج ما فكرنا فيه من قبل » ، كما ورد فى الدهامابادا Dhammapada . فهو مؤسس على أفكارنا ومصنوع منها ، فاذا كان الانسان يفكر بأفكار شريرة أو يتصرف بها فان الألم يتبعه ، ولكن اذا كان الانسان يتحدث بأفكار نقية أو يتصرف بها فان السعادة تتبعه كالظل الذى لا يريد ان يغادره ابدا .

وبين ارادة العمل والعمل يوجد التفكير ، اى الفكرة التى يكون العمل هو التعبير الظاهر عنها . وبالتالى فان السيطرة على التفكير والانفعال مقدمة ضرورية لامكان السيطرة على العمل ، فمآل الانسان اذاً يتوقف على تفكيره ... وليس للانسان أن يشكو من القدر الذى قيد حريته ، أو اصابه بضربة ظالمة .. وهكذا فان قانون الكارما قانون موضوعى بمعنى الكلمة ، وهو دواما فى خدمة الانسان ، وليس ومضة خاطفة من اله بار أو منتقم . ولذا فمن غير المجدى أن يحاول الانسان أن يساومه ، أو أن يستجديه ، أو أن يجادله ، أو أن يتحداه لانه « كما يفكر الانسان كذلك يصير » .

* * *

أن الانسان يعاقب بخطاياه لا من أجل خطاياه ، لأن الكارما لاتثيب ولا تعاقب ، بل هى فحسب تعيد التناسق الضائع . ومن يتالم يستحق الالم ، ومن لديه سبب للتنعم يحصد ما زرعه . ولكن حتى اذا كان كل انسان يستحق آلامه ، بمعنى أنه قد تسبب فيها فانه لا يوجد اى مبرر لعدم الاكتراث لآلامه من جانب من هم أوفر منه حظاً . فعلى الأمد البعيد لا توجد « كارما » شخصية ، بل تصرفات الفرد هى تصرفات الجميع ، وتصرفات الجميع تؤثر فى الفرد .

وهذه « الكارمات » ، التى لا حصر لها فى اتساعها الدامى ، هى الأساس وحجر الزاوية للأخوة الانسانية بوصفها حقيقة كونية . فجميع الأشياء حسنة فى جوهرها ، والألم يعمل فى خدمة ما هو حسن . وهكذا فاننا نتعلم ، ونتحرك عن طريق آلامنا المشتركة ، بخطوات بطيئة جداً متجهين نحو تلك الحقيقة المقدسة النائية التى تتحرك نحوها الخليقة برمتها .

ومع ذلك فرغم أن أن كل البشر واحد فى جوهرهم ، الا انهم — فى نأيهم الحالى عن المعرفة — كائنات متفرقة . ورغم أن « الكارما » تعكس فى كل واحد تصرفات الآخرين ، الا أن الانسان المتوسط يمثل « وحدة كارمية » ، فيعانى الخير والشر الناجمين عن تصرفاته الخاصة . وهذه الحقيقة تقع فى الأساس من قانون الاستحقاق ، فجميع الأفعال الطيبة تستوجب الثواب لفاعلها فى تاريخ لاحق فى هذه الحياة أو فى حياة لاحقة، والسبب يحمل نتيجته المحتومة .

ولكن الثواب والعقاب هما أحط صور التربية كما يقول حكيم صينى ، والعلة هى أن الدافع سيكون هو الخوف أو رغبة المتعة التى تحققها الأفعال الطيبة . وتحديد الفكر على هذا النحو قد يخدم صاحبه كقانون أخلاقى بسيط ، لكنه لا يجلب الاستنارة المطلوبة ، التى تدفع الى تحقيق الخير لأجل الخير ولأجل التضامن الانسانى لا لأجل الثواب أو المتعة (١) .

* * *

ثم يقول همفريز لقد قال شوبنهور Schopenhauer — الفيلسوف الألمانى — لو أن شخصا اسيويا سأله عن تعريف لأوروبا لأجابه أنها ذلك الجانب من العالم الذى يقطنه خداع لا يصدق بأن الحياة الحاضرة للانسان تمثل دخوله الأول الى الحياة !

واذا نظرنا الى العالم ككل ، فانه ينبغى أن نقلب التساؤل قائلين : من ذا الذى لا يتقبل قانون « الكارما — العودة للميلاد » وعلى أى أساس يمكن رفضه ؟ وعلى أية حال ان من نافلة القول أن نختبر الموقف الأوروبى نحو هذا الموضوع ، مع أن غالبية المؤلفات عنه تقدم بينات عديدة مع ثراء فى التفصيلات والاحالات ، مما يبين الى أى مدى قد انتشر الآن هذا الاعتقاد .

ومن جانب آخر فقد لاحظ أوين روتر Owen Rutter أنه لا يوجد انسان — فيما يبدو — يريد أن يتقبل فلسفة لا تنتمى اليه ، ولا يريد بالضرورة أن يقتنع بأسانيد الحقيقة لمجرد ان الرجال الأذكياء قد اقتنعوا بها خلال عصور التاريخ . ومع ذلك اذا كانت الأسانيد لاتقنع سوى القليل من الأشخاص فان العديد منهم على استعداد للاصغاء الى

---

(١) تلخيص عن كتاب « الكارما والعودة للميلاد » ص ١٣ — ٢٩ .
Karma and Rebirth.

التفسيرات ، خصوصاً عندما تتصل هذه التفسيرات بالمفارقات والآلام ، التى يقدم لها هذا القانون وحده تفسيرا ملتئما مع العقل ومع الاختيار .

وفى مقدمة كتابه عن « العودة للتجسد » يقول أ. د. والكر E. D. Walker انه اذا اعتنق كل العالم المتحضر عقيدة العودة للتجسد فانه سيجد فيها اجابة شافية عن لغز سقوط الانسان ومصيره ، ولكن العالم الغربى لا يزال مشغولا بالغزو المادى للعالم ، مكتويا بنار الفلسفة المادية ، ففقد ايمانه القديم وانزلق الى اقليم مظلم التهبت فيه لهفته على الأشياء « العملية » .

كما يعالج همفريز موضوع بناء الطبع فيقول انه فى ظل هذا القانون يمكن للانسان أن يخطط لبناء طبعه فى المستقبل بغير نظر الى الوقت الذى يلزمه متبعاً الشعار الآتى : « ازرع فكرا احصد عملا ، وازرع عملا احصد عادة ، وازرع عادة احصد طبعا ، وازرع طبعا احصد مصيرا » ، وهكذا تجرى القاعدة القديمة التى تبدو الآن صحيحة .

فهل أنت مجهد من طبع يميل الى الكآبة ؟ ابحث عن سببه وابعد هذا السبب . وهل أنت تبحث عن قدرة أعظم مما تملك لتركيز العقل ؟ لا يوجد انسان بمقدوره أن يحرمك منها اذا صحت عزيمتك على أن تضع خطة لتقدم الذات ، مع تنفيذ هذه الخطة . وعندما يتقبل انسان عمل الكارما ويتفهمه جزئياً فان بمقدوره أن يبدأ فوراً فى بناء طبعه ، واضعا كل حجر بحذر مدروس ، عالماً انه يبنى نفسه للأبدية .

ولا يوجد هنا جرى مندفع الى فوق والى تحت ، وتخبط بين خطة معينة لليوم ، وأخرى للغد ، وانتفاء كل خطة لما بعد الغد ، بل يوجد تخطيط مدروس بعناية لبناء الطبع ، كما يريده صاحبه ، وعندئذ تصبح الروح مهندسا ، وبناءً ، ولا تضيع بعد الآن لحظة واحدة فى اتخاذ بداءات فاشلة .

وكل ذلك يحتاج الى وقت ، ونحن يوجد وقت للصبر ، وكلاهما لتنفيذ العمل برمته ، ولانتظار اللحظة الصحيحة المناسبة لكل عمل ، وهكذا يمتلىء الاناء ، بوضع الماء فيه نقطة بعد أخرى ، بالخير أو بالشر . ومن جانب آخر فثمة تناسق فى تتابع الأحداث ، تنبغى دراسته والافادة منه ...

والأخطاء لابد منها ، لكن من يريد أن يتعلم عليه أن يدفع الثمن المطلوب ، وأن يتراجع عن الخطأ ، ثم يسير فى طريق الصواب . وسيتعلم من أخطائه الخاصة كيف يصبح أقل انتقادا للآخرين ، فأولئك الذين

يحتقرهم يقفون الآن فى نفس الموضع الذى وقف فيـه هو من قبـل . وعندما يصل الى القمم التى أمامه سيرى من هم أكثر منه تطـورا من الرجال .

والأخطاء ستقع ، وسيدفع ثمنها بالقـدر المناسب كما هو الشأن فى كل مقام آخـر ، لأن القيم تنتمى الى العقـول لا الى الأشياء ، وبقـدر ما يتطور العقل ، كذلك تتطور عنده القيم ، ومقدرته على التقييم الحكيم . والخطيئة والألم امران ينبغى أن يعاد النظر فى تقييمهما على الدوام ، وهذه رسالة الزمن ، لأن الزمن وحده هو الذى يفصل بين أولئك الذين هم أدنى منا فى سـلم التطور ، وأولئك الذين هم أعلى منا فى هذا السلم .

وهكذا ينبغى أن يكون الشـأن أيضا بالنسبة للموت وللخـوف من الموت . وعندما نبـدأ فى النظر الى الجسد بوصفه رداء للروح ، وننظـر الى الروح أو الذات العائدة بوصفها هى أنفسنا ، فمن أين اذاً يجىء الأسى عند الحاجة الى النوم ، أو عند الحاجة الى الراحة فى غروب النهار ؟

والدرس الذى يحصـله الانسان جيـدا ، لا يمـكن فيمـا بعد أن يشتريه غالياً . وكثيرون من أولئـك الذين خسروا فى غمـرة الحرب كل ما يملكون قد تعلموا من هذا الاستاذ القاسى وهو الحرب تفاهة كل مايملكه الانسان عندما يدرك انه لا يملك شيئا الا ما يكون عليه هو نفسه .

وطريق الوصول هو ابدا « الحـل الوسط » ، اى طـريق الاعتدال وتفادى التطرفات ، لأن كل نقيض يؤدى الى نقيضه ؛ وهو ما يقتضى القول بأن الفعل ورد الفعل متساويان ومتعارضان ... والحل الوسط يجتاز بك ــ بين المتناقضات ــ السبيل الآمن فى رفق وفى تعقـل الى حـد انه لا يصدر منك ابدا فعل يعقبه رد فعل ضار ، وعندئذ فلا حاجة بالذات لأن تتألم من نتائج افعالها ، لأن العمل الكامل لا يسبب ألماً (١) .

« الكارما » فى المفهوم الثيوصوفى

وتكتب الباحثة القديرة السيدة آنى بيزانت Annie Beasant ــ وهى من اعلام المدرسة الثيوصوفية ــ عن الكارما قائلة ما مفـاده انه بعد تحرر الروح من العناصر السـفلى (الجسـد الترابى) تذهب الى مستوى فى عالم الغيب تطلق عليه وصف ديفاشان Devachan (وهو مأخوذ من الفلسفة الهندية) حيث تمضى فترة متناسبة مع ثراء صورها العقلية mental images (وهى تتوقف على مستوى تطورها ونضجها) أو فاقة تلك الصور .

---

(١) من المرجع السابق ص ٦٢ ــ ٧٢ .



الذاتأثره بوصـــفه صـــورة عقلية لنشاط سيسقط جانباً على المستوى الفيزيقى (الأرضى) بوصفه نشاطاً فيزيقياً الى أن تحين اللحظة المناسبة لبلورة هذا الفكر فى صـــورة عمل . والنشـاط الفيزيقى لا مفر منه عندما تكون الصورة العقلية قد تم تحقيقها بوصفها عملاً على مستوى الديفاشان (ما وراء المـادى) .

ونفس القانون ينطبق على الصـــور العقلية عندما تكون قائمة على رغبات منحطة . وصور" كتلك الصور — رغم انها لا تمر أبداً الى مستوى « الديفاشان » — لكنها عرضـــة لنفس الموكب الذى ســـبق بيانه ، ولأن تستعاد من جديد فى طريق العودة الى الأرض .

فالكارما السببية Causative Karma قانون كامل ، والنشـــــاط الفيزيقى يصبح نتيجته التى لا مفر منها ، عندما يصل الى المستوى الذى يسمح بتكرار جديد للصورة العقلية التى تعنى الانتقال الى مرحلة التنفيذ. ولا ينبغى أن ننسى أن تكرار عمـــل معين من شأنه أن يجعل هـــذا العمل آلياً ، وهذا القانون يعمل على المستويات الاخرى غير المستوى الفيزيقى . ومن ثم فان التكرار المنتظم لعمل ما على المستوى الروحى سيجعل هذا العمـــل آلياً وعندما تحين الفرصة على المستوى الفيزيقى فان صاحبه سيعيد تكراره آلياً على هذا المستوى .

وكم يقال عادة بعد ارتكاب جريمة معينة « لقد وقعت قبل أن أفكر فيها » ، أو « لو كنت قد فكرت فيها لمـــا ارتكبتها أبداً » ؟ والقائل على حق تماماً فى زعمه بانه لم يكن عندئذ مدفوعاً بفكرة مدروسة . وبطبيعة الحال هـــو يجهل الأفكار الســـابقة ، وتسلسل الأسباب التى أدت الى النتيجة المحتومة ...

فالصور العقلية المخزونة فى الذاكرة ، شأنها شأن الاختبارات التى مرت بها الروح فى حيانها الأرضية ، وشأن التسجيل الدقيق للعمل الذى بنى عليها فى العالم الخارجى ، ينبغى أن تؤثر فى نشاط الروح . وبدراسة ذلك ، وبالتأمل فيه تتعلم الروح كيف تنظر الى الروابط القائمة ، والى قيمتها بالنسبة لأعمال العقل الكونى العام الذى تكشّف فى الطبيعة . وفى الجملة فان الروح تستخرج منها — بالتفكير المثابر فيها — جميع الدروس التى عليها أن تتعلمها .

ومنها دروس اللذة والألم ، أو اللذة التى تغذى الألم ، والالم الذى يغـــذى اللذة . ودروس وجود نواميس لا تُخرق ينبغى على الروح أن تتعلم كيف تتكيف معها . ودروس النجاح والفشل ، والانجاز والخيبة ،

والمخاوف التى يبين أنها على غير أساس ، والآمال التى يعوزها التحقيق . ودروس القوة عندما تنهار أمام الاختبار ، والمعرفة الموهومة التى تؤذى نفسها كالجهالة سـواء بسـواء . ودروس التحمل الصبور عندما يحمى النصر من الهزيمة الوهمية ، والصبر عندما يهزم النصر الموهوم .

والروح تمر بكل ذلك ، وبقدراتها السحرية تحـوّل كل هذا النسيج من الخبرات الى درة من الحكمة ، فتعود بذلك الى الأرض كروح احكم مما كانت ، وأقدر على تحمل أحداث حياتها الجديدة بثقل اختبارات حياتها القديمة . وهنا أيضاً تكون الصور العقلية قد تحـوّلت ، ولا تكون بعد مجرد صور عقلية ، وان كان يمكن فحسب استخراجها فى شكلها القديم من سجلاتها الكارمية .

ومن الصور العقلية للاختبارات ، وبوجه خاص من تلك التى عانى منها الانسان بسبب جهله « بالقـانون » يولد الضمير وينمو . فالروح خلال حيواتها الأرضية المتتابعة ، تقودها الرغبة نحو شىء جذاب ، وفى متابعتهـا له تصـطدم « بالقانون » فتسقط متالمة دامية . واختبارات متعددة كهـذه تعلمّها أن اشباع الرغبات ضد « القانون » يزرع بذور الألم . وعندما تحاول الروح فى حيـاة جديدة اشباع نفس الرغبات عن طريق جسـد الرغبة ، فان ذاكرة الاختبارات السابقة تتحـرك بوصفها ضميراً ، وتصرخ عالياً بأن ذلك محظور ...

والروح تقف على عتبة ما وراء المـادة فى المستوى الذى اطلقت عليه « مستوى العودة للتجسد » حاملة معها نتيجة عملها سواءً أكان هـذا العمـل صغيراً أم كبيراً .. وعلى ذلك كله تتوقف سرعة تطـورها ونمو ملكاتها ، وشكل جسدها الأثيرى والهالة التى تنتمى اليها بوصفها فرداً ، والتى تتفاوت فى مدى مجدها ، وسطوع أضوائها ، واتساعها ، بحسب مرحلة التطور الذى وصلت اليه الروح (١) .

« الكارما » والعدالة الالهية

ولذا يقول المقتنعون بصحة عقيدة العودة للتجسد ان فى الاحساس بقانون الكارما هذا — اذا ما رسخ فى النفس رسوخاً كافياً — ما قد يحقق وظيفة الردع العام التى يسعى رجال القانون واللاهوت الى تحقيقها عن طريق العقاب ، كما أن فى صرامة هـذا الناموس الطبيعى ما قد يحقق بصورة فعالة هادفة وظيفة الردع الخاص ، اى تقويم اعوجاج النفس أيضـاً .

---

(١) عن مؤلف لها عنوانه « كارما » Karma ص ٣٥ — ٤٣ .

ويقولون ان هـذا الاحساس اذا ما رسخ فى النفس رسوخاً تاماً قد يكون أعمق اثرا فى تحقيق الوظيفتين معاً من مجرد التلويح للناس بنار أبدية يصعب اقناعهم من الناحية العاطفية والمنطقية بوجودها الحقيقى مع احساسهم بأن من يعرف ظروف الناس بغفر الكثير من زلاتهم وبأن الله رحيم وعادل ، ولا يتصور أن يستخدم مع خليقته اسلوب التعذيب الأزلى ، أو الانتقام الرهيب بالنيران الذى قد يتجاوز بمراحل كثيرة ما يسمح به قلب الاب البار الرحيم نحو أبنائه مهما كان مدى عقوقهم للنواميس الأخلاقية .

وأية كانت خطيئة الابن فى مدى جسامتها ، فان قلب الاب فى النهاية هيهات أن يتحجر ، أو أن يقسو الى حد النيران الابدية الحقيقية المادية التى لا تنطفىء . والتى هى — فى نظر بعض الروحيين — مجرد كناية عن عذاب الضمير ، والتطهير الابدى عن طريق الآلام المتجددة فى ظروف متجددة قد يكون فيها من القسوة ما يكفى للردع وللتقويم ، مثل الولادة على الأرض فى فاقة كاملة . أو فى تشويه خلقى . أو فى داء عياء كالشلل ، او العمى ، أو الجذام ... وذلك حتى تسدد الروح ديونها بالألم ، وتستحق عن طريق تطورها العقلى والخلقى البطىء — وهما متلازمان ولو الى حد ما — مكاناً أسمى فى عالم المادة والروح .

وهكذا يرى اصحاب هذا الاعتقاد أن العقوبة المحققة التوقيع — ولو كانت خفيفة فى نظر البعض — أجدى فى تحقيق وظيفة الردع العام وفى تقويم الاعوجاج من التلويح بالعقوبة الشديدة اذا لم تكن محققة التوقيع ، وهو المبدأ الذى فطن اليه عدد من ابرز الفلاسفة مثل منتسكيو ، وروسو ، وبكاريا ، وغيرهم . وعليه تقوم سياسة الشرائع العقابية المتحضرة كلها ، ناهيك بجميع المدارس المعاصرة .

* * *

كما يرى أصحاب هذا الاعتقاد أن الجنة بمفهوم السعادة الأبدية لا يستحقها أشد الناس على الأرض طهارة . لأنه لا توجد نفس بشرية عادية عاشت على الأرض — مهما كان سموها — لم تتلوث بأوزار الخطيئة على نحو أو آخر ، والى مدى او آخر . كما أن النار بمفهوم الاحتراق الأبدى لا يستحقها أشد الناس على الأرض اثما وفساداً ، لانه لا توجد نفس عاشت على الأرض — مهما كان انحطاطها وتدهورها — خلت تماماً من جانب أو آخر من جوانب البر والخير . ولو بالأقربين . ولو بدافع ما حتى ولو كان هذا الدافع أنانيا فى النهاية .



الأرواح عن تعليل بعض حالات البله والجنون بأنها تمثل سيطرة غير كافية من الروح حاملة العقل على جهازها المادى ، الذى تعبِّر به عن نفسها خلال فترة تجسدها على الأرض ، وبما قد يفسح المجال لحدوث بعض حالات المس بل الاستحواذ أيضاً (١) .

ويراعى أنه لا يوجد أى تعارض بين تعليل البله أو الجنون بالمس ، أو بالاستحواذ ، أو بالعوامل الورانية ، أو باضطرابات وظيفية عضوية ، أو بالدورة الدموية ، أو بالصدمات العصبية ، وبين التعليل بقانون الكارما أو بسداد ديون الماضى . وذلك لأن هذه التعليلات الأولى تمثل التعليلات القريبة أو المباشرة ، لكن يوجد دائماً وراء الأسباب المباشرة لأية ظاهرة من ظواهر الوجود المادى أو الروحى ، أسباب أخرى غير مباشرة تمتد الى الماضى البعيد وتتعدد بطبيعها تعدداً لا نهاية له .

وهذه الأسباب البعيدة أو غير المباشرة هى تلك التى يعنى بها « علم الروح الحديث » الذى يعنى بالمثل بالبحث عن الأسباب غير المباشرة لكل ما قد يعانيه الانسان من أعراض ، وأمراض ، وآلام ، ومن بينها ظاهرة التخلف العقلى فى كل أنواعها ، ودرجاتها . وهذا هو الفارق بين دائرة نشاط هذا العلم ، ودائرة نشاط العلوم الطبيعية الأخرى مثل علم النفس ، والطب النفسى ، والطب العام والتكوينى ، وعلم الاجتماع ...

ويراعى دائماً أن علم الروح ينبغى أن يُفهم بدوره على أنه علم طبيعى الا أنه غير مرتبط بالفلسفة المادية عن الوجود ، وهو أدخل فى طائفة العلوم الانسانية منها فى غيرها ، وهو الآن أهمها بلا ريب فى قدرته على الكشف عن الكثير من أسرار الذات الانسانية ، وبالتالى فى تخفيف بعض ويلاتها ومتاعبها .

وقد بحثوا فى « جمعية باريس الروحية » موضوع صلة البله والجنون بقانون الكارما ، أى بسلوك الروح فى تجسداتها السابقة ، وتداولوا فى هذا الشأن مع احد الأرواح المراسلة ويدعى بيير جوتى Pierre Jouty فأملى الروح البيان الآتى : « البلهاء كائنات تعاقب على الأرض بسبب سوء استخدامها لملكاتها القوية ، فتكون أرواحهم سجينة فى جسم تنوء أعضاؤه العاجزة عن التعبير عن أفكارهم . وهذا العجز العقلى والجثمانى من أقسى صور العقاب الأرضى ، وكثيراً ما تطلبه الأرواح التائبة التى تريد أن تكفّر عن أخطائها .

---

(١) راجع ما ورد فيه فى ص ٨٢٢ — ٨٢٧ .

وهــذه المحنة ليست عقيمة بالمرة ، لأن الروح لا تظــل متوقفة فى سجنها اللحمى ، لأن عينيها المشدوهتين تبصران ، وعقلها الحائر يتصور ، لكن لا يمكن التعبير المطلوب لا بالقول ولا بالنظر . وفيما عــدا الحركة ، فان الروح تكون معنوياً فيما يشبه السبات أو التشنج . فهى ترى وتسمع ما يجرى من حولها بغير أن تقدر على التعبير عن نفسها .

وعندما يصيبك فى الحلم كابوس مخيف عن خطــر تريد ان تفلت منه ، فتصرخ طالباً النجدة بينما يظل لسانك معقودا فى فمك ، وتظل قدماك مقيدتين على الأرض فانت تمر بمحنة عابرة يحيا فيها المعتوه على الدوام ، وهى محنة شلل الجسم عندما يكون مرتبطاً بحياة الروح .

وجميع التشوهات لهــا علة وجودها ، لانه لا يوجد امر بلا علة ، وما قد تطلقون عليه ظلم المصير هو تطبيق لأسـمى صــــور العدالة ، والجنون هو كذلك عقاب لسوء اســتخدام الملكات العليا . والمجنــون له شخصيتان احداهما خارجة عن الوعى ، والثانية تملك الوعى عن حركاتها ، لكنها لا تملك السيطرة عليها .

أما بالنسبة للبلهاء فان حياة التأمل والعزلة لأرواحهم التى لا تملك نعيم الجسد ، قد تكون أكثر اضطرابا من حياة أولئك الذين يمرون بأحداث معقدة جدا . وبعضهم قد يثور ضد هذا التعذيب الاختيارى ، ويندم على سبق اختياره ، ويشعر برغبة جامحة فى العودة الى حياة اخرى ، وهى رغبة تدفعهم الى نسيان التسليم بالحياة الحاضرة ، لأن البلهــاء والمجانين قد يعلمون أكثر منكم بحالتهم ، وقد تختفى تحت عجزهم الجثمانى قدرة معنوية ليست لديكم فكرة عنها .

وأعمال الغضب أو البلاهة التى قــد يندفع اليهــا الجســد كثيرا ما ينقدها الكائن الداخلى الذى يتالم منها ويحمر خجــلا . ومن ثم فان انتهارهم وسبهم ، واساءة معاملتهم ، كمــا يحــدث احيانا ، يؤدى الى زيادة آلامهم ويدعو الى مضاعفة الاحســاس على صورة قاسية بعجزهم وانحطاطهم ...

والبلاهة ليست قانونا من قوانين الله ، وقد يتمكن العلم من التغلب عليها لأنها تمثل النتــاج المــادى للجهالة ، وللتعاسة ، وللدنس . ووسائل الصحة الحــديثة التى جعلها العلم فى متناول الجميــع تميــل الى التغلب عليها . واذا كان التقدم هو الوضع الصريح للانسانيــة ، فان الاختبارات المفروضة ستتبدل ، وستتبع مسيرة الزمن ، وستصبح الاختبارات كلهــا معنوية . وعندما تكون أرضكم — التى لا تزال شابة — قد انجزت جميــع

أوجه وجودها ، فانها ستصبح مقـرا للتنعم ، كما هى الحـال فى كواكب اخرى أكثر تقدما » . بيير جولى

* * *

ثم يكتب آلان كاردك الفيلسوف والرائد الروحى المعـروف تعليقا فى هذا الشأن مقتضاه أنه مر وقت كان يثار فيه التساؤل عما اذا كان البلهاء والمجانين ينتمون حقيقة الى الجنس الانسانى ، ولكن الطريقة التى تواجه بها الروحية مشكلتهم اليست ذات قيمة خلقية وتعليمية عالية ؟ الا نجد هنا مصـدرا لتأملات جادة بالتفكير فى أن هذه الأجسام القاصرة قد تضـم أرواحا ربما تكون قد لمعت فى العالم ، وهى مثـل أرواحنا فى قدرتها على الوضوح وعلى التعقل ، لكنها مغلفة بغلاف كثيف من جسد عاجز (الاشارة الى الجهاز العصبى) يحد من قدراتها التعبيرية ، وأننا قد نصبح يوماً مثلهم لو أننا أسأنا استخدام الملكات التى وهبتنا العناية اياها ؟

والا فكيف يمكننا أن نفسر نقص العقـل ؟ وكيف يمكننا أن نجعله ملتئما مع عدالة الله وطيبته بغير أن نتقبل تعدد الحيوات ؟ واذا لم تكن الروح قد عاشت من قبل فمقتضى ذلك أنها خلقت مع الجسم فى وقت واحد ، وفى هذه الحالة خلق الله أرواحا بائسة ، كأرواح ناقصى العقول ، مع أنه اله عادل ورحيم ؟

ولا يتعلق الأمر هنا بحادثة من تلك الحوادث التى يمكن تفاديهـا أو علاجها ، بل ان هذه الكائنات تولد وتموت فى نفس الحالة ، وليست لديها أية فكرة عن الخير والشر فما هو مصيرها فى الأبدية ؟ وهل ستكون سعيدة بمقدار سعادة الأشخاص الأذكياء العاملين ؟ هل ستكون فى حالة محايدة أو مختلطة ليست بالسعيدة ولا بالتعيسـة ؟ ولكن لم هـذه الدونيـة الأبدية ؟ فهـل من خطئـهم أن يـكون الله قد خلقهم ناقصى العقـول ؟

اننا نتحدى كل أولئك الذين يرفضون فقـه العـودة للتجسد أن يخرجوا من هذا المـأزق . أما مع قبول هذا الفقه فعلى العكس من ذلك أن ما يبـدو الآن ظلما صارخا يصبح عدالة رائعة ، وما يبدو الآن غير قابل للتفسير يصبح مفسرًا باكثر الأساليب التئاما مع المنطق .

بالاضافة الى أننا لا نعرف أن رافضى هـذا الفقه قد قدموا الينـا حججاً اخرى سوى نفورهم الشخصى من العودة الى الأرض . وعن هـذا النفور نقول لهم : ان الله لا يطلب لاعادتكم الى الأرض أن تأذنوا له بذلك، كما أن القـاضى لا يطلب من المتهم الاذن بارساله الى السـجن . وكل

انسان يملك امكانية عدم العودة اذا ترقى بما يكفى كيما يستحق الذهاب الى مستوى أعلى ، ولكن فى تلك المستويات السعيدة الأنانية والكبرياء مرفوضان ، فيتعين بالتالى العمل على التخلى عن هاتين الرذيلتين الخلقيتين ، اذا كان الانسان يرغب حقا فى الصعود قدما .

ومن المعلوم أنه فى بعض الأوساط لا يكون ناقصو العقول عرضة للازدراء ، بل محلا للرعاية ، الا يستمد هذا الشعور مصدره من الهام صادق بحالة أولئك التعساء ، وهو شعور جدير بالتقدير ، خصوصاً لأن أرواحهم التى ينبغى أن تدرك حالتهم تتالم حتماً عندما ترى نفسها نفاية للمجتمع ؟

بل انهم فى تلك الأوساط يعتبرون أن من مصادر الثواب والبركة احتضان أحد أولئك التعساء فى الأسرة ، فهل هذه خرافة ؟ من الجائز أن يكون الأمر كذلك ، لأنه فى الأوساط الساذجة قد تمتزج الخرافة مع أكثر الأفكار قداسة بغير قصد . وفى جميع الحالات تكون هذه للآباء فرصة لممارسة البر ، الذى يزيد من مجده أن ناقصى العقول يكونون فى المعتاد من الفقراء ، فعبء تربيتهم يكون بلا مقابل مادى لمن يتولى العناية بهم .

ويكون الثواب عن العناية العطوفة بطفل ناقص الادراك أعظم قدرا اذا كان هذا الطفل أميل الى التخريب ، وذلك لأن برء القلب اسمى الفضائل المقبولة من الله ، وهو يجلب دائما بركته على من يطبقونه . وهذا الشعور الفطرى الكامن عند أولئك الأشخاص يعادل هذه الصلاة : « الشكر لك يا الله لأنك منحتنا كاختبار لنا كائنا ضعيفا لكى نرعاه وحزيناً لكى نواسيه » (١) .

ماذا يقول ماترلنك فى الكارما ؟

وممن تناولوا موضوع احتمال العودة للتجسد والكارما الباحث البلجيكى والأديب المعروف موريس ماترلنك Maurice Maeterlinck (جائزة نوبل فى الأدب) (٢) ، وله أكثر من مؤلف تناول فيه موضوع الظواهر الروحية . وفى مؤلف قيم له عنوانه « الموت » (٣) يشير الى هذا

---

(١) من كتاب « الجنة والنار » Le Ciel et L'Enfer طبعة ١٩٢٣ ص ٤٧٦ — ٤٧٩ .

(٢) واجع ما سبق عنه فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٨٥ .

(٣) La Mort.

الموضوع كمجرد احتمال ليس هناك ما ينفيه وان كان فى نظره لم يثبت بعد علميا الثبوت الكامل ، حتى تاريخ صدور هـذا الكتاب وهو سنة ١٩١٣ (ولم يكن امامه تقريبا سوى اختبارات دى روشا التى اشار اليها صراحة ودافع عن قيمتها وقيمة صاحبها) .

وهو يأسف لذلك ، لأنه — فى تقديره — « لم يوجد قط من قبـل إعتقاد أكثر جمالا ، وعدالة ، ونقـاء ، وخلقا ، وغنى فى نتائجه ، وتعزية ، وقربا الى التصور من هذا الاعتقاد .

فهو بما يقيمه من فقه عن التـكفير ، والتطهـير المتتابع مرة بعـد الاخرى ، يفسر التفاوت بين انسان وآخر فى الجسـد وفى العقل . كما يفسر المفارقات الاجتماعية ، وما يبـدو من مظالم صارخة فى المصائر . ولكن مزايا أى اعتقاد ليست دليلا على صحته . وبالرغم من أن هـذا الاعتقاد يمثل عقيدة ستمائة مليون من البشر (١) ، فهو اقربها الى تفسير الاصـول الخفية ، ولعله التفسـير الوحيد الذى لا يثـير الامتعاض ، ولا يبدو بعيدا عن التصور ، وينبغى أن يلقى من العناية فى دراسته أكثر مما يلقـاه غيره ، وأن يقـدم لنا الباحثـون فيه ادلة لا تدحض ، أما ما قدموه لنا حتى الآن (قبل سنة ١٩١٣) فهو ليس أكثر من ظـلال أوليـة لأدلة لا تزال فى مبدئها » .

كما يقـول أيضا « انه حتى لو ثبتت نظـرية العودة الى التجسد علميا ، ومعها حياة الانسان بعد الموت ، فان ذلك لا يكفى لحل مشـكلة التساؤل الهام عن الأصل وعن المصـير ، وهما المشكلتان الاساسـيتان للانسان ، بل ان ثبوت ذلك يؤدى فحسب الى تراجع المشكلتين للوراء لعـدة قرون ، أو لعـدة آلاف من السنين بأمل ان نفقد المشـكلتين أو ننساها فى الصمت أو فى الفضاء » ... (٢) .

* * *

ولعقيدة العودة الى التجسد غير ما تقدم مزايا أخرى وهى تخفيف حدة الفواصل الصناعية التى قد تفصـل بين شتى الأجنـاس والاديان والألوان . فبحسـب هذه النظـرية قد يتعاقب الشـخص الواحد على التجسد فى اجناس مختلفة ، وفى اديان متنوعة ، وفى ذلك وحده مايدعوه

---

(١) يشير ماترلنك الى ذيوع هذا الاعتقاد فى بلاد الشرق الأقصى بوجه عام . وعقيدة العودة للتجسد هذه تمثل الآن عقيدة اكثر من نصف سكان الكرة الأرضية ، أى حوالى ثلاثة اضعاف الرقم الذى تصوره ماترلنك فى سنة ١٩١٣ وان كانت قد داخلتها الاساطير ، والخرافات كمـا هى الحال دائما . وعلى اية حال ان ذيوع أى اعتقـاد لا يصلح دليـلا للاثبات ولا للنفى .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٨ — ١٧١ .

حتما الى أن ينظر بعين الوداعة والتسامح الى باقى الأجناس والاديان الأخرى ، اذ من الجائز أنه كان بين أتباعها يوما ما ، أو أنه سيكون يوما ما من هؤلاء الاتباع ، فى تجسد لاحق عندما تشاء ذلك مشيئة الله . فعلام هذا الاعتداد المفرط بالانتماء الى جنس دون آخر ، أو الى دين دون غيره فى مرحلة التجسد الحالى ؟ .

وفى كل تجسد جديد من المفروض أن يكتسب الانسان خبرة جديدة وخلقا متزايدا ، ولعل ذلك يعطى تفسيرا مقبولا لحكمة بارىء هذا الكون التى سمحت بتعدد الأجناس ، والالوان ، والاكوان ، والاديان ، على النحو المعروف وذلك لزيادة فرص التعلم والاختبار ، ولتحقيق رسالة التطور ، ومعها رسالة المحبة والتسامح .

بل انه قد يكون من آثار الاعتقاد بالعودة الى التجسد تخفيف حدة التعصب حتى بين الذكور والاناث : فهى بما قد تسمح به من احتمال التجسد مرة فى الذكورة وأخرى فى الأنوثة ، تحمل الانسان خصوصا الرجل على الا يحتقر الجنس الضعيف لمجرد ضعفه ! .. ان الفروق بين الجنسين — اذا ما استبعدنا ما يسند منها الى طبيعة الجنس Sex الذى ينتمى اليه الانسان — ليست قوية ، بل ضئيلة عند من تعودوا أن يتعمقوا فى بحث انفعالات الروح ، ودوافعها ، وغرائزها بعيدا عن الارتباط بجسد من نوع معين .

فبين الشقيق وشقيقته ، أو الأم وابنها ، قد تجد أحيانا من وجوه التشابه فى الشكل وفى الوعى ما قد يسترعى الأنظار ويحير الالباب ، وما قد لا تجده بين شقيقين كليهما من الذكور ! ثم ان للجنسين معا ميلا للتقارب اشار اليه فيكتور هيجو عندما لاحظ أن أول أعراض الحب الصادق فى الرجل هو الخجل ، وفى الفتاة الجرأة .. فللجنسين ميل غريزى للتقارب ، وكل منهما قد يتخذ صفات الآخر .

ماذا يقول كايس فى « الكارما » ؟

وممن تناولوا موضوع « الكارما » وصلتها بالعودة للتجسد الوسيط والبحاثة الأمريكى المعروف ادرجار كايس E. Cayce ويتساءل كايس لماذا جعلنا الله تعالى ننسى حيواتنا الماضية ؟ ويجيب بأن الحكمة فى ذلك هى أنه يريد أن يحمينا من ذكريات آثامنا الماضية التى قد تكون رهيبة ، بل رهيبة جدا فى بعض الأحيان لأنه لا يريد أن يجرب انسانا بأكثر من طاقته على تحمل الألم والمهانة .

كما يقول ان أغلب الأشخاص يسيئون فى الوقت الحاضر فهم « الظروف الكارمية » . فكل روح أو كائن عليه أن يحصل على الفهم

الصحيح لمعنى القدر . والقــدر مودع بداخلنــا ويلزمنا الايمــان بذلك ، فهو بمثابة منحة من القوى الخالقة لنــا . وبالتالى فان التأثير «الكارمى» يكون فى هذه الحالة فهما ثوريا ضــد فــكرة القضاء والقدر الخارجيين . ويستشهد فى هذا الشان بقول بولس الرسول « اذا كنتم تحيون حسب الناموس فبحسب النــاموس تدانون ، ولكن اذا كنتم تحيــون بحسب الايمــان فبحسب الايمــان تدانون » .

فينبغى اذا أن تفهمــوا أن ناموس الله هــو الــكامل ، وليس فهم الناس لهــذا الناموس . وينبغى تحقيــق الناموس فهــل ســتحققونه بأنفسكم ، أم ســتدعون الآخرين يفعلون لكم ذلك ؟ ... أن « من يبحث يجد ، ومن يطــرق البــاب ينفتح له » ... وهــذه نواميس لا يتــأتى دحضها ، ولا تغييرها .

و « الكارما » عبارة عن رد فعل روحى يمكن أن يقارن برد الفعــل فى الجسد عندما يتناول الانسان طعاما فيتحــول الطعام الى جــزء من الجسد نفسه ، ويتخلل الى كل خليــة حية فيه ، ويؤثر فى صحة الجسد والعقل . وهذا هو ما يحدث فى الروح عندما تحل فى جسد للاختبار على الأرض ، وتصبح أفكار الانسان ، مقترنة بأفعــاله الناجمــة عن هــذه الأفكار بمثابة الغــذاء الذى تتغــذى به خلايا الروح . وهــذه الأفكار والأفعال ولدتها بدورها أفكار وأفعال سابقة لها منذ مولد الروح .

فاذا ما دخلت الروح الى جسد جديد فقد انفتح أمامها باب جديد يقود الى فرصة لبناء قدر الروح . وكل ماسبق بناؤه فيما سبق من خير ومن شر داخل فى هذه الفرصة . وتوجد أيضا فرصة للغفران ، ولــكن لا توجد فرصــة للافلات من المسئوليات التى تقبلت الروح نفســها أن تتحملها .

وهكذا تكون الحياة ســبيلا للتطور ، واعدادا لتطهير الروح ، رغم أن الحياة تمثــل ســبيلا شاقا للوعى الفيزيقى ، وللجسد الفيزيقى . ثم يأتى التغــير ، ويعتقــد البعض أن الحظ هو الذى تدخل ، لكنــه ليس الحظ ، بل هو ثمــرة ما صــنعته الروح عنــدما أتيحت لها فرصــة الغفــران .

وبالتالى فانه بحسب كايس يكون ناموس الكارما عبارة عن مجــرد تقصير منك فى الارتفاع الى المستوى الذى تعلم انه ينبغى عليك أن تصل اليه . وكما تريد أن يغفر الله لك ذنوبك عليك انت ايضا ان تغفر للآخرين ، وهذا هو الأسلوب الذى علينا أن نواجه به قانون الكارما .

ولا يتأتى لارادة الله ، ولا لارادة البشر أن ترغم اى انسان على أن يغفر لنفسه أو للآخرين ما لم يعتزم هو نفسه أن يفعل ذلك . فله الحرية فى أن يظل مقيما فى « مطهره » الذى اختاره لنفسه الى أن يختار حالة اخرى غيره .

والى أن يطور الانسان نفسه تطويرا كافيا فى طريق الاستنارة حتى ينتزع نفسه من حالته بمجهوداته الخاصة ماذا يستفيد من التساؤل قائلا « لماذا لا اذكر الماضى ؟ » ان من الأولى أن يقول « بل انى ليسعدنى الا اتذكره » . وذلك حتى لو كان النسيان يحرمه من نعمة تذكر حيواته الماضية التى يكون قد عاشها كملاك خادم للنفوس الأخرى المحيطة به ، فمات محبوباً ، ومحلا للتكريم وللاحترام . ولكن كل خير انجزته الروح سيظل دواما مع الروح ، ولا يتأتى للروح أن تحرم من نعمة الخير الذى صنعته .

ومهما كانت ظروفك اليمة فى الحياة الحاضرة فانك قد وضعت نفسك فيها بعدم اكتراثك السابق بالنواميس الالهية . وكل ناموس تخرقه فانت تخرقه بمحض ارادتك الحرة التى منحك اياها الخالق منذ البداية . ولقد تخيرت وحدك أن تكون حيثما أنت كائن فى هذه اللحظة . وأن ذلك يتيح لك بالأقل شرف الاقرار بأنك قارفت أخطاءك الخاصة وما يمنحه ذلك من احترام للذات ، حتى وان كان الاقرار مصدرا فى تبديد أوهامك بأنك ضحية اله غضوب ، منتقم ، يراقبك بلا عدالة ، ولا فهم ، ولا حرية لك .

ولعله لهذه الاعتبارات يتعذر التوفيق بين أضواء الايمان المستنير ، وبين فكرة النار الأبدية فى جهنم . ولذا فان الاله الوحيد الذى عرفه ادجار كايس عندما كان يروح فى غيبوبته كان الها للرحمة غير المحدودة التى غفرت لجميعنا ذنوبنا بالفعل ، وليضع كل قارىء فى ذهنه أن كل ناموس من نواميسه — بحسب العودة للتجسد — يتبع اسلوب الرحمة ، ولا يمكنه أن يتبع اى أسلوب آخر .

ولذا يقول كايس أيضا أن كل كائن فى حرب مع نفسه ؛ وأن كل كراهية وخبث ، وكل ما يجعل الانسان خائفا ينبغى استبعاده من الذهن ، لأنه كما قيل لنا منذ القدم سيتعين على كل روح أن تقدم حسابا عن كل كلمة تفوهت بها ، وكل خلجة شعرت بها ، حتى وان كانت الروح تعلم أو ينبغى أن تعلم أن ثمة صلحا حدث مع الآب ... وأن ناموس الغفران يمثل المقابل الأزلى لناموس الحساب عن الديون المتراكمة . وهو يتدخل عند العمل فى غير انانية لاسعاد الآخرين ، لأن ما تزرع اياه تحصد أيضا ، وذلك ما لم تنتقل من سطوة ناموس الكارما

الي ناموس الغفران ؛ وغالبية الأرواح تتقلب فيما يبدو بين هـذين الناموسين (١) .

تعليق

عند مقارنة آراء الباحثين فى الكارما من المدرسة الثيوصوفية بآراء الباحثين الروحيين المتحررين من الارتباط المسبّق بأية مدرسة عقيدية او فلسفية نجد فارقا واضحا هو أن الأوائل يغفلون تماما — او يكادون — وجود نواميس طبيعية للغفران تعمل الى جانب نواميس الجزاء ، حين يتحدث الآخرون عادة عن وجود هذه النواميس وتلك جنباً الى جنب .

وفى واقع الأمر — الذى اقتنعت به — هو اننا لا ينبغى أن ننكر وجود نواميس للغفران . ومع مراعاة أن كلمة نواميس تشير بذاتها الى أن الغفران — وهو أعظم هبة فى الوجود ؛ والزم الهبات لسعادة النفس وخلاصها من آلامها — لا يمكن أن يمنح جزافاً ؛ بل يخضع بدوره لقوانين ، أى لضوابط طبيعية .

ومن غير المقبول ان يقال أن مجرد التوبة — ولو كانت خالصة وصادرة من القلب — تكفى للغفران ، خصوصا وأن التوبة — بحسب اجماع البحوث الروحية — جائزة هنا وهناك ، وفى كل وقت . ان التوبة الخالصة قد تمنح صاحبها قدرا ولو ضئيلا من الرضاء أو من الاطمئنان، لكنها لا تكفى لمحو آثار اخطاء الماضى القريب أو السحيق ، بل يلزم أيضا حسبما أكده آلان كاردك — وهو من ابرز فلاسفة الروحية واعمقهم اثرا حتى الآن — اصلاح الضرر الذى يكون الانسان المخطىء — بسبب خرقه لناموس من النواميس الطبيعية للأخلاق — قد الحقه بضحيته البائسة .

واصلاح الضرر لا يكون بالضرورة عن طريق معاناة الألم وحدها ، بل قد يكون أيضا — ومن باب أولى — عن طريق احساس الانسان احساسا شعوريا أو لا شعوريا بانه ينبغى عليه باتخاذ سلوك معين أن يصلح ضررا أحدثه بغيره نتيجة اتخاذه سلوكا مغايرا .

وهذا الاحساس نفسه قد يكون مصحوبا بالسعادة لا بالألم ، لأن كل انسان يؤدى خدمة حقيقية للعدالة ، أو لتضميد جراح الآخرين ، أو لتحقيق رغباتهم المشروعة ، يشعر او ينبغى أن يشعر بالسعادة مهما

---

(١) عن كتاب Novel Laugley : Edgar Cayce on Reincarnation. p. 40 - 52.

تكبّد من المتاعب ، أو مهما صادفه من الصعوبات الأليمة ، خصوصا عندما تربطه روابط كارمية بهؤلاء الآخرين . وهذه الروابط العريقة قد تمثل بذاتها ثمرة تطور الانسان ، ونتاج سلوك ماضيه ، وتلعب دورها في صيغة قانون للتجاذب أو للتوافق الاجتماعي مستمد من قاعدة أن كل شبيه منجذب الى شبيهه .

وعلى اية حال فان من مقتضيات الايمان بالكارما الايمان بان روح الانسان باقية ، وأنها بمثابة سجل خالد يحفظ لصاحبه كل أفعاله ، ومشاعره ، وعواطفه . فلا شيء قابل للزوال ، وان كانت جميع الأشياء تمثل نتائجا واسبابا في حالة تفاعل دائم ، وتولد آثارها المحتومة بدقة تفوق الوصف : ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً . وعلى قدر الخير تكون سعادة الانسان وهي اعز أمانيه ، وعلى قدر الشر يكون شقاؤه وهو الد أعدائه .

والكل يخطيء ، لانه في أفضل الناس يوجد جانب ولو باهت من الشر ، وفي شر الناس يوجد جانب ولو باهت من الخير . وما دمنا نملك القدرة على التسلق فاننا نملك ايضا القدرة على السقوط . والقدرة على ان تكون أخيارا ونصنع الخير ينبغي أن تكون لها قدرة مقابلة على أن تكون أشرارا ونصنع الشر . فكل هذه خصائص للتعبير عن قدرة الانسان على التفكير ، وعلى الحركة .

ففي كل انسان منا قدر فحسب من الكمال الخامد ، وهذا هو الارث الروحي لجميع البشر . واعلى صور الكمال هي القدرة على أن نغتفر اساءات الآخرين نحونا — مهما كانت جسيمة — وهي تمثل مجرد قبس باهت ضئيل من قدرة الله على أن يغتفر لنا اخطاءنا عندما نغتفر للآخرين اخطاءهم وبنفس المقدار تماما .

وبقدر ما نعطي نأخذ ، وبقدر ما نسعد الآخرين نصبح اهلا للسعادة . واذا غفرنا فاننا نحب ، واذا احببنا فاننا نمحو الكراهية من قلوبنا وننسى الألم الملازم لها . ومن هنا يمكن القول بأن الكراهية لا يمكن في ناموس الطبيعة أن تنتهي الى كراهية ، لانها لا تلبث أن تتحول عن طريق المغفرة الى محبة ، والمحبة الى تطور وارتقاء .

وهكذا فان المدن ، والجبال ، والقارات ، قد تزول ويمحي اثرها ، اما خلجة واحدة من خلجات الانسان للخير أو للشر فلا تضيع هباء ، بل هي تولد نتائجها الى ما لا نهاية . وهكذا فان اية خديعة لنواميس الطبيعة لا قيمة لها في سفر الحياة ، ومشكلة المشكلات هي في معرفة

اين الخطأ وأين الصـواب فى تصرفات الانسان ؛ ثم فى كيفية الارتبـاط بالصواب ولو عظمت مسغبته ؛ ونجنب الخطأ ولو عظم اغراؤه .

ولا تحسبن أن الصواب واضح والخطأ واضح ، فان ضمائر البشر تتفاوت تفاوتا ضخما فى مدى نضجها وتطورها . وكثيرا ما تكون حقـائق الحياة محجوبة عن ضمير الانسان — حتى ولو كان ناضـجا متطـورا — بغيوم كثيفة من الانانية ومن الاعتـداد بالذات ، ومن شـهوات الدنيـا الباطلة ، ومن القيم الاجتماعية المقلوبة . ومن المفاهيم الخلقية الخاطئة ، التى قد تزين للانسان أفدح الشرور فى صورة أعظم الفضائل .

ولابد اذا من تحـديد ماهية الخطأ والصـواب فى نواميس الطبيعة الراقية ، وهذه هى رسالة فلسفة الروح فى انبل اهدافها التى تسعى الى تحقيقها وتحاول على قـدر طاقتهـا الاضطلاع بها ، وتقديمها للانسانية خالية من شوائب الأوهام والترهات العريقة المتوارثة من جيل الى جيل . وتشترك مع الفلاسفة فى نضالهم النبيل طائفة من الأرواح الراقيـة التى تدرك تماماً مدى حاجة الانسانية فى مرحلة تطورها الراهنة لاستكناه القيم الروحية الصادقة ولمحاولة بذل غاية الجهـد فى تعريف بنى البشر بها ، ودفعهم الى محاولة التقيد بها فى افعالهم . ومشاعرهم ، وعواطفهم ، فان اصروا على الخطأ فلابد من تصحيح الاخطاء فى النهاية .

وسـواء أتم تصحيح اخطاء المـاضى عن طريق الألم — الجثمانى أو النفسى — أم عن طريق الخدمة ؛ فى غمرة المحبة والتفانى ازاء الآخرين، فان تصحيح اضرار الماضى هو فى النهاية باب الغفران الذى فتحته الطبيعة على مصراعيه لمن يريد ان يتوب توبة حقيقية خالصة ؛ ليحصل عن طريق هذه التوبة على اعظم هبة فى الوجود . وهى هبة النسيان والغفران .

فالغفران لا يعطى جزافا ؛ ولا من باب المحاباة . ولا يعطى نتيجة لتوبة سلبية لا أثر لها فى اصلاح خطأ المـاضى ؛ بل يعطى كنتيجة طبيعية للتوبة ، ولغفران ذنوب الآخرين ثم لاصلاح الخطأ الصادر منا بكل آثاره . وهـو يبدو على هـذا النحو ناموساً طبيعياً للروح يعمل تلقائياً مثل كل النواميس الطبيعية الأخرى التى تحكم تطور الروح والتى تتحكم فى عوامل شقائها وسعادتها ، وسقوطها ونهوضها ، وذبولها وازدهارها ...

وهـو يعمل سـواء أسلمنا به أم انكرناه ، وشعرنا به أم جهلناه . وكأننا فى حدود هذا المفهوم المحدد للغفران يكون علينا أن نصلح فى الأثير اضرار أخطاء حيـاة الأرض . وأن نصـلح فى الأرض اضرار أخطـاء حيـاة الأثير . ومع مراعاة أن المـادة اثير . والأثير مادة وكلاهما محـكوم بالعقل

ولو على نحــو ما . وكل الفارق بنهما هو فى رتبة الاهتزاز ، وبالتالى فى مدى اتصاله بحواسنا العاجزة جدا .

عن اثر « الكارما » فى طبائع الشعوب

وعلى اية حال فان الاعتقاد بالكارما اية كانت صيغتـــه ــ أمر له اثره العميق فى طبائع الشعوب . ومن يدرى فلعل رســوخ هــذه العقيدة رسوخاً شديدا فى الهند كان له اثره فيما عرف عن اهلها من ميل حقيقى الى السلام ، ومن اتجاه مخلص الى الوداعة ، والقناعة ، والأمانة ، والوفاء ايضاً ، الى حد قلما يجد له الانسان نظيراً خارج الهند ؟ ناهيك بما عرف عن أهلها أيضــاً من التعلق الشديد بكل ما يتصـــل بالروح ، وبالخلود ، وبالأديان ، وبالتدريبات الروحية الشاقة ؟

وهذا لا ينفى فى نفس الوقت أن الهند تعانى تخلفاً ملموساً فى جوانب روحية عــديدة ، كان له صــداه أيضاً فى التعلق الشــديد بالشخوص وبالطقوس ، وفى انتشـــار الخــرافات الضارة بل القاتلة احياناً ، ناهيك بتفشى الروح السلبية فى مواجهة العديد من مشكلات الحياة ، والغموض الشديد فى مواجهة العديد من أمور الاعتقاد .

فمن يتصور مثلاً أن غاندى البطل ، القديس ، كان رغم كل مبادئه السامية متعلقــاً بالكثير من الخرافات الضارة ؟ فمثلاً نجــده يقول عن نفسه انه لا يتناول البيض « وحــدث فى وقت ما ان كادت احدى كنائى تهلك من ســوء التغذية ، وقد الح طبيبها على تناول البيض فلم أوافق . وأجابنى الطبيب ان البيض غير ملقح ولذا ينتفى القتل (قتل البيضة !) . واذ ذاك سمحت لكنتى عن طيب خاطر أن تاكل البيض ، وقد استعادت صحتها حالاً » أما هو فقد رفض تناول البيض ــ سواء أكان ملقحاً أم غير ملقح ــ وذلك حتى وفاته ، وباصرار عجيب (١) .

وهكذا تجد أن الخرافات باسم الدين لا تزال تعوق تقدم الشرق ، ولا تزال مسئولة الى حد كبير عن تخلفه ، لانها تؤدى فى كثير من الأحيان الى تعطيل دور العقل مهما كان ناضجاً ، ودور الأخلاق أيضاً مهما كانت نامية وسامية . ولسنا نقصد مجرد الخرافات الخاصة بالأكل والشرب ، اذ لعلهــا أهونها شأنا ، بل نقصد جميع الخرافات الخاصـــة بغذاء العقل والعاطفة ، والتى تكاد تفترس العقل والعاطفة افتراساً رهيباً لا هوادة فيه.

---

(١) راجــع « فلســفة الهند فى سيرة يوجى » تعريب الأستاذ زكى عوض المحــامى سنة ١٩٥٥ ، ص ٤٦٩ .

وهكذا تجد ايضاً ان الاعتقاد عرضـة لأن يتأثر بالبيئة ، كما هـو عرضة لأن يؤثر فيها على نحو او آخر ولو على الأمد البعيد . وكلما كانت مفاهيم الاعتقاد اكثر صحة ونقاء : كلما كان اثره اكثر وضوحاً ، وكلما كانت مقاومته لعوامل الضعف او الانحلال التى قد تجيء من جانب البيئة اروع اثراً واطول أمداً .

والاعتقاد فى النهاية ــ بكل مفاهيمه ــ كائن نامٍ متطور ، وهو فى نفس الوقت من اقوى عوامل التطور اذا ما أحسن فهمه ، ومن اقوى عوامل التخلف اذا ما أسيء فهمه .

ولذا ايضاً فان الاعتقاد الواحد فى البيئة الواحدة قد يسفر عن رسوخ مفاهيم نقية صحيحة تدفع الانسان دفعاً نحو الأمام بمقدار ما قد يسفر عن مفاهيم ضارة غير مشرقة بالمرة تدفعه دفعاً الى الجمود والتخلف. والتخلف فيما يبدو يمثل الخطيئة الكبرى فى الحياة لانها خاضعة خضوعاً تاماً لناموس التطور والارتقاء فى العقل والعاطفة لا فى الملبس والمآكل ... وفى هـذا الميدان بالذات فليعمل المخلصون من مفكرى الشرق والساعون الى دفع عوامل جموده وتخلفه ، وتوفير أسباب تطوره وارتقائه .

* * *

كما يعتقد بعض المؤلفين ان رسوخ هذا الاعتقاد نفسه فى اليابان كان له اثره الملموس فى « سيكولوجية » الشعب اليابانى ، وما يتميز به من روح فدائية عديمة المثال نحـو الوطن والامبراطور . ومن الذائع عندهم الاعتقاد بأن من يموت شجاعاً يتلقى الجزاء فوراً بالعودة للتجسد فى مستوى اجتماعى أعلى من مستواه السابق .

فمن يموت لأجل الامبراطور او الوطن وهـو عامل فقير ، او صانع مغمور ، سيعود للتجسد غنياً ، او نبيلاً ، أو من ذوى الألقاب . ويترتب على ذلك انك تجد الانسان هناك ــ مهما كان من فئة متواضعة فى الشعب ــ لا يحمل اية ضغينة ضـد الفئات العليا ، لأنه متيقن انه بميلاده فى فئته المتواضعة انما يدفع ثمن أخطاء الماضى . كما يعلم أن الانسان الغنى يتلقى جزاءً سخياً عن تضحياته السابقة .

لذا فان الجندى اليابانى يعدو ملهوفاً نحو الموت عدْواً ، اما الجندى الأوروبى فيحتاج الى الكثير من التركيز الخاص على الارادة حتى يموت فى الحرب موتاً نظيفاً . وهذا موضوع متصل بطبائع الشعوب ، ولكن دعونا هنا ــ كما يقول الدكتور جيرار انكوس ــ نركز على قوة هـذا الاعتقاد فى

عقول الشرق الأقصى (١) .

المبحث الخامس

عن « العودة للتجسد » في بعض جوانبها العامة (بحسب شودزموند)

اظن أن الفصول والمباحث السابقة لبست محيطة بالبينات عن عقيدة العودة للتجسد ، التى اخذت تترى فى تدفق مثير للانتباه منذ بدات محاولات الباحثين العلميين للوصول الى جواب حاسم فى شانها بوصفها عقيدة تقع فى الصميم من موضوعات عديدة تمس « علم الانسان » مساساً مباشراً واصيلاً .

وفى نفس الوقت اخذت تتضح تدريجياً عناصر ارتباط هذه العقيدة بأمور كثيرة اصبحت الآن فى مقام المعطيات العلمية الثابتة ، وبخاصة ما تعلق منها بتعليل التطور وتحديد بعض اهدافه . ناهيك بتعليل اللاشعور ، وتحديد الصلة بينه وبين الشعور ... الخ على النحو الذى ورد فيما سبق .

على انه مهما كانت قوة البينات القائمة فى جانب هذا « الاحتمال » ، هناك تساؤل هام ينبغى أن يثار بالحاح : وهو الى اى مدى يصلح هذا « الاحتمال » ينبوعاً للفكر وللشعور لدى الانسان العصرى ، اى لدى الانسان الذى يظن الكثيرون انه قد قطع شوطاً بعيداً فى حضارة الفكر والشعور ؟

أو بعبارة اخرى هل من المفيد للانسان المثقف ان يتمسك بأهداب هذا الاعتقاد ، وأن يتخذه اساساً لمفاهيم شعورية واجتماعية محددة لتكييف صلته بالله تعالى ، وباخوته فى المجتمع ، وفى الانسانية ؟

ابتداءً ينبغى أن يقال ان الاجابة تتوقف على الاقتناع بثبوت هذا « الاحتمال » من الناحية العلمية او عدم ثبوته . فاذا قيل بالثبوت ، فان الاجابة تصبح يسيرة جداً ، وهى أن كل خطوة يخطوها الانسان نحو الوصول الى حقائق الحياة تصل بنفس المقدار بينه وبين الله تعالى لانه مصدر كل حقيقة يمكن أن يصل اليها عقل الانسان او وجدانه . وهذه الخطوة نفسها تصل ايضاً بينه وبين اخوته فى الانسانية . لانه لا يمكن

---

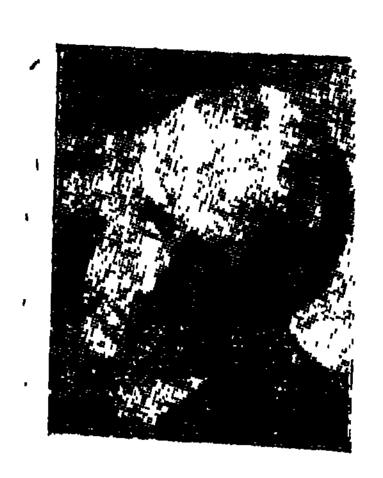
(١) عن جيرار انكوس ، المرجع السابق ص ١٦٩ .

ان تقـام علاقة أمينة الا على حقـائق الامور . لا على أوهامها وترهاتها ، وهذا كله وثيق صلة بتحديد بعض النتائج العامة لمثل هذا الاعتقاد .

وعلى اية حال . فان الاجابة على هـذا التساؤل لا ينبغى أن تكون من مسئوليات كاتب هـذه السطور ، بل ينبغى أن يقوم بها باحث عملى اتصـل — على مدى خمسين عاماً تقريباً — أوثق صلة ببحـوث الظواهر الوساطية التى اقنعته بصـحة الخلود وصـحة هذه العقيدة فى مفهومها المحدد الذى قدمناه فى تضاعيف هذا البحث . وهى عودة الانسان للتجسـد فى صورة آدمية لا تقبل تبديلا . الا أن تكون صـورة آدمية أخرى ، وربما افضل من سابقتها بحكم التطور الطبيعى للحياة نحو الأمام . أى تطور الحياة فى التكوين الفكرى للانسان ، وتطور هذا التكوين الفطرى فى مدارج الحياة من كافة نواحيها .

ماذا عن دزموند ؟

والباحث العملى الذى اخترته كيمـا يقوم بتحمل مسئولية الاجابة على هـذا التسـاؤل الهام عن بعض النتائج العـامة لهذا « الاحتمال » هو العلامة الايرلندى شو دزموند Shaw Desmond مؤسس « المعهـــد الـدولى للبحث الروحى » بلندن (١) . ومن عوامل اختيارى اياه — ليس فحسب تضلعه فى العلم الروحى — بل أيضـاً تضـلعه فى سبر اغوار النفس الانسانية ، ومواجهة عويص مشكلاتها ، خصـوصاً منهـا ما تعلق بينابيع الفكر والشـعور فيهـا ، وذلك بأسلوب مفكر قدير يعد فى القمة بين مفكرى العصر .



شو دزموند

فهو صاحب عدة مؤلفات قيمة فى « علم الروح الحديث » وضعت بيانها فى مناسبة اخرى (٢) . بالاضافة الى عدة روايات وكتب ادبية ذائعة

---

(١) International Institute For Psychical Research.

(٢) راجع ما ورد عنه وعنها فى « الفصل » الجزء الأول ص ٤٣٨ ، والجزء الثانى ص ٤٠٣ — ٤٤٩ .

الصيت منها : « روح الدانمرك » (١) (١٩١٨) و « العاطفة » (٢) (١٩٢٠) ، و « بلادى » (٣) (١٩٢١) ، و « مأســـاة ســين فاين » (٤) (١٩٢٣) ، و « قصص عن غـلام » (٥) (١٩٣٠) ، و « قصـــة ســيدة مرحــة » (٦) (١٩٣٣) ، و « الجـذع الافريقى » (٧) (١٩٣٥) ، و « كبرياء لندن » (٨) (١٩٣٧) ، و « ميلاد العالم » (٩) (١٩٣٨) ، و « تنمية الانسان المتحرر »(١٠) (١٩٤٠) ، و « ايزيس المتجسدة » (١١) (١٩٤١) .

ومن مؤلفاته أيضاً : « الشروق الأسود » (١٢) (١٩٤٥) ، و « طابور الجنــة » (١٣) (١٩٤٦) ، و « قصـــة آدم على حقيقتها » (١٤) (١٩٤٧) ، و « قصة ادوارد » (١٥) (١٩٥٠) ، و « الشخصية والقوة » (١٦) (١٩٥٠) ، و « ناثانيل » (١٧) (١٩٥٠) ، و « الحج الى الجنة » » (١٨) (١٩٥١)،وغالبية مؤلفاته ترجمت الى عدة لغات وطبعت عدة طبعات .

وهذا الانتاج الأدبى الزاخر لم يمنعه من مواصلة أعماله العـديدة ومن القيام بسياحاته الى كل أطراف الأرض ومن ممارسة هواياته العديدة للسباحة ، ولليوجا ، وللموسيقى ، وللجودو (المصارعة اليابانية) . وكان يحاضر كثيراً فى موضوعات الروح فى جامعتى كامبريدج واكسفورد ، وعدة جامعات فى الدانمرك واسكندنافيا .

---

(١) The Soul Of Danemark.
(٢) Passion
(٣) My Country.
(٤) The Drama Of Sinn Fein
(٥) Tales Of Boy.
(٦) The Story of a Light Lady.
(٧) African Log.
(٨) London Pride
(٩) World - Birth.
(١٠) Foster Freeman.
(١١) Incarnate Isis
(١٢) Black Dawn
(١٣) Paradise Pow
(١٤) The Story of Adam Verity.
(١٥) The Edwardian Story.
(١٦) Personality and Power.
(١٧) Nathaniel.
(١٨) Pilgrim to Paradise.

وقد كان دزموند الى حين انتقاله الى عالم الروح (فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦٠) رئيساً « لرابطة الحياة بعد الموت » (١) . وقد عالج قضية العودة للتجسد فى كتاب على حدة اسمه « عودة التجسد لكل انسان » (٢) من جوانب عديدة يغنينا منها فى المبحث الحالى جانب الايمان بهذا الاعتقاد من ناحية بعض نتائجه واثره فى الفكر والشعور لدى الانسان العصرى ، وقد تناول المؤلف ذلك بمقدرة ادبية اصيلة فى عدة فصول ، تمثل ثمرة بحوث شاقة دامت لعشرات من السنين فى العلم الروحى ويمكن أن يضمها مجتمعة العنوان الذى تخيرناه للمبحث الحالى . وفيما يلى سنقدم بعض آرائه فى هذا الشأن فى تلخيص نرجو الا ينتقص من قيمتها شيئاً .

عن التذكر

ويلاحظ دزموند ابتداء أن تذكر الحيوات السابقة هو من معدن الاحلام ، وأن تذكر الحياة الاعظم ، اى تذكر تلك الحيوات السابقة هو الذى يقودنا الى وجودنا الحالى بوصفه حلقة فى سلسلة مترابطة من الحلقات . وهذه الذاكرة هى التى سميتها « بالذاكرة السماوية » لأنه فيما يتعلق بها يوجد عنصر اسمى من الانسان ، بل عنصر مقدس .

وقدرة التذكر هى العلامة المميزة للرجل ولشريكته المرأة ، وهى خاصة بهما ، لأن الحيوانات السفلى لا تتذكر ، أو اذا شئت تتذكر بقوة الغريزة ، لكنها لا تملك فى يدها القدرة على أن تستعيد الماضى ، كما أنها لا تملك تلك القدرة التى هى شطر من قدرة التذكر ، وهى القدرة على أن تطرح عقولها الى المستقبل لكى تتوقع ما هو امامها .

وعندما تقول ان احداً لا يتذكر أيه دنيا ، او اية حياة غير هذه ، هل انت متأكد انك على حق ؟ لأنك اذا كنت على حق فان كل دراسة عن العودة للتجسد تصبح محض ضياع للوقت ، واذا كان لا يتأتى لأى انسان ان يتذكر اية حياة سابقة ، فان ذلك يعنى ان ما يشغلنا فى هذه الصفحات مجرد مضاربة جوفاء .

ولقد عرفت — كما عرف الآخرون — دستة من الأشخاص المسئولين الناقدين الذين امكنهم ان يتذكروا بعض اشياء من حيواتهم السابقة . واسماء الرجال والنساء الممتازين الذين تذكروا اشياء كهذه تملأ كتاباً ،

---

(١) The Survival League.

(٢) Reincarnation For Every Man.

ولكن رغم أن تذكر هـذه الامور نادر نسبياً فى نصف الكرة الغربى فانه شائع فى الشرق .

وفى كتابه القيم المتماسك عن « روح شعب » (١) يقدم فيلدنج هول Fielding Hall فصلاً وبياناً عن حالات عديدة تذكر فيهـا الهنود تجسداتهم السابقة . وفى بورما ، كما فى ارجاء اخرى فى الشرق ، تحدث هذه الظاهرة بصورة شائعة الى حد انها لا تثير انفعالاً . حتى لكأنها هى القاعدة . وفى بعض الأماكن ينظرون الى الانسان الذى يقول انه لا يؤمن بالعودة للتجسد ، كما ينظر الأوروبى المتشكك الى الانسان الذى يقول انه يؤمن بها ، لأن البينات للانسان الشرقى — فيما قد يبدو لنا — دقيقة وحاسمة .

والأطفال يحوزون كثيراً ذكريات كهذه — ذكريات يبدو انهـا جاءت طازجة معهم من العـالم الآخر الذى قدموا منه . والانسان المفرط فى حماقته هو ذلك الذى يسخر من أقوالهم بوصفها قصصاً صبيانية عن الجنيات ، واظن أن هؤلاء الساخرين مخطئون ... وبعدئذ يروى دزموند بعض أمثال لهذه الوقائع من نوع تلك التى تكبد أبان ستفنسون مشـقة تحقيقها — فيما بعد — على النحو الذى ضربنا له آنفاً عدة أمثلة (٢) .

المغـامرة المجيدة

تمثل الحياة الراهنة للملايين محض مسئولية يائسة ووضيعة ، فهى تبعث فيهم الخـوف والتعاسة فى عالم ملىء بالحروب وباحتمالات الحروب ، وتسد عليهم المنفذ الى الربيع الحق للحياة ، وهـو الأمل ، لكن لمن يؤمن بالعودة للتجسد فان الحياة تمثل مغامرة مجيدة .

ونحن الرجـال والنسـاء لم نحيا أبداً فى عصر رائع وهام كهـذا العصر ، ولم تكن الحياة أبداً تستحق أن نحياها مثلما هى الان ؛ ولا الموت يستحق أن نموته مثلما هو الآن ، اذ لم توجد أبداً من قبل مثل هـذه الامكانيات الموجودة حالياً .

وقـد يساءلنى البعض : كيف يمكنك أن تزعم ذلك ان كنا نعش حالياً فى عالم مهدد بخطر متزايد ؟ واذا كان الواحد منا لا يعلم ماذا يمكن للغد أن يحمل اليه ؟ ان الحضارات آخذة فى الذبول ، وان الملايين يعيشون بلا عمل ، وأن أموراً وحشية ترتكب فى عالم للطغيان ، وكل طبقة ثائرة على

---

(١) The Soul of a People .

(٢) المرجع السابق ص ٧١ — ٧٤ .

فيها . ويبدو ان أولادنا يسيرون نحو ليل لا آخر له . ليل بلا اله ، ودنيا بلا دين . اذا ماذا يمكنك أن تعنى بقولك ان الرجال والنساء لم يعيشوا ابداً فى عصر رائع كهــذا العصر ! وفى اى عصر عشت وعشنا من قبل ؟ بالتاكيد ان هذه هى اقامتنا الاولى والاخيرة على الارض !

ولكننى مع ذلك اعنى كل ما قلته . واذا ما صبرتم على أقوالى حتى نهايتها قد تجدون أن كل ما اقرره صحيح . واننى اقرر فى لهفة رزينة ، اننا قد نتعلم متى جئنا . ولمــاذا نحن هنا ؟ وقد تكون لدينا ومضة من ضوء عما سنؤول اليه عندما نجتاز الباب الصغير لصديقنا الموت .

وسواء اكنا خدماً ام سادة . ورجالاً ام أولاداً ، فاننا قد نكتشف ان الحياة شىء مجيد كما اكتشفها الملايين غيرنا.وأن كل لحظة منها تستحق ان نحياها ، والا شىء نضيع فيها ، وأن كل اسى فيها هام بما لا يقل عن كل متعة . بل قد نتعلم أن المتعة والاسى وجهان لنفس الشىء .

وقد نجد انه خلف كل حياة على هذا الكوكب الصغير ، الذى هــو واحد من مائة الف مليون كوكب . يوجد تخطيط ، وهــدف ، وحب . فتعلموا خلال الواقع المر . لاخلال التصور الأحمق . أن الحب فى عالمنا يخفى نفسه خلف الالم والموت . وعندما يجىء التحقيق فى نهاية المطاف فلتعرفوا ان هـــذه هى مجــرد حلقــة واحدة فى سلسلة حيوات عشناها من قبل . واننا الى الأرض سنحيا من جديد .

وانا ــ الذى لا انتمى الى راى مسبق ــ اومل ان انبت أن كل رجل وامرأة منا . من الامير الى الفــلاح . ومن الملكة الى الخادمة له فرصــة ثانية ، بل مئات من الفرص ، واننا كلنا نقف على طريق يقود خلال الأبدية الى الكواكب بطرق لا يمكن نفاديها ، كما ان الكواكب نفسها معلقة فوق رؤوسنا لكى نرودها فى الطرق اليها . وانه بعد تمضية حياة وحياة يصبح الموت ليس سوى العبور الى حياة اخرى اوفر ثراء ، واكثر قابلية النهم .

واليك ــ ايها القارىء ــ اذا كنت من رجال الأعمال ، أو كنت زوجة او اماً . سيفتح معسر من الروعة والحقائق يفوق قدرة التصور ، لانك ستجد فى انتظارك عند الاقامة فى الروح تعويضاً وسلوى . واليك انتِ ايتها السيدة ذات القلب الكسير التى فقدت رجلهــا اقول انه يوجد هناك على الجانب الآخر مكان يصبح الحلم فيه حقيقة . وانا لا اقول هذه الاقوال من باب الأمل المتعلق . او من باب الضعف . بل اقولها واعلم انها حقائق لاننى احمل فى ذاكرتى ذكرى حيواتى السابقة .

ولعلك أيها القارىء تحمل من حياة الى حياة تلك « الذاكرة السماوية » ولعلك طالما رفضت أن تنظر الى تلك الذكريات بوصفها محض مصادفات لا أكثر فحولت وجهك بعيداً عن المرآة الفضية التى تحملها الذاكرة نحو الماضى والمستقبل . فاذا كنت أحد أولئك فان هذا الكتاب الصغير سيضع بين يديك « شلة » الخيط المعقدة ويرشدك الى طريقة فك العقد التى فيها .

واذا كنت من أولئك الذين « لا يتذكرون » ، فان هذه الكلمات ربما توقظ سلسلة الذكريات التى تقود من الماضى الى الحاضر ، ومن الحاضر الى المستقبل . تلك الذكريات التى بدونها نجد انفسنا فى ضياع ، وفى حيرة ، وفى تعثر ، وفى عالم غير قابل للفهم .

واذا أمكننا أن نمسك بزمام ذاكرتنا عن حيواتنا السابقة ، فاننا نرى الطريق الذى اجتزناه خلال القرون كيما نصل الى حياتنا الراهنة ، وتتضح لنا علة وجودنا هنا . وعند شروق هذه المعرفة ، التى بمقدورها أن تبدد بضوئها المشرق كل شك وكل خوف ، فاننا لا نرى فحسب الطريق الذى اجتزناه ، بل أيضاً الطريق الذى نحن على وشك اجتيازه .

وفى لحظة كهذه سنجد الرضاء المقدس ، ومعه الراحة والاتزان ، وكل ما ينبغى أن تواجه به ، ليس فحسب أتراح الحياة ، بل أفراحها أيضاً . وفى النهاية نعرف لماذا نحن هنا ، ولهذه المعرفة نشكر الله الذى يقف وراء كل شيء ، مراقباً ، ومترقباً ، وحانياً .

وكل معلم عظيم من معلمى التاريخ الطويل ، خلال العصور المختلفة ، قد سلك التجسد مختاراً حتى يتمكن من المعاونة على تحرير روح الانسان من لحمها الوثيق ، فنادى بكل ذلك .. وسننادى مثلهم وشهودنا هم أعظم المعلمين فى جميع العصور ، وبالأقل نصف الجنس البشرى ، ولن نطالب انفسنا بالاقتناع بأى أمر ما لم يكن قابلاً للاثبات ، ولن نطالب انفسنا بالايمان ، هذا ولو أن الايمان له مكانه وله وظيفته .

ولن نلجأ الى رأى احد الثقات بل الى الوقائع ، ولا الى التقاليد بل الى البينات ، ولا الى الافتراض بل الى الاختبار . فيبين لنا انه ، على الرغم من أن جميع الرجال قد وقف بعضهم ضد البعض الآخر فى اختلاط لا ينتهى للأفكار حول العقائد والمذاهب ، فان جميع المعلمين الروحيين منذ القدم قد التقوا على المبدأين التوأمين اللذين يوجهان كل تفكير جدير بهذا الاسم : وهما العودة للتجسد والكارما . فهنا يوجد اتفاق جوهرى رغم كل القمم الملتهبة للشك وللجدل . ومناقشات الفلاسفة واللاهوتيين

قليلة عندما يتعلق الأمر بك وبى . ولا يعنى الدين شيئا الا اذا كنا نجد تطبيقه على الحياه .

وذلك هو الهدف من هذا الكتاب . لاننا عندما نصل الى نهاية الطريق فى الاقتناع بهذين المبداين سنكون قد عثرنا على الوسيلة التى نتغلب بها على الأسى والخوف . وايضاً على انكى صور الضعف الانسانى ، وهى الاشفاق على الذات .

وسنعرف عندئذ ان كل ما يحدث لنا من خير او من شر متولد فحسب من ذواتنا . واننا كلنا نملك حرية فى اختيار الطريق الذى يقود من حياة الى حياه ، كلما انتقلنا من الاهتزازات الدنيا الكثيفة الى الاهتزازات الأسمى منها . لاننا بذلك نقترب — عن طريق الموت — من الله ، ومن تحقيق ذواتنا العظمى التى تقف خلف كل واحد منا . وهكذا تصبح الحياة لكل واحد منا هى المغامرة المجيدة ، خصوصاً بالنسبة لأولئك الذين ينقلون معهم ذكرياتهم عن الماضى من حياة الى حياة .

وهكذا تنطبق نظرية العودة للتجسد على كل جانب من الحياة العملية . ومع ذلك فربما كان جانبها المتعلق بأخيلة الحب هو الذى يمسك — اكثر من غيره — بزمام تصوراتنا .

((اخيلة الحب)) والعودة للتجسد

ان عالمنا يسخر من أخيلة الحب romance رغم ان هذه الأخيلة تمثل القلب النابض لكل حياة ، ويفخر بأنه عالم واقعى . رغم ان المادة نفسها ليست أكثر من ظل للحقيقة التى هى الروح . فعالمنا يلح بكآبة لاشعورية على أننا لا نحيا الا ليومنا . وان بمقدورنا أن نمحو من الحياة كل ما ليس له وجود مادى .

ان عالمنا عالم احمق.خال من الذاكرة؛ويحيا ليومه لأنه نسى ماضيه. ولأنه لا يذكر ماضيه فليس بمقدوره ان يطرح نفسه الى مستقبله . وهناك مثل زائف يقول « ما اسعد الانسان الذى لا ماضى له » ، الا ما اتعس ذلك الانسان ؛ والا تبآ للانسان الذى لا يملك سوى الحاضر ؛ لأن مثله لا مستقبل له .

ومع ذلك فيوجد بداخل كل واحد منا احتجاج صامت ضد هذه الوجهة الهزيلة لاقتناص المتعة . وقلما يوجد مع ذلك واحد من بيننا — أو حتى من بين أولئك الماديين انفسهم ، لا يشعر فى لحظات الالهام أن أخيلة الحب هى الجوهر الحقيقى لكل حياة . ولعله لا توجد سيدة واحدة،

وربما عـدد محـدود من الرجال ، لا يشعرون فى قلوبهم التى هى مطاية الالهام المقدس ، بان الحياة بدون الحب والخيال هى الموت لبس الا .

وان الانسـان الملهف على اللذة الذى يعتقل نفسه داخل احتجاج أخرس ضـد أخيلة الحب تمر به لحظات اليأس يتساءل فيها مستفسراً عما اذا كانت الحياة تستحق أن يحياها الانسان بلا تخيل ، اى بلا حب .

وماذا نعنى بأخيلة الحب ؟ ان خيالاتنا المختنقـة فى أيامنـا الراهنة جعلت هذه الكلمة المحبوبة تنطبق على جانب واحد من الحياة ، هو جانب الحب الجنسى وذلك مع ان أخيلة الحب هى الحياة نفسها . انها الطريق الجرىء المتحرر للنظر الى جميع الأشياء . انهـا تعنى تمجيد الحيـاة فى خطر ، الذى بدونه تكون الحياة على كوكبنا ليست أكثر من موت مؤجل .

ان هذه المغامرة المقدسة التى تجرى احياناً من داخل المكان والزمان، وأحياناً أخرى من خارجهما ، هى التى تقودنا الى اوطاننا بين الكواكب . انها تمثل انتصار سمو الروح على وضاعة المـادة ، وهى المنقذ من الموت الى الحياة الأبدية ...

ولذا فان مبدأ العودة للتجسد ربما يكون هـو المبدأ الوحيد الذى يرغم أكثر الناس تشككاً على الاقتناع بان أخيلة الحب حقيقة ، ولعلهـا تمثل الحقيقة العظمى للحياة ...

هل من تخطيط ؟

ثم يقـول دزموند انه تلقى من أرواحه المراسلة « ذات القدرة على الحكم » على ماضيه البعيد ما يفيد أنه منذ ٣٣٠٠ عاماً كان يحيا كفيلسوف تحت حكم امنحوتب الثالث ، وانه ساعد على اشعال الثورة لأجل التوحيد فى وجه الاعتقاد بتعدد الآلهة الذى اعتنقه كهنة ذلك العصر ، ومعهم الملكة الفرعونية تى Tiy .

وأن تجسده اللاحق كان بعد ذلك التاريخ بحـوالى ١٣٠٠ عاماً فى أيرلندا ، ثم فى روما تحت حكم نيرون ، وهـو تجسـد لا يحمل عنه أية ذكريات تفصيلية (لكنه يكتب عما سمعه من تلك الأرواح) .

« ولدىَّ » سبب للاعتقاد « بأننى » عدت للتجسد وعملت فى حلبة للمصارعة الدموية فى روما فى ذلك الوقت الذى كان يسوع يجـول فيه حول بحر الجليل وذلك بعد فترة من تجسد آخر لى فى اليونان القديمة .

---

(١) المرجع السابق ص ٨٨ ـ ٩٥ .

قد يبدو كل ذلك بلا مغزى ولا هدف ، ومع ذلك فان كل تلك الفترة الزمنية الطويلة ليست أكثر من قطرة فى محيط الأبدية . كما لا اذكر - ولو حتى بطريقة باهتة - كل حياة عشتها على الأرض ، ولابد أننى عشت منها الكثير القابع بين تلك الذكريات نفسها .

وهكذا يسرد دزموند بعض التجسدات التى يعتقد انه سبق له أن مرّ بها . او تلك التى قيل له - من بعض أرواحه المراسلة - انه قد مرّ بها فيما مضى .

وبطبيعة الحال لا يجوز للباحث العلمى ان يعلق اية اهمية على أنباء تلك التجسدات الخاصة . ولا ان يتصور انها تحوى الحقيقة الكاملة ، سواءً بالنسبة لدزموند أم لغيره ، لأن صحة التفصيلات هنا موضوع يختلف تماماً عن صحة المبدا فى ذاته .

فالمبدا قد يكون صحيحاً ، وقد يمكن اقامة الادلة العديدة المترابطة على صحته ، حين قد يتعذر تماماً اقامة الأدلة على صحة أمثال هذه التفصيلات التى لاينبغى ان نفترض فيها الصحة أو الدقة ، والتى قد يتعذر فيها الاثبات بمقدار ما قد يتعذر فيها النفى ، لأن الخيال ، أو الوهم . أو الارشاد الخاطىء قد يلعب فيها دوراً ما ، على ما بينته فى مناسبة سابقة . وبعد ذلك يستطرد المؤلف قائلاً :

ومع ذلك فثمة خطة خلف العودة للتجسد ، هى خطة من وضع الله ، وتعمل بطريقة لا يفلت منها انسان ، وبطريقة طبيعية مثل قانون الجاذبية ، ولا يوجد استثناء لهذا القانون .

وهو قانون للتعقل الجميل ، وعادل لا يخطىء أبداً ، ويتبع كل واحد من افكارنا وأعمالنا من مولد الى مولد ، ويسجل علينا كلما صنعناه من خير أو من شر . وهو لا يسعى الى عقابنا ، بل يدعنا لنعاقب أنفسنا بأنفسنا ، فنحصد ما زرعناه . فاذا فكّرنا وعملنا شراً فاننا نحصد شراً فى هذه الحياة أم فى غيرها . واذا فكّرنا وعملنا خيراً فان الخير يكون من نصيبنا فى هذا العالم وفى العالم الآخر ، ولا يوجد ارغام ، ولا تداخل فى ارادتنا الحرة .

واذا ارتكبنا الشر بغير ان نشعر به ، كما يتصور البعض أن بمقدورهم ذلك ، فاننا نقدر أن نتمادى فى الشر ، لكننا بما اننا نتألم عندما نخطىء ، فانه تجىء الينا تدريجياً الفكرة القائلة بأن الخطيئة لا تربح ، وتحقيق هذه الفكرة هو موضوع كل عودة للتجسد .

والخطوة التالية هى تحقيق جمال القداسة ومتعتها . فكأننا لا نكتشف فحسب أن الخطيئة لا تربح ، بل اننا نكتشف أيضاً متعة عمل الخير لذاته . وعندما يصل الرجل أو السيدة الى ذلك فانهما يكونان على العتبة التى لا يلزم لهما فيها أن يموتا موتاً ثانياً ، أى أن يولدا من جديد فى جسم ترابى ، وفى عالم من مادة . ولن يكون عليهما فيما بعد أن يسلكا الطريق الشاق لاختبارات الحياة الدنيا بأقدام تنزف دماً . لأنهما وقد تعلما الدرس لم تعد بهما ثمة حاجة للعودة . . .

هذا هو القانون الكائن وراء عوداتنا للميلاد فى هذا العالم . فعندما تتحرر من ربقة العودة للتجسد ، التى أعادتك للأرض مرة بعد الأخرى تخرج متحرراً من العوالم الكوكبية السفلى التى هى موطن الأرواح غير الكاملة ، الى المناطق الأكثر اشراقاً من غيرها ، وتصنع ذلك بما بذلت من جهود خاصة . ولن يرغمك انسان ، أو حتى يعاونك اذا كنت أنت نفسك ترفض تلقى المعونة .

وهكذا تحصل تماماً عن طريق المرور بحياة بعد حياة على ما كنت تتطلع اليه ، بغير زيادة ولا نقصان . ولا يملك أى انسان نفعاً لك الا ما تملكه أنت لنفسك . وان الأرواح العظمى التى تقف خلف الحياة الأبدية ستعاونك بشرط واحد : هو أن تعاون نفسك بنفسك (١) .

عن الفترة بين التجسدات

والآن فلنتقدم الى المشكلة الخلابة ، وهى ما هى ظروف الرجل والمرأة فى الفترات التى تقع بين تجسداتهما على الأرض ؟ ماذا يفعلان ؟ وأين هما ؟ وهل الحياة فى عالم الروح متميزة تماماً عن الحياة فى المادة ؟ وكيف يمكننا أن نعرف ماذا يجرى لهما اذا كان ثمة شىء يجرى ؟

يوجد مصدران لمعرفة هذه الأمور : أولهما تعاليم المعلمين الكبار الذين كانوا فى عالمنا عندما كانوا فى الجسد ، وثانيهما هو الاتصالات الروحية التى أثبتها العلم الذى يطلق عليه « علم الروح الحديث » . . .

ويبدو أن الحياة فى المكان الأول — أى فى العوالم القريبة من الأرض والتى تلى القبر — لا تختلف كثيراً عن الحياة على كوكبنا الخاص . . بل ان الظروف قد تبدو متشابهة الى حد أنه كثيراً ما يبدو من العسير اقناع المنتقلين حديثاً من الأرض بأنهم قد « توفوا » . وكثيرون منهم يرفضون التصديق (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ١١٠ — ١١٧ .

(٢) راجع فى وصف هذه الحياة « المفصل » الجزء الثانى ص ٢٦١ — ٤٥٢ .

وبعد أن يستعرض دزموند بعض الفروق بين عالمنا وعالمهم يقول ان عالم الروح عالم للراحة : اما عالمنا فهو عالم للنضال . وان التردد بين الراحة والنضال يمثل المبدأ الدوري الذي يبدو انه يجري خلال كل وجود ، فبعد النضال تجيء الراحة .

ولا ينبغي ان نتخيل ان شخصياتنا تتغير في الجانب الآخر من الموت ، والا فاننا نرتكب خطأ فاحشاً . فنحن هناك كما نحن هنا فيما عدا الفروق التي اسلفناها في ظروف العيش . فنحن ننقل معنا الأمل والخوف : الرغبة والعاطفة : والحب والكره . والرجل الجشع هنا جشع هناك ، والمرأة العاطفية هنا عاطفية هناك ، ولماذا يكون الأمر غير ذلك ؟

ونحن نحصد هنا ما زرعناه هنا ، ونحصد هنا ما زرعناه هناك ، نحصاد الحياة حياة ، وحصاد الموت موت : وثمة عدالة الهية فوق كل ذلك . وهي عدالة تطمئن تماماً الرجل أو المرأة من ذوي النوايا الطيبة ، اللذين يحاولان التملص من اسار المادة ، كما تقلق تماماً الانسان المادي الذي يحيا حياة شريرة .

وسيكون علينا أن نناضل هناك ضد رغباتنا ، ومخاوفنا ، وشرورنا ، وسيكون علينا ان نغزو أقاليم ذواتنا التي تبدو لنا الآن غير قابلة للغزو . لكن لن يكون النضال هناك في صورة محدودة محسوسة كما هي الحال على الأرض . ولكن رغم أن تراجع حدود النضال يقدم الينا فرصاً لنوع آخر من التقدم : الا ان اسلوب النضال نفسه يبدو أقل تركيزاً .

ولهذا السبب فنحن نتعلم في خمس دقائق من حياتنا الأرضية اكثر مما قد نتعلم في قرن من حياتنا الكوكبية على ما سمعت البعض يقول . ولذا فان من الأمور الأساسية أننا عندما نعود الى الارض ينبغي أن نستخدم كل لحظة صغيرة للعيش لأجل مجد الله ، لا لأجل مجد اللحم ؟ أو مجد الشيطان .

وثمة حقيقة بمقدورنا ان نلاحظها كل يوم ، وهي أننا عند عودتنا للأرض بذكريات لاشعورية عن تصميمات طيبة اتخذناها قبل قدومنا اليها ، فاننا فيما يبدو ـ نبذل قصارى جهدنا للتغلب على الشر . ولكن بمضي الوقت تتراجع هذه « الذكريات السماوية » وتصبح باهتة ، ويكون تصميمنا عرضة للتلاشي الى أن نفيق الى انفسنا في النهاية ونتنازل عن متع الجسد : والعالم المادي .

ولكن فلنشكر الله لأنه لا يزال يوجد الملايين ممن لا يفعلون ذلك . وربما لا يوجد انسان يفعل ذلك تماماً ، والا لما تأتى للانسان أن يسمو من المادة الى الروح [1] .

---

(١) من شو دزموند . المرجع السابق ص ١٧٨ ـ ١٨٤ .

عن التطبيق على الحياة

ونحن الآن فى موقع قد يمكننا ان نرى كيف يتاتى لاعتقادنا فى العودة للتجسد أن ينطبق على حياة كل يوم لنا فى الأرض ؟ ابتداءً ان ذلك يدعونا لأن نفكر فى أداء الخدمات للآخرين . ان العودة للتجسد كانت سبباً فى تحريرنا من الأغلال التى تقيّد دائماً أقدام الرجال والنساء الذين لا يعرفون أنهم قد ولدوا من جديد .

فالانسان المؤمن بالعودة للتجسد يحوز نظرة متزنة بعيدة عن الآخرين . ودعونا نرى كيف يمكننا أن نطبق هذا الاعتقاد المجيد للحياة على مشاعرنا ، وأعمالنا ، وأفكارنا ، لأن الاعتقاد الذى لا يقبل التطبيق على الحياة لا يكون اعتقاداً ، بل مجرد نظرية .

فنحن نشعر فى المقام الأول أن أقدامنا تقف ثابتة على طريق قادنا من حيواتنا السابقة الى حياتنا الراهنة ، وسيقودنا الى حيواتنا المستقبلة، فلا نسير عمياناً ، بل نعلم الى اين نذهب ومن أين جئنا ، وذلك يعطينا مناعة ضد خيبة آمالنا فى الحياة . بل اننا على عكس الآخرين قد نرحب بمثل تلك الخيبة لأننا نعلم أنها قد أرسلت الينا كيما نتعلم منها اختبارا ، وهكذا نشكر الله لنظامه ولرعايته .

وعندما يلازمنا سوء الحظ فان بمقدورنا أن نتحمله فى يسر أكثر من غيرنا ، لأننا نعلم انه يقود الى حسن الحظ بطريقة لا يمكن تفاديها . ولا يوجد هنا تذمر أو اعتراض لأن كل اختبار لنا يعلمنا أن سوء الحظ هو اعداد لحسن الحظ ، فهو شقيقه .

والاشفاق على الذات لا يعنى لنا ما يعنيه لغيرنا ، فحين يصرخ الآخرون من حظهم السيء ، فاننا نعلم أن كل حظ طيب أو سيء انما يجيء من قانون « الكارما » . وبما أننا نضع « كارمانا » أو قدرنا بأنفسنا فليس لنا أن نسخط مما قد يحل بنا ، لقد جلبنا ذلك على أنفسنا بأفعالنا فى حياتنا الراهنة ، أو فى حيواتنا السابقة ، وهذا هو منطق العدل ، بل الذوق السليم .

وعندما تحل بنا متاعب مالية فاننا لا نقول فحسب أن « الرب اعطى والرب أخذ ، فليكن اسم الرب مباركاً » ، بل نقول أيضاً — بسبب معرفتنا بمتاعب الأغنياء ودواعى يأسهم — الشكر له لأنه منحنا هذا الوضع المثالى الذى لا يعرف غنى ولا فقراً ...

اننا نعلم أن الألم لا يدوم لأكثر من ليلة ، وأن المرح يأتى مع الشروق ، لأننا من أولئك المباركين الذين يعرفون أن تعاسات الماضى التى كانت تبدو

دائمة وفوق الاحتمال البشرى عند حلولها : قد نسيت فى خلال بضعة أيام او خلال بضع سنوات . وكثير منها لا يمكننا أن نتذكره ، حتى ولو حاولنا التذكر .

ومن جانب آخر فان الحظ الحسن لا يمكن أن يكون وحده من نصيبنا لسببين : اولهما أن ما قد يبدو من قبيل الحظ الحسن قد يكون قناعاً للحظ السيء . وثانيهما اننا نعلم أن حياة الانسان تتأرجح بين النجاح والفشل ، وانه بعد شروق الشمس قد يأتى المطر ...

والاعتقاد فى العودة للتجسد يصنع عالماً اكرم بنا ، لأننا عندما نتحقق من اننا جميعنا نسير على نفس طريق الأبدية ، كرفاق على الطريق ، وكرفاق فى السراء والضراء . فاننا — فيما يبدو — سنكون اكثر تقديراً لمشاعر أولئك الذين يحيطون بنا . وبالتالى نكف عن الدينونة عالمين أن واحداً منا لا يمكن ان يعرف تماماً الدوافع التى كانت وراء أى تصرف من تصرفات رفاقنا ، فقانوننا اذاً هو « لا تدينوا لكيلا تدانوا » .

فالعودة للتجسد اعتقاد عملى بالمعنى الدقيق ويمكن أن يطبق عالمياً . وفى العلاقات بين الأزواج : اذا علم الزوجان أن ثمة دروساً قد فاتهما تعلمها فى حيواتهما السابقة ، فانه سيتعين عليهما أن يحاولا تعلمها ، والا لما جمع القدر بينهما من جديد فى الحياة الراهنة فى رباط وثيق . وسينظر كل واحد منهما الى فرص التعلم الضائعة من شريك حياته ، بحيث يستكمل ما فاته ان يتعلمه فيما سبق . وسيكون أقدر مما كان على أن يغتفر لشريكه ما دام يؤمل فى ان شريكه يغتفر له أخطاءه هو أيضاً .

واذا تفهم الاب حقيقة الحواجز التى تفصل بين الأرواح المتجسدة وهى فى طريق تطورها ، فان موقفه من ابنه أو من أبنائه سيكون مختلفاً عما كان بطريقة جوهرية . فان هذا التفهم يجعل الأب والأم أكثر تسامحاً لما يصدر عن اطفالهما من صور ضعف الطفولة وعثراتها . وهو يتيح معاملة مناسبة لكل طفل على اساس انه يمثل مشكلة متميزة عن غيرها . وقبل كل شيء ، فان هذا الاعتقاد سيحوّل الوالدين عن محاولة التمادى فى المطلب الجنونى ، وهو ان يكون الولد صورة منهما .

وعندما نعلم أن الطفل هو الذى يتخير أبويه ، وليس الوالدان هما اللذان يتخيران طفلهما ، فان ذلك يعطينا زاوية مختلفة تماماً للنظر الى طبيعة الصلة بين الآباء والأبناء . ولقد عرفت والدين كانا يشعران بذلك ، وكانا يشعران بالسعادة لأن طفلهما هو الذى اختارهما ، فلم ينظرا اليه كالعوبة ينبغى أن تصاغ على شاكلتهما ، بل لقد عرفا فيه روحاً مختلفة تماماً عنهما ، وكان لديهما بالتالى احساس مرهف بألا يحاسبا القدرَ عن مجيء هذا الطفل ...

ومثل آخــرين كثيرين ، لقــد شاهدت بنفسى التغير الجميل الذى تحدثه المعرفة عن العودة للتجسد فى مواجهة مواقف الحياة فى كل صيغها ، بل لقد يمكن الذهاب الى حد القول بأنه من المتعذر الا يكون تقبُّل هــذه المعرفة سبباً فى تحقيق مستوى أرفــع فى الفكر وفى العمــل . فالمؤمن بالعودة للتجسد فى الغرب هو فى غالب الأحيان ذلك الانسان الذى يحوز نظرة اسمى عن الحياة ، وعن الوجود ، لأن فيها صقلاً وتطويعاً لمعــدن الحيــاة ...

ان المؤمن بذلك يكره التعصب أيضاً ، كمــا يكره التقيــد بأغــلال الحرف ، ويحاول أن يعالج وأن يتفهم وجهات نظر غيره من الأشخاص ، وان يستمع فى أدب الى ملحوظاتهم فى موضوعات الاعتقاد ، ويعرف قبل كل شيء آخــر كيف يتفادى الجدل الأجوف الذى هو عدو لكل معرفة . ذلك لأنه عندما يتجادل الناس حــول الاعتقــاد ، يهرب الاعتقاد فوراً ، وهذا ما يعرفه جيداً المؤمن بالعودة للتجسد .

وحتى عندما يقــابل انساناً يتلقى الهامه من الشيطان فان عليه أن يتحمله ، عالمــاً أنه يشكو من مصدر شكوى الجميع ، الا وهو الجهــل الذى نعانى منه جميعنا . وعالمــاً أيضاً أنه قد يقابل ذلك الانسان فى حياة مستقبلة ، فليكن حــذراً على قدر امكانه حتى يتحاشى كل عدوان . بل انه ليحاول أن يساعده على الطريق ، وأن يجيبه تلك الاجابة الرقيقة التى تذهب السخط بعيداً ... (١) .

هدف ((العودة للتجسد))

ان امكانية ((ذواتنا العظمى)) تفتح أمام كل واحــد منا بوابة نجم المشرق ، التى تسمح لنا بأن نلقى نظــرة خاطفة على المشكلة المحيرة عن مستقبل الانســان ، الذى وصل الى هــذه البوابة عن طريق عــوداته للتجسد . اذاً ما هو الهدف النهائى للعودة للتجسد ؟

اننا لا نجرؤ على الحديث عن هدف نهائى للروح الانسانية ، لأننــا نعلم انه فى أبدية التقــدم لا يمكن أن يوجد هدف كهذا ، فالتطــور أبدى كالانسان نفسه ...

ومع ذلك اذا ما أمسكنا بشجاعتنا فى أيدينا فيمكننا ان نتطلع خلال ثقوب تلك البوابات التى سيقودنا اليها فى يوم ما طريقنا المرصّع بالنجوم ، ومن الجائز أن الرؤيا تبهرنا فتزيف نظرتنا . ومن الجائز أن يكون الخيال

---

(١) عن المرجع السابق ص ٢١٨ — ٢٢٨ .

الانسانى لأنه « انســانى » قادراً على أن يتفهم بصعوبة الموضوع الذى يسعى الى تخيله . ولذا يتعين علينا - فى كل امكانيات تصورنا - أن نكون حذرين ، وأن نقرر ان كل ما وصلنا اليه عبارة عن ظل من الحقيقة الرائعة التى تسمو على الخيال .

ولمـا نلقى نظـرة على تلك القلاع البعيدة ، والمعـارك التى توجت بالنصر ، عندما يوشـك الفجر ان يشرق وراء بوابات عالم النعيم ، فانه يكون من العسير علينا ان نتذكر الليالى السوداء ، وأيام العودات اللافحة للتجسد التى قادتنا الى تحررنا من المـادة ومن الأرض .

وهكذا قد رأينا كيف أن موضـوع العودة للتجسـد هو اكتسـاب الخبرة عن طريق طرح الروح فى الجسد . لقد تعلمنا أن التحرر من قيود المـادة محال بدون تلك الخبرة . ولقد تحققنا الآن أن الروح تكتسب طبعاً ارق مما كان عن طريق اندماجها المؤقت فى حنايا الضلوع .

واذا تم التحرر ، تتوقف تجسداتنا لكى تبدأ المرحلة التاليـة . لقـد تحملنا حتى النهـاية فخلصنا . خلصنا من ماذا ؟ من ذاتنـا التى تركناها خلفنا للأبد . من ذات الأنانية التى حل محلها انكار الذات ، أى الحب . لقد ربحنا الحرية عن طريق الخدمة ، لكن هل تتوقف خدماتنا للآخرين ؟

الجواب كلا ، لأننى أعتقد أن خدمة الآخرين هى الشىء الوحيـد الذى نحمله معنا خلال الأبدية ، وأنه بدون خدمة لا يمكن أن يوجـد حب كامل ، والمسيح نفسه قال لنا أن الله محبة ، ولذا فاننا نعلم أنـه حيث يوجد اله توجد أيضاً خدمة . وهكذا يكون من فخرنا أن نخـدم ، لكن ما هو نوع تلك الخدمة ؟

عندما نكون قد القينا نهائياً أجساد المـادة ، فان خدمتنـا تكون ابتداء على مستوى العقل لاننا نخدم بالعقل اكثر مما نخـدم بالجسـد ، رغم انه توجد خلف كل خدمة بالجسـد حتى على الأرض ، خدمـة استجاب لها العقل أولا ، فنحن نخدم اذا بالعقل .

وهذا التحرر يكون نحو ما أسميه « عوالم الفردوس » التى لا ينبغى ان تختلط بالعوالم الكوكبية التى زرناها فى الفترات بين تجسداتنـا الأرضية ، والتى سنتركها نهائياً عن طريق تلك التجسدات ، وعنـدئذ سنكتشف أن كل ما قيل لنا عن الفردوس لا يساوى شيئاً ..

وسنكتشف اننا قد عرفنا الخطيئة والألم على وجهيهما الصحيح ، بوصفيهما مكملين للخير ، أى بوصفيهما حجر المسن اللازم لصقل الروح .

وسنتحقق لأول مرة بأنه بدون الألم والتعب لا يمكن للخير أن يؤدى عمله. وعندما نعود للمرة الأخيرة من تأمل معاركنا الأرضية ، سنجد انفسنا فى مواجهة معارك مختلفة تماما ، ذات أساليب وأهداف مختلفة عما تقدم .

لأنه حتى فى عالم الفردوس لا يتوقف النضال الأزلى بين الخير والشر ، الذى لم تكن معاركنا الأرضية سوى ظلال له . لايزال على مضيفى الفردوس أن يناضلوا ضد مضيفى الموت فى صراع لأجل السيادة لا ينتهى . وسيرى الانسان كيف أن الشر يدخل دائماً فى معارك خاسرة كما يحدث على الأرض ، وكما هى الحال دائماً عندما يصر الوهم على أن يواجه الحقيقة .

ولكن الطريق الوعر للعودة للتجسد يقود الانسان الى اكتشاف آخر ، وهو اكتشاف عقله الانسانى ، الذى لا زلنا نجهل تقريباً عنه كل شىء فى الغرب رغم جهود فرويد ، وآدلر ، ويونج . وفى هذا النطاق ينظر الينا اليوجيون فى الشرق كما لو كنا أطفالا كما نحن فى الواقع . لكننا عندما نتنازل عن المادة ، وعن جسد اللحم ، خلال تجسدات متتابعة فاننا سنحصل على النطاق غير المحدود للعقل الذى سيتفتح امامنا .

وبهذه المعرفة سنحصل على الملكات الجديدة لطرح العقل ، وللاستخدام المباشر للعقل على الأثير .. والواقع أننا خلال كل ذلك سنجد انفسنا ذوى ملكات رباعية الأبعاد فى عالم رباعى الأبعاد .

والهدف التالى لمعاركنا على الأرض ، وعلى المستوى الكوكبى ، هو أن نعرف الفارق بين « الفردية » و « الشخصية » . وهنا يحدث تقدم كبير ، فاننا سنعرف أن الفردية هى المعبد الذى يشيده الانسان فى حياة بعد أخرى ، وفى تجسد بعد آخر ، أما الشخصية التى كان جد فخور بها على الأرض فهى شىء عابر ، مجرد فقاعة زائلة تمثل ثمرة حياة واحدة .

وسنتعلم — بالاضافة الى ذلك — أن الذات هى ذلك العنصر الذى صنعناه بأنفسنا ، لكن الروح هى الشعلة القدسية التى لا تنطفىء لأنها خالدة . وعند ذاك سنتحقق فورا انه لا يوجد حاجز بين اى انسان وآخر فى أى مكان أو فى أى زمان . وأننا جميعنايجمعنا نوع من اتصال لاسلكى ، وأنناكلناعلى صلة متبادلة شعورياً ولا شعورياً .

والآن لقد غامرنا فى الأعماق التى تقع وراء ما نعرفه من اختبارات انسانية . لقد تطورنا من انسان حيوانى الى انسان الهى . لقد أصبحنا

من نفس نسيج الآلهة ، « ذات الأردية البيضاء كالثلج ، والأكاليل الذهبية التي ستوضع فوق رؤوس أولئك الذين تألموا ألماً عظيماً » .

لقد اجتزنا — بأقدامنا الدامية — الطريق الموصل الى الابتداع بامتداد سبيل العودة للتجسد المليء بالأشواك، ولقد حملنا أكاليل الشوك، لكي نستبدلها بأكاليل الذهب . وفي كلمة لقد أصبحنا سادة ، سادة في الحياة وفي الموت .

عن كيفية العودة

ويقرر شو دزموند عن هذا الموضوع في مؤلفه الآخر « كيف تحيا عندما تموت » ؟ .. — الذي هو ثمرة بحوث عشرات من السنين في موضوعات الروح من كافة نواحيها الوضعية والفلسفية — أن سكان العالم الكوكبي يبذلون ما في وسعهم لاعداد الروح لهبوطها المقبل الى مادة الأرض في كل كثافتها . وهكذا يحاولون أن يجعلوا هذا الهبوط سهلاً ونافعاً على قدر الامكان .

فهناك معابد أو « قاعات للحكمة » يتجه اليها من يرغب في الهبوط الى الأرض للحصول على خبرة جديدة ، وفيها يتعلم كيف ، ومتى ، ولماذا يتخير مكان ميلاده الجديد ، ووالديه ، وبيئته ، ولا زلنا نعلم القليل عن الأسلوب المستعمل ، لكننا فحسب نعلم أن العودة للتجسد لا يمكن تحاشيها حتى وان أمكن تأجيلها .

ولا يوجد ارغام ، لأن العودة للميلاد اختيارية دائما . وهناك يتعلمون كيف يخفضون من اهتزازاتهم فيزورون الأرض التي تحتهم بارادتهم ، حتى يتعودوا من جديد على حركاتها وشعوبها . لأنه رغم أن الموت على الأرض هو الذي يحررنا الى المستوى الكوكبي ، فيعطينا ذاكرة للوراء نحو ما مر بنا من أحداث ، الا أنه لا يعطينا ذاكرة للأمام عن الأحداث التي قد تجيء ، أو عن تلك الأحداث الجارية فعلا .

وكل انسان هناك يعلم انه يمثل شطرا من الذات العظمى ، التي تقف وراءه ، ووراء كل كائن كوكبي . كما يعلم انه يمثل شطراً من روح الجماعة التي تتكون من الرجال والنساء ذوي الاهتزازات المشابهة لاهتزازاته . ولكل واحد منا ذاته العظمى ، وعند العودة الى المستوى الكوكبي يقابل كل واحد مجموعته التي يساهم فيها باختباراته التي حصل عليها عند كل عودة الى الأرض .

---

(١) عن المرجع السابق ص ٢٣٨ — ٢٤٤ .

ويوجد على المستوى الكوكبى ، كما يوجد على المستوى الأرضى نفوس على درجات متفاوتة من التطور ، فبعضها فى أدنى السلم ، وبعضها الآخر فى أعلاه . واحد الموضوعات الأساسية للتعليم الكوكبى هو تفادى عودة الأرواح المنحطة للتجسد لمجرد اشباع رغباتها الجسدية فى جسد أرضى . ولا تنس أننا نحمل معنا الى المستوى الكوكبى رغباتنا ، وآمالنا، ومخاوفنا ، وباقى صفاتنا الأخرى ، والأرواح التى ترغب للعودة للتجسد لاشباع شهواتها الحسية يطلق عليها « الأرواح الهائمة فى محيط الأرض».

لكن توجد أرواح أخرى ترغب فى العودة لانجاز مهمتها التى تركتها بلا انجاز . وأخرى ترغب فى العودة للارتباط من جديد بشخص عزيز عليها تركته على الأرض ، لكن لهذه الأخيرة أرواح يفهمونها حماقتها لأن الشخص العزيز عليها قد يكون غادر الأرض ، أو على وشك مغادرتها ، وبالتالى فانها بالعودة الى الأرض قد تفقد الارتباط الذى تسعى الى تحقيقه .

وبالتالى فقد ينصحون هذه الأرواح عن نوع التجسد المناسب لها ، والبيئة الطبيعية ، والحالة الاقتصادية من الثراء أو من الفاقة .. حتى تحصل على أكبر نفع ممكن من عودتها للتجسد ، ولذا يختار البعض آباء فقراء أو متواضعين ، حين قد يختار البعض الآخر آباء ذوى مستوى عال وثراء ، فكل ذلك يتوقف على نوع الاختبار الذى يحتاج اليه الانسان . وكل ذلك يفسر لماذا أن الانسان المتسول فى تجسد معين قد يكون ملكاً أو ثريا فى تجسد لاحق .

والفكرة القائلة بأن الرجل ينبغى أن يظل رجلا دائما ، والمرأة امرأة دائما عبارة عن خرافة صبيانية ، ولا ينادى بها أى معلم من المرشدين الكبار . وتغيير الجنس يبدو ـ كما هو جلى ـ ضروريا كيما تكتمل دائرة الاختبار . ومع ذلك يقولون لنا من المستوى الكوكبى أن نتريث بالنسبة لمثل هذه الأفكار التى ولدتها اختباراتنا الأرضية ، ويقولون لنا جميعنا أن أحدا منا لا يعلم ما فيه الكفاية ، لذا ينبغى أن نكون متواضعين وقنوعين .

كما يقولون لنا انه حتى المستوى الكوكبى الثالث الذى منه يجيئون يحوى مناطق أو مستويات كثيرة ، أى عدة عوالم فى عالم واحد . وأن كل عالم من تلك العوالم له اعتقاداته الخاصة ، ومفاهيمه عن الحياة والموت والتطور . وكلها عوالم اهتزازية ، كما هو الشأن بالنسبة لعالمنا بحسبه الوصف العلمى .

ولذا فان الواحد منهم قد يشغل نفس المكان فى نفس اللحظة مثل

الاف آخرين ، ومع ذلك لا يشعر بعضهم بالبعض الآخر بسبب التفاوت في رتب الاهتزاز ، وهذا ما لا يمكن حصــــوله على الأرض لأن الأرض ذات ثلاثة أبعاد فقط وليست ذات أربعة أبعاد . ولذا فنحن يتعذر علينــا في عالمنا أن نرى الأرواح التي تحوم من حولنا لأنها ذات اهتزازات عاليــة ، ولأنها أيضا كائنات رباعية الأبعاد (١) .

تعليق

مما لا ريب فيه أن العودة للتجسد تمثل بالنســـبة للروح خطوة هامة في طريق تطورها نحو الأمام ، لا تقل عن خطوة خروجها من التجسد بالتحول الذي اعتدنا أن نسميه موتا . فالولادة والموت هما أهم خطوتين من خطوات التطور في فترة الحياة الأرضية الواحدة .

ويبدو أننا اذا كنا لا نختار ظروف موتنا ، بمعنى أن احدا لا يأخذ رأينا فيها ، فاننا — ولو الى حد ما — نختار ظروف عودتنا للتجســـد ، بمعنى اننا ينبغي أن نتطلع اليها ولو على وجـــه ما . كما ينبغي أن تكون أيضا موضوع ضراعتنا واتجاهنا لله ، كما هو الشأن في كل خطوات حياتنا المقبلة خصوصا عندما تكون الخطوة منطوية على قدر ما من المغامرة ، أو تمثل بالنسبة الينا قدرا ما من الأهمية . والانسان العاقل هو ذلك الذي يتجه الى الله في كل احداث حياته ، أو بالأدق يجعل حياته عبـــارة عن ضراعة دائمة لله بالعقل والوجدان ، وقبل كل شيء بالعمل الصالح ، ولعل في هذا الاعتبار ما قد يرد على قول الشاعر الفارسي عمر الخيام عندمـــا يقول في احدى رباعياته « لبست ثوب العيش لم أستشر ، وسوف أنضو الثوب عني .. وأين المفر ؟ » ! .

ولا ريب أن الانسان — قبل تطلعه الى العودة للتجسد — يكون في صراع قاس بين عوامل تدفعه وأخرى تمنعه . وهذه العوامل وتلك تمثل تفاعل دوافعه الفردية مع دوافعه الطبيعية أو الاجتماعية . هذا التفاعل الذي قد ينتهي بانتصار الاقدام على الاحجام أو بالعكس ، كما هو الشأن في كل سلوك هام يسلكه الانسان حتى في أمور حياته الدنيوية .

وذلك خصوصا عندما يكون عند مفترق الطرق ، ويكون لكل طريق مزاياه الواضحة ومخاطره الشديدة . فهو عليه أن يتخير عنــد ذاك بين

---

(١) How You Live When You Die. 5 th ed p. 154 - 157

وراجـــع ما ورد في « الفصـــل » . الجزء الثاني عن معنى « عالم رباعي الأبعـاد » ص ٣٤٥ — ٣٥٤ .

دوام الاقامة فى حياة يكون قد ألفها وعرفها بما لها وما عليهـا ، وبين أن يبدأ من جديد مغامرة أخرى كيما يحوز المزيد من الخبرة ، ويؤدى المزيد من الخدمة ، ولو عن طريق الكفاح الشاق والألم المتواصل .

وهنا يلعب نضج الانسان ، وحكمته ، ورغباته ، ومثله العليا ، وصلاته القديمة والحديثة .. دورا طبيعيا ، الى جانب دور نواميس الكون التى قد نحسن استخدامها أو قد نسىء هذا الاستخدام . وفى الحالين نجنى ثمار خطانا أو صوابنا ، **لأن كل تصرفات الانسان ونواحى نشاطه** عبارة عن تركيب من تخيير وتسيير متداخلين — يتفاعلان بلا توقف مع نواميس طبيعية مطلقة وموضوعية لانتاج نتائج منطقية محددة لهـذا التفاعـل ، وأخطر هذه النتائج ما كان متصلا بتطور الانسان فى الطريق الصحيح أو الخاطىء ، أى ما كان متصـلا فى النهاية بتوفير عناصر سعـادته أو شـقائه .

واذا صح هذا النظر فمن مقتضاه ان تكون صلاتنا مع أفراد أسرتنا صلات عريقة ، بل موغلة فى القدم . ومثلها صلاتنا مع كل أولئك الذين نتعامل معهم ، والذين قد نتصور أن « الصـدف » الحسنة أو السيئة قد جمعنا بهم .

أو بالأدق ان هذه الصلات لم تتحقق بغتة ولا جزافاً كما قد نتصور عندما نسعد « بالصدف » الحسنة أو نشقى « بالصدف » السيئة . فكل صلة من هذه الصلات مهما كان رضانا أو عدم رضانا الحالى عنها مرتبطة بشبكة من علل قديمـة لا تنتهى ، ولا تزال تحدث آثارها طبقاً لناموس « العلية الطبيعية » .

وهكذا يبدو الانسان نفسه نتاج هذه الشبكة العريقة القـادمة من ناحية سلوك ماضيه القـريب والبعيد . وهـذه العلل لم تفرض نفسها عليه ، بل لقد لعبت ارادته فى تخيرها دوراً طبيعياً ، اما توقع المعلولات فهـو الأمر الذى يفلت عادة من تقدير الانسـان فى كل ضعف تقديره ، ونقص تفكيره .

وعلل المـاضى ولدت معلولات الحاضر ، ومعلولات الحاضر هى علل المستقبل . وهكذا الشأن الى ما لا نهاية مما يلقى على الانسان مسئولية ضخمة نامية فى ضرورة البحث عن السبيل الأصوب ، وبالتالى فى ضرورة التعرف على النواميس الخلقية للكون ، وتحديد موضعه منها .

وذلك لا يتأتى الا اذا تعرف على نفسـه تعرفاً صحيحاً . ولهـذا السبب وجّه سقراط نداءه الخالد « أيها الانسان : أن اعرف نفسك » .

خاتمة

قال ارسطو عبارة تروقنى كثيرا وهى أنه « اذا لزم التفلسف فلنتفلسف ، واذا لم يلزم فلنتفلسف أيضا لنثبت عدم لزوم التفلسف ». وعلة روعة هذه العبارة هى ان كل باحث جاد عن الحقيقة لابد أن يجد هذه العبارة وقد ارتسم مغزاها من جديد أمام ناظريه . أى يجدها وقد « عادت الى التجسد » من جديد ، وربما بمغزى آخر جديد !

وها نحن هنا فى مقام اختتام موضوع العودة للتجسد لا اجد أفضل منها اقدمه الى القارىء المقتنع بصحة هذا الاحتمال وبثبوته معمليا،وأيضا المنكر لصحته ، ولامكان القول بثبوته ... لماذا ؟ لأن البينات الايجابية — كما ترى — وفيرة وفرة لا بأس بها ، وقوية قوة ينبغى أن تسترعى انتباه الباحث الجاد ، الراغب فى تفهم الأمور على حقيقتها .

ووفرة هذه البينات وقوتها أمران مستمدان ليس فحسب من عددها ونوعيتها ، بل أيضا من ان جميع الذين قاموا بتجميعها ليسوا بالمرة من انصار العودة للتجسد . أو بالأقل لم يكونوا كذلك عندما بدأوا بحوثهم المثابرة فى هذا الموضوع الهام ، ولا راغبين فى اثباتها . فاذا كانوا قد اقتنعوا بها فيما بعد فلأن منطق الوقائع قد غلبهم على أمرهم ، وأمكنه فى النهاية أن يزحزح — فى مشقة بالغة وفى مقاومة شديدة — آراءهم المسبقة فى هذاالشأن ، والمشيدة بعناية واحكام على أن ميلاد الجسد بدأ وفناء الجسد ختام !

كما هما مستمدان أيضا من ترابط هذه البينات فى اثبات العودة للتجسد مهما كان مصدرها بين مصادر البحث المختلفة التى وصل اليها العلم الوضعى . وسواء أكانت هى تحقيقات التنويم المغناطيسى فى ظروف مؤاتية لبعض الوسطاء ، أم أكانت هى تحقيقات ظاهرة « رؤى من قبل » و «سمع من قبل» عندما يكون صاحب الظاهرة فىكامل يقظته ، أم أكانت هى تحقيقات الاتصالات الوساطية بكائنات متجسدة أم غير متجسدة ، أم أكانت هى تمحيص عناصر الفلسفة الباذخة التى تكشف عنها بحوث « علم الروح الحديث » . وهو علم محض وضعى ومرتبط بأسلوب المذهب العقلانى كما ارسى دعائمه « كنط » أكثر بكثير مما قد يتصور المؤيدون والمعارضون معا . وأسلوب كنط هو فى حقيقته امتداد وتعميق للمنهج

الفلسفى الذى نادى به أرسطو صاحب هذه العبارة العميقة المغزى التى وضعناها فى صدر هذه الخاتمة .

ولا أريد أن أتحدث عن ذيوع هذا الاعتقاد لدى شعوب كثيرة ، وفى عصور كثيرة ، وعن استناده الى أسانيد دينية كثيرة ، لأن هذا الاستناد قد لا يرضى عنه المتزمتون من أتباع رينيه ديكارت ، وعمانوئيل كنط ، وأوجست كونت ، ومن اليهم ممن يرون بحق أن ذيوع أى اعتقاد لا يصلح دليلا على صحته ، لأن الأوهام والخرافات أكثر ذيوعا بكثير من الحقائق الثابتة ، وهو أمر أسلم به تماما ، وأتفق معهم فيه الى آخر حدود الاتفاق .

ولكن من حقى أن الاحظ ترابط الأدلة التى قدمها المحققون العلميون مع العديد من المشكلات الفلسفية التى أعيت ولا تزال تعيى محبى الفلسفة فى كل مكان : وهى مشكلات العدل الالهى ، والشر ، والألم ، والضمير ، والمصير الانسانى ، والثواب والعقاب .. وكيف أن هذه البينات تلقى أضواء ساطعة من المحال أن يجد لها الانسان نظيرا فى أى مقام آخر من مقامات البحث فى القضايا الكلية وهى موضوع الفلسفة ، أو فى القضايا الجزئية وهى موضوع العلم الوضعى .

ومن حقى أيضا أن أتحدث عن ترابط الأدلة التى قدمها أولئك المحققون المثابرون مع تلك الحقائق الثابتة التى وصل اليها العلم الوضعى عن المادة ، والعقل ، والطاقة ، والهيولى المحايدة ، والادراك خارج الحواس ، والذاكرة ، وعن خلود النفس الانسانية ، وعن التطور ، وعن دور اللاشعور ، وعن الوراثة أيضا .. حتى وان كنت أسلم تماما بأن المعارف الانسانية فى هذه الأمور لا تزال تحبو فى مهدها ولا تزال قاصرة كأشد ما يكون القصور .

ولكن مما يسترعى الانتباه حقا أن القدر المحدود الذى وصلت اليه معارف الانسان فى شأن هذه الأمور كلها ــ وما أفدحها من أمور ــ يلتئم التئاما فريدا ، وتتوافق توافقا مثيرا مع النتائج التى سجلها المحققون المثابرون فى الظواهر غير المألوفة مهما بعدت المسافات بينهم فى الزمان أو فى المكان ، ومهما تنوعت أساليب التحقيق تنوعا كبيرا .

كأنى بظاهرة العودة للتجسد ــ شأنها شأن سائر الظواهر الروحية المتصلة بموضوع دوام الحياة بعد موت الجسد المادى ــ تريد أن تتحدى العلماء وتثبت تفاهة مداركهم ، وضآلة معارفهم عن أنفسهم . فما من ظاهرة منها أخضعت للتحقيق العلمى ــ فى جو من الاستخفاف

التام بالظاهرة وبمصدقيها — الا واذ بها مع الوقت الطويل تثبت تدريجيا ثبوتا تاما ، واذ بالظاهرة ترفع رأسها عاليا لكى ترغم المكابرين والمعاندين على احناء رؤوسهم اجلالا أمام عظمة الانسان فى عمق تكوينه واتساع ملكاته ، ومواهبه الظاهرة والدفينة ، وتفاهة عقله فى تفهم ألغاز هذه الملكات والمواهب نفسها .

وهذا القول عن ظاهرة العودة للتجسد يصدق — بنفس المقدار — على ظواهر التلباثى أو انتقال الأفكار ، والادراك خارج الحواس E S P وتأثير العقل فى المادة ، والهالة والجسد الأثيرى ، وظهور الأطياف والتجسدات التامة والجزئية ، والخروج من الجسد المادى وبالجسد المادى ، والرؤى والأحلام والتنبؤات الصادقة ، والعلاج الروحى ، والمنازل المسكونة ، والمس الروحى والاستحواذ ، والمجلوبات والمأخوذات الروحية ، والصور العقلية التى تظهر على الألواح الحساسة ، والالهام والأدب الروحى .. وغير ذلك مما تناولناه فى الجزئين الأول والثانى من « مفصل الانسان روح لا جسد » بالدراسة التفصيلية والتحليل العلمى .

فكل هذه الظواهر لاقت فى مبدأ تحقيقها نفس المقاومة ، ونفس الزراية والاستخفاف بالظاهرة وبمصدقيها ، وذلك الى أن تبتت — كلها — تدريجيا كأشد ما يكون الثبوت ، والى أن رفعت الظاهرة رأسها عاليا لكى ترغم المحققين والمثابرين على أن يحنوا رؤوسهم ، ويراجعوا آراءهم المسبقة عن انفسهم وعن علاقتهم بالكون الذى فيه يعيشون ، أو بالأدق فيه يلهون ويعبثون . وكأن أى واحد منهم طفل صغير يعبث فى عدم اكتراث بشعر رأسه وهو لا يعلم أن كل شعره منها تخفى أسراراً هائلة ، لا يمكن أن يدور بخلده وجودها ، ولا يمكن أن يصل اليها ادراكه المحدود ، حتى وان لم يعجز عن حمل كل هذه الأسرار على رأسه الخاوى الصغير .

والآن فلنعد الى عبارة أرسطو ولنقل مثلما قال : اذا كانت كل هذه التحقيقات المترابطة فيما بينها ، وفيما بين سائر معطيات الفلسفة والعلوم الوضعية غير صحيحة ولا تنبىء عن صحة مبدأ العودة للتجسد ، اذاً فلنتفلسف ولنكتشف عدم صحة هذا الاعتقاد ! ولنقدّم على بطلانه بينات ايجابية تعادل فى وفرتها وقوتها تلك التى تقف الى جانبه ، أو تفوقها ، أو لعلها تمحوها من الوجود محواً . وعندئذ فلننحنى رؤوسنا من جديد اجلالاً أمام عظمة الكون وخجلاً من تفاهة عقولنا ومداركنا عن أنفسنا وعن هذا الكون نفسه .

ولكن الى أن تتقدم الينا البينات المضادة الجديدة التى تهدر أو يحتمل أن تهدر تلك التى جمعها كد العلماء ونضالهم خلال قرن من

الزمان — او ما يجاوز القرن — فمن حقنا أن نقول أن العودة للتجسد عقيدة مفرطة فى أهميتها ، وفى عمق آثارها التى لا تنتهى عند حد فى تفسير الكثير من الغاز الكون ، ومعميات الانسان . ومن حقنا أن نقول انه ينبغى متابعة دراستها وتمحيصها بلا توقف مع الاحتفاظ بها كمبدأ أولى عام الى أن نعثر على تأصيل علمى أفضل منها لكل هذه النتائج المتدفقة فى بحوث العلماء المثابرين ، اذا قدر هذا العثور بعد زمان طويل أو قصير ، وبعد عناء كثير أو يسير .

ثم فلنتساءل سؤالاً طبيعياً جداً — فى هذا المقام بالذات — وهو هل نجح العلم المادى فى تعليل الوراثة ، والتكوين الفطرى للانسان ؟ هل حقيقة يمكن الجزم بأنه فى اللحظة التى تدخل فيها خلية الأب فى بويضة الأم يتحدد كل شىء فى جنين المستقبل : جنسه ، وملامحه ، ولونه ، وصفاته ، وأمراضه ، وأخلاقه ، وميوله ... هل حقاً كل ذلك تحدده خلية الأب التى يبلغ وزنها ٦ من مليون من الجرام والتى يحوز منها بلايين لا تحصى فى القذيفة الواحدة ... ويقال انها — أو انها باتحادها ببويضة الأم — تحوز كل هذه الخصائص مجتمعة ؟

* * *

أخشى أن يكون هذا تدليساً باسم العلم لا علماً صحيحاً ! واخشى ان تكون هذه مضاربة جوفاء كالعديد الذى لا يحصى من مضاربات العلم الجوفاء التى القيت على عواهنها فى عصر أغبر كان العلم قد ارتبط فيه تماماً بالفلسفة المادية للوجود . لقد قرأت فى التكوين الفطرى أكثر مما قد يتصور القارىء محاولاً أن أجد تعليلاً واحداً مقنعاً للوراثة من الناحية البيولوجية فلم أجد . وعندما نقبت فى البحوث الروحية وجدت أن بحاث الروح يقدمون هذا التعليل ، بأسانيد واضحة مترابطة يتعذر رفضها الا لمن أعد ذهنه مقدماً للرفض وللمكابرة .

ثم من قال ان خلية الأب أو بويضة الأم لها تكوين عاطفى ، ولها ذاكرة شعورية أو لا شعورية ، ولها خصائص الانسان ؟ قد يكون لها حياة أو قدرة على الحياة كالنملة أو كالذبابة ، أما ما عدا ذلك فهى محرومة منه بتاتاً ، ولم ينازع اى انسان فى ذلك .

وأخشى أن تكون البيولوجيا قد حاولت فحسب تعليل وراثة الجسد ، أما الروح فلم تحاول تعليلها لأن الروح لا تورث ! ولأن شخصية صاحبها تمثل نتاج تطور موغل فى القدم . وعندما انكرت

البيولوجيا — وهي علم الحيـاة — الروح أصبحت هي نفسها علم حيـاة بلا حياه ، اي بيولوجيا ميته على ما لاحظه برجسون الفيلسوف العظيم .

فالانسان يرث الجسـد من اجتماع جسدي ابويه ، وهـذا الارث يعلل تماما اوجه الشبه العديده التي كثيرا ما تتواهر الى حد ملفت للنظر بين الانســان وأحد ابويه او أحد اجـداده (عملا بقـانون منـدل للوراثه) . اما روحه فهو يرثها من نفسه . او بالادق من ماضيه العريق ، واختياراته التي لا تحصى خلال هذا المـاضي العريق . ولذا كثيرا ما نجد ان المولود العبقري ينحدر من صلب اب غبي والمولود الغبي من صلب اب عبقري ، والمولود الصالح من صلب اب طالح وبالعكس .

ولمـا كان التكوين العضوي يمكن ان يحدث تأثيره في التكوين الروحي لصاحبه وبالعكس ، لان العقـل والمـاده يتعاملان على الدوام ، فانه من المتصور ان نجد بعض التوافق بين عقل الانسان ومظهره ، لا كل التوافق ، لان قوانين الوراثه بوجه خاص ، والبيولوجيا بوجه عام ، تلعب دائمـا دورها في تحقيق هذا التوافق ولو الى حد ما ، ولو على نحو ما ، والا اذا تداخلت عوامل جديده يمكن ان تسند الى قوانين روحيه اخرى .

فكل هذه الحقائق الروحية تلقي أضواء لا غنى عنها في تفسير بعض ظواهر الوراثه ، وتعقبها تمـاما ، لو اننـا صممنا على القـول بان كل خصائص الانسان كامنة في خليه الاب وبويضة الام ... هذا القول الذي قد يعلل تكوين الرداء الخارجي ، لا الانسان صاحب هذا الرداء ، والمندمج فيه اندماجا تاما او شبه تام ولو الى حين !

ولعل هذا الاندماج ما كان ليحدث بدوره لولا وجود روابط عريقة وربما اعرق مما نتصـور بين أفراد الأسره الواحده ، والمجتمع الواحد ، والوطن الواحد ، والقارة الواحـدة ، بل والكوكب الواحد ايضا . ولولا وجود اهـداف خطيرة ، واخطـر بكثير مما نعـتقد ، كائنة وراء هـذا التخطيط الذي جادت به قدرة جليلة من عند عزيز حكيم والذي يسمو على مستوى مداركنا بما يتجاوز كل قياس .

* * *

ثم فلنتساءل سؤالا آخر طبيعيا — في هذا المقام بالذات — وهـو هل نجحت الفلسفة — حتى الفلسفة النظرية في الروح وفي الوجود — في تعليل مفارقات الدهر التي لا تحصى ، ومظالمه التي لا تنتهي ؟ هل حلت الفلسفة النظرية حلا مقنعا مشكلات العـدل الالهي ، والألم ، والشر لا والتخيير ، والمصير ؟ .. او هل قدمت للعقل حلولا — او أشباه حلول — في هـذه الأمور يطمئن اليها حقـا العقل الباحث عن الاقتناع ، والوجدان الباحث عن الاطمئنان ؟ .

انني أيضاً أخشى أن تكون حلول الفلسفة النظرية فى هـذه الأمور هى بدورها تدليساً باسم الفلسفة ، لا فلسفة صحيحة . وأخشى أن يكون دور الفلسفة النظرية هنا هو ابعادنا عن الحقائق لا مساعدتنا فى الوصول اليها . فالفلسفة هنا لم تتواضع وتبحث الأمور فى هدوء وفى روية ، كما فعـل المنقبون الجادون عن حقائق الروح والوجود فى هدوء وفى روية ، ولمدى عشرات من سنى البحث الحذر ، المثابر ، الناقد ، الموضوعى .

وأسلوب الفيلسوف النظرى يعتمد أصـلاً على محض استدلالات مرتجلة لحـل القضـايا الكلية قد تصيب وقد تخطىء ، بل تخطىء غالباً اكثر مما تصيب . وهـو لا يشعر أنه مطالب بتقديم الدليل على صحة ما يقول ، واذا قـدّمه فهو فى كثير من الأحيان من ضروب المصادرة على المطلوب . أما أسلوب الفيلسوف أو المفكر الوضعى فهو يعتمد فى كل لبنة من لبناته على محض وقائع جمعها فى مثابرة وتأن على أوسع نطاق ممكن ، وأخضعها لأسلوب التمحيص الناقد والتحليل الدقيق . ولذا فهـو فى المعتاد اكثر اعتدالاً فى استدلالاته ، وأكثر تدقيقاً فيها واكثر قدرة على اثباتها والدفاع عنها . وبالتالى فهو اقرب الى الوصول الى قلب الأمور من الأسلوب الأول .

واذا كان هـذا هو شأن الفلسفة الوضعية فى الكشف عن مجاهل الوجود المـادى ، فهو شأنها ايضـاً — ومن باب أولى — فى الكشف عن مجاهل وجودنا الروحى التى هى أعصى من غيرها على الارتيـاد الآمن . ولذا كان الفيلسوف هنرى برجسون على حـق تمـاماً عندما لاحظ منذ أكثر من ستين عاماً انه : « لو انصرف العـلم الى شئون الروح أول ما انصرف ، لظل غـير يقينى ولا دقيق مهما تقـدم . ولعله ما كان يميّز عندئذ بين ما هو ممكن فحسب ، وبين ما ينبغى أن يقبـل قبولا نهائيـا .

أما اليوم — وقد أصبحنا بفضل دراستنا نحسن هذا التمييز، ونتمتع بالمزايا التى تقتضيها — فاننا نستطيع أن نغامر بدون ما خوف فى هـذا الربع الذى لم يكد يستكشف بعد ، ربع الوقائع الروحية . فلنتقدم فى جراة عاقلة ، ولنلق عن اكتافنا تلك الميتافيزياء (ما وراء الطبيعة) السيئة التى تعرقل حركاتنا . ويقينى ان علم الروح سيؤدى الى نتائج تفوق كل ما نرجوه من آمال » (١) .

وها هى الأيام تمضى سراعا منذ قال برجسون هذه الكلمات المليئة

---

(١) للمزيد من آراء برجسـون فى الروح والبحث الروحى والتطور راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الأول ص ٣٧٢ — ٣٧٥ ، والجزء الثانى ص ٣١ — ٣٧ .

بالفزى ، وها هو كل يوم منها يثبت أنه كان على حق ، وربما أكثر مما ندر هو نفسه وتوقع من هجر أسلوب « ما وراء الطبيعة » الى أسلوب استكشاف الوقائع الروحية فى جراة عاقلة ، وصلت الى نتـائج كثيرة تسبب الحيرة والذهـول ، وتحف بها الخطورة من جميع جوانبها ، ولن يمضى طويل وقت حتى تدخل الى اطار البديهيات عند رغبة معالجة قضايا الانسان ، أو بالأدق الانسان بوصفه أعقد قضايا هذا الوجود .

* * *

ثم لا يسعنى ــ أيها القـارىء ــ الا أن أضـع أمامك هـذه الخواطر التى جالت ببال المفكر الألمـانى جوتهولد لسنج G. Lessing (١٧٢٩ ــ ١٧٨١) ، فلا أجد افضل منها للتعبير عما يجول الآن ببالى، وما أرجو أيضا أن يجول ببالك أنت ، وذلك عندما قال : « ان متعـة الانسان لا تنحصر فى امتلاكه للحقيقة ، وانما هى تنحصر فى الجهـد الذى يبذله من أجل العمل على بلوغها .. ولا تنمو ملكات الانسان بامتلاك الحقيقة ، بل بالبحث عنها ، كما أن كماله المتزايد لا يتمثل الا فى هـذا المظهر وحـده .

والحـق أن امتلاك الانسان للشىء يميـل به الى الركود والتكاسل والغرور . ولو أن الله وضع الحمائق كلها فى يمينى ، ووضع فى يسارى شوقنا المستمر اليها ــ وان اخطأناها دائما ــ ثم خيرنى ، لسـارعت الى اختيار ما فى يسارى ، قائلا له : « رحماك يا ربى فان الحق الخالص لك انت وحدك » .

ومن يدرى ! فلعل هـذا الشوق المستمر الى الحقـائق هو العلة الحقيقية الكائنة وراء تجسدنا فى عالم الاختبار ، ثم عودتنا للتجسـد فى نفس هذا العالم . فالانسـان لا يتعلم الحياة من نعيم التأمل بل من جحيم التألم ، ولا يتعلمها من الاستماع أو من القراءة ، بل من الممارسة العملية. وبالتألم وبالممارسة تنمو ملكاته وينمو كماله المرجو فى سفر الحياة كمـا يدعه الاله ، الذى لا يريد لأحد الشقاء أو الضـياع ، بل بالعكس يريد للجميع البقاء ثم الارتفاع .

وذلك حتى يستحق أن يشغل الانسان المكان السامى المعـد له منذ بدأ تأسيس الكرة الضئيلة التى نشغلها ، لا منذ بدأ الزمان كما يقال فى بعض الاحيان ، لأن الزمان كالدائرة لا يعرف له بدأ ولا انتهاء ، أو بالأدق لقد عرفوا بالفعل أنه لا بدأ له ولا انتهاء !

عن بعض المراجع فى العودة للتجسد

لمن يريد المزيد فى « العودة للتجسد » أن يرجع الى بعض المراجع العلمية ، وهى وفيره ، واوفر مما قد يخطر على بال اى قارىء . وقد اخترنا منها ما يلى :

أولا : باللغة الانكليزية

— وليام ولكر أتكنسون W. Walker Atkinson وله مؤلف عنوانه « العوده للتجسد وقانون الكارما » (١٩٠٨) (١) .

— ليزلى ويذرهيد Leslie Weatherhead وله مؤلف عن « قضية العوده للتجسد » (٢) .

— ا . د . والكر E. D. Walker وله مؤلف عن « العودة للتجسد . دراسة لحقيقة منسية » (١٩١٩) (١) .

— وللسيدة هيلين بتروفا بلافانسكى H. P. Blavatsky مؤسسة « المدرسة الثيوصوفيــــة » بحوث فى هذا الشأن فى مؤلفها « ايزيس بلا نقاب » (١٨٧٧) (٤) و « الفقه الخفى » (١٨٨٧) (٥) .

— وللسيدة انى بيزانت Annie Beasant وهى من أعلام هذه المدرسة عدة كتب فى هذا الشأن منها « العودة للتجســـد » (٦) . كما تعرضت له فى بعض مؤلفاتها الاخرى مثل « الحكمة القديمـــة » (٧) (١٨٩٧) ، و « الحياة الروحية » (٨) (١٩١٢) ، و «حياة الانسان فى هذا العالم ، وفى العوالم الأخرى » (١٩١٣) (٩) .

---

(١) Reincarnation And The Law Of Karma.

(٢) The Case For Reincarnation.

(٣) Reincarnation : A Study Of Forgotten Truth.

وفى نهايته يجد القارىء بيان بالمئات من المراجع باللغات اللاتينية ، والالمانية ، والفرنسية ، والانكليزية ، وفى المجلات العلميــة والفلســفية المتنوعة ، وذلك لمن يريد الاستزادة فيه .

(٤) Isis Unveiled

وله ترجمة فرنسية عنوانها Isis Devoileé.

(٥) The Secret Doctrine.

وله ترجمة فرنسية عنوانها La Loctrine Secrète.

(٦) Reincarnation.

(٧) The Ancient Wisdom.

(٨) The Spiritual Life.

(٩) Man's Life In This And Other Worlds.

— ولنفس المؤلفة بالاشتراك مع الأسقف ك . و . ليدبيتر C. W. Leadbeater وهو بدوره من أعلام المدرسة الثيوصوفية — كتاب قيم فى جزئين بعنوان « حيوات السيون » (١) (١٩٢٤) .

— وللبحاثة ف. بلاى بوند F. Bligh Bond مؤلفان فى هذا الشأن أولهما بعنوان « بوابة الذكرى » (٢) وثانيهما بعنوان « حملة افالون » (٣) (١٩٢٤) .

— وللبحاثة الارلندى المعروف شو دزموند Shaw Desmond كتاب عنوانه « العودة للتجسد لكل انسان » (٤) .

— وشيرلى رالف Shirley Ralph وله كتاب عن « مشكلة الميلاد الثانى » (٥) (١٩٢٤) .

— ل. ستانلى جاست L. Stanley Jast وله مؤلف عنوانه « ماذا يعنى كل هذا » ؟ (١٩٤١) (٦) .

— ت. كريستماس همفريز T. Christmas Humphreys وله مؤلف عنوانه « الكارما والعودة للميلاد » (١٩٤٣) (٧) .

— روبرت جيمس ليز Robert James Lees وله مؤلف عنوانه « دراسة فى العودة للتجسد » (٨) .

— وقد أملى عالم النفس المعروف فردريك مايرز (٩) بيانا من هناك عن صحة العودة للتجسد تجده فى كتاب للوسيطة جيرالدين كامينز Geraldine Cummins عنوانه « الطريق الى الخلود » (١٠) (١٩٣٢) .

---

(١) The Lives Of Alcyone

(٢) Gate Of Remembrance

(٣) The Company Of Avalon.
وراجع ما ورد عن المؤلف فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٠٣ .

(٤) Reincarnation For Everyman.

(٥) The Problem Of Rebirth

(٦) What It All Means.

(٧) Karma And Rebirth.

(٨) An Astral Bridgegroom : A Reincarnation Study.

(٩) راجع ما ورد عنه فى « المفصل » الجزء الأول ص ٣٨٢ — ٣٨٥ .

(١٠) Road To Immortality.

– ولآرثر هيل Arthur Hill بحث فى هذا الشأن فى « مضابط جمعية البحث الروحى » بلندن . المجلد الثامن والثلاثون بعنوان « بعض مخطوطات تلقائية عن « العودة للتجسد » (١) .

– لويس كريستوفورو بوستيلونو Louis Cristoforo Postiglono وله مؤلف عنوانه « أسس الفلسفة العلمية عن دوام الحياة بعد الموت والعودة للتجسد » (١٩٥٦) (٢) .

– جيوفرى هودسون Geoffrey Hodson وله مؤلف عنوانه : « العودة الى التجسد ، وهل هى حقيقة أم خيال ؟ » (٣) .

– فرانسيس ستورى Francis Story وله كتاب عنوانه « قضية الميلاد الثانى » (٤) (١٩٥٩) .

– دكتور سوشيل بوز Sushil Bose وله مؤلف عنوانه « حياتك الأخيرة والمقبلة » (١٩٥٩) (٥) .

– لورانس تمبل Lawrence Temple وله كتاب عنوانه « الأخ المشرق » (١٩٤٠) (٦) .

– جورج ب. براونيل G. Brownell وله كتاب عن « العودة للتجسد » (١٩٤٦) (٧) .

– وجيمس سكادى بركنز James Scuddy Perkins وله مؤلف عنوانه « من الموت الى العودة للتجسد » (٨) (١٩٦١) .

– و ك .ج. ديكاس C. J. Ducasse الأستاذ بجامعة براون وله مؤلف تناول فيه هذا الموضوع عنوانه « الاعتقاد فى حياة بعد الموت » (١٩٦١) (٩) .

---

(١) Some reincarnationiat Automatic Scripts

(٢) Fundamental Scientific Philosophy About Survival And Reincarnation.

(٣) Reincarnation Fact Or Fallacy ?.

(٤) The Case For Rebirth.

(٥) Your Last Life And Your Next.

(٦) The Shining Brother.

(٧) Reincarnation.

(٨) Through Death To Rebirth.

(٩) The_Belief In A Life After Death.

- و ن . سمارت N. Smart وله كتاب عنوانه « الفقه وأسانيده فى الفلسفة الهندية » (١٩٦٤) (١) .

- وجوزيف هيد Joseph Head بالاشتراك مع س. ل. كرانستون S. L. Cranston ولهما معا كتاب عنوانه « العودة للتجسد : أصولها فى الشرق والغرب » (٢) .

- وجينا كيرمينارا Gina Cerminara ولها كتاب تناولت فيه هذا الموضوع عنوانه « منازل كثيرة » (٣) وآخر عنوانه « العالم الذى بالداخل » (٤) .

- ج. هـ. برينان J. H. Brennan وله كتاب عنوانه « خمسة مفاتيح للحيوات السابقة » (٥) .

- ت. كريستماس همفريز T. Christmas Humphreys وله كتاب عنوانه « الكارما والعودة للميلاد » (٦) .

- كريستين هارتلى Christine Hartley ولها كتاب عنوانه « حالة عودة للتجسد » (٧) .

- و أ. و. ريال E. W. Ryall وله كتاب عنوانه « دورة للمرة الثانية » (٨) .

- أيان ستفنسون Ian Stevenson استاذ التحليل النفسى بجامعة فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية وله كتاب « عشرون حالة ترشح للعودة للتجسد » (١٩٦٦) (٩) .

- ونوفل لانجلى Novel Langely وله مؤلف عن « موقف ادجار كايس من العودة للتجسد » (١٩٦٧) (١٠) .

---

(١) Doctrine And Argument In Indian Philosophy.
(٢) Reincarnation : An East - West Anthology.
(٣) Many Mansions.
(٤) The World Within.
(٥) Five Keys To Past Lives.
(٦) Karma And Rebirth.
(٧) A Case For Reincarnation.
(٨) Second Time Round.
(٩) Twenty Cases Suggestive of Reincarnation.
(١٠) Edgar Cayce On Reincarnation.

- كارل موللر Karl Muller وله كتاب عنوانه « العودة للتجسد مؤسسة على وقائع » (١) (١٩٧٠) .

- روبرت ا. سميث Robert E. Smith وله كتاب عنوانه « نحن نحيا حيوات متعددة » (٢) (١٩٧١) .

- وسوامى أبهد داناندا Swami Abhedananda وله كتاب عنوانه « العودة للتجسد » (٣) (طبعة تاسعة ١٩٦٨) .

ثانيا باللغة الفرنسية :

- آلان كاردك Allan Kardec وهو أب هذا الفقه فى البلاد ذات الحضارة اللاتينية وقد عرضه فى عدة مؤلفات أهمها « كتاب الأرواح » (٤) (١٨٥٦) . بالاضافة الى كتاب آخر وهو « الجنة والنار » (٥) (١٨٦٥) .

- ليون دنيز Léon Denis وله فى هذا الشأن « مشكلة الكائن والمصير » (٦) .

- أوجين البير دى روشا Eugene Albert De Rochas وله كتاب « الحيوات المتتابعة » (٧) (١٩١١) .

- الدكتور جوستاف جيلى G. Geley وقد تناول هذا الموضوع فى مؤلف من أجمل مؤلفاته وهو من « اللاشعور الى الشعور » (١٩٢١) (٨) .

- ا. كالدرون E. Calderone وله مؤلف عن « العودة للتجسد بحسب الدكتور جيلى » (٩) .

---

(١) Reincarnation Based On Facts

(٢) We Live Many Lives

(٣) Reincarnation.

(٤) Le Livre des Esprits.

(٥) Le Ciel Et L'enfer.

(٦) Le Problème de L'Etre et De La Destinée.
وراجع ما ورد عن المؤلف فى « المفصل » الجزء الاول ص ٤٦٩ - ٤٧٢ .

(٧) Les Vies Successives
وراجع ما ورد عن المؤلف فى « المفصل » الجزء الاول ص ٤٥٤ - ٤٥٥ .

(٨) De L'Incoscient Au Conscient.

(٩) La Reincarnation D'Après Dr. Geley.

ـ الدكتور جيرار انكوس (بابيس) Gérard Encausse (Papus) وله مؤلف بعنوان « العودة للتجسد » (١) .

ـ جابريل ديـلان Gabriel Délanne وله كتاب عنـوانه « دراسة للحيوات المتعاقبة » (٢) ، وآخر عنوانه « وثائق تنفع فى دراسة العودة للتجسد » (٣) .

ـ شارل لانسلان Ch. Lancelin وله كتاب عنوانه « العودة للتجسد » (٤) ، وآخر عنوانه « كيف يموت الانسان وكيف يولد » (٥) .

ـ الدكتور ا . برنارد A. Bernard وله كتاب عن « الحيوات المتعاقبة » (٦) .

ـ الأب الطا Abbé Alta وله مؤلف عن « وحدة وجود الروح وتعدده » (٧) .

ـ جورج بارباران George Barbarin وله مؤلف عنوانه « عشت مائة مرة » (٨) .

ـ وهنريبت جوتيل جاى Henriette Joutel Gay ولها كتاب عنوانه « تلك الأخرى التى كانت أنا » (٩) .

ـ سيمون سان كلير Simone St. Claire ولها مؤلف عنوانه « حيواتنا السابقة » (١٠) .

ـ الدكتور ادوار برتوليـه Ed. Bertholet وله مؤلف عنوانه « العودة للتجسد » (١١) (١٩٤٩) .

---

(١) La Reincarnation.

(٢) Etudes des Vies Successives

(٣) Documents Pour Servir A L'étude De La Reincarnation.
وراجع ما ورد عن المؤلف فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٧٠ - ٤٧٣ .

(٤) La Reinarration.

(٥) Comment On Meurt, Comment On Nait.

(٦) Les Vies Successives.

(٧) Unité et Pluralité Des Existences De L'Ame.

(٨) J'ai Vecu Cent Fois.
وراجع ما ورد عن المؤلف فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٨١ .

(٩) Cet Autre qui Fut Moi.

(١٠) Nos Vies Antérieures.
وراجع ما ورد عن المؤلفة فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٨١ .

(١١) Réincarnation.

- بيير نوفيل Pierre Neuville وله مؤلف عنـــوانه « تلك الحيوات الأخرى التى عشتها مع ذلك » (١٩٧٠) (١) .

ثالثا : باللغة العربية (بترتيب ابجدى) :

- ج. دى بور : ترجمة الأستاذ محمد عبد الهـادى أبو ريـدة فى كتاب « تاريخ الفلسفة فى الاسلام » .

- جوفرى هدسن : ترجمة الأستاذ زكى عوض المحامى فى كتـاب « العودة الى الحياة ، وهل هى حقيقة أم خيال ؟ » (١٩٥٧) .

- عبد الرزاق نوفل فى كتاب « أسرار وعجب » (١٩٧١) .

- عبد العزيز جادو وله كتاب « العودة للتجسد فى مفهومها العلمى الحديث » (١٩٧٤) .

- عبد القادر حمزة فى كتاب « على هامش التاريخ المصرى القديم » (١٩٤١) .

- محمد على ابو ريان فى كتاب « أصول الفلسفة الاشراقية عنـــد شهاب الدين السهروردى » (١٩٦٩) .

- محمد غلاب فى كتاب « التصوف المقارن » .

- مرجريت مرى : ترجمة الأســتاذ محرم كمال فى كتاب « مصر ومجدها الغابر » (١٩٥٧) .

---

(١) Ces Autres Vies que Vous Avez Pourtant Vécues.

في العودة للتجسد

بين الاعتقاد والفلسفة والعلم

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

عن بعض المراجع فى العودة للتجسد

ثانيا : فهرس الصور

الصفحة

الصورة (مع حفظ ألقاب الأشخاص)

تصويب

رقم الصفحة	رقم السطر	خطـأ	صواب
٣٢	٢٢	يعمل	فقهه ينتشر
٧٦	١٤	Harder	Herder
٧٧	١٩	Flammarioh	Flammarion
٢٠٥	هامش (١)	Pevue	Revue
٢٠٧	٥	يدى	يدعى
٢١٩	١	سيلر	سيلفر
٢٢٦	١٤	جبينا	خبينا
٢٤٢	٣	Rassell	Russell
٢٤٦	١٩	شقانية	شفانية
٢٥٠	١٦	حياته	حياة
٣٣١	٣	(١٣)	(٢)
٣٤٨	١٦	جمعنا	جمعتنا

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٥/٤٠٥٤

للمؤلف
(الطبعات الأخيرة)

* * *

فى التشريع العقابى

- « **مبادىء القسم العام من التشريع العقابى** » . ظهرت طبعته الثالثة فى سنة ١٩٦٥ / ١٩٦٦ .
- « **السببية فى القانون الجنائى : دراسة تحليلية مقارنة** » . ظهرت طبعته الثالثة فى سنة ١٩٧٤ .
- « **فى الجرائم وعقوباتها** » . دراسة فى القسم الخاص من قانون العقوبات المصرى . ظهر فى سنة ١٩٥٣ .
- « **جرائم التزييف والتزوير فى القانون المصرى** » . ظهرت طبعته الثانية فى سنة ١٩٥٤ .
- « **جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال** » . ظهرت طبعته السادسة فى سنة ١٩٧٤ .
- « **شرح قانون العقوبات التكميلى** » . فى جرائم المخدرات . الأسلحة والذخائر . التشرد . الاشتباه . التدليس والغش . تهريب النقد . ظهرت طبعته الرابعة فى سنة ١٩٦٨ .

فى علم الاجرام

- « **مبادىء علم الاجرام** » . ظهرت طبعته الثالثة فى سنة ١٩٧٤ .

فى الاجـراءات الجنائية

- « **مبادىء الاجراءات الجنائية فى القانون المصرى** » . ظهرت طبعته العاشرة فى سنة ١٩٧٤ .
- « **المشكلات العملية الهامة فى الاجراءات الجنائية** » . ظهرت طبعته الثانية فى سنة ١٩٧٣ فى جزئين :-

الجزء الأول : دراسات فى تكييف الواقعة . القبض والتفتيش . حق الدفاع . استظهار قصد القتل . دعوى البلاغ الكاذب . الدعوى المدنية .

الجزء الثانى : دراسات فى الطعن فى الأحكام وأوامر الاحالة .

- **« ضوابط تسبيب الأحكام الجنائية فى قضاء النقض المصرى »**
ظهر فى سنة ١٩٥٦ .

فى فلسفة التشريع

- **« فى التسيير والتخيير : بين الفلسفة العامة وفلسفة القانون »**
ظهرت طبعته الثانية فى سنة ١٩٧٦ .

فى علم الروح الحديث

- **« مفصل الانسان روح لا جسد »** ظهرت طبعته الرابعة فى ثلاثة اجزاء كالآتى : —

الجزء الأول : الخلود حقيقة وضعية (١٩٧٥) .
الجزء الثانى : الخلود والقضايا العلمية (١٩٧٦) .
الجزء الثالث : الخلود والقضايا الفلسفية (١٩٧٦) .

- **« عروس فرعون وشوقيات جديدة من عالم الغيب »** . دراسة تحليلية عن الالهام ، وعن الصلة بين عالمى الروح والمادة . ظهر فى سنة ١٩٧١ .

- **« قصتى العظمى »** . تعريب لتحقيق روحى استمر عشرين عاماً قام به الأديب المعروف هانن سوافر نقيب الصحافة البريطانية . ظهر فى سنة ١٩٧٢ .

- **« ظواهر الخروج من الجسد : ادلتها دلالاتها »** . مدخل الى علم جديد . ظهر فى سنة ١٩٧٥ .

- **« فى العودة للتجسد : بين الاعتقاد والفلسفة والعلم »** ظهر فى سنة ١٩٧٦ . دراسة فى تاريخ الانسان الذى يتجاوز حياته الراهنة .

* * *

بالفرنسية

— Essai Sur La Justice Pénale De L'Egypte Pharaonique Paris 1941.

— La Science Pénitentiaire et le Probleme Des Jeunes Délinquants En Egypte. Paris 1941.

— Des Ministres Comme Ordonnateurs Des Dépènses De L'Etat en Egypte Etude de droit Comparé. Paris 1942.

— Le Rôle des Organes de Poursuite dans le Procès Pénal en Egypte. Rapport Présenté au IXe Congrès International De Droit Pénal à La Haye (du 23 au 28 Aout 1964) Revue Internationale De Droit Pénal 35 année. Nos. 3 et 4 P. 41 et ss.

اقرأ أروع تحقيق فى الروحية الحديثة :



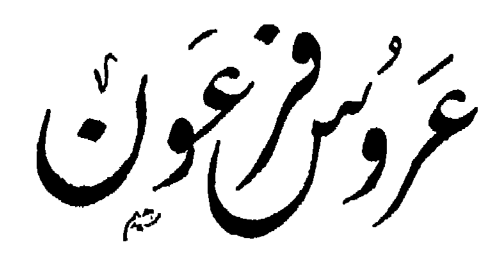
بقلم هانن سوافر
نقيب الصحافة البريطانية

تعريب وتقـديم
الدكتـور رؤوف عبيد

« ان سوافر رجل صادق ، وليس بالساذج الذى تخيل عليه الغوبة افاق ، وليس هو بالدجال الذى يحاول غش الآخرين وخداعهم . والواقع انه تخصص فى التحقيق الصحفى لكبريات الجرائم ، فكان يعهد اليه دائماً فك طلاسمها ، فليس من المعقول ان نتهمـه بالتلفيق ... وأنا شخصياً انصح بتصديقه لمـا أعهده فيه دائماً من تحرى الصراحة والصدق فى كل ما يكتبه ...

ويمضى المؤلف فى سرد ما يمتع نفس القارىء العادى ، ويشبع رغبة البحث والاستقصاء فى الباحث المدقق ، ويغرى بغزو هذا الميدان الشائك الذى يضل فى أرجائه الفسيحة أمثالنا . ويا ليتنا نوالى ضغطنا عليه حتى ينجلى السر الأكبر ، أو نعود مدحورين مقهورين » ....

(**الأستاذ الدكتور مصطفى الديوانى** فى تعليق له فى كتـابه الرائع بعنوان « قصة حياتى » ١٩٦٥ ص ١٣٤ ، ١٣٦) .



وشوقيات جديدة من عالم الغيب

ستقرأ فيه :

ـ دراسة تحليلية عن الالهام ، وعن الصلة بين عالمى الروح والمادة .

ـ دراسة عن شاعرية شوقى شاعر التاريخ .

ـ رواية شعرية كاملة من طراز « مصرع كليوباترة » ، وخمس عشرة قصيدة تتناول مشاعر الانتقال ، ووصف عالم الروح ، والأحداث الجارية فى بلاغة مأثورة .

ـ نثراً فنياً مميزاً غنياً بالأخلاقيات والحكم المأثورة .

ـ آراء أعلام الشعر والنقد والأدب فى كل هذا الانتاج ، مؤيدة بأسانيدها التفصيلية الحاسمة .

جميع كتب المؤلف تطلب من

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

١١ شارع جواد حسنى . عابدين . مصر

ص.ب : ١٣٠





هل بينهم ارتباط لحم ودم، ام ارتباط فى الأثير، وتاريخ مثير،
وحب عريق تائه فى حنايا اللاشعور ؟!

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى